

موسوعة
الأذان بين الأصالة
والتحريف
(١)

العَتَبَةُ الْعُلُوْبِيَّةُ الْمُقَدِّسِيَّةُ
قِسْمُ الشُّوْبِ الْمَكْرَمِ وَالثَّقَافِيَّةِ
(٣٣)

حي علي خير العمل الشرعية والشعارية

الطبعة الخامسة - مزيدة

تأليف
السيد علي الشهرستاني





www.imamali-a.net
info@imamali-a.net

هوية الكتاب

- حي على خير العمل الشرعية والشعرية
- المؤلف: السيد علي الشهرستاني.
- الناشر: العتبة العلوية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية.
- الإخراج الفني: عبد الحسن هادي الشافعي.
- مراجعة: قسم الشؤون الفكرية والثقافية.
- الطبعة: الخامسة - مزيدة.
- تاريخ الطبع: ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

الإهداء

إلى من آمن بالله والناس مشركون.
إلى من تحمّل كلّ شيء من أجل الرسول والرسالة.
إلى من صبر على أذى قريش وهو يقول: أحد، أحد.
إلى من رفع نداء التوحيد وحطم بتكبيره شوكة قريش.
إلى من لم يؤذّن لأحد بعد رسول الله إلا للزهاء والحسنين.
إلى من أبعد أو ابتعد عن مجريات الأحداث بعد رسول الله
صلى الله عليه وآله.

إلى من وقف أمام التحريف داعياً إلى الأصالة.
إلى مؤذّن رسول الله ومحبّ عترته وآل بيته.
إلى الصحابيّ الجليل بلال الحبشيّ رضوان الله تعالى عليه.
أهدي دراستي هذه.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأحد لا بتأويل عدد، والخالق لا بمعنى حركة ونصب، والسميع لا بأداة والبصير لا بتفريق آله والشاهد لا بمماسة، والباين لا بترخي مسافة، والظاهر لا بروية، والباطن والباطن لا بلطافة، وصلى الله على رسوله الذي اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء وذراية العلياء وسرة البطحاء، ومصابيح الظلمة وينايع الحكمة وعلى آله شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم..

لقد أرسى الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم تعاليم الدين وأسس الإسلام كاملة، حتى نزل قوله تعالى بعد حجة الوداع وفراغ النبي من تنصيب الإمام علي (عليه السلام) أميراً للمؤمنين وسيداً للوصيين (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) فهنا المسلمون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهنا بعضهم بعضا على اكمال الدين واتمام النعمة.

وبعد لحوق المصطفى بالرقيق الأعلى، كانت هم أولى الأمر الذين وثبوا على خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، منصرفا الى فتح البلدان ومشارك الأرض ومغاربها وفتح الممالك وقد عمدوا الى تشويق الجند في هذه الحروب بحيث يشربون من قلوبهم الجهاد والدفاع عن حياض الإسلام لكي يعتقدوا أنه خير عمل يرجونه يوم المعاد، ولذا رجع في نظرهم اسقاط هذا الفصل من الأذان (حي على خير العمل) تقديماً لتلك المصلحة على الإلتزام والتعبد بما جاء به الشرع الأقدس، فقد جاء عن الخليفة الثاني وهو على المنبر قال: (ثلاث كن على عهد رسول الله، وأنا أنهى عنهن وأحرمهن، وأعاقب عليهن متعة النكاح ومتعة الحج وحي على خير العمل)^(١).

كما جاء في التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول/ الشيخ ناصف من علماء الأزهر لقد كان هذا الأذان بفصوله الكامل متعارف عند الصحابة حتى ابن عمر نفسه كان يقول في الأذان بعد حي على الفلاح

١ . جواهر الكلان، الجواهري: ١٤٠/٣.

حي على خير العمل وهناك مواقف^(١) عديدة ذكرها ارباب التاريخ اجتهدوا القوم فيها قبال نص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد جاء عن أئمة الهدى عليهم السلام، فعن محمد بن ابي عمير سأل أبا الحسن عليه السلام عن حي على خير العمل لم تركت من الأذان؟ فقال تريد العلة الظاهرة أو الباطنة؟ فقلت اريدهما جميعا فقال: أما العلة الظاهرة فلئلا يدع الناس الجهاد اتكالا على الصلاة، وأما الباطنة فإن خير العمل الولاية فأراد من امر بترك حي على خير العمل من الأذان ألا يقع حث عليها ودعا اليها.

ومن هذه الحقيقة انطلق يراع المؤلف التقدير ليبين ويستوضح حيثيات هذه القضية الخطيرة التي غلقت في تاريخ الأمة فراح قلمه يصدع بالحق ويظهر الحقيقة لكل ذي عينين وبالتعاون مع قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة الذي أخذ على عاتقه نشر فكر وتراث الإمام علي (عليه السلام) ورد الشبهات والإشكالات التي قد تشوش أفكار المسلمين، عمدنا على اعادة طباعة ونشر هذا الكتاب بطبعة منقحة لقرائنا الكرام ليكون لهم معينا صافيا والله من وراء القصد.

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
النجف الأشرف

١ . العالم الحلبي .. باب بدء الأذان ومشروعيته: ١١٠.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق محمد وآله
الطيبين الطاهرين.
من أجل نشر الوعي الديني والفكري والثقافي الصحيح واحتفاء
بالنجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية عام ٢٠١٢م، كان التعاون مع
قسم الشؤون الفكرية في العتبة العلوية المقدسة لإعادة طباعة كتاب (حي
على خير العمل الشرعية والشعرية) بعد تنقيحه ومراجعته، سائلين الله
تعالى أن يوفقهم في عملهم خدمة لدين الله، والله سبحانه ولي التوفيق.

علي الشهرستاني
٢٧ رجب ١٤٣١هـ

مرّ الفقه الإسلامي بمراحل وأدوار متعددة، وكُتِبَ بأساليب ورؤى مختلفة، وطبق مناهج خاصة لفقهاء الإسلام، فالبعض أجمل فيه، والآخر فصل، وثالث عُنِيَ بذكر الأدلّة، ورابع بتكثير الفروع، وخامس بمسائل الخلاف، وسادس بفقه الوفاق، واهتمّ غيرهم بجوانب أخرى منه. وقد دُوِّنت تلك المصنّفات تارة أصلاً ومنتناً، وأخرى تعليقا وشرحا، وثالثة نظما وشعرا، وغير ذلك.

وقد اختططت منهجا بين تلك المناهج، مسلّطا الضوء على العلل والأسباب التي أدّت إلى اختلاف المسلمين في الأحكام الشرعيّة، موضّحا فيه ملاسبات التشريع، غير مُتناس لمنهج الأقدمين في دراسة الفروع، أخذا بنظر الاعتبار ما يلائم عقليّة المسلم المعاصر من التعرّف على جذور الخلاف وأسبابه.

فالفقيه لو جمع إلى أدلّته القرآنيّة والحديثيّة شيئا من تاريخ التشريع وملاسبات الأحكام الشرعية لا تضح للسامع والقارئ حقائق كثيرة في هذا السياق. وكذا المؤرّخ عليه أن يدرس الأحداث دراسة تحليلية استنباطية كما يفعل الفقيه بالأحاديث، وأن لا يكتفي بنقل البلاذري والطبري والواقدي وابن سعد وغيرهم من أعلام المؤرّخين.

وقد أوضحنا بعض معالم منهجنا في مقدمة كتابنا (وضوء النبي) وأكّدنا على ضرورة دراسة المتن والسند معا، مع بيان الجذور السياسية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية للأحداث، وأن لا يكتفي المؤرّخ أو الفقيه بواحد منها دون الآخر؛ لأن اتّخاذ أحد الأسلوبين (القديم أو الجديد) ربما لا يقنع المطالع وخصوصا في القضايا الخلافية، فالبحوث الإسنادية مثلاً هي بحوث تخصّصية بحتة لا يستسيغها الأكاديمي (الجامعي)، وقد تتقل على مسامع غير المتخصّصين. وكذلك الحال بالنسبة إلى البحوث التاريخية التشريعية، فربما لا يرى الطالب الحوزوي والأزهري كثير فائدة في طرحها، ومن هنا سَعِينَا أن نجمع - في دراساتنا - بين الأسلوبين، كي نخاطب أكبر عدد ممكن من القراء الأعزاء، مبسطين العبارة والفكرة بقدر المستطاع. وأشرنا إلى بعض أهدافنا صراحةً بالقول:

لقد انتهجنا هذا الأسلوب في دراستنا واتبعناه لا لشيء إلا لتطوير و إشاعة مثل هذه الدراسات في معاهدنا العلمية وجامعاتنا الإسلامية، على أمل تعاون المعنّيين معنا في ترسيخ هذه الفكرة وتطويرها، وأن لا يدرسوا الفقه دراسة إسنادية متنية فقط دون معرفة ملايسات الحكم التاريخية والسياسية، ونرى في طرح مثل هذه الدراسات رُقياً للمستوى الفقهي والأصولي لدى المذاهب الإسلامية، وتقريباً لوجهات النظر بين المسلمين، وترسيخاً لروح الانفتاح فيهم، ومحاولة للقضاء على مختلف النزعات العاطفية و إبعادها عن مجالات البحث العلمي، وعدم السماح لتحكم الخلفيات الطائفية، والرواسب الذهنية في هذه البحوث العلمية النظرية.

ولو اتبعنا مثل هذا الأسلوب في جميع أبواب الفقه لوصلنا إلى حقيقة الفقه الإسلامي من أيسر طرقه وأسلمها، ولوقفنا على تاريخ التشريع وملايساته، ولأتضح لنا خلفيات صدور بعض الأحكام، وعرفنا حكم الله الواحد الذي ينشده الجميع.

ومما يجب التأكيد عليه أنّ مشروعا سيطبق - إن شاء الله تعالى - في إطارين:

١ - الإطار التأسيسي.

٢ - الإطار التطبيقي.

ولنا دراسات عن السنة النبوية، والقراءات القرآنية، والنسخ وأساسيات نقاط الافتراق بين المذاهب الإسلامية كالعصمة، والقياس، والاستحسان وسواها.

وقد قدّمنا سابقاً بعض النماذج التطبيقية للفكرة، فكان (وضوء النبي) هو الأول، ثم أردفناه بالأذان، أملين أن نلحق به الصلاة والحجّ والزكاة وغيرها بإذن الله تعالى.

ولا نقصد من عملنا هذا إعطاء وجهة نظر فقهية خاصة بنا، بل كانت تلك الدراسات بياناً لكليات عقائدية تاريخية فقهية ينبغي أن يعرفها و يتعرف عليها كلّ مسلم غير جامدٍ على منهجٍ خاصٍ ونسقٍ معروفٍ عند طبقة خاصة من الفقهاء والمؤرخين والكتّاب.

وقد عنيتُ في عملي هذا برفع الغامض وحلّ المبهم من المسائل، وأردت أن أنتقل بالقارئ الكريم إلى واحات العلم، وميادين المعرفة، من غصن إلى غصن، ومن فنن إلى فنن على شجرة المعرفة لنقنطف من

الثمار أحلاها... من الفقه، إلى التفسير، إلى التاريخ، إلى الرجال، إلى الحديث، إلى اللغة، و إلى كل شيء يمت للبحث بصلة.
فالغاية من دراساتنا إذاً هي بيان كليات وأمّهات المسائل لا جزئياتها و سننّها ومستحباتها، فلا تعني بحوثنا بمثل فضل الأذان والمؤذن، أو جواز أذان المرأة والصبيّ وعدمهما، أو جواز إعطاء الأجرة على الأذان أم لا، وغيرها من عشرات المسائل المطروحة.
وكذلك ما يتصل بالوضوء، فلم تكن الدراسة متجهة إلى البحث عن الأسباب الموجبات والنواقض والمستحبات، بل متجهة إلى بيان حدود الأعضاء المغسولة والممسوحة، وكيفية وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله.
وهكذا الحال بالنسبة إلى دراساتنا اللاحقة - إن وفق الله لإتمامها - فهي بحوث عن الكليات والأمّهات لا عن التشعبات والتفريعات وما يتعلّق بالأدب والسنن.
هذا، وقد جعلت دراستي عن الأذان عما هو الأصل منه والمحرف،
فجاءت فـ

ثلاثة أبواب.

الباب الأول: «حيّ على خير العمل» الشرعية والشعرية.
الباب الثاني: «الصلاة خير من النوم» شريعة أم بدعة؟
الباب الثالث: «أشهد أن عليّاً وليّ الله» بين الشرعية والابتداع.
وقدمت لهذه الأبواب ببعض البحوث التمهيديّة، كالأذان لغة واصطلاحاً، وكيان ما قاله أهل السنّة والجماعة بمذاهبهم الأربعة، والشيعيّة - بفرقها الثلاث - في بدء الأذان، ثمّ كانت لنا وقفه مع أحاديث الرؤيا، ثمّ تحقيق في ما وراء نظرية الرؤيا.
منبها القارئ الكريم على أن هذه الدراسة هي مواضيع مترابط بعضها ببعض ترابطاً وثيقاً، فلا يمكن فهم مكانة الشهادة الثالثة في الأذان إلاّ بعد قراءة «حيّ على خير العمل».
ونظير هذا ما يتعلّق بالحيلة الثالثة «حيّ على خير العمل»، فإن معناها لا يتّضح كاملاً إلاّ بعد قراءة الشهادة الثالثة «أشهد أن عليّاً وليّ الله».
أمّا «الصلاة خير من النوم» فهي الجدار الحائل بين البيّين، والموضح لأسرار محاربة شرعية وشعرية الشهادة والحيلة الثالثتين.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بحوث تمهيدية

- الأذان لغة واصطلاحاً
- تاريخ الأذان
- بدء الأذان عند أهل السنة والجماعة
- أهل البيت وبدء الأذان
- وقفة مع أحاديث الرؤيا
- تحقيق فيما وراء نظرية الرؤيا
- الأذان إعلام للصلاة أم بيان لأصول العقيدة؟
- الأذان وأثاره في الحياة الاجتماعية

الأذان نعمة الوحي في سماء الدنيا، يُرتلها المؤذن آناء الليل وأطراف
النهار،
داعيا عباد الله إلى عبادته جلّ شأنه، ناطقا بالحقيقة الخالدة، معلنا حقائق
الدين
الحنيف بكلّ صراحة ووضوح، مُذكّرا بحلول وقت مناجاة الربّ الكريم،
والدخول
في حضرة الجليل.

كلمات تهزّ المشاعر والعواطف وتشدّ الأرواح إلى مالکها الذي اليه
الرُّجعى و إليه المصير.
أسماء مباركة ترددها شفاه المؤمنين، فتزيد المؤمن إيمانا، والكافر
عنادا وخسرانا.

إنه دعوة الرحمن أوليائه إلى الطاعة والرحمة والمغفرة، وهو نداء
ملائكة السماء، وأنشودة المؤمنين إلى قيام يوم الدين.
وما أن يتمّ المؤذن نداءه للظهر والعصر، حتّى يحلّ الغروب وظلام
الليل، و إذا بتراتيل الإسلام:

أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله.
أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله تعلقوا من المآذن.
فالأذان حينذاك إعلام لإقامة الصلاة في غسق الليل، وما أن يتمّ
المؤمن صلاته ومناجاته مع ربّه حتّى ينصرف إلى الرقاد، و إذا
بالصبح يطلع عليه بفجره الصادق هاتفا المؤذن فيه باسم الربّ الجليل
وباسم الرسول الأمين تارة أخرى:

أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله.
أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله.
ليقيم ما أمر به الله في كتابه (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ
اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) (الإسراء/٧٨)

والأذان من السنن المؤكدة التي حتّ عليها الشارع المقدّس، وهي
دعوة الخالق لعباده إلى الدخول في أجواء رحابه المباركة اللامتناهية
فُرادى أو مجتمعين، متراصين متحابين، مؤمنين، في زمان معيّن ومكان
واحد، وباتّجاه محور وقبلة واحدة، يرهبون باجتماعهم أعداء الله وجند
إبليس.

إنه إذا من أعظم الشعائر الإسلامية؛ لكونه دعوة الحي القيوم لتنبيه الغافلين

و إيقاظ النائمين وتذكير الناسين، بل هو من مصاديق قوله جل شأنه: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (فصلت/٣٣)(١)

ولعل من الغرابة بمكان أن نرى وقوع الاختلاف في أمر بديهى و إعلامى كالأذان الذي ينادي به مؤذنو المسلمين في كل يوم وليلة عدّة مرات - على اختلاف السنة الناس - بلسان عربي مبين، ومن على المآذن وبصوت عال يسمعه الجميع.

فنتساءل عن سبب الاختلاف والتنازع في فصول هذه الشعيرة الإسلامية؟

ولماذا يكون اختلاف في مثل هذه المسألة بين المذاهب الإسلامية؟ بل لماذا تذهب الشافعية إلى تربع التكبير بخلاف المالكية القائلة بتثنيته؟

وهل هناك أمور خفية وراء اختلافهم في أفراد أو تثنية الإقامة؟! وهل حقا أنّ هناك تثويبا^(٢) أو لا وتثويبا ثانيا؟
أوجب أن يؤتى بالتثويب في أثناء فصول الأذان، أم بعدها قبل الإقامة؟ بل ما المعنى بالتثويب؟ أهو: «الصلاة خير من النوم» أو «قد قامت الصلاة» أم: «حي على خير العمل» أهو شيء آخر؟

ثمّ لماذا اختلفت رواية عبد الله بن زيد بن عبد ربّه بن ثعلبة الأنصاري في الأذان^(٣) عن رواية أبي محذورة القرشي؟ ولماذا تجيز المذاهب الأربعة الأذان قبل الوقت لصلاة الفجر بخاصة، مع تأكدهم المبرم على عدم جواز ذلك في سائر الأوقات المعيّنة؟

١ . وانظر في ذلك الحاوي الكبير للماوردي ٢ : ٤٠ .

٢ . التثويب من تاب يثوب، ومعناه: العود إلى الإعلام بعد الإعلام، كقول المؤذن (حي على الصلاة)، فإنّه يعود و يرجع إلى دعوته تارة أخرى فيقول (قد قامت الصلاة) أو (الصلاة خير من النوم) أو (الصلاة الصلاة يرحمك الله) أو أي شيء آخر، وقالوا عن (الصلاة خير من النوم) إنّه التثويب الأوّل، وما يقوله المؤذن بعد الأذان مثل (السلام عليك أيها الأمير، حي على الصلاة) وأمثاله إنّه التثويب الثاني.

٣ . كما سيأتي في صفحته ٣٢ .

وكيف يمكن تصحيح خبر تأذين ابن أم مكتوم الأعمى للفجر، وتضعيفهم لروايات صحيحة أخرى تطابق العقل والشرع في أنه كان يؤذن بالليل وفي شهر رمضان بخاصة؟ بل كيف يقولون بتأذين ابن أم مكتوم مع قولهم بکراهة تأذين الأعمى؟

أضف إلى ذلك كله أنه ما الداعي إلى اختلاف أذان أهل مكة عن أذان أهل المدينة، واختلاف الأذنين عن أذاني أهل الكوفة وأهل البصرة؟ ولماذا يختلفون فيما هو - واللفظ لابن حزم - «منقول نقل الكافة بمكة وبالمدينة وبالكوفة، لأنه لم يمر بأهل الإسلام يوم إلا وهم يؤذنون فيه في كل مسجد من مساجدهم خمس مرات فأكثر، فمثل هذا لا يجوز أن يُنسى ولا أن يُحرّف»^(١).

فلماذا نسي أو حرّف هذا الأذان واختلف فيه بين مصر وآخر؟ ولو صح ما قاله ابن حزم - من صحة جميع منقولات الأذان على اختلافها - عند جمعه بين الوجوه في الأذان؛ فكيف يمكننا أن نوفق بين وحدة الشريعة وبين تعددية الأذان؟ أفكان رسول الله قد صحح الجميع؟ أم وقع في الأذان تغيير يشهد به إحداه عثمان بن عفان للأذان الثالث يوم الجمعة^(٢)؟

قال ابن حزم جامعا بين كل تلك الوجوه:
«... كل هذه الوجوه قد كان يؤذن بها على عهد رسول الله بلا شك، وكان الأذان بمكة على عهد رسول الله يسمعه عليه السلام إذا حج، ثم يسمعه أبو بكر وعمر، ثم عثمان بعده عليه السلام... فمن الباطل الممتنع المحال الذي لا يحل أن يظن بهم أن أهل مكة بدّلوا الأذان وسمعه أحد هؤلاء الخلفاء رضي الله عنهم، أو بلغه والخلافة بيده فلم يغيّر... وكذلك فتحت الكوفة ونزل بها طوائف من الصحابة رضي الله عنهم، وتداولها عمال عمر بن الخطاب، وعمال عثمان رضي الله عنهما، كأبي موسى الأشعري، وابن مسعود، وعمار، والمغيرة، وسعد بن أبي وقاص. ولم يزل الصحابة الخارجون عن الكوفة يؤذنون في كل يوم سفرهم خمس مرات، إلى أن بنوها وسكنوها، فمن الباطل المحال أن يُحال الأذان

١ . المحلى لابن حزم ٣: ١٥٣ .

٢ . انظر: تحفة الأحوذى ٣: ٤١ / أبواب الجمعة - باب ما جاء في أذان الجمعة ؛ عون المعبود ٣: ٣٠٢ .

بحضرة من ذكرنا و يخفى ذلك على عمر و عثمان أو يعلمه أحدهما فيقرّه
ولا ينكره.

ثم سكن الكوفة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى أن مات،
وأنفذ العمّال من قبله إلى مكّة والمدينة، ثمّ الحسن ابنه رضي الله عنه إلى
أن سلّم الأمر لمعاوية، فمن المحال أن يُغَيَّر الأذان ولا ينكر تغييره عليّ
ولا الحسن، ولو جاز ذلك على عليّ لجاز مثله على أبي بكر وعمر
وعثمان، وحاشا لهم من هذا فما يَظُنُّ هذا بهم ولا بأحد منهم مسلّم أصلاً.
فإن قالوا: ليس أذان مكّة ولا أذان الكوفة نقل كافة.
قيل لهم: فإن قالوا لكم: بل أذان أهل المدينة ليس هو نقل كافة، فما
الفرق؟

فإن ادّعوا في هذا محالاً ادّعي عليهم مثله.
فإن قالوا: إن أذان أهل مكّة وأهل الكوفة يرجع إلى قوم محصور
عددهم.

قيل لهم: وأذان أهل المدينة يرجع إلى ثلاثة رجال لا أكثر، مالك وابن
الماجشون وابن أبي ذئب فقط، و إنّما أخذه أصحاب هؤلاء عن هؤلاء
فقط.

فإن قالوا: لم يختلف في..^(١).
إلى غيرها من عشرات الأسئلة التي طرحها ابن حزم وسعى لرفعها،
لـ

المشكلة بقيت كما هي، فما الذي تكتنفه هذه المسألة من الملايسات إذا؟
وهل يُعدّ هذا الاختلاف حقاً من الاختلاف المسموح به في الشريعة،
أم أنّ

شيء آخر؟
بل لِمِ اشتدّ أوار النزاع بين المسلمين في أمور بديهية، كالوضوء
والأذان - مثلاً -
وهما من الأمور العبادية التي يؤدّيها كلّ مسلم عدّة مرّات في اليوم
والليلة؟

١ . المحلّى لابن حزم ٣: ١٥٤ - ١٥٥.

قال ابن حزم: «أربعة أشياء تنازع الناس فيها: الوضوء، والأذان، والإقامة، والطواف بالبيت»^(١).

وهل يمكن جعل معيار الاختلاف في الأذان بمثابة الاختلاف في تعيين المَدِّ والصاع والوسق الذي يُختلف فيه بين منطقة وأخرى، أو يُغيَّر - أي يُحدَثُ فيه - من قبل الأمير والخليفة لحاجة له فيه؟

كلا «ليس هذا من المَدِّ والصاع والوسق في شيء، لأن كل مَدٍّ أو قفيز أُحدث بالمدينة وبالكوفة قد عُرف، كما عُرف بالمدينة مَدُّ هشام الذي أُحدث، والمَدُّ الذي ذكره مالك في موطئه: أن الصاع هو مَدٌّ وثلاث بالمَدِّ الآخر، وكَمَدُّ أهل الكوفة الحجاجي، وكصاع عمر بن الخطّاب. ولا حرج في إحداث الأمير أو غيره مَدًّا أو صاعاً لبعض حاجته، وبقي مَدُّ النبي وصاعه ووسقه منقولاً إليه نقل الكافة إليه»^(٢)!

فكيف يختلفون في الأذان إذا، فيذهب بعضهم إلى أنه شرع في السَّماء، ويقولون الآخر إنّه شرع بعد رؤيا رآها صحابيٌّ أو عدد من الصحابة؟ أو هل يصحّ تشريع العبادة بمنام يراه أحد الناس، أم أنّ تشريعها يجب أن يكون بوحى من الله؟

وكيف يسوغ تشريع الأذان استناداً إلى رؤيا رآها عبد الله بن زيد بن عبد ربه في منامه، أو ركونا إلى اقتراح الصحابة^(٣)، ويرجح هذا الفهم وهذه الرؤى على أن يكون تشريع الأذان من الحكيم العليم؟

ألا تحمل هذه الرؤية نَيْلاً من قدسية الأمور العبادية الإلهية، وتقلل من منزلتها المعنوية؟!!

١ . المحلى لابن حزم ٣: ١٦١ ضمن بحثه عن جواز التقديم والتأخير في الأذان والإقامة وعدمه.

٢ . المحلى لابن حزم ٣: ١٥٦ - ١٥٧.

٣ . سنن أبي داود ١: ١٣٤ كتاب الصلاة باب بدء الأذان ح ٤٩٨، مصنف عبد الرزاق ١: ١٧٧٥/٤٥٦ كتاب الصلاة باب بدء الأذان.

ثم مَنْ هو الذي رأى في المنام، هل هو: عبد الله بن زيد^(١)؟ أو: عمر
ابن الخطاب^(٢)؟ أو: أبو بكر^(٣)؟ أو: أبي بن كعب^(٤)؟ أو: سبعة من
الصحابية^(٥) أو:
أربعة عشر منهم^(٦)؟ أو أكثر من هذا العدد أو أقل؟
وكيف يراه هؤلاء ولا يراه النبي المرسل الصادق الرؤيا بلا شك
وريب؟

وماذا نقول عن: «الصلاة خير من النوم» و: «حي على خير
العمل»؟ أو ثمّة
ترابط بين رفع «حي على خير العمل» ووضع «الصلاة خير من النوم»؟
أم
الأمر جاء بشكل عفوي دون تدبير؟!

و إذا كان الأمر عفويًا، فلماذا نرى أنّ من يقول بشرعية «حي على
خير
العمل» لا يقول بشرعية «الصلاة خير من النوم»، ومن يقول بشرعية
«الصلاة

خير من النوم» يرفع «حي على خير العمل» من الأذان؟
أو أنّهما شرعيان أم أنّ أحدهما شرعي والآخر بدعي؟ فأيهما الشرعي
وأيهما البدعي إذا؟

وما حكم الشهادة الثالثة التي تقول بها الشيعة الإمامية «أشهد أنّ عليًا
والله»، فهل هي من الشرع أم أنّها بدعة؟

- ١ . هو المشهور عند أهل السنّة والجماعة، وفيه روايات كثيرة.
- ٢ . سنن أبي داود ١: ١٣٤ كتاب الصلاة باب بدء الأذان ح ٤٩٨ . السنن الكبرى للبيهقي ١: ٣٩٠.
- ٣ . مجمع الزوائد ١: ٣٢٩ كتاب الصلاة باب بدء الأذان، جامع المسانيد ١: ٢٩٩، تفسير القرطبي ٦: ٢٢٥ المائدة الآية ٥٨ . شرح الزرقاني على الموطأ ١: ١٣٦ عن الأوسط للطبراني.
- ٤ . علل الشرائع: ٣١٢ ح ١ وعنه في بحار الأنوار ٨١: ٣٥٤.
- ٥ . المبسوط للسرخسي ١: ١٢٨ كتاب الصلاة باب بدء الأذان.
- ٦ . السيرة الحلبية ٢: ٣٠٠ باب بدء الأذان ومشروعيتها. وفتح المعين لشرح قرّة العين بمهمات الدين للمليباري المطبوع في هامش حاشية اغاثة الطالبين ١: ٣٣٠، وشرح الزرقاني على موطأ مالك ١: ١٣٦.

وما عدد التكبيرات في أوّل الأذان، أهي أربع تكبيرات أو تكبيرتان؟
ثمّ ما خاتمة الأذان، هل «الله أكبر» أو «لا إله إلاّ الله»؟
وهل أن الأذان بيان لأصول العقيدة وكلّيات الإسلام من: التوحيد،
والنبيّ

و...، أم أنّه مجرد إعلام لوقت الصلاة خاصّة؟
ولماذا الاختلاف في أمر بديهيّ و إعلاميّ كهذا؟
تُرى، هل نشأ هذا الخلاف في عصر الصحابة الذين يقال عن قرنهم
أنّهم خيرٌ
القرون، أو حدث في عهد التابعين وتابعي التابعين ومن تلاحمهم؟ وهل ثمة
ملابس
لهذه الأمور في الصدر الأوّل؟ أم أنّها جاءت في العصور اللاحقة؟!
لقد نقل الصنعاني كلام بعض المتأخّرين - وهو يسعى لرفع الخلاف
في ألف
الأذان - بقوله:

«هذه المسألة من غرائب الواقعات يقلّ نظيرها في الشريعة، بل وفي
العبادات؛ وذلك أنّ هذه الألفاظ في الأذان والإقامة قليلة محصورة معيّنة
يُصاح بها في كلّ يوم وليلة خمس مرّات في أعلى مكان، وقد أمر كلّ
سامع أن يقول كما يقول المؤدّن، وهم خير القرون، في غرة الإسلام،
شديداً والمحافظ على الفضائل، ومع هذا كلّهم لم يذكر خوض الصحابة
ولا التابعين واختلافهم فيها، ثمّ جاء الخلاف الشديد من المتأخّرين، ثمّ
كلّ من المتفرّقين أدلى بشيء صالح في الجملة وإن تّفاوّت»^(١).
تري ما مدى مصداقية هذا الكلام وقربه من الواقع؟ أو من الصحيح
أنّ
الصحابة لم يختلفوا في الأذان كما ادّعى هذا القائل من المتأخّرين؟! بل
هل يصحّ
قاله ابن حزم عن الصحابة، كما مرّ بنا قبل قليل^(٢)؟
للإجابة عن أهمّ الملابس والتساؤلات، لأبّد من البحث وتنقيح
المطالب

١ . سبل السلام ١: ١٢٢ .

٢ . مر في صفحة ١٨ - ٢٠ .

ووضع النقاط على الحروف، فنقول مستعينين بالله:

الأذان لغةً واصطلاحاً:

من المفيد قبل البدء في تفاصيل هذه الدراسة أن نتعرّف على المعنى اللغويّ والمفهوم الاصطلاحي للأذان، وبيان تاريخ تشريعه وما قيل في الملايسات الدائرة حوله.

الأذان في اللغة، هو: مطلق الإعلام.

وفي الشرع: الإعلام والنداء للفريضة الواجبة - الصلاة - بفصول

معهُ وَدَةَ ف

أوقات مخصوصة، قال تعالى: (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا
وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) (المائدة/٥٨)

وقال جلّ جلاله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ

الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة: ٩)

وقال عزّ من قائل: (رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا

رَبَّكُمْ

فَأْمِنَّا) (آل عمران: ١٩٣)

وقد وردت لفظة الأذان بمعناها اللغوي في الذكر الحكيم، كما في قوله

تعالى:

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ

عَمِيقٍ) (الحج/٢٧) ، وقوله: (وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ

الْأَكْبَرِ) (التوبة: ٣) وغيرها من الاستعمالات الكثيرة الدالة على معنى الإعلام

والنداء.

منبهين القارئ الكريم على أن الأذان و إن كان إعلاماً للفريضة

الواجبة، إلا

أنّه يحمل في طبيّاته جوانب أخرى وفوائد كثيرة للمرء المسلم، سنذكر

بعضاً منها، ممّا يؤكد لنا أنّ الأذان ليس إعلاماً محضاً للصلاة، بل هو

فصول لها أكثر من واقع في الحياة الإسلاميّة، تجمّع تحت ألفاظها معاني

الإسلام وأصوله وعقيدته.

تاريخ الأذان:
هناك أقوال متعدّدة ومتفاوتة في تاريخ تشرّيع الأذان من حيث
الزمان والمكان:
أحدها: تشرّيعه في الإسراء والمعراج، حيث أذن جبرئيل وأقام، ثمّ
صلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالأنبياء^(١).
ثانيها: تشرّيعه بمكة قبل الهجرة^(٢).
ثالثها: تشرّيعه في المدينة المنورة في السنة الأولى للهجرة^(٣)، وذلك
بعد د بن
النبّي صلى الله عليه وآله مسجده المبارك، وهذا القول هو المشهور عند أهل
السنة والجماعة.
رابعها: تشرّيعه في السنة الثانية للهجرة^(٤).
خامسها: أن جبرئيل أوّل من أذن به في السماء^(٥)، لكنّ تشرّيعه في
الأرض
جاء بعد دخول رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة.

بدء الأذان عند أهل السنة والجماعة

هناك نقولات وأقوال مختلفة في بدء الأذان وكيفية، مذكورة في
الصحاح والسنن، المشهور منها - الذي قد استقرّ عليه رأيهم - أنه قد شرّع

- ١ . مجمع الزوائد ١: ٣٢٨، الأوسط للطبراني ١٠: ١١٤ ح ٩٢٤٣، نصب الراية ١: ٢٦٠، السيرة الحلبية ٢: ٩٣.
- ٢ . قال ابن عابدين في حاشية ردّ المحتار ١: ٤١٣: في حاشية الشبراملسي على شرح المنهاج للرملي عن شرح البخاري لابن حجر أنه وردت أحاديث تدلّ على أنّ الأذان شرّع بمكة قبل الهجرة: منها للطبراني أنه لما أسري بالنبّي صلى الله عليه وآله أوحى إليه الأذان فنزل به فعلمه بلالاً، وللدارقطني في الأفراد من حديث أنس أنّ جبرئيل أمر النبي صلى الله عليه وآله بالأذان حين فرضت الصلاة... الخ. وانظر فتح الباري ٢: ٩٤ كذلك وشرح الزرقاني ١: ١٣٦.
- ٣ . صحيح ابن خزيمة ١: ١٩٠، السيرة الحلبية ٢: ٩٣. حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر الهيثمي ١: ٤٥٩. وشرح الزرقاني على موطأ مالك ١: ١٣٥.
- ٤ . انظر: فتح الباري ٢: ٦٢ للعسقلاني وفي فتح الباري لابن رجب ٣: ٤٠٧ وبعد ان اتى برواية معمر عن الزهري عن ابن المسيب قال: ففي هذه الرواية ان الأذان كان بعد صرف القبلة إلى الكعبة وكان صرف القبلة إلى الكعبة في السنة الثانية. وقد روى فاستبدل به على ان الأذان انما شرع بعد غزوة بدر بعد صرف القبلة يسير.
- ٥ . وسائل الشيعة ٥: ٤٣٩ ح ٧٠٢٨ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٣٨.

في المدينة المنورة في السنة الأولى من الهجرة المباركة، على أثر منام
راه بعض الصحابة، و إليك أهم تلك الأقوال:
الأول:

تشريعه باقتراح من الصحابة، ولاسيما عمر بن الخطاب:
أخرج البخاري ومسلم، والترمذي، والنسائي، وغيرهم - والنص
للاول - عن عبد الله ابن عمر، أنه قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة
يجتمعون، فيتحيثون الصلاة، ليس يُنادى لها، فتكلموا يوما في ذلك، فقال
بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقا مثل
قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول
الله: يا بلال! قم فناد بالصلاة^(١).

قال ابن خزيمة في صحيحه في باب «ذكر الدليل على أن بدء الأذان
إنما كان بعد هجرة النبي إلى المدينة، وأن صلواته بمكة إنما كانت من غير نداء لها
ولا إقامة»:
«قال أبو بكر، في خبر عبد الله بن زيد: كان رسول الله حين قدم المدينة
إنما يجتمع

الناس إليه للصلاة بحين مواقيتها بغير دعوة»^(٢).
وهذا الرأي يشير إلى أن الأذان شرع بالمدينة و إن كانت الصلاة قد
شُرعت
بمكة:

قال ابن المنذر: هو [صلى الله عليه وآله] كان يصلي بغير أذان منذ
فُرِضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة و إلى أن وقع التشاور^(٣).
لكن السيوطي في الدر المنثور - ضمن تفسير قوله تعالى: «وَمَنْ
أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا» - روى عن عائشة أنها
قالت: ما أرى هذه الآية نزلت إلا في المؤذنين^(٤). وهذه الآية مكية^(١).

١ . صحيح البخاري ١: ٣٠٦ كتاب الأذان باب بدء الأذان ح ٥٧٠، صحيح مسلم ١: ١/٢٨٥،
سنن الترمذي ١: ٣٦٢ - ٣٦٣ أبواب الصلاة باب ما جاء في بدء الأذان ح ١٩٠، سنن النسائي ٢:
٢ - ٣ كتاب الأذان باب بدء الأذان، مسند أحمد ٢: ١٤٨، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب.
٢ . صحيح ابن خزيمة ١: ١٩٠ كتاب الصلاة باب الأذان والإقامة ح ٣٦٥.
٣ . السيرة الحلبية ٢: ٢٩٦.
٤ . الدر المنثور ٥: ٣٦٤، المصنف لابن أبي شيبه ١: ٢٠٤، باب في فضل الأذان وثوابه ح
٢٣٤٧.

ثم علق الحلبى في سيرته على هذا بقوله: والأذان إنما شرع في المدينة فهى ممتددة على ممتددة
تأخر حكمه عن نزوله^(٢).

وقد سئل الحافظ السيوطي: هل ورد أن بلالاً أو غيره أذن بمكة قبل الهجرة؟
فأجاب بقوله: ورد ذلك بأسانيد ضعيفة لا يُعتمد عليها، والمشهور الذي صححه
أكثر العلماء ودلت عليه الأحاديث الصحيحة أن الأذان شرع بعد الهجرة
وأئتم به لعمركم
يؤذن قبلها لا بلال ولا غيره^(٣).

هذا، وإن النووي بعد أن أتى بخبر ابن عمر الدال على مشاورة الرسول
للصحابه، تساءل عن هذه المشاورة أهى واجبة على رسول الله أم لا؟!
قال:
«... واختلف أصحابنا، أكانت المشاورة واجبة على رسول الله أم كانت
سنة ممتددة

حقه كما في حقنا؟ والصحيح عندهم وجوبها، وهو المختار.
قال الله تعالى: «وشاورهم في الأمر»^(١)، والمختار الذي
عليه جمهور الفقهاء ومحققو أهل الأصول أن الأمر للوجوب، وفيه أنه
ينبغي للمتشاورين أن يقول كل منهن ما عنده، ثم صاحب الأمر يفعل ما
ظهرت له مصلحة، والله أعلم^(٤).

الثانى:

جاء تشریح الأذان بعد منامات رآها بعض الصحابة:
أخرج أبو داود بإسناده عن أبي عمير بن أنس، عن عُمومة له من
الأنصار، قال: «اهتم النبي للصلاة كيف يجمع الناس لها؛ فقيل: انصب
راية عند حضور الصلاة، فإذا رآها أذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك،

١ . انظر: تفسير القرطبي ١٥ : ٣٦٠، وتفسير الثعالبي ٥ : ١٣٩ .
٢ . السيرة الحلبية ٢ : ٢٩٧ .
٣ . المصدر نفسه ٢ : ٢٩٦ .
٤ . شرح النووي على مسلم ٣ - ٤ : ٣١٨ كتاب الصلاة باب بدء الأذان .

فذكر له القنع - يعني الشبّور، وقال زياد: شبّور اليهود - فلم يعجبه ذلك، وقال: هو من أمر اليهود.

قال: فذكر له الناقوس، فقال: هو من أمر النصارى.
فانصرف عبد الله بن زيد وهو مهتمّ لهمّ رسول الله، فأرّى الأذان في منامه، فغدا على رسول الله فأخبره، فقال: يا رسول الله! إنّي لبين نائمٍ و يقظُ _____ ان إذ أتني _____ فإراني الأذان.

قال: وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوماً. قال: ثمّ أخبر النبيّ، فقال له: ما منعك أن تخبرني؟ فقال: سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت.

فقال رسول الله: يا بلال! قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله، قال: فأذن بلال.

قال أبو بشر [وهو من رواة الخبر]: فأخبرني أبو عمير أنّ الأنصار تزعم أنّ عبد الله بن زيد لولا أنّه كان يومئذٍ مريضاً لجعله رسول الله مؤدّناً^(١).

وأخرج الترمذيّ، وأبو داود، عن عبد الله بن زيد أنّه قال - والنصّ للثاني -: لمّا أمر رسول الله بالناقوس يُعمل ليضرب به للناس لجمع الصلاة، طاف بي - وأنا نائم - رجل يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد الله! أتبيع الناقوس؟

قال: وما تصنع به؟

قلت: ندعو به إلى الصلاة.

قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟

فقلت: بلى.

فقال: تقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

أشهد أن لا إله إلاّ الله، أشهد أن لا إله إلاّ الله.

أشهد أنّ محمّداً رسول الله، أشهد أنّ محمّداً رسول الله.

حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة.

حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح.

الله أكبر، الله أكبر.

١ . سنن أبي داود ١ : ١٣٤ كتاب الصلاة باب بدء الأذان.

لا إله إلا الله.
قال: ثم استأخر عني غير بعيد، ثم قال: وتقول إذا أقمت الصلاة:
الله أكبر، الله أكبر.
أشهد أن لا إله إلا الله.
أشهد أن محمداً رسول الله.
حي على الصلاة.
حي على الفلاح.
قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة.
الله أكبر، الله أكبر.
لا إله إلا الله.

فلما أصبحت أتيت رسول الله فأخبرته بما رأيت، فقال: إنها لرؤيا حق
إن شاء الله تعالى، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى
صوتاً منك، فقامت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به.
قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج يجر رداءه، و
يقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله! لقد رأيت مثل ما رأى، فقال
رسول الله: فله الحمد^(١).

وأخرج أبو داود عن ابن أبي ليلى، قال: أُحيلت الصلاة ثلاثة أحوال،
قال: وحدّثنا أصحابنا أنّ رسول الله قال: لقد أعجبني أن تكون صلاة
المسلمين - أو قال: المؤمنين - واحدة حتى لقد هممت أن أبت رجلاً في
الدور ينادون الناس بحين الصلاة، وحتى هممت أن أمر رجلاً يقومون
على الأطم ينادون المسلمين بحين الصلاة حتى نفسوا أو كادوا [أن]
ينفسوا.

قال: فجاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله! إنني لما رجعت - لما
رأيت من اهتمامك - رأيت رجلاً كأن عليه ثوبين أخضرين، فقام على
المسجد فأذن ثم قعد قعدة، ثم قام فقال مثلها إلا أنه يقول: قد قامت الصلاة،

١ . الجامع الصحيح للترمذي ١: ٣٥٨ أبواب الصلاة، باب: «ما جاء في بدء الأذان»، سنن أبي
داود ١: ١٣٥ كتاب الصلاة، باب «كيف الأذان» وفيه قال أبو داود: هكذا رواية الزهري عن
سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد، وقال فيه ابن إسحاق عن الزهري: الله أكبر، الله أكبر، الله
أكبر، الله أكبر، وقال معمر و يونس عن الزهري فيه: الله أكبر، الله أكبر لم يثنياً، وانظر: صحيح
ابن خزيمة ١: ١٩٣.

ولولا أن يقول الناس - قال ابن المثنى: أن تقولوا - لقلتُ إنِّي كنتُ يقظانا غير نائم.

فقال رسول الله: لقد أراك الله عزَّ وجلَّ خيرا - كما في رواية ابن المثنى، ولم تأتِ هذه العبارة في رواية عمرو - فمُرَّ بلالاً فليؤدِّن.
قال: فقال عمر: أما إنِّي فقد رأيتُ مثل الذي رأى، ولكنِّي لما سُبِّقتُ استحييتُ^(١).

وأخرج مالك في الموطأ: حدَّثني يحيى، عن مالك، عن يحيى بن سعيد أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أراد أن يتَّخذ خشبَيْن يضرب بهما ليجتمع الناس للصلاة، فأرَى عبد الله بن زيد الأنصاريَّ ثمَّ من بني الحارث بن الخزرج خشبَيْن في النوم، فقال: إنَّ هاتين لَنحو ما يريد رسول الله، فقيل: أفلا تُؤدِّنون للصلاة؟ فأتى رسول الله، حين استيقظ، فذكر له ذلك، فأمر رسولُ الله بالأذان^(٢).

وفي مصنَّف عبد الرزَّاق بإسناده عن إبراهيم بن محمَّد، عن أبي جابر البياضي، عن سعيد، عن عبد الله بن زيد - أخي بني الحارث بن الخزرج - أنه: بينما هو نائم إذ رأى رجلاً معه خشبتان، قال: فقلتُ له في المنام: إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله يريد أن يشتري هذين العودين يجعلهما ناقوسا يضرب به للصلاة.

قال: فالتفت إليَّ صاحبُ العودين برأسه فقال: أنا أدلكم على ما هو خير

هذا (فبلغه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلَّم، فأمره بالتأذين)^(٣).
فاستيقظ عبدالله بن زيد؛ قال: ورأى عمر مثل رؤى يا عبدالله بن زيد، فسبقه عبدالله بن زيد إلى النبيِّ، فأخبره بذلك، فقال له النبيُّ: قم فأدِّن، فقال: يا رسول الله! إنِّي فضيع الصوت، فقال له: فعلم بلالاً ما رأيتُ، فعلمه فكان بلال يُؤدِّن^(٤).

وأخرج عبد الرزَّاق أيضا في مصنَّفه عن ابن جرير: «قال عطاء: سمعتُ عبيد بن عمير يقول: انتمر النبيُّ وأصحابه كيف يجعلون شيئا إذا

١ . سنن أبي داود ١ : ١٣٩ كتاب الصلاة باب بدء الأذان ح ٥٠٦ .

٢ . الموطأ ١ : ٦٧ كتاب الصلاة، باب «ما جاء في النداء للصلاة» .

٣ . ما بين القوسين ساقط من كنز العمال .

٤ . مصنَّف عبد الرزَّاق ١ : ١٧٨٧/٤٦٠ كتاب الصلاة باب بدء الأذان كذلك كنز العمال ٨ : ٣٢٩ كتاب الصلاة الباب الخامس ح ٢٣١٤٠ .

أرادوا جمع الصلاة اجتمعوا لها، فانتمروا بالناقوس، قال: فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى في المنام: أن لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا بالصلاة، قال: فذهب عمر إلى النبي ليخبره بالذي رأى، وقد جاء النبي الوحي بذلك، فما راع عمر إلا بلال يؤذن، فقال النبي: قد سبقك بذلك الوحي، حين أخبره بذلك عمر»^(١).

وفي جامع المسانيد لأبي حنيفة ومجمع الزوائد - والنص للأول -: «عن علقمة بن مرثد، عن ابن بريدة، عن أبيه، أن رجلاً من الأنصار مرَّ برسول الله فرآه حزينا، وكان الرجل ذا طعام يجتمع إليه، فانطلق حزينا لما رأى من حزن رسول الله، وترك طعامه وما كان يجتمع إليه، ودخل مسجده يصلي، فبينما هو كذلك إذ نعس فأتاه آت في النوم، فقال: هل علمت ما حزن رسول الله؟

فقال: لا.

قال: فهو لهذا الناقوس، فأنته فمره أن يأمر بلالاً أن يؤذن، فعلمه الأذان: اللهُ ُ

أكبر الله أكبر مرتين، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين، أشهد أن محمداً رسول الله
مرتين، حي على الصلاة مرتين، حي على الفلاح مرتين، الله أكبر، الله أكبر
إلا الله..

ثم علمه الإقامة مثل ذلك، وقال في آخره: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة،

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، كأذان الناس و إقامتهم.
فأقبل الأنصاري فقع على باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
فمر أبو بكر فقال: استأذن لي، فدخل أبو بكر وقد رأى مثل ذلك، فأخبر به
النبي، ثم استأذن للأنصاري فدخل وأخبر بالذي رأى، فقال النبي: قد
أخبرنا أبو بكر بمثل ذلك، فأمر بلالاً يؤذن بذلك^(٢).

فهذه النصوص و إن كانت مختلفة العبارات لكنها تشير إلى رؤية
مقاربة؛ فالنص الأول يشير إلى أن تشرع الأذان جاء على أثر رؤيا

١ . مصنف عبد الرزاق ١ : ٤٥٦ / ١٧٧٥ كتاب الصلاة باب بدء الأذان. هذه الرواية وإن كانت ترتبط بالأذان عن طريق الوحي لكننا أتينا بها هنا لارتباطها بروايات المنامات.
٢ . جامع المسانيد ١ : ٢٩٩، مجمع الزوائد ١ : ٣٢٩ كتاب الصلاة باب كيف الأذان.

رأها عبد الله بن زيد حينما رأى رسول الله مهموما مغموما. و يظهر أنّ رؤياه كانت ليلاً لقوله: «... فأري الأذان في منامه، فغدا على رسول الله فأخبره» وكذا النصّ الثاني، ففيه «فلما أصبحت أتيت رسول الله فأخبرته بما رأيت».

لكن النصّ الذي رواه أبو حنيفة في جامع المسانيد فيه: أنّ الرجل لما رأى ح رسول الله دخل المسجد يصلي «فبينما هو كذلك إذ نعس فأتاه أت في النوم... فأقْبَل الأَنْصَارِي فَقَعَدَ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: اسْتَأْذِنْ لِي...» وهو يَخْتَلِفُ عَنِ الْأَوَّلِ.

ويضاف إليه أنّ الرجل الأنصاري في نصّ جامع المسانيد كان «ذا طَعَامٍ يُجْتَمِعُ إِلَيْهِ، فَانْطَلَقَ حَزِينًا لَمَّا رَأَى مِنْ حَزْنِ رَسُولِ اللَّهِ، وَتَرَكَ طَعَامَهُ وَمَا كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ» وهذا لم يشتهر عن عبد الله بن زيد بن عبد ربّه بن ثعلبة الذي أرى النَّبِيَّ دَاءً. مع أنّ نصّ جامع المسانيد يدّعي أنّ أبا بكر سبق الأنصاري بالرؤيا وأخبره النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ، وهو يخالف باقي النصوص التي تسجّل قدم السبق للأنصاري.

نعم، اشتهر عن سعد بن عبادة وغيره من الأنصار الذين استضافوا رسول الله عند دخوله صلى الله عليه وآله المدينة، وكانوا من الأغنياء المعروفين بالجود والكرم مع أنّ نصّ جامع المسانيد يدّعي أنّ أبا بكر سبق الأنصاري بالرؤيا وإخباره النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك، وهو يخالف باقي النصوص التي تسجّل قدم السبق للأنصاري.

أما النصّ الثاني - أي ما أخرجه الترمذي وأبو داود - فيشير إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بالناقوس يُعمل ليضرب للناس، فرأى عبد الله في المنام الأذان، فأمر صلى الله عليه وآله بلالاً أن

يأخذ بما قاله عبد الله؛ وهذا لا يتفق مع عدم ارتضائه صلى الله عليه وآله
للناقوس!!

وفي النص الثالث نراه صلى الله عليه وآله يقول: «لقد هممتُ أن أبيتَ
رجالاً في الدُّور ينادون الناس بحين الصلاة حتَّى هممتُ أن أمر رجالاً
يقومون على الأطام ينادون بحين لصلاة، حتَّى نقسوا أو كادوا [أن]
ينقسوا، فجاء رجل من الأنصار...»، وهذا لا يتفق مع ما قيل عن الرجل
الأنصاري في كتب الحديث.

وفي موطأ مالك: «كان رسول الله قد أراد أن يتخذ خشبتين يضرب
بهما

ليجتمع الناس للصلاة، فأري عبد الله خشبتين في المنام...». وهذا
أيضاً لا يتفق مع ما رواه عبد الرزاق عن ابن جريج، إذ فيه: أن
عمر أراد «أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى في المنام: أن لا تجعلوا
الناقوس بل أدنوا للصلاة».

هذه بعض النصوص الدالة على القول الثاني، وقد حاولنا أن نوحدها -
رغم

اختلافاتها - بقدر المستطاع تحت عنوان واحد.

الثالث:

نزول الأذان تدريجياً، وإضافة عمر الشهادة بالنبوة إليه:

جاء في صحيح ابن خزيمة: حدَّثنا بُنْدَار، حدَّثنا أبو بكر - يعني الحنفِيَّ
- حدَّثنا عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر: أنَّ بلالاً كان يقول أوَّل
ما أدن: أشهد أن لا إله إلاَّ الله، حيَّ على الصلاة؛ فقال له عمر: قل في
إثرها: أشهد أن محمداً رسول الله؛ فقال رسول الله: قل كما أمرك عمر^(١).

الرابع:

الأذان وحي من الله تلقاه الرسول من جبرئيل:

جاء في نصب الراية للزيلعي تحت باب «أحاديث في أن الأذان كان
وحياً لا مناماً»: روى البزار في مسنده: حدَّثنا محمد بن عثمان بن مخلد
الواسطي، حدَّثنا أبي، حدَّثنا زياد بن المنذر، عن محمد بن علي بن
الحسين، عن أبيه، عن جدّه، عن علي بن أبي طالب، قال:

١ . صحيح ابن خزيمة ١: ١٨٩، كتاب الصلاة باب في بدء الأذان والإقامة ح ٣٦٢. وانظر:
السيرة الحلبية ٢: ٣٠٣، كنز العمال ٨: ٣٣٤ كتاب الصلاة الباب الخامس ح ٢٣١٥٠.

«لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَلِّمَ رَسُولَهُ الْأَذَانَ أَنَّهُ جِبْرَائِيلُ بِدَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبُرَاقُ، فَذَهَبَ يَرْكَبُهَا فَاسْتَصْعَبَتْ، فَقَالَ لَهَا [جِبْرَائِيلُ]: اسْكُنِي، فَوَاللَّهِ مَا رَكَبَكَ عَبْدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنْ مُحَمَّدٍ.

قال: فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى، فبينما هـ

كذلك إذ خرج ملك من الحجاب، فقال رسول الله: يا جبرئيل! من هذا؟ قال: والذي بعثك بالحق، إني لأقرب الخلق مكاناً، وإن هذا الملك ما رأيته من

خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ.

فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر.

قال: فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا أكبر، أنا أكبر.

ثم قال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله.

قال: فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا لا إله إلا أنا.

ثم قال الملك: أشهد أن محمداً رسول الله.

فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا أرسلت محمداً.

ثم قال الملك: حي على الصلاة، حي على الفلاح [وفي مجمع الزوائد

زيادة: ق

قامت الصلاة، قد قامت الصلاة]. ثم قال الملك: الله أكبر، الله أكبر.

فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا أكبر، أنا أكبر.

ثم قال: لا إله إلا الله.

قال: فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا لا إله إلا أنا.

قال: ثم أخذ الملك بيد محمد فقدمه فأمر أهل السماء، فيهم آدم ونوح..

انتهى.

[وفي مجمع الزوائد زيادة: قال أبو جعفر محمد بن علي: فيومئذ

أكمل الله لمحمد الشرف على أهل السماوات والأرض^(١)].

وروى الطبراني في الأوسط عن ابن عمر: «أن النبي لما أسري به

إلى السماء أوحى إليه بالأذان، فنزل به فعلمه جبرئيل^(١)».

١ . نصب الراية ١: ٢٦٠، مجمع الزوائد ١: ٣٢٨ كتاب الصلاة باب بدء الأذان. وانظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي ٣: ٣٩٦ وقال السهلي: واخلق لما يعضده ويشاكله من حديث الاسراء انظر البداية والنهاية ٣: ٢٨٥.

وروى ابن مردويه عن عائشة مرفوعاً: لَمَّا أُسْرِي بِي أُذِّنْ جِبْرَائِيلَ فَظَنَنْتُ الْمَلَائِكَةَ أَنَّهُ [أَي جِبْرَائِيلَ] يَصَلِّيَ بِهِمْ، فَقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ^(٢).
الخامس:

إِنَّ عَمْرَ أَوَّلَ مَنْ سَمِعَ أَذَانَ جِبْرَائِيلَ ثُمَّ بِلَالُ:
جاء في مختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد العشرة للبوصيري:
عَن كَثِيرٍ ابْنِ _____
مرة الحضرمي، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَوَّلَ مَنْ أُذِّنَ فِي السَّمَاءِ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ
السلام، قَالَ: فَسَمِعَهُ عَمْرٌ وَبِلَالٌ، فَأَقْبَلَ عَمْرٌ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ بِمَا سَمِعَ، ثُمَّ
أَقْبَلَ بِلَالٌ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ بِمَا سَمِعَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: سَبَقَكَ عَمْرٌ يَا بِلَالُ،
أُذِّنْ كَمَا سَمِعْتَ، قَالَ: ثُمَّ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَضَعَ إصْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ
استعاناً بهما على الصوت. رواه الحارث بن أسامة مراسلاً بسند ضعيف
لضعف سعيد ابن سنان^(٣).

السادس:

إِنَّ الْأَذَانَ نَزَلَ بِهِ جِبْرَائِيلُ عَلَى آدَمَ لَمَّا اسْتَوْحَشَ:
جاء في كشف الغمة للشعراني: ... وكان كعب الأحبار يقول: قال
رسول الله: لَمَّا _____
نزل آدم بأرض الهند استوحش فنزل جبرئيل فنادى بالأذان، فزالته عنه
الوحشة.
فقال جبرئيل: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله - مرتين، أشهد
أن محمداً رسول الله - مرتين.
قال آدم: مَنْ مُحَمَّدٌ؟
قال: آخِرٌ وَلَدِكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ^(٤).

١ . الأوسط للطبراني ١٠: ١١٤ ح ٩٢٤٣، ٩٢٤٧ مجمع الزوائد ١: ٣٢٩ كتاب الصلاة باب بدء الأذان وفيه: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه طلحة بن زيد ونسب إلى الوضع».
٢ . السيرة الحلبية ٢: ٢٩٦ وفيه: قال الذهبي: حديث منكر بل موضوع.
٣ . إتحاف السادة المهرة ١ - ٢: ٣١٧ كتاب الأذان باب بدء الأذان وصفته ح ٩٨٣، السيرة الحلبية ٢: ٣٠٢ وفيه: «وروي بسندٍ واهٍ أن أول من أذن بالصلاة جبرئيل في سماء الدنيا، فسمعه عمر وبلال رضي الله عنهما فسبق عمر بلالاً فأخبر النبي ثم...».
٤ . كشف الغمة ١: ٩٦ كتاب الصلاة باب الأذان وفضله. وانظر: قريبا منه في حلية الأولياء ٥: ١٠٧ ترجمة عمرو بن قيس الملائي عن أبي هريرة.

قال عليّ بن برهان الدين الحلبي في سيرته: أقول: ومن أغرب ما وقع
في بدء الأذان ما رواه أبو نعيم في الحلية بسند فيه مجاهيل أنّ جبرئيل نادى
بـ الأذان لآدم حين أُهبط من الجنّة^(١).

ثمّ قال الحلبي:

وبهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى «خُصَّ صلى الله عليه وآله بذكر
اسمه في الأذان في عهد آدم وفي الملكوت الأعلى» والله أعلم^(٢).

هذأما قاله أهل السنّة والجماعة في بدء الأذان، ولكن.. ما هي رؤية
أهل

البيت: في قضية بدء تشريع الأذان؟ هذأما سنتعرّف عليه في الصفحات
التالية.

١ . السيرة الحلبية ٢: ٢٩٧.

٢ . السيرة الحلبية ٢: ٣٠٢.

أهل البيت وبدء الأذان

اتفقت نصوص أهل بيت النبوة - المروي عنها عن طريق الإمامية الاثني عشرية أو الإسماعيلية أو الزيدية - على أن بدء الأذان قد كان في الإسراء، و إليك بعض نصوصهم في هذا السياق.

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (ت ٤٠ هـ):

جاء في صحيفة الرضا عليه السلام، عن آبائه، قال: «قال علي بن أبي طالب: لما بُدِيَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتعليم الأذان، أتى جبرئيل بالبُرّاق فاستعصت عليه، فقال لها جبرئيل: اسكني برقة! فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فسكنت. قال رسول الله: فركبتها حتى انتهيت إلى الحجاب الذي يلي الرحمن عزَّ [ربُّنا] وجلَّ، فخرج ملكٌ من وراء الحجاب، فقال: الله أكبر، الله أكبر؛ فقال صلى الله عليه وآله: قلت: يا جبرئيل! من هذا الملك؟

قال [جبرئيل]: والذي أكرمك بالنبوة ما رأيتُ هذا الملك قبل ساعتِي هذه.

فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر؛ فنودي من وراء الحجاب: صدق عبيدي، أنا

أكبر، أنا أكبر.

قال صلى الله عليه وآله: فقال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله؛ فنودي من وراء الحجاب: صدق عبيدي، [أنا الله]، لا إله إلا أنا.

فقال صلى الله عليه وآله: فقال الملك: أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله؛ فنودي من وراء الحجاب: صدق عبيدي، أنا أرسلتُ محمداً رسولاً.

قال صلى الله عليه وآله: فقال الملك: حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة؛ فنودي من وراء الحجاب: صدق عبيدي، ودعا إلى عبادتي.

قال صلى الله عليه وآله: فقال الملك: حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح؛ فنودي من وراء الحجاب: صدق عبيدي، ودعا إلى عبادتي، فقال الملك: قد أفلح من واطب عليها.

قال صلى الله عليه وآله: فيومئذٍ أكمل الله عزَّ وجلَّ لي الشرف على الأولين والآخرين»^(١).

الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام (ت ٥٠ هـ):

عن سفيان بن الليل، قال: لما كان من أمر الحسن بن عليّ ومعاوية ما كان قدِمْتُ عليه المدينة وهو جالس في أصحابه، فذكر الحديث بطوله، فقال: فتذاكرنا عنده الأذان، فقال بعضنا: إنما كان بدء الأذان برؤيا عبد الله بن زيد.

فقال له الحسن بن عليّ: «إنَّ شأن الأذان أعظم من ذلك، أدنَّ جبرئيل في السماء مثنى مثنى وعلمه رسول الله، وأقام مرّة مرّة فعلمه رسول الله»، فأذن به الحسن حتّى ولى^(٢).

الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام (ت ٦١ هـ):

جاء في الجعفریات: أخبرنا محمّد، حدّثني موسى، قال: حدّثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين، عن الحسين بن عليّ: أنه سئل عن الأذان وما يقول الناس [فيه]، قال: «الوحيُّ ينزل على نبيّكم، وتزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد؟ بل سمعتُ أبي عليّ ابن أبي طالب عليه السلام يقول: أهبط الله عزَّ وجلَّ ملكاً حين عُرج برسول الله فأذن مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى، ثمّ قال له جبرئيل: يا محمّد! هكذا أذان الصلاة»^(٣).

وفي دعائم الإسلام - وهو من كتب الإسماعيلية -: روينا عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن الحسين بن عليّ: أنه سئل عن قول الناس في الأذان، إنَّ السبب كان فيه رؤيا رآها عبد الله بن زيد فأخبر بها النبيّ صلى الله عليه وآله، فأمر بالأذان!

فقال الحسين عليه السلام: «الوحيُّ ينتزل على نبيّكم، وتزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد؟ والأذان وجه دينكم!»، وغضب عليه

١ . صحيفة الرضا صلى الله عليه وآله ٦٥ - ٦٦ ح ١١٥، وعنه في بحار الأنوار ٨١: ١٥١. وانظر الايضاح للقاضي نعمان ص ١٠٦ المطبوع في (ميراث حديث شيعه) دفتر دهم وكذا راب الصدع ١: ١٩٦. وقد مرّ عليك قبل قليل في صفحة ٣٧ ما أخرجه البزار (انظر: نصب الرأية ١: ٢٦٠).
٢ . نصب الرأية ١: ٢٦١، عن المستدرک للحاكم ٣: ١٧١ كتاب معرفة الصحابة، باختلاف يسير.
٣ . الجعفریات: ٤٢، مستدرک الوسائل ٤: ١٧. وفي الايضاح للقاضي نعمان المطبوع في (ميراث دين شيعه) دفتر دهم ص ١٠٥: في الكتب الجعفرية من رواية أبي علي محمد بن الأشعث الكوفي عن ابن الحسن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه أبي عبد الله جعفر بن محمد عن جدّه علي بن الحسين...

السلام ثم قال: «بل سمعتُ أبي عليَّ بن أبي طالب يقول: أهبَطَ اللهُ عزَّ وجلَّ ملكًا حين عرج برسول الله صلى الله عليه وآله» - وذكر حديث الإسراء بطوله، اختصرناه نحن ها هنا - قال فيه: «وبعث ملكًا لم يُرَ في السماء قبل ذلك الوقت ولا بعده، فأذنَ مثنى وأقام مثنى»، وذكر كيفية الأذان «وقال جبرئيل للنبي صلى الله عليه وآله: يا محمد! هكذا أذن للصلاة»^(١).

محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية ت ٧٣ - ٩٣ هـ):
عن أبي العلاء، قال: قلت لمحمد بن الحنفية: إنا لنتحدث: أن بدء هذا الأذان

كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه.
قال: ففرع لذلك محمد بن الحنفية فرعا شديدا، وقال: عمدتُم إلى ما هو الأصـ
ل
في شرائع الإسلام ومعالم دينكم فزعمتم أنه إنما كان رؤيا رآها رجل من الأنصـ
ار

في منامه تحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث أحلام!
قال: فقلتُ (له): هذا الحديث قد استفاض في الناس!
قال: «هذا والله هو الباطل». ثم قال: «وإنما أخبرني أبي: أن جبرئيل عليه السلام أذن في بيت المقدس ليلة الإسراء وأقام، ثم أعاد جبرئيل الأذان لمـ
ا عـرـج بـالنـبي إلـى
السماء...»^(٢).

وفي معاني الأخبار: عن علي بن عبد الله الوراق، وعلي بن محمد بن الحسن القزويني، قالوا: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا العباس بن سعيد الأزرق، قال: حدثنا أبو نصر، عن عيسى بن مهران، عن يحيى بن الحسن بن الفرات، عن حماد بن يعلى، عن علي بن الحزور، عن الأصبغ بن نباتة، عن محمد بن الحنفية أنه ذكرَ عنده الأذان فقال:
«لما أسري بالنبي إلى السماء، وتناهد إلى السماء السادسة، نزل ملكٌ ماء
من السماء

١ . دعائم الإسلام ١: ١٤٢ للقاضي نعمان ذكر الأذان والإقامة.
٢ . السيرة الحلبية ٢: ٣٠٠ - ٣٠١، أمالي أحمد بن عيسى بن زيد ١: ٩٠، وعنه في الاعتصام بحبل الله ١: ٢٧٧. والايضاح للقاضي نعمان بن محمد بن جيون المتوفى ٣٦٣ ص ١٠٦ والمطبوع في (ميراث حديث شيعه) دفتر دهم.

السابعة لم ينزل قبل ذلك اليوم قطّ، فقال: الله أكبر، الله أكبر؛ فقال الله جلّ جلاله: أنا كذلك.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال الله عزّ وجلّ: أنا كذلك، لا إله إلا أنا. فقال: أشهد أن محمّدا رسول الله، فقال الله جلّ جلاله: عبدي وأميني

عَلَى
خَلْقِي، اصْطَفَيْتَهُ عَلَى عِبَادِي بِرِسَالَاتِي.

ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: فَرَضْتُهَا عَلَى عِبَادِي وَجَعَلْتُهَا لِي دِينًا.

ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: أَفْلَحَ مَنْ مَشَى إِلَيْهَا وَوَاطَبَ عَلَيْهَا ابْتِغَاءً وَجْهِي.

ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا عِنْدِي.

ثُمَّ قَالَ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَمَّ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَمِنْ يَوْمٍ تَمَّ شَرَفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»^(١).

وقد جاء ما يماثل هذا في طرق الزيدية، وأخرجه الحافظ العلوي في (الأذان)

بحيّي على خير العمل)، فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحَفْصُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي عَابِدٍ قِرَاءَةً، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ

جَعْفَرُ الْعَامِرِيُّ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ

مِزَاحِمِ الْمَنْقَرِيِّ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سَلِيمَانَ الْفَزَارِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَرْدَلٍ، عَنْ

بَشْرِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ فَقَالَ لَهُ: بَلَّغْنَا أَنَّ الْأَذَانَ إِنَّمَا هُوَ رُؤْيَا

رَأَاهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَمَرَ بِإِلْغَائِهَا قَائِدًا تِلْكَ الرُّؤْيَا!

فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ: إِنَّمَا يَقُولُ بِهَذَا الْجَاهِلُ مِنَ النَّاسِ، إِنَّ أَمْرَ الْأَذَانِ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ.. إِنَّهُ لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَانْتَهَى

١ . معاني الأخبار، للصدوق: ٤٢ ح ٤، وعنه في بحار الأنوار ٨١: ١٤١.

به إلى السماء السادسة جمع الله له ما شاء من الرسل والملائكة، فنزل ملك لم ينزل قبل ذلك اليوم، عرفت الملائكة أنه لم ينزل إلا لأمر عظيم، فكان أول ما تكلم به حين نزل، قال: الله أكبر، الله أكبر، فقال الله عز وجل: أنا كذلك، أنا الأكبر لا شيء أكبر مني. ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال الله: أنا كذلك لا إله إلا أنا. ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله، فقال الله: نعم، هو رسولي بعثته برسالتني وائتمنته على وحيي. ثم قال: حي على الصلاة، فقال الله: أنا افترضتها على عبادي وجعلتها لي رضا. ثم قال: حي على الفلاح، فقال الله: قد أفلح من مشى إليها وواظب عليها ابتغاء وجهي. ثم قال: حي على خير العمل، فقال الله: هي أزكى الأعمال عندي وأحبها إلي. ثم قال: قد قامت الصلاة، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله ومن كان عنده من الرسل والملائكة. وكان الملك يؤذن منثني منثني، وأجر أذانه وإقامته: لا إله إلا الله. وهو الذي ذكر الله في كتابه: «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ». قال محمد بن الحنفية: فتم له يومئذ شرفه على الخلق. ثم نزل فأمر أن يؤذن بذلك الأذان^(١).

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام (ت ٩٤ هـ) وابنه

زيد:

عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي: «أن رسول الله علّم الأذان ليلة المسرى، وبه فرضت عليه»^(٢).

وقال الإمام الهادي بالله - من أئمة الزيدية - في كتابه الأحكام: «قال

يحيى بن الحسين رضي الله عنه: والأذان فأصله أن رسول الله صلى الله عليه وآله علّمه ليلة المسرى، أرسل الله إليه ملكاً فعلمه إياه.

فأمّا ما يقول به الجهال من أنه رؤياً رآها بعض الأنصار فأخبر بها النبي صلى الله عليه وآله فأمره أن يُعلّمه بلالاً، فهذا من القول محال لا تقبله العقول؛ لأن الأذان من أصول الدين، وأصول الدين لا يعلمها رسول الله على لسان بشر من العالمين»^(٣).

الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (ت ١١٤ هـ):

١ . الأذان بحّي على خير العمل للحافظ العلوي ١٨ - ١٩ . وبتحقيق عزّان ٥٨ . الايضاح للقاضي نعمان: ١٠٧ .

٢ . كنز العمال ١٢ : ٣٥٠ / ٣٥٤ ، عن «ابن مردويه» .

٣ . الأحكام، للإمام الهادي بالله الزيدي ١ : ٨٤ .

فجاء نافع حتى أتكا على الناس ثم أشرف على أبي جعفر، فقال: يا
محمد بن
عليّ! إني قرأت التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان وقد عرفت
حلاله وحرامه
وقد جئت أسألك عن مسائل...

[ومنها]: من الذي سأل محمد^(١) وكان بينه وبين عيسى خمسمائة
سنة؟

قال: قتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ
لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ
آيَاتِنَا) (الإسراء: ١)، فكان من الآيات التي أراها الله تبارك وتعالى محمداً حيث
أسرى به إلى بيوت المقدس أن
حشر الله الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل فأذن
ش
وأقام شفعا، وقال في أذانه: حيّ على خير العمل، ثم تقدم محمدٌ وصلى
بالقوم»^(٢).

وجاء في كتاب (الأذان بحيّ على خير العمل) للحافظ العلوي: أخبرنا
عبد الله بن مخالداً^(٣)، أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، حدّثنا محمد بن
عمرو ابن عثمان، حدّثنا محمد بن سنان، حدّثنا عمّار بن مروان، عن
المنتخل^(٤)، عن جابر قال: سألت أبا جعفر عن الأذان: كيف كان بدوّه؟
قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسرى به إلى السماء، نزل إليه
جبرئيل، ومعه محملة من محامل الربّ عزّ وجلّ، فحمل عليها رسول الله
صلى الله عليه وآله إلى السماء، فأذن جبرئيل، فقال: الله أكبر، الله أكبر، الله
أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن
محمدًا رسول الله، [أشهد أن محمدًا رسول الله]، حيّ على الصلاة، [حيّ

١ . في قوله تعالى «وَسئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا» الزخرف: ٤٥ .
٢ . الكافي ٨: ١٢٠ / ٩٣ وعنه في بحار الأنوار ٨١: ١٣٦، وسائل الشيعة ٥: ٤١٤، الاحتجاج
٢: ٦٠ .
٣ . في تحقيق عزّان: مجالد البجلي، وكذا في الاعتصام ١: ٣٠٦ .
٤ . في تحقيق عزّان: المنخل. وفي الاعتصام ١: ٣٠٦ «المنتخل» .

على الصلاة]، حيّ على الفلاح، [حيّ على الفلاح]، حيّ على خير العمل، [حيّ على خير العمل]، وذكر الحديث^(١).

وفي كتاب الاعتصام بحبل الله... وروى محمد بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: من جهالة هذه الأمة أن يزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما علم الأذان من رؤيا رآها رجل، وكذبوا والله. لما أراد الله أن يعلم نبيّه الأذان جاءه جبريل عليه السلام بالبُراق، وذكر الحديث بطوله^(٢).

ثم قال بعد ذلك:... وفي الشفا للأمير الحسن، روى الباقر محمد بن عا... الس... جاد بن الحسين السبط الشهيد بن عليّ الوصيّ، والقاسم بن إبراهيم والهادي إلى الح... يحيى بن الحسين الحافظ، والناصر للحقّ الحسن بن عليّ: أن الله علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة أُسريّ به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ أمر الله ملكاً من ملائكته فعلمه الأذان^(٣).

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (ت ١٤٨ هـ):

روى الكلينيّ بسنده عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله [الصادق] عليه السلام، قال: «لَمَّا هَبَطَ جِبْرَائِيلُ بِالْأَذَانِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ رَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَذَّنَ جِبْرَائِيلُ وَأَقَامَ، فَلَمَّا انْتَبَهَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: يَا عَلِيُّ! سَمِعْتَ؟

قال: نعم.

قال: حفظت؟

قال: نعم.

قال: ادعُ بلالاً فعلمه. فدعا عليّ بلالاً فعلمه»^(٤).

١ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٨٢، بتحقيق الفضيل، وانظر: ص ٢١ و ٢٨ من الكتاب نفسه وبتحقيق عزّان ٦٠. والاعتصام بحبل الله ١: ٢٨٦. والزيادات من الاعتصام ١: ٣٠٦.

٢ . الاعتصام بحبل الله ١: ٢٧٧.

٣ . الاعتصام بحبل الله ١: ٢٧٨.

٤ . الكافي ٣: ٢/٣٠٢، التهذيب ٢: ١٠٩٩/٢٧٧ مثله، ورواه الصدوق في من لا يحضره الفقيه ١: ٨٦٥/١٨٣ بإسناده عن منصور بن حازم، ولا يخفى عليك بأن هذا النص لا يخالف ما ثبت عند أهل البيت وبعض أهل السنة والجماعة من كون تشريع الأذان كان في الإسراء والمعراج، لأن

وفي تفسير العياشي عن عبد الصمد بن بشير، قال: ذُكر عند أبي عبد الله بالأذان، فقال: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ رَأَى فِي مَنَامِهِ الْأَذَانَ، فَقَصَّه عَلَيَّ رس وَلِأَنَّ اللَّهَ فأمره الرسول أن يعلمه بلالاً.

فقال أبو عبد الله: كذبوا؛ إنَّ رسول الله كان نائماً في ظِلِّ الكعبة، فأتاه جبرئيل لومعه طاس فيه ماء من الجنة فأيقظه، وأمره أن يغتسل به، ثم وضع في مألف لون من نور، ثم صعد به حتى انتهى إلى أبواب السماء، فلما رأته العن أبواب السماء، وقالت: إلهان! إله في الأرض، وإله في السماء؟! فأمر الله جبرئيل، فقال: الله أكبر، الله أكبر، فتراجعت الملائكة عن أبواب

السماء، فقالت: إلهان! إله في الأرض وإله في السماء؟! فقال جبرئيل: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فتراجعت الملائكة وعلمت أنه مخلوق. ثم فتح الباب فدخل ومرَّ حتى انتهى إلى السماء الثالثة، فنفرت الملائكة عن أبواب السماء، فقال جبرئيل: أشهد أن محمداً رسول الله، فتراجعت الملائكة، وفتح الباب ومرَّ النبي حتى انتهى إلى السماء الرابعة...

- إلى أن قال :-... فلما فرغ من مناجاة ربه رُدَّ إلى البيت المعمور وهو في السماء السابعة بحذاء الكعبة، قال: فجمع له النبيين والمرسلين والملائكة، ثم أمر جبرئيل فأتَمَّ الأذان وأقام الصلاة، وتقدّم رسول الله صلى بهم، فلما فرغ التفت إليهم فقال الله له: «فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» (يونس: ٩٤)، فسألهم يومئذ النبي صلى الله عليه وآله، ثم نزل ومعه صحيفتان

التأذين في المعراج هو في مرحلة الثبوت، أما التأذين في الأرض فهو في مرحلة الإثبات، وسيوضح معنى كلامنا هذا أكثر في الباب الثالث من هذه الدراسة «أشهد ان علياً ولي الله، بين الشرعية والابتداع» فانتظر.

فدفعهما إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فهذا كان بدء الأذان»^(١).

وروى الصدوق بإسناده عن الصباح المزنيّ وسدير الصيرفي ومحمد بن النعمان الأحول وعمر بن أذينة أنّهم حضروا عند أبي عبد الله عليه السلام، فقال: «يا عمر بن أذينة! ما ترى هذه الناصبة في أذانهم وصلاتهم؟»

قال: جُعِلَتْ فداك؛ إنَّهم يقولون: إنَّ أبي بن كعب الأنصاريّ رآه في النوم.

فقال عليه السلام: كذبوا والله، إنَّ دين الله تعالى أعزُّ من أن يُرى في النوم. وقال أبو عبد الله: العزيز الجبار عرَّج بنبيّه إلى سمائه - فذكر قصّة الإسراء بطولها -»^(٢).

وفي نصٍّ آخر، قال عليه السلام: «ينزل الوحيُّ على نبيِّكم فتزعمون أنَّهُ أخنوخُ بن زيد؟!»^(٣).

وعن عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي

عبد الله عليه السلام، قال: «ما تروي هذه الناصبة؟».

فقلت: جُعِلَتْ فداك؛ في ماذا؟

فقال: «في أذانهم وركوعهم وسجودهم».

فقلت: إنَّهم يقولون: إنَّ أبي بن كعب رآه في النوم.

فقال: «كذبوا، فإنَّ دين الله عزَّ وجلَّ أعزُّ من أن يُرى في النوم».

قال: فقال له سدير الصيرفيّ: جُعِلَتْ فداك؛ فأحدِثْ لنا من ذلك ذكراً.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَمَّا عرَّج بنبيّه صلى الله عليه وآله إلى سماواته السبع، أمّا أولاهنَّ فبارك عليه، والثانية علّمه فرضه فأنزل الله محملاً من نور فيه أربعون نوعاً من أنواع النور كانت مُحَدِّقة بعرش الله تغشي أبصار الناظرين...»^(٤)

١ . تفسير العياشي ١: ٥٣٠/١٥٧، المستدرک ٤: ٤٢ - ٤٣ وانظر: بيان المجلسي في بحار الأنوار ٨١: ١٢١.

٢ . انظر: علل الشرائع ١/٣١٢، وعنه في بحار الأنوار ٨: ٣٥٤.

٣ . وسائل الشيعة ٥: ٦٨١٦/٣٧٠.

٤ . الحديث طويل أخذنا مقاطع منه.

قال: ثم زادني ربِّي أربعين نوعا من أنواع النور لا تشبه الأنوار
الأولى ثُمَّ عَرَجَ
بي إلى السماء الثالثة، فنَفَرَت الملائكة وخرَّتْ سُجَّداً، وقالت: سُبُّوح
قُدُّوس ربُّ الملائكة والروح، ما هذا النور الذي يشبه نور ربِّنا؟!
فقال جبرائيل عليه السلام: أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً
رسول الله.

فاجتمعت الملائكة وقالت: مرحبا بالأوّل، ومرحبا بالآخر، ومرحبا
بالحاشر، ومرحبا بالناشر، محمّد خير النبيين وعليّ خير الوصيّين.
قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: ثمَّ سلّموا عليّ وسألوني عن أخي، قلتُ:
هـ و فـ ي الأرض،
أفتعرفونه؟

قالوا: وكيف لا نعرفه وقد نحجّ البيت المعمور كلّ سنة وعليه رقّ
أب يض في هـ اسم
محمّد واسم عليّ والحسن والحسين [والأنمة]: وشيعتهم إلى يوم القيامة،
وإنّنا لنُبّـارك
عليهم كلّ يوم وليلة خمسا - يعنون في وقت كلّ صلاة -...

قال: ثمّ زادني ربِّي أربعين نوعا من أنواع النور لا تشبه تلك الأنوار
الأولى ثُمَّ عَرَجَ
عرج بي حتّى انتهيت إلى السماء الرابعة، فلم تقلّ الملائكة شيئا، وسمعت
دويّ كأنّ هـ
في الصدور، فاجتمعت الملائكة ففتحت أبواب السماء وخرجت إليّ شبه
المع انيق،
فقال جبرئيل عليه السلام: حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة؛ حيّ على
الفلاح، حيّ على الفلاح.

فقال جبرئيل عليه السلام: صوتان مقرونان معروفان.
فقال جبرئيل عليه السلام: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة...
ثمّ أوحى الله إليّ: يا محمّد! ادنُ من صاد فاغسل مساجدك وطهرها
وص ل
لربّك.

فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله من صاد^(١)، وهو ماءٌ يسيل من ساق العرش الأيمن، فتلقَى رسول الله صلى الله عليه وآله الماء بيده اليمنى، فمن أجل ذلك صار الوضوء باليمين.

ثم أوحى الله عزّ وجلّ إليه أن: اغسل وجهك^(٢)...

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي «سورة بني إسرائيل» عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن الصادق عليه السلام - في خبر طويل جدًّا - قال فيه: «فإذا ملّك يؤدّن لم يرَ في السماء قبل تلك الليلة، فقال: الله أكبر، الله أكبر؛ فقال الله: صدق عبدي أنا أكبر.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله؛ فقال الله تعالى:

ص

عبدي، أنا الله لا إله غيري.

فقال: أشهد أنّ محمّدا رسول الله، أشهد أنّ محمّدا رسول الله؛ فقال الله:

صدق عبدي، إنّ محمّدا عبدي ورسولي أنا بعثته وانتجبتّه.

فقال: حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة؛ فقال: صدق عبدي، دعا

إلى

فريضتي، فمن مشى إليها راغبا فيها محتسبا كانت كفارة لما مضى من ذنوبه.

فقال: حيّ على الفلاح [حيّ على الفلاح]؛ فقال الله: هي الصلاح

والنجح

والفلاح.

ثمّ أممت الملائكة في السماء كما أممت الأنبياء في بيت المقدس...»

(٣)

وقد أخرج الحافظ العلوي في كتابه (الأذان بحيّ على خير العمل)

بقوله:

١ . وللشيخ الجوادى الأملي في كتابه «أسرار الصلاة»: ٨٦، ٢٢ بيان في ذلك فراجع.

٢ . الكافي كتاب الصلاة باب النوادر ٣: ٤٨٢ - ٤٨٦/١، وللمزيد يمكن مراجعة خبر الإسراء في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي ٢: ١١.

٣ . تفسير القمّي ٢: ٣ - ١٢ كما في مستدرک وسائل الشيعة ٤: ٤٠، وفي تفسير العياشي ١: ١٥٧ ح ٥٣٠ عن عبدالصمد بن بشير عن الصادق في حديث المعراج، إلى أن قال: ثمّ أمر جبرئيل فأتّم الأذان واقم الصلاة.

حدّثنا الحسين بن محمّد بن الحسن، حدّثنا عليّ بن الحسين بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عيسى العجلي، حدّثنا جعفر بن عنبسة اليشكري، حدّثنا أحمد بن عمر البجلي، حدّثنا سلام بن عبدالله الهاشمي، عن سفيان بن السمط، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه قال: أوّل من أذن في السماء جبريل عليه السلام حين أُسري بالنبي صلى الله عليه وآله، فقال: الله أكبر، الله أكبر؛ فقالت الملائكة: الله أكبر من خلقه. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقالت الملائكة: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله.

فقال، أشهد أن محمّدا رسول الله، أشهد أن محمّدا رسول الله، فقالت الملائكة: عبد بُعث.

فقال جبريل: حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة؛ فقالت الملائكة: أمر القوم بالصلاة، فقال: حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح؛ فقالت الملائكة: أفلح القوم.

فقال: حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل؛ فقالت الملائكة: أمر القوم بخير العمل. وأقام الصلاة، فقال النبيّ: يا جبريل، تقدّم صلّ بنا، فقال جبريل: يا محمّد، إنّ الله عزّ وجلّ أمرنا أن نسجد لأبيك آدم، فلسنا نتقدّم ولده، فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى بالملائكة^(١).

وقد نقل محمّد بن مكّي - الشهيد الأوّل - في (ذكرى الشيعة) قول ابن أبي عقيل، قال: أجمعت الشيعة عن الصادق عليه السلام أنّه لعن قوما زعموا أنّ النبيّ أخذ الأذان من عبد الله بن زيد، فقال: «ينزل الوحي على نبيّكم فتزعمون أنّه أخذ الأذان من عبد الله بن زيد؟!»^(٢).

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام (ت ٢٠٤ هـ):

أخرج الصدوق في (عيون أخبار الرضا) و (علل الشرائع) بسنده إلى الرضا عليه السلام عن آبائه، قال: «قال رسول الله: لمّا عُرج بي إلى السماء أدّن جبرئيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى»^(٣).

وجاء في الاعتصام بحبل الله عن صحيفة عليّ بن موسى الرضا:...

حدّثني أبي

١ . الأذان بحّي على خير العمل، للحافظ العلوي: ٢٠، بتحقيق الفضيل، وبتحقيق عزّان ٥٩.
٢ . ذكرى الشيعة ١٩٥: ٣، وعنه في وسائل الشيعة ٥: ٣٧٠.
٣ . عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٠٤ باب ما جاء عن الرضا في زيد بن عليّ ح ٢٢، علل الشرائع ١: ٦ وعنه في بحار الأنوار ٨١: ١٠٨.

موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمّد، قال: حدّثني أبي محمّد ابن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن الحسين بن عليّ، قال: حدّثني أبي الحسين ابن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب:، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما بُدئ رسول الله صلى الله عليه وآله بتعليم الأذان، أتى جبريل عليه السلام بالبُرّاق فاستصعب عليه، فأتاني بدابة يقال لها برقة - من حديث طويل - فقال لها جبريل: اسكّني برقة - من حديث طويل فيه - فخرج ملك من وراء الحجاب فقال: الله أكبر الله أكبر. قال: فقلت: يا جبريل، من هذا الملك؟ قال: والذي أكرمك بالنبوة، ما رأيت هذا الملك قبل ساعتى هذه، فقال الملك: الله أكبر الله أكبر.. فنُودي من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا أكبر أنا أكبر. فقال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله... الخبر^(١).

قال الشيخ الطوسي: «الأذان مأخوذٌ من الوحي النازل على النبيّ دون الرؤي»^(٢).

وقال السيّد محمّد العامليّ صاحب (المدارك): «قد أجمع الأصحاب على أن الأذان والإقامة وحيّ من الله تعالى على لسان جبرئيل عليه السلام كسائر العبادات، وأخبارهم به ناطقة»^(٣).

وقال الشهيد في الذكرى: «وهما وحيّ من الله تعالى عندنا كسائر العبادات على لسان جبرئيل عليه السلام»^(٤).

وهذه الرؤية النابعة من النصوص الدالة على قداسة الأذان وأنه بوحى من السماء لم تختصّ بمدرسة أهل البيت، فقد حكى الداودي عن ابن إسحاق أن جبرئيل

أتى النبيّ بالأذان قبل أن يراه عبد الله بن زيد وعمر بثمانية أيّام^(١)، و يؤيّده ما جاء عن عمر من أنه ذهب ليشتري ناقوساً فأخبر أن ابن زيد قد

١ . الاعتصام بحبل الله ١: ٢٧٨.

٢ . المبسوط ١: ٩٥.

٣ . مدارك الأحكام ٣: ٢٥٥ المقدّمة السابعة من الأذان.

٤ . ذكرى الشيعة ٣: ١٩٥.

أُري الأذان فـ_____ المني _____ام،
فرجع ليخبر رسول الله، فقال له: «سبقك بذلك الوحي»^(٢).
وقد روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء أنه سمع عبيد بن
عمير يقول: _____
إن الأذان كان بوحى من الله^(٣).

وروى السيد ابن طاووس - من علماء الشيعة الإمامية - بإسناده إلى
عبد الرزاق عن معمر، عن ابن حماد، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي في
حديث المعراج، قال: «ثمّ قام جبرئيل فوضع سبّابته اليمنى في أذنه فأذن
مثنى مثنى... يقول في آخرها: «حيّ على خير العمل، حتّى إذا قضى
أذانه أقام للصلاة مثنى مثنى»^(٤).

وفي كنز العمال «مسند رافع بن خديج»: لما أسري برسول الله إلى
السماوات أوحى _____
إليه بالأذان، فنزل به فعلمه جبرئيل (الطبراني في الأوسط عن ابن عمر)
^(٥).

ولذلك حاول القسطلاني الشافعي في (إرشاد الساري) التخلّص من
إشكال التشريع بالرؤيا، فأدعى أنّ المشرّع للأذان هو النصّ الذي أقرّ
المنام لا نفس المنام، فقال: قوله تبارك وتعالى: «وإذا ناديتُم إلى الصلاة
اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعلمون» معاني عبادة الله
وشرائعه، واستدلّ على مشروعية الأذان بالنصّ لا بالمنام وحده^(٦) لكنك
تعلم أنّ الإشكال باق بحاله، إذ لا معنى للمنّام في هذه الحالة.

وقال السرخسي - من أعلام الحنفية - في (المبسوط):... وروي أنّ
سبعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين رأوا تلك الرؤيا في ليلة
واحدة، وكان أبو حفص محمّد بن عليّ ينكر هذا ويقول: تعمدون إلى ما
هو من معالم الدين فنقولون: ثبت بالرؤيا! كلاً ولكنّ النبيّ

-
- ١ . سبل الهدى والرشاد ٣: ٣٦١، وانظر: تنوير الحوالك: ٨٦، وفتح الباري ٢: ٦٥.
 - ٢ . تاريخ الخميس ١: ٣٦٠، وانظر: السيرة الحلبية ٢: ٣٠١ - ٣٠٢.
 - ٣ . المصنّف، لعبد الرزاق ١: ١٧٧٥/٤٥٦ كتاب الصلاة بدء الأذان.
 - ٤ . سعد السعود ١٠٠، وفي متن بحار الأنوار ٨١: ١٠٧: فوضع سبّابته اليمنى في أذنه اليمنى..
حيّ على خير العمل مثنى مثنى... الخ.
 - ٥ . كنز العمال ٨: ٣٢٩ كتاب الصلاة فصل من الأذان ح ٢٣١٣٨. وانظر مجمع الزوائد ١:
٣٢٩.
 - ٦ . إرشاد الساري ٢: ٢ كتاب الأذان. عمدة القارئ ٥: ٧ و ١٠٢.

صلى الله عليه وآله حين أُسري به إلى المسجد الأقصى وجمع له النبيون،
أذن ملك وأقام، فصلّى بهم رسول الله. وقيل: نزل به جبرئيل عليه الصلاة
والسلام، حتّى قال كثير بن مرة: أذن جبرئيل في السماء فسمعه عمر^(١).

١ . المبسوط للسرخسي ١: ١٢٨ كتاب الصلاة باب الأذان.

وقفه مع أحاديث الرؤيا:

اتّضح بجلاء - من خلال ما مرّ بنا من أحاديث وأقوال وغيرها - أنّ القول بتشريع الأذان في الإسراء والمعراج، ممّا لم ينفرد به الإماميّة الاثنا عشرية، وإنّما قالت به الشيعة الزيدية والإسماعيلية أيضا، إضافة إلى أعلام من أهل السنّة، وهذا يعني أنّ تشريع الأذان - بوصفه فعلاً تعبدياً - كان سماوياً وعلوياً وليس مناماً وأرضياً، وهذا القول ينسجم تماماً مع التشريعات السماوية الإلهية، ومع الاعتقاد بالنبوّة والوحي، التي هي واسطة في التشريع بين الله تعالى وبين خلقه.

أمّا القول بأنّه كان عبر منام رآه رجل وأخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله فإنّه من منفردات بعض أهل السنّة، والذي أمسى قولاً مشهوراً لديهم فيما بعد.

وإزاء اشتهاار هذا القول عندهم، تبرز طائفة من التساؤلات الملحة التي تصدّر

من الرؤية الإسلاميّة لحقائق الأشياء وعمق التشريع الإلهي.

ومن هذه التساؤلات: هل يسوغ لهذا القول - الذي يُسند تشريع الأذان إلى رؤيا أحد الناس - أن يتلاءم وأصول الشريعة القائمة على تلقّي النبيّ صلى الله عليه وآله من الله سبحانه؟

وهل يسوغ - في منطق الإسلام والوحي - أن تؤخذ الشريعة من الأحلام والمنامات والأقاصيص، أو حتّى من المشاورة كما جاء في بعض أحاديث الأذان؟

أولاً: إنّ المنام لا يصحّ أن يُستند إليه في القضايا الشرعيّة، ولا يمكن أن يُعتَمَد عليه في تشريع الأحكام.. اللهمّ إلا أن يكون رؤيا رآها رسول الله نفسه؛ لأنّه

جزء من الوحي.

إنّ التلقّي عن الله وحصر الأخذ عنه جلّ وعلا تنفي كلّ ما عدا الوحي

الإلهي

التشريع، وتؤكد أنّ هذا الوحي هو وحده المنبع الذي ليس للنبيّ أن يبدّله أو يغيّر

فيه من تلقاء نفسه، كما عرفنا الله سبحانه ذلك بقوله: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ

أَبَدَلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (يونس/١٥)

وقال: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرَّسْلِ وَمَا أُدْرِى مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (الأحقاف/٩)

وقال أيضا: «قُلْ إِنَّمَا أَتَّبَعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (الأعراف/٢٠٣)

وقال: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (النجم/٣-٥)

وقال في ملائكته: «بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» (الأنبياء/٢٦-٢٧)

إِنَّ هَذِهِ آيَاتُ الشَّرِيفَةِ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّهُ لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَلَا لِمَلَائِكَتِهِ أَنْ

يَسْبِقُوهُ بِالْقَوْلِ أَوْ أَنْ يُشَرَّعُوا مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ، إِذْ لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْإِسْتِمَاعُ إِلَى الْوَحْيِ

وإنتظاره، وقد أنتظر الرسول صلى الله عليه وآله الوحي في تغيير القبلة مدة ستة أشهر أو سبعة حتى نزل قوله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) (البقرة/١٤٤)

أما التشاور فهو أبعد ما يكون عن أن يتولد منه حكم شرعي، ذلك أن

الله

الدين الخالص وليس لغيره فيه من شيء، كما قال جل جلاله: (يَقُولُونَ هَلْ نَحْنُ بِالْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ) (آل عمران/١٥٤). من هنا يكون قول

الحق تعالَى:

«وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» دالاً على المشاورة في الموضوعات الخارجية

وشئون الحياة

اليومية، والمواقف العملية من بعض الحوادث، كالموقف في الحرب

ومواجهه مكالمة
الأعداء وإمكانيات سبل السلام، وما إليها.
وهذه المشاورة ذات ثمرات صالحة، منها: أنها تُشعر المشاورين
بالمشاوركة فري
صنع الموقف المسؤول، ومنها أنها تهبهم طاقة للاندفاع في سبيل تنفيذ
مقررات هـ
المشاورة وتحمل نتائجها. ومع ذلك كله تظل لرسول الله صلى الله عليه وآله
الكلمة الأخيرة في مقررات المشاورة، فهو الذي يحدد ما ينبغي وما لا
ينبغي، ويكون عزمه في المسألة هو الساري الجاري (فإذا عزم فتوكل
على الله).

إن الشورى ليس لها دخل في الأحكام، ومتى تدخلت في الحكم فإنها
تكون
شاركت الوحي في التشريع، وهوتت من شأن النبوة والنبى، وفتحت بابا
للتنق

على الله.. ذلك التقول الذي هدّد الله تعالى باجتراح ولو بعض منه.
ولقد حدّر الله رسوله - وهو أحب خلقه إليه - أيما تحذير، وهدده أيما
تهديد

إذا ما غير حرفا واحدا، وذلك لما جاءه أهل قرية الناصرة بأحمال الذهب
والفضة

والحرير وأرادوا إعطاءها رشوة للنبى صلى الله عليه وآله في مقابل أن
يبدل حرف الباء تاء في لفظة «أبوا» بعد نزول قوله تعالى: (حتى إذا أتيا
أهل قرية استطمعا أهلها فأبوا أن يضيقوهما) (الكهف/٧٧). وعندئذ نزل
التهديد الإلهي ليعلم الناس أن دين الله خالص نقي لا يجوز بحال أن يشوبه
شيء من رأي البشر ولو قلّ وضئّل إلى مستوى حرف استمع إلى تعابير
المواجهة والإنذار: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين
* ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) (الحاقة/٤٤-٤٧)،
وهو الذي (لا ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) (النجم/٣).

ثانيا: إن الأذان يرتبط ارتباطا وثيقا بفريضة الصلاة التي هي «خير
موضوع»، كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي عمود الدين
وأساسه الجوهرى.. إلى حدّ أن جعل الإمام الهادي الزيدي الأذان من
أصول الدين! كما مرّ بنا سابقا.

والأذان مقدّمة للصلاة، وكلاهما عبادة خالصة لله عزّ وجلّ صادرة عن حقيقة وجودية توحيدية عميقة. من هنا يكون من الغفلة الاعتقاد بأنّ الله عزّ وجلّ قد أمر خاتم أنبيائه الكرام بإقامة الصلاة على وجهها الذي شرّعه الله تعالى، ثمّ ترك شأن تعليم أذان الصلاة وإقامتها لأناس عاديين يقولون إنهم رأوها في المنام! أو إنهم قد أضافوا إليها من عندهم ما يكملها، دون أن يُعلّمها رسوله الذي هو مبلغ الوحي وحامل راية الهدى لأجيال البشرية كافة.

ثالثاً: تشير بعض النصوص السنّية التي أوردتها كتب الصحاح والسنن في موضوع الأذان إلى أنّ رسول الله كان في حيرة من أمر الأذان، ولم يكن يعلم الحكم الإلهيّ فيه أيّاماً، حتّى شاور الصحابة في ذلك، وأمر بناقوس النصارى ليكون إعلاما لوقت الصلاة حتّى «كاد ينقس»!

وفي هذا الرأي من التوهين والتقليل من شأن رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا خفاء فيه، وهو ممّا يرفضه منطق القرآن الكريم، و يرفضه المنطق الإيماني على وجه العموم، ذلك أنّ هذا التوهين يعارض دعوة القرآن المسلمين إلى توقير رسول الله وتعظيمه، و يضادّ نهى الذين آمنوا أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبيّ صلى الله عليه وآله، تعريفاً بتميّزه وعلوّ مقامه: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » (الحجرات/ ٢-١) اهتماً بماكانته صلى الله عليه وآله وشأنه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الآية نزلت لما تنازع أبو بكر وعمر في تعيين موفد الرسول المصطفى إلى بني تميم. فقال أبو بكر: القعقاع بن معبد، وقال عمر: الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: وما أوردت إلاّ خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافيك، فتمار يا حتّى

ارتفع

أصواتهما، فنزلت في ذلك هذه الآيات الحكيم^(١).

فإذا كان الله سبحانه لا يرتضي التنازع ورفع الصوت بمحضر النبي في أية قضية من القضايا احتراماً له وتوقيراً لمقامه، فكيف يصح أن يُنسب إليه التحير في شأن أمر تعبدي كالأذان حتى اختار - أو كاد أن يختار - ناقوس النصرى يُنقَس به إعلاما للصلاة؟!

رابعاً: أهمل الشيخان البخاري ومسلم وكذا الحاكم النيسابوري في مستدرکه ذکر أحاديث رؤيا عبد الله بن زيد، بل في المستدرک عن (سفيان بن الليل عن الإمام الحسن السبط) ما يُسخِّف تشريع الأذان بالمنام.

وقد أجاب الحاكم معللاً ترك الشيخين أحاديث عبد الله بن زيد التي

قصّها على

رسول الله بقوله: (... وإنما ترك الشيخان حديث عبد الله بن زيد في

الأذان والرؤيا

التي قصّها على رسول الله بهذا الإسناد^(٢)، لتقدّم موت عبد الله بن زيد،

فقد قيل

إنه استشهد بأحد، وقيل: بعد ذلك ببسیر، والله أعلم^(٣).

١ . انظر: صحيح البخاري ٦: ٢٩٠ كتاب المغازي، باب وفد بني تميم ج ٨١٢، باب وفد بني تميم.

٢ . ليس فيما روي عن عبد الله بن زيد في الأذان ما رجّاه على شرط الشيخين إلا ما رواه بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد عن جدّه عبد الله بن زيد، ولكن لم يخرج الشيخان في صحيحيهما لأنه منقطع؛ فالحفيد بشير لم يدرك جدّه عبد الله بن زيد.

٣ . المستدرک للحاكم ٤: ٣٤٨ كتاب الفرائض، باب ردّ الصدقة ميراثاً. قال ابن حجر في تلخيص الحبير ٣: ١٦٢.

(وقال الحاكم والبيهقي: الروايات عن عبد الله بن زيد في هذا الباب كلّها منقطعة؛ لأنّ عبد الله بن زيد استشهد يوم أحد. ثمّ أسند عن الدراوردي عن عبيد الله بن عمر قال: دخلت ابنة عبد الله بن زيد على عمر بن عبد العزيز فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا ابنة عبد الله بن زيد، شهد أبي بدراً وقتل يوم أحد، وفي صحّة هذا نظر؛ فإنّ عبيد الله بن عمر لم يدرك هذه القصة... وروى الواقدي عن محمد بن عبد الله بن زيد قال: توفّي أبي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين، وقال ابن سعد: شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها، ولو صحّ ما تقدم للزم أن تكون بنت عبد الله بن زيد صحابية). عن تلخيص الحبير ٣: ١٦٢ - ١٦٣.

أقول: الظاهر أنّ كلام الحاكم هو الصحيح، فإنّ الراوي هو عبيد الله بن عمر العمري كما في الإصابة ٢: ٣١٢ ترجمة عبد الله بن زيد بن ثعلبة، وهو عبيد الله بن عمر بن حفص ابن عاصم بن عمر بن الخطّاب، المتوفّي سنة ١٤٤ أو ١٤٥ أو ١٤٧ هـ، والمسند إليه صحيح بلحاظ الراوي والمروي عنه. انظر: تهذيب الكمال ١٩: ١٢٤ - ١٣٠.

ويشير إهمال الشيخين لهذا الحديث إلى أنه لا أصل لحديث عبد الله بن زيد
رسول الله، و يؤيد ذلك ما أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء في ترجمة
عبد العزيز عن عبيد الله بن عمر، قال: (دَخَلْتُ ابنة عبد الله بن زيد على
عبد العزيز، فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا بنت عبد الله بن زيد، أبي شهد
يوم أحد، فقال عمر:

تلك المكارم لا قعبان من شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبو الـ
بن

سألني ما سئلت، فسألت فأعطاها ما سألت^(١).
ولو ثبت بشكل قطعي أن عبد الله رأى الأذان لذكرت ابنته هذه
المكرمة له وعدتها ضمن منقبتيه الأوليين: حضوره بدرا وقتله بأحد، بل
أن فضيلة رؤيا الأذان لو كانت واقعةً فعلاً لما ضاهاها شيء؛ إذ إن
الوحي قد وافقه في هذه المسألة دون عموم بني البشر، وهي أهم من
حضوره بدرا وقتله بأحد، وذلك لمشاركة آخرين له في هاتين الفضيلتين.
إن عدم ذكر ابنة عبد الله بن زيد لهذه المنقبة - وهي في معرض
استعطاف عمر بن عبد العزيز - ليشير إلى عدم ثبوت هذه المكرمة له في
العهد الأول.

خامساً: من الثابت عند أهل العلم أن رؤيا الأنبياء وحدهم حجة، لا
رؤيا غيرهم. نعم، إنهم صححوا هذه الرؤيا والمنامات الأخرى بتطابق
الوحي معها.

قال العسقلاني: (وقد استشكل إثبات حكم الأذان برؤيا عبد الله بن زيد
لأن
رؤيا غير الأنبياء لا يُبنى عليها حكم شرعي، وأجيب باحتمال مقارنة
الوحي لذلك...)^(٢).

١ . حلية الأولياء ٥: ٣٢٢ ترجمة عمر بن عبد العزيز، وعنه في الإصابة ٢: ٣١٢ ترجمة عبد
الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة.
٢ . فتح الباري ٢: ٦٥ باب الأذان مثى.

لكنّ هذا الجواب غير علمي ولا دقيق؛ لأنّ مجرد احتمال مقارنة الوحي لا يفيد،
إذ لو كان ذلك صحيحاً لذكرته الروايات المعتمدة في الباب ولم تنحصر
باجته
أمثال ابن حجر.

ثمّ لماذا لم ينزل الوحي على رسول الله حينما كان متحيّراً في أوّل
أمّره (أي حينما
قدّم المدينة) حتّى أخبره عبد الله بن زيد بمنامه، ثمّ تطابق الوحي مع
الرؤيا
ذلك؟!!

إنّ تعارض النصوص وتخالفها مع الثوابت الأخرى تُخطئ هذه
الرؤية؛ لأنّ القول بتشريع الأذان في المسرى لا يتطابق مع حيرة النبي
وسعيه لمشاورة الصحابة في المدينة، وخصوصاً حينما نشم رائحة الغلّ
من بعض النصوص وأدعاء نزول ما يشابه الوحي على عبد الله بن زيد،
أو على عمر، أو بلال، لقول عبد الله في بعض النصوص: «كأنّي وأنا
بين نائم و يقظان»، وفي آخر: «لولا أن يقول الناس لقلتُ بأنّي كنتُ
يقظان غير نائم»!!

أو ما جاء في نصوص أخرى: «إنّ جبرئيل أذن في سماء الدنيا،
فسمعه عمر وبلال، فسبق عمر بلالاً فأخبر النبيّ ثمّ جاء...»، أفلا
تري أنّ هذه النصوص ترفع من شأن عبد الله بن زيد ومن شأن
عمر إلى مرتبة النبوة، وتغلو فيهما؟!!

بل العجب العجاب أن نرى إلقاء العبء الأكبر في الأذان على عبد الله
بن زيد بن عبد ربّه الخزرجي الأنصاري، هذا الصحابي غير الواضح
المعالم في التاريخ والفقّه، والذي لم يُعرف ولم يشتهر إلا عبر هذه
المفردة، إذ عرف بـ«الذي أرى الأذان». ومثل ذلك ما قيل في سميّه عبد
الله بن زيد بن عاصم المازني الأنصاري «صاحب حديث الوضوء»
الذي ألقوا على عهده قسماً من الوضوء الثلاثي الغسلي وأدعوا أن
الأخبار الصحيحة جاءت عنه وهو منها بريء!

فلماذا هذان الصحابيّان الأنصاريان الغامضان المعالم؟! اللذان لا
يعرفان إلا في حديثي الأذان والوضوء؟!!

وبعد هذا، لابدّ من الإشارة إلى إشكال آخر أثاره السُّهيلي^(١) والعسّ وقلاني وغيرهما حاولوا الإجابة عنه.

قال ابن حجر في إرشاد الساري: (فإن قلت: ما الحكمة في تخصيص الأذان برؤيا رجل ولم يكن بوحي؟ أجيب: لما فيه من التنويه بالنبي والرفع لذكره؛ لأنّه إذا كان على لسان غيره كان أرفع لذكره وأفخر لشأنه، على أنّه روى أبو داود في المراسيل أنّ عمر لما رأى الأذان جاء ليخبر النبي فوجد الوحي قد ورد بذلك، فما راعه إلا أذان بلال، فقال له عليه السلام: سبقك بها الوحي. ورواة هذا الحديث خمسة، وفيه التحديث والإخبار^(٢)).

وهذا التعليل عليل، لأنّه لو صحّ للزم لحاظ هذا الوجه في كلّ شيء ورد فيه ذكر الشهادتين، لأنّ نقل ذلك على لسان غيره أرفع لذكره وأفخر لشأنه وأدفع لتهم أعدائه، في حين نعلم بأنّ الباري جلّ شأنه هو الذي رفع ذكره بقوله: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)^(الفتح/٤)، وبعد هذا فلا يحتاج إلى أن يرفع ذكره بعد الباري جلّ شأنه أحد.

هذه أهمّ الأقوال التي قيلت في تشريع الأذان عند مدرسة أهل السنّة والجماعة، وقد يمكن إرجاع بعضها إلى بعض، وتقليص حجم اختلافاتها، غير أنّ إعادة جميع النصوص إلى قول واحد محالّ من القول، لأنّ القول بتشريعها والتأذين بها في الإسراء والمعراج لا يتفق مع همّ وغمّ رسول الله في المدينة وجلوسه مع أصحابه يستشيرهم في كيفية التأذين وطريقة جمع المسلمين على شيء واحد.

وهكذا الحال بالنسبة إلى ما جاء عن عمر وأنه كان أوّل من سمع أذان جبرئيل في السماء ثمّ بلال، أو ما حكى عنه من أنّه أضاف الشهادة بالنبوة في الأذان بعد أن كانت فيه الشهادة بالتوحيد فقط، فإنّه لا يتفق مع تشرع الأذان في المسرى.

وكذا القول بأنّ أبا بكر كان أوّل من أخبر رسول الله بالأذان - كما في خبر جامع المسانيد - فهو يخالف المشهور بين المحدثين من أنّ عبد الله بن زيد الأنصاري كان أوّل من أخبر رسول الله بمنامه.

١ . في الروض الأنف ٢: ٣٥٦.

٢ . إرشاد الساري ٢: ٤.

وكذا الحال بالنسبة إلى ما اشتهر عن عبد الله بن زيد وأنه أخبر رسول الله في الصباح - بعد أن نام بالليل - لقوله: (فلما أصبحت أتيت رسول الله) أو: (فلما غدا...) وهو يخالف ما قاله الحافظ الدمياطي في سيرته من أن عبد الله بن زيد أتى رسول الله ليلاً وأخبره^(١). وقد حاول الحلبي الجمع بين القولين ذاهبا إلى عدم المنافاة بينهما؛ لأن جملة:

(فلما أصبحت) أو: (فلما غدا) إشارة إلى مقاربة الوقت للصباح. وهذا تأويل بعيد يخالف الظاهر، لأن المتبادر من كلمة (فلما أصبحت) أو (غدوت) صريح في الصباح، فكان على الحلبي أن يخطئ نقل الحافظ الدمياطي وهو خير له من أن يقول بهذا القول. وكذا الحال بالنسبة إلى عمر بن الخطاب، ففي بعض النصوص نراه يخرج حينما سمع الأذان (وهو في بيته يجزّ رداءه)، وفي بعض آخر نراه يقترح على رسول الله بقوله: (أو لا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟)، (فخرج يجزّ رداءه) يختلف مع (أو لا تبعثون) لكون الثاني يشير إلى أن الأذان شرّع باقتراح عمر ابن الخطاب وأنه كان بمحضر الرسول، أمّا جملة (فخرج يجزّ رداءه) فتشير إلى أنه سمع الأذان وهو في بيته. قال القسطلاني في إرشاد الساري - بعد أن أتى بخبر ابن عمر السابق:

الذكر
:-
(كان المسلمون حين قدموا المدينة)؛ قال الحافظ ابن حجر بأن سياق حديث
عبد الله بن زيد يخالف ذلك، فإن فيه أنه لما قصّ رؤياه على النبي، قال:
فسمع عمر
الصوت فخرج فأتى النبي فقال: رأيت مثل الذي رأى. فدلّ على أن عمر
لم يكن

حاضرا لما قصّ عبد الله.

قال: والظاهر أن إشارة عمر بإرسال رجل ينادي بالصلاة كانت عقب المشاورة فيما يفعلونه، وأن رؤيا عبد الله كانت بعد ذلك؛ وتعقبه العيني بما رواه أبو داود عن أبي بشر، عن أبي عمير، عن أنس، عن عمومة له من الأنصار، أن عبد الله بن زيد: قال (إذ أتاني أت فأراني الأذان، وكان

١ . انظر: السيرة الحلبية ٢: ٢٩٩.

عمر قد رآه قبل ذلك فكتمه، فقال له النبي: ما منعك أن تخبرنا... إلى آخره، ليس فيه أن عمر سمع الصوت فخرج؛ فقال: فهو يُقوي كلام القرطبي و يردّ كلام بعضهم - أي ابن حجر - انتهى.

وأجاب ابن حجر في انتقاض الاعتراض بأنّه إذا سكت في رواية أبي عمير
عن قوله: فسمع عمر الصوت فخرج، وأثبتها ابن عمر، إنّما يكون إثبات ذلك دالاً

على أنّه لم يكن حاضراً، فكيف يعترض بمثل هذا؟!^(١).

ومجمل الكلام أنّهم بهذه الوجوه سعوا للجمع بين بعض النصوص،
ولكن أنّهم
لهم الجمع في موارد الأخرى؟ فانهم كلّما رجعوا منها جانباً انخرق منها
جانبا
آخر، ونحن تركنا مناقشة تلك الروايات سندا خوفاً من الاطالة، مكتفين
بالتعليق

على دلالة بعضها.

وخلاصة القول: أنّ الأذان كغيره من الشرائع قد جرى فيه اتّجاهان:
أحدهما: يقول بتشريعه في الإسراء والمعراج وأنّه من الوحي الذي لا
يجوز فيه الزيادة والنقصان.

وثانيهما: يعتقد بأنّ تشريعه جاء على أثر منام رآه عبد الله بن زيد
بن عبد ربّه،
أو أنّه شرّع بمشورة من الصحابة.

وقد اختلف الاتّجاهان في المفاهيم والأصول؛ لأنّ القائل بتشريعه في الإسراء والمعراج يربطه بقضايا إلهية قدسية، حيث إنّ حقيقة الإسراء هي حقيقة عالية ترتبط بالغيب، وإنّ أهل بيت الرسالة وبعض الصحابة المتعبدين كانوا هم المطّلعين بما دار في الإسراء والمعراج، بعكس بعض قريش التي كانت تنكر حقيقة المسرى وتسخّف مغزاه، فلم تكن تقبل بأن الرسول الأعظم تجاوز الحجب حتّى وصل إلى دار العظمة، حاملاً معه مفاهيم ربانية وأفكاراً عالية لا يمكن الوصول إليها إلا بالاستعانة بالقدرة

الإلهية، ولا يمكن معرفة دقائقها إلا عن أهل بيت الرسالة والوحي، الذين وضحو لنا المبهم من هذه الأمور.

أما القائل بتشريعه عن طريق رؤيا رآها عبدُ الله بن زيد، أو سبعة آخرون من الصحابة، فيعطي لفكرته مسحة عدم التوقيف، ليكون له مساغ في أن يزيده في هذه الشعيرة المقدسة، أو ينقص منها.

قال السرخسي في المبسوط: «... بدليل ما روي عن إبراهيم أن: أول مَرَد الإقامة معاوية. وقال مجاهد: كانت الإقامة مثني كالأذان حتى استخفه بعرض أمراء الجور فأفرده لحاجة لهم»^(١).

وقال ابن عبد البر - في فتح المالك بتبويب التمهيد على موطن مالك - وهو أن يصحح اختلاف أحاديث الأذان بقوله: (روي عن النبي في قصة عبد الله بن زيد هذه في بدء الأذان جماعة من الصحابة بألفاظ مختلفة ومعانٍ متقاربة، وكلهم على أن عبد الله بن زيد أرى النداء في النوم، وأن رسول الله أمر به عند ذلك، وكان ذلك أول أمر الأذان...) ^(٢).

فهذا النص وما سبقه يتضح منهما أن غالب أهل السنة والجماعة يقولون بعدم توقيفية الأذان بالنحو الذي تقوله الشيعة، إذ العامة يستدلون على شرعية الأذان بمنام عبد الله بن زيد حتى أن بعض أمراء الجور أفرد الإقامة لحاجة له.

والعجب في هذا الباب ما قاله ابن عبد البر في موضع آخر من الكتاب المذكور: «في حديث هذا الباب لمالك وغيره من سائر ما أوردنا فيه من الآثار أوضح الدلائل على فضل الرؤيا وأنها من الوحي والنبوة، وحسبك

١ . المبسوط ١: ١٢٩ كتاب الصلاة باب بدء الأذان، وانظر: المصنف لعبد الرزاق ١: ١٧٩٣/٤٦٣.

٢ . فتح المالك ٢: ٣.

بذلك فضلاً لها وشرفاً، ولو لم تكن وحياً من الله ما جعلها شريعة ومنهاجاً لدينه»^(١).

قال أبو عمر^(٢): «اختلفت الآثار في صفة الأذان وإن كانت متفقة في أصل أمره، كان من رؤيا عبد الله بن زيد، وقد رآه عمر بن الخطاب أيضاً^(٣)!!!»

أفلا يدل قوله هذا على أن لعبد الله بن زيد وعمر بعض النبوة؟! كانت هذه صورة مصغرة عن اختلاف الآراء في مدرسة الخلفاء حول بدء تشريع الأذان، وكيف اتفقت مدرسة أهل البيت ومعها الصحابة المتعبدون على أنه كان في الإسراء بتعليم من الله العلي العظيم؟

١ . فتح المالك ٢ : ٧ .

٢ . هو ابن عبد البر .

٣ . التمهيد لابن عبد البر ٢٤ : ٢٧ .

تحقيق في ما وراء نظرية الرؤيا

بعد أن توصلنا إلى وجود اختلاف بين المسلمين في كيفية تشريع هذه الشريعة الإسلامية، وعلمنا أنّ أهل بيت النبوة لا يقبلون فكرة الرؤيا، حاولنا تحديد النزاع بين المسلمين، والدوافع الكامنة وراء طرح مثل هذه الآراء في الشريعة. ممّا لا شك فيه أنّ قدرات المسلمين وإفهامهم وإدراكاتهم لحقيقة الإيمان والإسلام لم تكن بمرتبة واحدة.

فبعضهم كان يفهم مغزى الرسالة ومكانة الرسول وما يرّيه الله من أوامره ونواهيه بدقّة عالية فكان يتعبد بما قاله رسول الله ولا يرى لنفسه الخيرة من أمره. وبعضهم الآخر كان يرى لنفسه حقّ التشريع وإبداء الرأي مسمّى فعله بالاجتهاد. وهناك اتجاه ثالث أغرق في النزاع، فراح يتعامل مع الرسول كأنه رجل حارب فانتصر! ورابع وخامس و...

وقد وضحنا في دراستنا لأسباب «منع تدوين الحديث» ونتائجه هذه الاتجاهات وقلنا أنّها جميعا تنخرط وتنتظم في نهجين هما:

١ - المتعبدون = التعبد المحض.

٢ - المجتهدون = الاجتهاد بالرأي.

ونحن لا نريد أن نعود إلى ما كتبناه سابقا، بل نريد الإشارة إلى بعض الشيء عن هذين النهجين، مؤكدين الكلية التي رسمناها في دراسة ملبسات التشريع، مبينين كيفية تطبيقها في مفردات الأذان، وكيف ارتبطت قضية الأذان بالمنام بعد ثبوتها في الإسراء والمعراج، وما ارتباطها بالرؤيا التي أفلقت النبي صلى الله عليه وآله؛ تلك الرؤيا التي رأى صلى الله عليه وآله فيها بني أمية ينزّون على منبره الشريف نزو القردة؟

وقد رأينا تقديم شيء من خبر الإسراء والتحريفات الواقعة فيه؛ لارتباطه ببيان رؤيتنا بصدد الرؤيا في الأذان، وهو بيان لدواعي اختلاف المسلمين في بدء الأذان، فنقول:

إنَّ خبر الإسراء والمعراج ثابت لا كلام فيه، وقد وردت سورة باسم الإسراء في الذكر الحكيم.

وقد اختلف المسلمون في يوم الإسراء ومكانه وكيفية عروجه صلى الله عليه وآله إلى السماء، وما جرى في الإسراء والمعراج، وهل أسري به مرّة أو مرتين^(١) أو أكثر من ذلك^(٢)، وهل كان عروجه بروحه وجسده أم بروحه فقط؟ على أنّ هناك من فصل بين إسرائه ومعراجه، فقال بأنَّ إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان بروحه وجسده، وأنَّ عروجه إلى السماء كان بروحه فقط؟

فالذين لا يدركون عمق الرسالة ومكانة الرسول شكّوا في حقيقة الإسراء والمعراج وقالوا بأشياء لا تتفق مع رسالة الغيب والوحي، وقد ارتدّ بعض من أسلم حينما سمع بخبر الإسراء، وهناك من ثبت على الدين وصدّق بما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبما حكاه من مشاهدات ومغيبات، كبعض الصحابة المتعبدين المخلصين الذين شهد لهم النار يخ بصدقهم ووفائهم وبقائهم على العهد الذي فارقوا رسول الله صلى الله عليه وآله عليه.

نعم، قد اختلفت النصوص في مكان الإسراء، فالبعض منها صرحت بأنَّه صلى الله عليه وآله أسري به من شعب أبي طالب^(٣)، والأخرى من خديج^(٤)،

١ . انظر: على سبيل المثال تفسير ابن كثير ٣: ٢٢ حيث قال: وقد صرح بعض من المتأخرين بأنَّه عليه السلام أسري به مرّة من مكّة إلى بيت المقدس فقط، ومرّة من مكّة إلى السماء فقط، ومرّة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء.

٢ . الخصال: ٦٠٠. وانظر: علل الشرائع: ١٤٩.

٣ . فتح الباري ٧: ١٦٠ كتاب أحاديث الأنبياء، باب المعراج، الدر المنثور ٤: ١٤٩ سورة الإسراء عن ابن أبي حاتم عن قتادة.

٤ . المجموع النووي ٩: ٢٤٨ باب ما يجوز بيعه وما لا يجوز، فرع في مذاهب العلماء في بيع دور مكّة، شرح الأزهار ١: ١٩٩.

وثالثة من بيت فاخنة «أم هاني» بنت أبي طالب^(١) أخت الإمام عليّ، ورابعة من بيت عائشة^(٢).

ففي تفسير الطبري بإسناده عن أبي صالح بن يادم، عن أم هاني بنت أبي طالب في مسرى النبيّ، أنّها كانت تقول: ما أسري برسول الله إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلّى العشاء الآخرة ثمّ نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أمّ هاني، لقد صلّيتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيتُ بهذا الوادي، ثمّ جئتُ بيت المقدس فصلّيتُ فيه، ثمّ صلّيتُ صلاة الغداة معكم الآن كما ترين^(٣).

وفي بعض الآثار أنّ أمّ هاني قالت: فقدته صلى الله عليه وآله - وكان نائماً عندي - فامتنع منّي النوم مخافةً أن يكون عرض له بعض قریش. و يقال: أنّه تفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه، ووصل العباس إلى ذي طوى وهو ينادي: يا محمّد، يا محمّد، فأجابه صلى الله عليه وآله.

فقال: يا ابن أخي، أعيّت قومك! أين كنت؟

قال: ذهبتُ إلى بيت المقدس.

قال: من ليلتك؟!

قال: نعم.

قال: هل أصابك إلا خير؟

قال: ما أصابني إلا خير، وقيل غير ذلك^(٤).

وفي روضة الكافي عن الصادق عليه السلام قال: لمّا أسري برسول الله صلى الله عليه وآله أصبح فقعد فحدّثهم بذلك؛ فقالوا له: صِفْ لنا بيت المقدس. قال: فوصف لهم، و إنّما دخله ليلاً فاشتبه عليه النعت، فأتاه جبرئيل فقال: انظر هاهنا، فنظر إلى البيت فوصفه وهو ينظر إليه، ثمّ نعت لهم ما كان من غير لهم فيما بينهم وبين الشام، ثمّ قال: هذه عير بني

١ . المغني ١٠: ٦١٦ كتاب الجزية، الشرح الكبير ١٠: ٦٢١ كتاب الجزية، فتح الباري ٧: ١٦٠، تحفة الأحوذى ٩: ١٩٣.

٢ . الدر المنثور ٤: ١٥٧، ١٥٤ سورة الإسراء الآية ١، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ١٩٤.

٣ . تفسير الطبري ١٥: ٣ سورة بني إسرائيل الآية ١.

٤ . تفسير روح المعاني ١٥: ٦ سورة بني إسرائيل الآية ١، الدر المنثور ٤: ١٤٩ سورة الإسراء الآية ١.

فلان تَقْدِم مع طلوع الشمس يتقدّمها جملٌ أورق أو أحمر. قال: وبعثت قر
يش رجلاً على فرس ليردّها، قال: وبلغ مع طلوع الشمس، قال قرطبة بن
عبد عمرو: يا لهفا!! ألا أكون لك جذعا حين تزعم أنّك أتيت بيت المقدس
ورجعت من ليلتك! (١)

وفي أمالي الصدوق بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (لَمَّا
أسري برسول الله إلى بيت المقدس حمله جبرئيل على البراق، فأثيا بيت
المقدس و عرض عليه محاريب الأنبياء وصلى بها وردّه، فمرّ رسول الله
في رجوعه بعيرٍ لقريش، و إذا لهم ماء في أنية وقد أضلّوا بعيرا لهم
وكانوا يطلبونه، فشرّب رسول الله من ذلك الماء وأهرق باقيه.

فلما أصبح رسول الله قال لقريش: إنّ الله جلّ جلاله قد أسرى بي إلى
بيت المقدس وأراني آثار الأنبياء ومنازلهم، و إنّي مررت بعيرٍ لقر يش
في موضع كذا وكذا وقد أضلّوا بعيرا لهم فشربتُ من مائهم وأهرقتُ باقي
ذلك، فقال أبو جهل: قد أمكنتكم الفرصة منه، فاسألوه: كم الأساطين فيها
والقناديل؟

فقالوا: يا محمّد، إنّ ها هنا من قد دخل بيت المقدس، فصيف لنا كم
أساطينه وقناديله ومحاربيه؟

فجاء جبرئيل فعلق صورة بيت المقدس تجاه وجهه، فجعل يخبرهم
بما يسألونه عنه، فلَمَّا أخبرهم، قالوا: حتّى تجيء العير ونسألهم عمّا قلت،
فقال لهم رسول الله: تصديق ذلك أن العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس
يقدمها جملٌ أورق.

فلما كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبّة ويقولون: هذه الشمس
تطلع [علينا] الساعة، فبينما هم كذلك إذ طلعت عليهم العير - حتّى طلع
القرص - يقدمها جمل أورق، فسألوه عمّا قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فقالوا: لقد كان هذا؛ ضلّ جمل لنا في موضع كذا وكذا،
ووضعنا ماءً فأصبحنا وقد أهرق الماء فلم يزدّهم ذلك إلاّ عُنوّاً (٢).

وروى البغوي في تفسيره عن ابن عباس وعائشة عن رسول الله
صلى الله عليه وآله: لَمَّا كانت ليلة أسري بي أصبحت بمكة فضيقتُ بأمرى
وعرفتُ أنّ الناس يكذبوني، فروي أنه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلاً

١ . روضة الكافي ٨: ٢٦٢ / الحديث ٣٧٦. وانظر: الدرّ المنثور ٤: ١٤٨ - ١٤٩.

٢ . أمالي الصدوق: ٣٦٣، المجلس ٦٩ - الحديث ١. وانظر: الدرّ المنثور ٤: ١٤٨.

حزينا، فمرَّ به أبو جهل فجلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل استفدتَ من شيء؟

قال: نعم، إنِّي أُسري بي الليلة.

قال: إلى أين؟

قال: إلى بيت المقدس.

قال: ثمَّ أصبحتَ بين ظَهْرانينا؟!

قال: نعم.

فلم يُره أبو جهل أنه ينكر ذلك مخافة أن يجده الحديث، قال: أُحدِّثُ

قومك

بما حدثتني به؟

قال: نعم.

قال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، هلمّوا. قال: فانقضت إليه

المجس

فجاؤوا حتّى جلسوا إليهما، قال: فحدّث قومك بما حدّثتني؟

قال: نعم، أنه أُسري بي الليلة.

قالوا: إلى أين؟

قال: إلى بيت المقدس.

قالوا: ثمَّ أصحبتَ بين ظَهْرانينا؟

قال: نعم.

قال: فمن بين مصفّق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجّبا للكذب،

وارتدّ

ناسٌ ممن كان آمن به وصدّقه...^(١)

قال ابن إسحاق: وحدّث عن الحسن:.... فلما أصبح صلى الله عليه وآله

غدا على قريش فأخبرهم الخبر، فقال أكثر الناس: هذا والله الأمر البين!

والله إن العير لتطرد شهرا من مكّة إلى الشام؛ مُدبرةً شهرا ومُقبلةً شهرا،

فيذهب ذلك محمّد في ليلة واحدة و يرجع إلى مكّة!

قال: فارتدّ كثير ممن كان أسلم^(٢)...

١ . تفسير البغوي ٣ : ٧٩ . وانظر: مختصر تاريخ دمشق ١٧ : ١٨٩ ترجمة علي بن أحمد ابن المبارك.

٢ . أحكام القرآن للقرطبي ١٠ : ٢٨٥ سورة بني إسرائيل الآية ٦٠ .

كان هذا بعض الشيء عن الإسراء والمعراج وتكذيب قر يش بهما،
وارتداد
بعض المسلمين، وقد سعت قر يش وعن طريق حكّام بني أمية وبعض
علماء البلاط
في العصور المتأخرة إلى التشكيك في الإسراء والمعراج والتقليل من
عظمة هذا الأمر
الإلهي ومكانة الرسول بطرح تشكيكات ذات طابع جدلي، كالقول
باسم
صعود الأجسام إلى العالم العلوي بهذه السرعة الخارقة للعادة بحيث
يذهب في أي
الليل و يرجع إلى مكة عند الفجر، وعدم تطابق ما قيل في مقدمات هذا
السر
الإلهي من شق الصدر وغسله بماء زمزم وركوبه صلى الله عليه وآله
البراق و... مع العقل.
كل تلك التساؤلات بل قل التشكيكات جاءت مساوقة للتشكيك في
مدلول
قوله تعالى في الآية ٦٠ من سورة الإسراء؛ إذ قال سبحانه « وَمَا جَعَلْنَا
الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ » حيث قالوا بأن
الإسراء والمعراج
بروحه صلى الله عليه وآله - لا بجسمه وروحه - كي يقللوا من واقع الإسراء
ويعضدوا القول بأنه كان في المنام لا في اليقظة و...
فقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير عن عائشة رضي الله تعالى عنها،
قالت: ما
فقدتُ جسدَ رسولِ الله، ولكنَّ اللهَ أسرى بروحه^(١).
وأخرج ابن إسحاق وابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان أنه كان إذا
سئل
عن مسرى رسول الله قال: كانت رؤيا صادقة^(١).

١ . الدر المنثور ٤: ١٥٧. وفي تفسير الطبري ١٥: ١٣ حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثني بعض آل أبي بكر أنّ عائشة كانت تقول: ما فقدتُ جسدُ رسول الله ولكنَّ اللهَ أسرى بروحه.

قال القرطبي في تفسيره: وقد احتج لعائشة بقوله تعالى: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس» فسماها رؤيا.

وهذا يردّه قوله تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً»، ولا يقال في النوم: «أسرى»، وأيضاً فقد يقال لرؤية العين «رؤيا»... وفي نصوص الأخبار الثابتة دلالة واضحة على أن الإسراء كان بالبدن...^(٢)

وقال ابن عطية الأندلسي:... والصحيح ما ذهب إليه الجمهور، ولو كانت منامة ما أمكن قريشا التشنيع، ولا فضل أبو بكر بالتصديق، ولا قالت له أم هاني: لا تُحدث الناس بهذا فيكذبوك، إلى غير هذا من الدلائل. واحتج لقول عائشة بقوله تعالى: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس» ويحتمل القول الآخر؛ لأنه يقال لرؤية العين «رؤيا». واحتج أيضاً بأن في بعض الأحاديث «فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام»، وهذا محتمل أن يريد من الإسراء النوم.

واعترض قول عائشة بأنّها كانت صغيرة لم تشاهد ولا حدثت عن النبي عليه السلام، وأمّا معاوية فكان كافراً في ذلك الوقت غير مشاهد للحال، صغيراً، ولم يحدث عن النبي...^(٣)

وقال ابن كثير:... فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء، ولم يكن مستعظماً، ولما بادرت قريش إلى تكذيبه، ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم، وأيضاً فإن «العبد» عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال: «أسرى بعبده ليلاً»...^(٤)

و يجري مجرى قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) ما في سورة النجم، فقوله تعالى: (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (النجم/ ١٧- ١٨) لا يتفق مع الرؤيا، بل الآية في سياق الامتتان وبيان آيات ربّه الكبرى، أمّا الرؤيا فهي نحو من التخيل يتفق للصالح والطالح ولا منزلة للرسول في القول بهذا.

١ . الدر المنثور ٤: ١٥٧. وفي تفسير الطبري ١٥: ١٣ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كانت رؤيا من الله صادقة!

٢ . تفسير القرطبي ١٠: ٢٠٩ سورة الإسراء الآية ١.

٣ . المحرر الوجيز ٣: ٤٣٥، وانظر: تفسير الثعالبي ٢: ٢٤٨.

٤ . تفسير ابن كثير ٣: ٢٣ سورة الإسراء آية ١.

هذا و يمكن إجابة كلّ التساؤلات والتشكيكات بأنّ الأمر كان معجزةً، والمعجزة لا تدركها العقول البسيطة، فهي من قبيل إحياء الأموات،

وتبني دليل العصا على ثعبانها، وكولادة عيسى من غير أب، وخروج ناقة صالح من الجبل الأصم، وقوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (النمل: ٤٠) صريحٌ بإحضار (من عنده علم من الكتاب) لعرش بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في مقدار لمح البصر، وهو يشبه ما قاله سبحانه عن الرياح وأنها كانت تسير بسليمان (عُدُّوْهَا شُهْرًا وَرَوَاْحُهَا شَهْرٌ) (سبأ: ١٢) في لحظة واحدة، إلى غيرها من عشرات بل مئات الموارد.

إذا رسالة الإسلام هي رسالة الغيب والإيمان بما خلق الله من الجن والملك والروح... والمسلم هو الذي يسلم بالغيب ويؤمن به لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ٣).

فلو كان معراج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة واحدة ممتنعاً لكان القول بنزول آدم من الجنة وإصعاد عيسى إلى السماء ممتنعاً، بل لسرى الشك في المعجزات لأنها في أصلها خرقٌ للقوانين المادية. وعليه فهذه الرؤية طرحت لبذر الشك في قلوب المؤمنين من قبل (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) (المائدة/٥٢، التوبة/١٢٥، الأنفال/٤٩) أو (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (النحل/٢٢) في حين أنّ رسالة السماء معناها الغيب والماورائيات وهي تتفق مع الإسراء وما جاء فيه، وهذا لا تدركه عقول هؤلاء من الامتحان الإلهي الذي سنّ ليمحص الله به المؤمنين ويميزهم عن الكافر بين والمنافقين.

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أنّ الشجرة ملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾

فلو كان معراج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة واحدة ممتنعاً لكان القول بنزول آدم من الجنة وإصعاد عيسى إلى السماء ممتنعاً، بل لسرى الشك في المعجزات لأنها في أصلها خرقٌ للقوانين المادية.

وعليه فهذه الرؤية طرحت لبذر الشك في قلوب المؤمنين من قبل (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) (المائدة/٥٢، التوبة/١٢٥، الأنفال/٤٩) أو (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (النحل/٢٢) في حين أنّ رسالة السماء معناها الغيب والماورائيات وهي تتفق مع الإسراء وما جاء فيه، وهذا لا تدركه عقول هؤلاء من الامتحان الإلهي الذي سنّ ليمحص الله به المؤمنين ويميزهم عن الكافر بين والمنافقين.

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أنّ الشجرة ملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أنّ الشجرة ملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أنّ الشجرة ملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أنّ الشجرة ملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أنّ الشجرة ملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أنّ الشجرة ملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أنّ الشجرة ملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أنّ الشجرة ملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أنّ الشجرة ملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أنّ الشجرة ملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾

الصفات/٦٢ - ٦٣)، بأنّ هذا الاحتمال بعيد جدًا لأنّه جلّ شأنه لم يلعبها في موضع من القرآن الكريم، ولو كان مجرد كونها شجرةً تخرج من أصل الجحيم سببًا موجبًا للعنّها في القرآن الكريم لكانت النار وما أعدّ الله فيها من العذاب ملعونةً وهذا ما لم يقله أحد، وكان ملائكة العذاب - الذين قال عنهم جلّ شأنه: (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) (المدثر/٣١) - ملعونين، في حين نراه سبحانه قد أثني عليهم بقوله: (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحریم/٦).

ولو صحّ هذا الاحتمال لكانت أيدي المؤمنين ملعونة كذلك؛ لقوله: (اتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ) (التوبة/١٤).

ومثله حال بقية المعاذير التي ذكرها مفسرو أهل السنة والجماعة للتخلّص من كيفية صحّة لعن الشجرة، ومحاولتهم صرف الآية الكريمة عن لعن شجرة بني أمية^(١).

و إنك لو تدبّرت في تفسير قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) لعرفت أنّ المقصود منها بنو أمية؛ لمّا فعلوه من قبيح الأعمال، ولا يصحّ ما قالوه بأنّ المعنيّ من الرؤيا هي الإسراء وغيره من الأفكار الفاسدة.

وبهذا فقد عرفت أنّ جهلهم بالأمر الغيبية ومكانة الرسول لم يكن عن قصور أو تقصير بدويين، بل إنّ جذوره ترجع إلى خلفيات هي أعمق ممّا قالوه بكثير.

١ . انظر: على سبيل المثال تفسير الميزان ١٣: ١٤١ - ١٤٣ ففيه جواب تلك المعاذير المطروحة.

مع الرسول ورؤياه:

قال الالوسي في تفسير آية الرؤيا: ... وأخرج ابن جرير، عن سهل بن سعد، قال: «رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فسأه ذلك، فما استجمع ضاحكا حتى مات عليه الصلاة والسلام، وأنزل الله تعالى هذه الآية: (وما جعلنا الرؤيا) وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر عن سعيد بن المسيب، قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بني أمية على المنابر فسأه ذلك، فأوحى الله إليه: إنما هي دنيا أعطوها، فقرت عينه، وذلك قوله تعالى: «وما جعلنا»... الخ.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن يعلى بن مرة، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت بني أمية على منابر الأرض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء، واهتم عليه الصلاة والسلام لذلك، فأنزل الله سبحانه: «وما جعلنا»... الآية»

وأخرج عن ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «رأيت ولد الحکم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة، وأنزل الله تعالى في ذلك «وما جعلنا»... الخ، والشجرة الملعونة الحكم وولده» وفي عبارة بعض المفسرين: هي بنو أمية.

وأخرج ابن مردويه، عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنها قالت لمروان بن الحكم: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة في القرآن».

فعلی هذا معنى إحاطته تعالى بالناس إحاطة أقداره بهم، والكلام على ما قيل على حذف مضاف، أي «وما جعلنا تعبير الرؤيا» أو الرؤيا فيه مجاز عن تعبيرها، ومعنى جعل ذلك فتنة للناس جعله بلاء لهم ومختبرا، وبذلك فسره ابن المسيب.

وكان هذا بالنسبة إلى خلفائهم الذين فعلوا ما فعلوا، وعدلوا عن سنن الحق وما عدلوا، وما بعده بالنسبة إلى ما عدا خلفاءهم منهم، ممن كان عندهم عاملاً وللخبائث عاملاً، أو ممن كان من أعوانهم كيفما كان. ويحتمل أن يكون المراد «ما جعلنا خلافتهم وما جعلناهم أنفسهم إلا فتنة»، وفيه من المبالغة في ذمهم ما فيه. وجعل ضمير «نُخوْفُهُم» على

هذا لما كان له أولاً، أو للشجرة باعتبار أن المراد بها بنو أمية ولعنهم لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة، والفروج المحصنة، وأخذ الأموال من غير حلها ومنع الحقوق عن أهلها، وتبديل الأحكام، والحكم بغير ما أنزل الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام، إلى غير ذلك من القبائح العظام والمخازي الجسام التي لا تكاد تُنسى ما دامت الليالي والأيام.

وجاء لعنهم في القرآن، إما على الخصوص كما زعمته الشيعة، أو على العموم كما نقول، فقد قال سبحانه وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) وقال عز وجل: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) إلى آيات أخر، ودخولهم في عموم ذلك يكاد يكون دخولاً أولياً^(١)، انتهى موضع الحاجة من كلام الألوسي.

وقال القرطبي في تفسيره: «فنزلت الآية مخبرة أن ذلك من تملكهم وصعودهم [أي نزوهم على منبره نزو القردة] يجعلها الله فتنة للناس وامتحاناً، وقرأ الحسن بن علي في خطبته في شأن بيعته لمعاوية: «وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين». قال ابن عطية: وفي هذا التأويل نظر، ولا يدخل في هذه الرؤيا، عثمان، ولا عمر بن عبد العزيز، ولا معاوية»^(٢).

وعليه فلا يصح ما قالوه من تكلفات في كلمة الرؤيا والشجرة الملعونة في الآية، مع وضوح أن الملعونين في القرآن هم جند إبليس واليهود، والمشركون، والمنافقون، والذين ماتوا وهم كفار، والذين يكتُمون ما أنزل الله، والذين يؤذون الله ورسوله وغيرها لا شجرة الزقوم ولا غيرها من التأويلات التي صيغت بأخرة لإبعاد الآية الكريمة عن معناها الحقيقي^(٣).

١ . تفسير روح المعاني ١٥ : ١٠٧ - ١٠٨ ، هذا ومن المفيد الرجوع إلى التفسير الكبير للرازي ٢٠ : ٢٣٦ - ٢٣٧ لملاحظة سائر الأقوال في الآية المباركة.

٢ . تفسير القرطبي ١٠ : ٢٨٣ سورة الاسراء.

٣ . وللتأكيد انظر: كتاب المأمون العباسي في تاريخ الطبري ١٠ : ٥٧ - ٥٨ حتى تقف على الفهم السائد في القرون الأولى بالنسبة للشجرة الملعونة وأنها تعني بني أمية وأن أهل البيت هم العترة - والكتاب طويل نأخذ من قوله :-... فجعلهم الله أهل بيت الرحمة وأهل بيت الدين، أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ومعدن الحكمة، وورثة النبوة، وموضع الخلافة، وأوجب لهم الفضيلة، وألزم العباد لهم الطاعة، وكان ممن عانده وناذره وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر، والسواد الأعظم، يتلقونه بالكذب والتثريب، ويقصدونه بالأذى والتخويف، و يبادونه بالعداوة، و ينصبون

المجتهدون الأوائل ودورهم في التشريع

أبانت دراساتنا السابقة عن (وضوء النبي) و (منع تدوين الحديث) و (تاريخ الحديث النبوي الشريف)^(١) بروز نهجين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان موجودين في حياته: أحدهما: يتخذ المواقف من خلال الأصول، و يتبع القرآن والسنة، ولا يرتضي الرأي والاجتهاد مع وجود النص. والآخر: يتخذ الأصول من خلال مواقف الصحابة و إن خالفت النص، فهو لاء يشرعون الرأي و يأخذون به مقابل النص، و يتعاملون مع رسول الله كأه بشر غير كامل يصيب و يخطئ و يسب و يلعن ثم يطلب المغفرة للملعونين^(٢)، أو أنه صلى الله عليه وآله خفي عليه أمر الوحي حتى أخبره ورقة بن نوفل بذلك! وهذا يخالف ما ثبت من أن خاتم النبوة كان مكتوبا على كتفه.

له المحاربة، و يصدون عنه من قصده، و ينالون بالتعذيب من أتبعه، وأشدّهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة، وأولهم في كل حرب ومناصب، لا يرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كل مواطن الحرب من بدر، وأحد، والخندق، والفتح: أبو سفيان بن حرب، وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله، ثم الملعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن وعدة مواضع؛ لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم، ونفاقهم، وكفر أحلامهم، فحارب مجاهدا، ودافع مكابدا، وأقام منابذا حتى قهره السيف، وعلا أمر الله وهم كارهون، فتقول بالإسلام غير منطوق عليه، وأسر الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك رسول الله والمسلمون وميز له المؤلفة قلوبهم فقبله، وولده على علم منه، مما لعنهم الله به على لسان نبيه وأنزل به كتابا قوله: «والشجرة الملعونة في القرآن ونحو فهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا» ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية، ومنه قول الرسول عليه السلام وقد رآه مقبلا على حمار، ومعاوية يقود به، و يزيد ابنه يسوق به: لعن الله القائد، والراكب، والسائق...

- ١ . طبع سابقا في مجلة تراثنا (الأعداد ٥٣ - ٦٠) تحت عنوان (السنة بعد الرسول).
- ٢ . صحيح البخاري ٨: ٤٣٥ / كتاب الدعوات، باب ٧٣٦، ح ١٢٣٠ سورة الإسراء، مسند أحمد ٢: ٣١٦ - ٣١٧، ٤١٩، و ج ٣: ٤٠.

وبين هؤلاء من رفع صوته - في ممارساته اليومية - فوق صوت النبي، واعترض على رسول الله في أعماله^(١)، وتعرّف المصلحة وهو بحضرتة صلى الله عليه وآله، وتنزّه في أمرٍ رخص فيه، أو تزهد في أمر نهى عنه.

فجاء في كتاب الآداب من صحيح البخاري أنّ النبي رخص في أمر
فتنزه عنه

ناس، فبلغ النبي فغضب ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم وأشدّهم خشية^(٢).

وفي خبر آخر: أخبر رسول الله أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: والله

لأصومنّ النهار ولأقومنّ الليل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت الذي تقول: «لأصومنّ النهار ولأقومنّ الليل ما عشت»؟! قال: قد قلت ذلك يا رسول الله.

فقال رسول الله: إنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر، ونم وقم، وصم

من الشهر ثلاثة أيام، فإنّ الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر.

قال، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك.

فقال صلى الله عليه وآله: فصم يوماً وأفطر يومين.

قال: قلت: إني أطيق أفضل من ذلك.

فقال: قال: فصم يوماً وأفطر يوماً، فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام.

فقلت: أطيق أفضل من ذلك.

فقال النبي: لا أفضل من ذلك^(٣).

إن مثل هذا التحكيم للرأي الشخصي في مقابل قول رسول الله صلى الله عليه وآله يحمل في طياته مخاطر عديدة، ويفتح مسارات

١ . كاعتراض عمر بن الخطاب على رسول الله لما أراد أن يصلّي على المنافق، وقوله له: أتصلّي عليه وهو منافق؟! وإنكاره على رسول الله فعله في أخذ الفداء من أسرى بدر وغيرها. انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عمر.

٢ . انظر: صحيح البخاري ٨: ٣٥٣ كتاب الدوب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ح ٩٧٩.

٣ . انظر: صحيح البخاري ٣: ٩١ كتاب الصوم، باب صوم الدهر، ح ٢٣٣.

للتحريف والتبديل، ومن شأنه أن يحول الدين الإلهي إلى دين مشوب بأراء الناس ووجهات نظرهم الشخصية، وهو يجرّ من ثمّ إلى تجزئ الدين والى النزعة التلقينية في الشريعة، ومن هنا ظهرت في الصدر الأوّل وما بعده الأحكام المبتدعة والأهواء المتبعة التي ليست من دين الله في شيء، ولا تمت إلى الحياة الإسلامية النزيهة بصلّة، وهو الذي كان رسول الله يتخوف على أمته منه. وقد صرّح الإمام عليّ في خطبة له بأنّه لو أتاحت له الفرصة لأرجع بعض الأمور إلى أصلها، فقال: (... وإنّما بدءٌ وقوع الفتن أهواء تتبّع وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولّى فيها رجالٌ رجالاً... إلى أن يقول:.. أرايتم لو أمرت بمقام إبراهيم فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة، ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد^(١)، ورددت قضايا من الجور قضي بها^(٢)، ونزعت نساء تحت رجال بغير حقّ فرددتهن إلى أزواجهن^(٣) واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأحكام، وسببت ذراري بني تغلب^(٤)، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا^(٥)، وأعطيت كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي بالسويّة، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء. وألقيت المساحة^(٦)، وسويّت بين المناكح^(٧)، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل

١ . كأنهم غضبوا وأدخلوها في المسجد.

٢ . كقضاء عمر بالعدل والتعصيب في الإرث وسواهما.

٣ . كمن طلق زوجته بغير شهود وعلى غير طهر، وقد يكون فيه إشارة إلى قوله بعد بيعته: ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به. إلخ، وانظر: نهج البلاغة ١: ٤٢ خ ١٤.

٤ . لأنّ عمر رفع الجزية عنهم فهم ليسوا بأهل ذمّة، فيحلّ سبي ذراريهم، قال محيي السنّة البغدويّ: روي أنّ عمر بن الخطّاب رام نصارى العرب على الجزية، فقالوا: نحن عرب لا نوّدي ما يوّدي العجم، ولكن خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض، بعنوان الصدقة. فقال عمر: هذا فرض الله على المسلمين. قالوا: فرد ما شئت بهذا الاسم لا باسم الجزية، فراضاهم على أن ضعّف عليهم الصدقة.

٥ . إشارة إلى ما ذهب إليه عمر من وضعه الخراج على أرباب الزراعة والصناعة والتجارة لأهل العلم والولاء والجند، بمنزلة الزكاة المفروضة، ودون دواوين فيها أسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء.

٦ . راجع تفصيل هذا الأمر في كتاب الشافي للسيد المرتضى.

عزَّ وجلَّ وفرضه^(٢)، ورددت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما كان عليه^(٣)، وسددت ما فُتِح فيه من الأبواب^(٤)، وفتحت ما سُدَّ منه، وحرّمت المسح على الخفين^(٥)، وحدّدت على النبيذ، وأمرت بإحلال المُتعتين^(٦)، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات^(٧)، وألزمتُ الناس الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم^(٨)، وأخرجت من أدخل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده ممّن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجته، وأدخلت من أخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ممّن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أدخله^(٩)، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة^(١٠)، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها^(١١)، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها^(١٢)، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم^(١٣)، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله.. إذن لتفرّقوا عني^(١٤).

- ١ . ربّما كان إشارة إلى ما ذهب إليه عمر من منع غير القرشيّ الزواج من القرشيّة، ومنعه العجم من التزوّج من العرب.
- ٢ . إشارة إلى منع عمر أهل البيت خمسهم.
- ٣ . يعني أخرجت منه ما زاده عليه غضبا.
- ٤ . إشارة إلى ما نزل به جبرئيل من الله تعالى بسدّ الأبواب المفضية إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا باب عليّ.
- ٥ . إشارة إلى ما أجازته عمر في المسح على الخفين، ومخالفة عائشة وابن عباس وعليّ وغيرهم له في هذا الصدد.
- ٦ . يعني متعة النساء ومتعة الحجّ.
- ٧ . لما كبر النبيّ صلى الله عليه وآله خمسا في رواية حذيفة وزيد بن أرقم وغيرهما.
- ٨ . والجهر بالبسملة ممّا ثبت قطعا عن النبيّ صلى الله عليه وآله في صلاته، وروى الصحابة في ذلك آثارا صحيحة مستفيضة متظافرة.
- ٩ . يحتمل أن يكون المراد إشارة إلى الصحابة المخالفين الذين أخرجوا بعد رسول الله من المسجد في حين كانوا مقرّبين عند النبيّ صلى الله عليه وآله، وكذا إنّه عليه السلام يخرج من أخرجته رسول الله صلى الله عليه وآله، كالحكم بن العاص وغيره.
- ١٠ . ينظر عليه السلام إلى الاجتهادات المخالفة للقرآن وما قالوه في الطلاق ثلاثا.
- ١١ . أي من أجناسها التسعة، وهي: الدنانير والدرهم والحنطة والشعير والتمر والزبيب والإبل والغنم والبقر.
- ١٢ . وذلك لمخالفتهم هذه الأحكام. وقد أوضحنا حكم الوضوء منه في كتابنا (وضوء النبيّ) فراجع، نأمل أن نوفّق في الكتابة عن الغسل والصلاة وغيرها من الأحكام الشرعية التي أشار الإمام علي بن أبي طالب إلى التحريف والابتداع فيها إن شاء الله تعالى.
- ١٣ . وهم الذين أجلاهم عمر عن مواطنهم.
- ١٤ . الكافي ٨: ٥٨، الروضة ح ٢١.

وقد أعلن الأئمة من آل البيت عليهم السلام أنهم كانوا يتبعون النصوص ولا يرتضون الرأي..

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لجابر: والله يا جابر لو كنا نُفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكننا نُفتيهم بأثارٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وأصول علمٍ عندنا، نتوارثها كابرا عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهابهم وفضلتهم^(١).

وسأل رجلُ الإمام الصادق عليه السلام عن مسألةٍ فأجابها فيها، فقال الرجل: رأيت إن كان كذا وكذا، ما يكون القول فيها؟ فقال له: مه! ما أجبتك فيه شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله، لسنا من «أرأيت» في شيء^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: ما أحدٌ أكذب على الله وعلى رسوله ممن كذبنا أهل البيت أو كذب علينا؛ لأننا إنما نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الله. فإذا كُذِّبنا فقد كُذِّب الله ورسوله^(٣). وقال: لو أننا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا، ولكننا حدثنا ببيئتنا ربنا بيئتنا لنبيِّه فبيئتنا لنا^(٤).

وعن أبي بصير، قال: قلت للصادق: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة، فننظر فيها؟ قال: لا، أما إنك إن أصبت لم تُوجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل^(٥).

نعم، إن نهج الاجتهاد كان له دعاة وأتباع استمدوا جذورهم من مصر غير مصر التعبد والتسليم، وهو أقرب إلى ما عرفوه في الجاهلية مما عرفوه في

١ . بصائر الدرجات: ٣٠٠ ح ٤ والنص عنه، و ٢٩٩ ح ١ .

٢ . الكافي ١: ٥٨ . كتاب فضل العلم باب البدع والرأي والمقاييس ح ٢١ .

٣ . جامع أحاديث الشيعة ١: ١٨١ . باب حجية فتوى الأئمة المعصومين، ح ١١٤ .

٤ . بصائر الدرجات: ٢٩٩ ح ٢ وانظر: ٣٠١ ح ١ .

٥ . الكافي ١: ٥٦ . كتاب فضل العلم باب البدع والرأي ح ١١ .

الإسلام ولام وك
لهؤلاء وجود ملحوظ أيضا في صدر الإسلام، فقد اقترح بعض المشركين
على رسول الله أن يبدل بعض الأحكام الشرعية وهو صلى الله عليه وآله
يقول: (مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى
إِلَيَّ) (يونس/١٥)

وقد أثبتنا سابقا أن عمر بن الخطاب كان من المجتهدين الأوائل الذين
تعرفوا المصلحة وهم بحضرة الرسول المصطفى، فأنكر عليه أخذَه الفداء
من أسارى بدر^(١)، واعترض عليه صلى الله عليه وآله في صلاته على
المنافق^(٢)، وواجه النبي بلسان حاد في صلح الحديبية^(٣)، وطالب النبي أن
يزداد علما إلى علمه وأن يستفيد من مكتوبات اليهود في الشريعة^(٤) وقال
لرسول الله في مرض موته: (إنه ليَهْجُرُ) أو غَلَبَه الوجع^(٥)!

-
- ١ . شرح نهج البلاغة لأبني أبي الحديد ١١ - ١٢ : ١٢ / ١٢ ، ٨٢ ، باب نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه.
 - ٢ . صحيح مسلم ٤ : ١٨٦٥ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر ح ٢٥ و ١ : ٢١٤١ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ح ٣.
 - ٣ . صحيح البخاري ٤ / ٣٨١ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، ح ٩٣٢.
 - ٤ . المصنّف لعبد الرزاق ١٠ : ٣١٣ كتاب أهل الكتابين، باب هل يسأل أهل اليهود بشيء / ح ١٩٢١٣ ، مجمع الزوائد ١ : ١٧٤ باب ليس لاحد قول مع رسول الله ٩.
 - ٥ . صحيح البخاري ١ : ٣٩ كتاب العلم، باب ٨٢ ، ح ١١٢ ، صحيح مسلم ٣ : ١٢٥٧ ، ١٢٥٩ ، كتاب الوصية باب ترك الوصية...

المجتهدون الأوائل والأذان!

والآن لنرَ موقف عمر بن الخطاب وموقف غيره من المجتهدين في الأذان،

وأهلؤلاء دور في هذا التغيير، أم تقع تبعات التحريف على اللاحقين من بني أمية

وبني العباس وغيرهم من المتأخرين حسب تعبير الصنعاني^(١)؟

إنّ النصوص السابقة أوقفنا على وجود اتجاه في الصحابة وموقف من الأذان يقترح على الرسول أن يتخذ ناقوساً مثل ناقوس النصارى، أو بوقاً مثل بوق اليهود، فيستاء رسول الله من هذا ويغتم لاقتراحات هذا الاتجاه من الصحابة الذين وصل الأمر بهم إلى أن يقترحوا على الرسول المصطفى إدخال بعض أحكام وأفكار شريعتي موسى أو عيسى المحرقتين في منهج الإسلام، وكأنّ أطروحة الإسلام غير قادرة على أن تقي بالأعباء؛ فقد روى عن عمر أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله «يا رسول الله إنني مررتُ بأخ لي من يهود فكتب لي جوامع من التوراة، أفلا أعرضها عليك؟ فتغيّر وجه رسول الله.

فقال عمر: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، فسُرّي

عن النبي

ثم قال صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده، لو أصبح فيكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتكم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين»^(٢).

فهؤلاء المجتهدون في الصدر الأوّل كانوا يتعاملون مع الأحكام وفق

ما عرفوه

من الشرائع السابقة، وكانوا يتصورون بأنّ الأمر بيدهم يفعلون ما

يشؤون، فكأنوا

١ . انظر: كلامه المتقدم في صفحة ٢٣ من هذه الدراسة. قال النووي في شرحه على صحيح مسلم وبعد أن أتى بخبر عبد الله بن زيد قال: ... فيكون الواقع الاعلام أولاً ثم رأى عبد الله بن زيد الأذان فشرعه النبي بعد ذلك اما بوحى واما باجتهاده صلى الله عليه وآله على مذهب الجمهور في جواز الاجتهاد الاجتهاد له صلى الله عليه وآله وليس هو عملاً بمجرد إتمام هذا ما لا يشك فيه بلا خلاف والله اعلم.

٢ . المصنّف لعبدالرزاق ١٠: ٣١٣ رقم ١٩٢١٣، مجمع الزوائد ١: ١٧٤ وفيه: يا رسول الله، جوامع من التوراة أخذتها مع أخ لي من بني زُرّيق، فتغيّر وجه رسول الله...

هم الذين اقترحوا على رسول الله البوق، الناقوس «فنفسوا أو كادوا أن ينفسوا» حتى رأى عبد الله بن زيد أو غيره في المنام....

إذا فكرة كون تشرّيع الأذان كان بـ«رؤيا» جاءت من قبل الصحابة المجتهدين، ثم تطوّرت حتى وصل بها الأمر إلى ما وصل لاحقا، وهذا ما يجب الوقوف عليه في مطاوي بحوثنا..

إذ جاء عن كثير بن مرة الحضرمي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أول من أذن في السماء جبرئيل عليه السلام، قال: فسمعه عمر وبلال، فأقبل عمر فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما سمع، ثمّ أقبل بلال فأخبر النبي بما سمع، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سبقك عمر يا بلال....

أو قول ابن عمر: إنّ بلالاً كان يقول أول ما أذن: «أشهد أن لا إله إلا الله، حـ»
على الصلاة»، فقال له عمر: قل في أثرها «أشهد أنّ محمّدا رسول الله»....

نعم إنهم رفعوا بضبع الصحابة الحالمين الرائيين للأذان إلى مرتبة النبوة والمعانيمة
الْحَقِيقِيَّة حَتَّى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَبِينُ يَقْظَانُ وَنَائِمٌ»، وَفِي آخِرِ:

«لقلت: إني كنت يقظانا غير نائم»، وبعكس ذلك نراهم يحطّون من منزلة النبي صلى الله عليه وآله عن المعايمة الحقيقية في المعراج - «دَنَا قَتْدَلِي فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» - إلى مرتبة التشكيك، مستخدمين العبارة نفسها «بين النائم واليقظان»، ورووا ذلك في الصحيح!!

ففي صحيح مسلم بسنده عن قتادة، عن أنس بن مالك - لعنه قال: عن مالك

بن صعصعة (رجل من قومه)، قال - قال نبي الله صلى الله عليه وآله: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان....

ثم أتيت بدابة أبيض يقال له البُراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه عند أقصى طرفه، فحُمِلْتُ عليه، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا.... ثم سرد قصة المعراج^(١).

بل في رواية شريك في حديثه عن أنس التصريح بأنه صلى الله عليه وآله كان نائماً. قال: «وهو نائم بالمسجد الحرام» وذكر القصة الواردة ليلة الإسراء، ثم قال في آخرها: «استيقظت» - أي انتبهت - من منامي وأنا في المسجد الحرام^(٢).
قال الصالحى الشامي: وهذا المذهب يعزى إلى معاوية بن أبي سفيان ... ويعزى أيضا إلى عائشة^(٣).

بل صرَّح إمام الشافعية القاضي أبو العباس بن سريج بوضع هذا الحديث على عائشة فقال: هذا حديث لا يصحَّ وإنما وُضِعَ ردًّا للحديث الصحيح^(٤).

ترى من الواضع؟

وما غرضه من التحريف في مقابل ما أصيل؟
ولماذا جَحَدُ منزلة النبي صلى الله عليه وآله ومحاولة جعل القضية مناما عادياً؟

ولماذا يختص ذلك بمعاوية وعائشة؟!

وهل يكمن في ذلك إنكارٌ مُبْطِنٌ لرؤيا النبي بني أمية - أو تيمنا وعدياً - يردون الناس عن الإسلام القهقري؟!^(٥) إذ ليس في الرؤيا المنامية كبير أمر ولا كثير طائل، وإذا كان المعراج رؤيا فلماذا لم يَرَهَا الآخرون كما رأى الأذان سبعة أو أربعة عشر أو عشرون شخصاً؟! لكي لا يكذب المشركون النبي صلى الله عليه وآله أو لكي لا يرتدَّ من أسلم من المسلمين؟ ألم يقولوا مثل هذا التعليل في سرِّ رؤى الصحابة للأذان؟!

١ . صحيح مسلم ١: ١٥٠، باب الإسراء من كتاب الإيمان - ح ٢٦٤ . وانظر: مثله في صحيح

البخاري ٤: ٥٤٩، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، ح ١٣٧١ .

٢ . سبل الهدى والرشاد ٣: ٦٩ والنص عنه. وانظر: رواية شريك في صحيح البخاري ٩: ٨٢٤ -

٨٢٦ / كتاب التوحيد / باب قوله «وكلم الله موسى تكليماً» / ح ٢٣١٦، وانظر: صحيح مسلم ١:

١٤٨ ح ٢٦٢ / كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله.

٣ . سبل الهدى والرشاد ٣: ٦٩ .

٤ . سبل الهدى والرشاد ٣: ٧٠، نقلاً عن المعارج الصغير لابن الخطاب بن دحية.

٥ . الكافي ٨: ٣٤٣ - ٣٤٥ باب رؤيا النبي صلى الله عليه وآله.

فهذه النصوص ترفع هؤلاء إلى السماء وتجعلهم قرب الوحي،
وتحاول إنزال مقامات النبي صلى الله عليه وآله في المعراج إلى حدّ الرؤيا العادية، فنحن
لو لاحظنا دور المجتهدين في الشريعة ووقفنا على اجتهادات الصحابة
واقترحاتهم على رسول الله في الأذان وغيرها، وعرفنا الدواعي التي
دفعت بعمر بن الخطاب أن يرفع (حيّ على خير العمل) أو يضع (الصلاة
خير من النوم) في الأذان لآمنّا بأن الشرارة الأولى لهذا التحريف جاءت
من قبل هذا القسم من الصحابة، وأن فكرة كون الأذان رؤيا تتفق مع فكر
هذا الصنف لا المتعبدين، وذلك لاجتهادهم وعدم تعبدهم بالنصوص.
ونظرة هؤلاء تختلف عن نظرة أهل البيت إلى الشريعة والإسراء
والمعراج وغيرها.

الأمويون والأذان

لقد تطوّرت فكرة الرؤيا وما جاء في تشريع الأذان في العهد الأموي
وتتطورت أطرت
بإطارها الخاص؛ إذ لو جمعنا القرائن والشواهد لعرفنا بأن معاوية ومن
بعده ده هـ
الذين تبنوا هذه الفكرة وأنهم كانوا قد سعوا لتثقيف الناس حسبما يريدونه،
وهو ذأما
نلاحظه في نصوص الأذان بعد الإمام عليّ عليه السلام، إذ لم يشر عليّ
عليه السلام إلى هذا التضاد في الأذان في ما رواه عن النبيّ، بل لم يردنا
خبرٌ صريحٌ في تكذيب الروايات المدّعية لثبوت تشريع الأذان بالرؤيا
قبل الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام.
فأول ما تطالعنا النصوص بهذا الصدد هو كلام سفيان بن الليل حينما
قال دم ع
الإمام الحسن بعد الصلح، قال: فتذاكرنا عنده الأذان فقال بعضنا: إنّما كان
بـ
الأذان برؤيا عبد الله بن زيد.

فقال له الحسن بن عليّ: إنّ شأن الأذان أعظم من ذلك، أذن جبرئيل..
وهذا يرشدنا إلى تذاكر المسلمين في أمر الأذان بعد الصلح لقوله (لما
كان من أمر الحسن بن عليّ ومعاوية ما كان قدمت المدينة وهو جالس
في أصحابه).
فبعضهم في هذا الخبر يقول: (إنّما كان بدء الأذان برؤيا عبد الله)،
لك ن الإمام
الحسن عليه السلام صحّح رؤيتهم الخاطئة قائلاً: إن شأن الأذان أعظم من
ذلك.

ونحن لو واصلنا السير التاريخي وانتقلنا من خبر الإمام الحسن إلى ما
جاء عـ
الإمام الحسين وأنه سئل عمّا يقول الناس؟ فقال عليه السلام: «الوحي
ينزل على نبيكم، وتزعمون أنّه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد»؛ لعرفنا

استمرار هذا النزاع بين الناس وأهل البيت في كيفية نشوء وبدء تشريع الأذان.

وقد مر عليك كلام أبي العلاء سابقا حيث قال: قلت لمحمد بن الحنفية:

إنني
لنتحدث أنّ بدء الأذان كان من رؤيا رآها رجل من الانصار في منامه.
قال: ففزع لذلك محمد ابن الحنفية فزعا شديدا وقال: عمدتم إلى ما هو
الاصـ

ل
في شرائع الإسلام ومعالم دينكم فزعمتم أنّه إنّما كان رؤيا رآها رجل من
الأنصار في منامه يحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث أحلام.

قال: فقلت: هذا الحديث قد استفاض في الناس؟

قال: هذا والله هو الباطل...

فبدء النزاع العلني وانتشاره كان في زمن معاوية بعد صلح الإمام
الحسن،

وفزع محمد بن الحنفية الفرع الشديد، وإخبارهم إياه باستفاضة هذا
الحـ

ديث،
ليدلّان على أنّ وضع تلك الأحاديث الأذانية أو بدء انتشارها كان في
زمن معاوية

بن أبي سفيان، الذي كان حسّاسا إلى درجة كبيرة من ذكر النبي
صلى الله عليه وآله، إذ كيف يُقرن اسم بشر «محمد» باسم ربّ العالمين
«الله»؟! (1) مع أنّ كلّ الأنبياء الذين جاؤوا بشرائع سابقة لم يقرن اسم
أحدهم باسم رب العزة في إعلامهم للطقوس الدينية، بل كان الناقوس
والبوق والشبّور.

إذن لم يكن معنىً - بنظر معاوية - لمقارنة اسم النبيّ لاسم الربّ في
السماء وفي المعراج، بل يكفي بذلك أن يكون مناما، أو اقتراحا من عمر،
أو....

وعلى ذلك فلا ضير إذن في الزيادة أو الحذف في الأذان، فلنك أن
تحـ

ذف «حـ
على خير العمل» كما فعل عمر وتضع موضعها «الصلاة خير من
النوم»، ولـ

تفرد الإقامة ولا تنبئها «لحاجة لهم»، ولك أن تزيد النداء الثالث يوم الجمعة،

ووو... إلى آخر هذه الاجتهادات، إن كان لها آخر.

ومن هذا الباب كان معاوية أول من أفشى مقولة التثويب الثاني، وهي

دعوة

المؤذن للخليفة أو الأمير - لكثرة مشاغله - إلى الصلاة بقوله «السلام على أمير المؤمنين، الصلاة الصلاة رحمك الله»، وسار المغيرة بن شعبه على نهج معاوية في هذا أيضا، بل قيل إنه أول من فعل ذلك.

ولكن صرح الأعلام بأن معاوية كان أول من أحدث هذا، وتبعه

المغيرة بـ

شعبة ومن هذا حذوه^(١).

فشاع الأمر واستفاض، وصار كأنه حقيقة لا مناص عن الإذعان لها -

مع أن الحقيقة الإسلامية هي شيء آخر - وراحت أصداء هذا الحدث

الأذاني تمتد وتمتد إلى العصر العباسي، ومنه وصلت إلى يومنا الحاضر.

روى عبد الصمد بن بشير، قال: ذكر عند أبي عبد الله [الصادق]

بدء الأذان فقيل: إن رجلاً من الأنصار رأى في منامه الأذان، فقصه

على رسول الله فأمره رسول الله أن يعلمه بلالاً، فقال أبو عبد الله:

كذبوا، إن رسول الله كان نائماً في ظل الكعبة فأتاه جبرئيل ومعه

طاس فيه ماء من الجنة^(٢)....

ولو تدبرنا في هذه النصوص وما جاء في تاريخ بني أمية لعرفنا

إمكان

هذه الرؤية مع ما يحملون من أفكار أكثر من غيرهم، لاسيما بعد أن وقفنا

على

تاريخ النزاع وأنه بدأ في عهدهم، وإنك لو تتبعت مجريات الأحداث

لعرفت

بني أمية مع رسالة الإسلام وعدم تطابق مفاهيمهم مع مفاهيم الوحي

ورسول الله،

وأنهم كانوا على طرفي نقيض مع بني هاشم في الجاهلية وفي الإسلام، إذ

١ . انظر: الوسائل إلى معرفة الاوائل، للسيوطي: ٢٦ .

٢ . تفسير العياشي ١: ١٥٧، ح ٥٣٠ .

التزم بنو هاشم بني هاشم الذين لم يفارقوا الرسول في جاهلية
ولا إسلام.
فقد قال رسول الله عن بني هاشم: «أنا وبنو المطلب لا نفترق في
جاهلية ولا إسلام، وإنما نحن وهم شيء واحد» وشبك بين أصابعه.^(١)
نعم كان الأمر كذلك، فرسول الله كان لا يرتضيهم، وهم لم يدخلوا
الإسلام إلا مكرهين.

١ . سنن أبي داود ٣: ١٤٦ كتاب الخراج والامارة و..، باب في بيان مواضع قسم الخمس.. ح ٢٩٨٠، وانظر: سنن النسائي ٧: ١٣١ كتاب قسم الفيء.

الأمويّون ورسول الله

لقد صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لعن أبا سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية في قنوته^(١) وهم من أقطاب قريش، وفيهم أبو سفيان رأس بني أمية. وصحَّ عنه صلى الله عليه وآله قوله لما أقبل أبو سفيان ومعه معاوية: اللهم العن التابع والمتبوع^(٢).

وفي آخر: اللهم العن القائد والسائق والراكب^(٣)، وكان يزيد بن أبي سفيان معهم. وقوله صلى الله عليه وآله في مروان بن الحكم: اللهم العن الوزغ بن الوزغ^(٤).

فبنو أمية بعد عجزهم عن ردِّ صدور أحاديث اللعن رووا عن أبي هريرة قوله صلى الله عليه وآله: اللهم إني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فأبي المؤمنين أذيتهم، أو شتمتهم، أو لعنتهم أو جلدتهم.. فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقرّبه بها يوم القيامة^(٥)!

ومن المعلوم أنّ هذه الروايات لا تتفق مع أصول الإسلام والسير التاريخي والفكري لرسول الله، وما جاء به من مفاهيم، لأنّه قال: إني لم أبعث لعانا و إنما بعثت رحمة^(٦).

فهو صلى الله عليه وآله لم يكن لعانا في سجيته، ولم يلعن من لم يكن مستحقا للعنة، بل لعن جماعات وأفرادا مخصوصين يستحقون اللعنة من

١ . سنن الترمذي ٥ / ٢٢٧ كتاب تفسير القرآن، باب سورة آل عمران، ح ٣٠٠٤ . الفردوس ١ : ٥٠٣ / ح ٢٠٦٠، انظر: صحيح البخاري ٥ : ٢٠١ كتاب المغازي، باب ١٣٥ / ح ٥٥٦، الإصابة ٢ : ٩٣ ترجمة سهيل بن عمرو بن عبد شمس.
٢ . وقعة صفين: ٢١٧ - ٢١٧، باب ما ورد من الاحاديث في شأن معاوية، وانظر: المحصول للرازي ٢ : ١٦٥ - ١٦٦.
٣ . وقعة صفين: ٢٢٠.
٤ . انظر: تلخيص المستدرك للذهبي ٤ : ٤٧٩.
٥ . صحيح مسلم ٤ : ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨، كتاب البرّ والصلة، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وآله ح ٢٦٠١، مسند أحمد ٢ : ٣١٧.
٦ . صحيح مسلم ٤ : ٢٠٠٧.

الله ورسوله في ضمن ملاكات الأحكام الشرعية والموازن الإلهية، ومثل هذا اللعن والسب والجلد لا معنى لآءن يكون رحمة لصاحبه.

وهؤلاء القوم لم يسلموا إلا ليحققوا دماءهم، بعدما عجزوا عن الوقوف أمام الدعوة وطمس الإسلام فدخلوا الإسلام لتحريف بعض المفاهيم و إبدال مفاهيم أخرى مكانها، وكان ضمن مخططهم التقليل من مكانة الرسول والتعامل معه كإنسان عاديّ يصيب ويخطئ ويسبّ ويلعن، كما كان في مخططهم الاستنقاص من الإمام عليّ، لأنّه كان قد وتر شوكة قريش وسعى لتحطيم سلطانهم.

فقد جاء في كتاب معاوية إلى عماله: «أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدثوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم، واكتبوا إليّ بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته».

«فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله»^(١).

نحن لو تأملنا تاريخ قريش وما فعلته مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بدء الدعوة وقضايا فتح مكّة لوقفنا على خبث الأمويين واستغلالهم لرحمة رسول رب العالمين، فقد اشتهر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه لما سمع قول القائل:

اليوم يوم
الملممة
اليوم تُسبى
الحرمة

قال له صلى الله عليه وآله: لا تُقلّ هذا بل قل:

اليوم يوم
المرحمة
اليوم تحفظ
الحرمة^(٢)

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ : ٤٤ - ٤٥ باب ذكر ما مُني به آل البيت من الأذى والاضطهاد.

٢ . انظر: المبسوط للسرخسي ١٠ : ٣٩ .

وجاء عنه قوله يوم الفتح في أعدى عدوه: «من دخل بيت أبي سفيان
فهو آمن»^(١)، وقوله: «أذهبوا أنتم الطلقاء»^(٢)، لكن قریشا ومع كل هذه
الرحمة كانوا يتعاملون مع الرسالة والرسول بشكل آخر.
قال الواقدي: ... وجاءت الظهر فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بلالاً
أن يؤذن فوق ظهر الكعبة وقریش في رؤوس الجبال، ومنهم من قد تغيب
وستر وجهه خوفاً من أن يُقتلوا، ومنهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد
أمن.
فلما أذن بلال وبلغ إلى قوله «أشهد أن محمداً رسول الله
صلى الله عليه وآله» رفع صوته كأشد ما يكون.
فقالت جويرية بنت أبي جهل: قد لعمرى «رفع لك ذكرك» فأما
الصلاة فسنصلي، ولكن والله لا نحب من قتل الأحبة أبداً، ولقد كان جاء
أبي الذي جاء محمداً من النبوة، فردّها، ولم يُردّ خلاف قومه.
وقال خالد بن سعيد بن العاص: الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يدرك هذا
اليوم.
وقال الحارث بن هشام: واثكلاه، ليتني متّ قبل هذا اليوم، قبل أن
أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة!
وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله الحدث العظيم، أن يصيح عبد
بني جُمح، يصيح بما يصيح به على بيت أبي طلحة.
وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطاً من الله تعالى فسيغيره وإن
كان لله رضا فسيقرّه.
وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول شيئاً، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه
الحصباء، قال: فأتى جبرئيل عليه السلام فأخبره مقالة القوم^(٣).
ولو تأملت في ما رواه لنا العباس في كيفية إسلام أبي سفيان لعرفت
أنه لم يسلم

١ . سنن أبي داود ٣: ١٦٢ كتاب الخراج باب ما جاء في خبر مكة، السنن الكبرى للبيهقي ٩:
١١٨ كتاب السير، باب فتح مكة.
٢ . المبسوط للسرخسي ١٠: ٤٠.
٣ . شرح نهج البلاغة لأبي الحديد ١٧: ٢٨٣ عن الواقدي، وانظر: سبل الهدى والرشاد
١٩٣/٥ رواه عن البيهقي.

عن قناعة و إيمان، إذ قال العباس: غدوت به على رسول الله فلما رآه
قال: ويحك يا أبا سفيان!! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟
قال: بلى، بأبي أنت وأمي، لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً.
فقال: ويحك! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟!
فقال: بأبي أنت وأمي، أما هذه ففي النفس منها شيء.
قال العباس: فقلت له: ويحك! تشهد شهادة الحق قبل أن تضرب
عنقك.

قال: فتشهد^(١).

فهنا يبدو واضحاً أن أبا سفيان كان أكثر بطناً في قبول الشهادة الثانية
م
الأولى، لأنه كان يتصور بأن في الثانية تحطيم غروره وجبروته وموقعه
السياسي

والاجتماعي، وذلك ما لا تعنيه كثيراً الشهادة الأولى بالنسبة له.
وقد ثبت عن أبي سفيان أنه قال للعباس لما رأى نيران المسلمين
وكثرة عددهم: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقال له العباس: ويحك!
إنها النبوة. فقال: نعم إذن.

وظل منظر الفكر القرشي على هذه الوتيرة حتى بعد وفاة النبي
وخلافة الشيخين. فقد روي صاحب «قصص الأنبياء» بإسناده إلى
الصدوق عن بن عباس أنه قال:.. ولقد كنا في محفل فيه أبو سفيان وقد
كُف بصره وفينا عليّ صلوات الله عليه فأذن المؤذن فلما قال: أشهد أن
محمدًا رسول الله، قال أبو سفيان: ها هنا من يحتشم؟ قال واحد من القوم:
لا. فقال: لله در أخي بني هاشم، انظروا أين وضع اسمه؟ فقال عليّ:
اسخن الله عينك يا أبا سفيان، الله فعل ذلك بقوله عز من قائل «ورفعنا لك
ذكرك» فقال أبو سفيان: اسخن الله عين من قال لي ليس ها هنا من
يحتشم^(٢).

بل إن أبا محذورة كان يستحي من الإباحة باسم رسول الله
صلى الله عليه وآله من أهل مكة، إذ جاء في المبسوط للسرخسي - عند بيانه
لسبب الترجيع في الأذان - قوله:... وقيل أن أبا محذورة كان مؤذن مكة،

١ . الكامل في التاريخ ٢: ٢٤٥.

٢ . بحار الأنوار ١٨: ١٠٧، ٣١: ٥٢٣ عن قصص الأنبياء.

فلما انتهى إلى ذكر رسول الله خفض صوته استحياءً من أهل مكة لأنهم لم يعهدوا ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وآله بينهم جهراً، ففرك رسول الله صلى الله عليه وآله أذنه وأمره أن يعود فيرفع صوته ليكون تأديباً له..^(١) نعم ظلت نظرة قریش إلى النبي بعد البعثة مشوبة بهذا المنطق المزعوم مسـ تغلين عطف النبي ورحمته صلى الله عليه وآله، قال الواقدي: فكان سهيل بن عمرو يحدث فيقول: لما دخل محمد صلى الله عليه وآله مكة انقمعت فدخلت بيتي وأغلقت عليّ، وقلت لابني عبد الله بن سهيل: اذهب فاطلب لي جواراً من محمد، فإنني لا آمن أن أقتل، وجعلت أتذكر أثري عنده وعند أصحابه فلا أرى أسوأ أثراً مني؛ فإنني لقيته يوم الحديبية بما لم يلقه أحد به، وكنت الذي كاتبه، مع حضوري بدراً وأحداً، وكلما تحركت قریش كنت فيها. فذهب عبد الله بن سهيل إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله، أبي تؤمنه؟

قال: نعم، هو آمن بأمان الله، فليظهر، ثم التفت إلى من حوله فقال: من لقي سهيل بن عمرو فلا يشدن النظر إليه، ثم قال: قل له: فليخرج، فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام، ولقد رأى ما كان يوضع فيه إن لم يكن له تتابع، فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال سهيل: كان والله برّاً صغيراً وكبيراً. وكان سهيل يقبل و يدبر غير خائف، وخرج إلى خبير مع النبي وهو على شـ ركه حتى أسلم بالجعرانة^(٢)...

هكذا تعامل رسول الله مع المشركين والطلقاء، لكنهم أضمرُوا النفاق للرسول والرسالة فانضوا تحت لوائه كي يغدروا بالإسلام، بل سعوا بكل قواهم لطمسه ودفنه. فقد جاء عن المغيرة أنه طلب من معاوية ترك إيذاء بني هاشم - لما استقر له الأمر - لأنه أبقى لذكره!!... فقال معاوية للمغيرة: هيهات!

١ . المبسوط للسرخسي ١: ١٢٨.

٢ . شرح نهج البلاغة ١٧: ٢٨٤.

هيهات! أيّ ذكر أرجو بقاءه؟! مَلِكٌ أخو تيم فعدل، وفعل ما فعل، فما عدا
أن هلك حتّى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثمّ ملك أخو عديّ،
فاجتهد وشمرّ عشر سنين، فما عدا أن هلك حتّى هلك ذكره، إلا أن يقول
قائل: عمر. و إنّ ابن أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرّات: «أشهد
أنّ محمّدا رسول الله»، فأيّ عمل يبقى؟ وأيّ ذكر يدوم بعد هذا! لا أبا لك!
لا والله إلا دفنا دفنا^(١).

وعن علي عليه السلام أنّه قال حين سأله بعض أصحابه من بني أسد:
كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ فقال: يا أبا بني أسد؛
إنّك لقلق الوضين ترسل في غير سدد! ولك بعد ذمامة الصهر وحق
المسألة، وقد استعلمت فأعلم: أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام - ونحن
الأعلون نسبا، والأشدّون برسول الله صلى الله عليه وآله نوطا - فإنّها كان
أثرة شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم الله
والمعود إليه يوم القيامة.

ودع عنك نهبا صيح في حجراته وهلم الخطب في ابن أبي سفيان،
فلقد أضحكني الدهر بعد ابكائه، ولا غرو والله فياله خطبا يستفرغ العجب
ويكثر الأود، حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسدّ فواره من
ينبوعه. وجدحوا بيني وبينهم شربا وبيئنا. فإن ترتفع عتّا وعنهم محن
البلوى أحملهم من الحقّ على محضه وإن تكن الأخرى «فَلَا تَذْهَبْ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ» (فاطر/٨) (٢).

وجاء عن معاوية أنّه قال لما سمع المؤذّن يقول «أشهد أنّ محمّدا
رسول الله»: لله أبوك يا ابن عبد الله! لقد كنت عالي الهمّة، ما رضيت
لنفسك إلا أن يُقرن اسمك باسم ربّ العالمين^(٣)!

ولا يستبعد هذا من معاوية وهو ابن أبي سفيان القائل لله درّ أخي بني
هاشم

انظروا أين وضع اسمه، والقائل: فوالذي يحلف به أبو سفيان.. لا جنّة ولا

١ . الأخبار الموقّيات للزبير بن بكار: ٥٧٦ - ٥٧٧؛ مروج الذهب ٤: ٤١؛ النصائح الكافية:

١٢٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٣٠.

٢ . نهج البلاغة ٢: ٦٣ / الخطبة ١٦٢.

٣ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١٠١، وفي المعمرين للسجستاني كما في النصائح
الكافية: ١٢٦ سأل معاوية بن أبي سفيان يوما امدا بن لبّد المعمر: فهل رايت محمدا. قال: من
محمّد؟ قال معاوية: رسول الله. قال امدا: وبحك افلا فخمته كما فخمه الله فقلت رسول الله
صلى الله عليه وآله وانظر كذلك كنز الفوائد: ٢٦١ وبحار الأنوار ٣٣: ٢٧٦.

نار^(١)، وهو الذي مرّ بقبر حمزة وضربه برجله؛ وقال: يا أبا عمارة! إنَّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به^(٢)! وهو ابن هند أكلة كبِد حمزة سيّد الشهداء^(٣)، وهو أبو يزيد الذي هدم الكعبة^(٤)، وقتل الحسين بن عليّ^(٥)، وأباح المدينة لثلاثة أيّام^(٦)، والذي سمّى المدينة الطيّبة بـ «الخبّيثة» إرغاماً لأنوف أهل بيت النبيّ^(٧)! فمعاوية ومن قبله أبوه صخر كانا يتصوّران بأنّ النبيّ هو الذي أدرج

اسمه في الأذان، فقال أبو سفيان: لله در أخي بني هاشم. انظروا اين وضع اسمه، وقمّال ابنه

معاوية: لله أبوك يا ابن عبد الله! لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك باسم ربّ العالمين^(٨)، وهل هذان القولان إلا وجهٌ آخر للرواية التي وُضعت وأدّعت أنّ بلالاً كان يؤذن «أشهد ان لا إله إلا الله، حيّ على الصلاة» فقال عمر: قل في إثرها «أشهد أنّ محمّداً رسول الله؟!» وعنوا بذلك أنّ ذكر اسمه صلى الله عليه وآله في الأذان لم يكن من الله، بل كان باقتراح فقط!!

وبعد هذا فلا يمكن تبرير فعل معاوية والقول بأنّه تعرّف على المصاحفة أو اجتهد قبيل النص، بل الأمر تجاوز ذلك، ودخل في إطار تكذيب

١ . الاستيعاب ٤ : ١٦٧٩ ؛ الأغاني ٦ : ٣٧١ ؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٤٥ والنصّ عنه.

٢ . شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦ : ١٣٦ .

٣ . أسد الغابة ٢ : ٤٧ ، الطبقات الكبرى ٣ : ١٢ .

٤ . سبل الهدى والرشاد ١ : ٢٢٣ ، مختصر تاريخ دمشق ٧ : ١٩١ .

٥ . تاريخ الطبري ٥ : ٤٠٠ - ٤٦٧ ، وغيره من كتب التاريخ.

٦ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٢٥٩ .

٧ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٢٣٨ .

٨ . وقد استمرت هذه الرؤية عند بعضهم بعد معاوية، فروى المفضل بن عمر أنه سمع في مسجد الرسول صاحب ابن أبي العوجاء يقول له: ان محمداً استجاب له العقلاء وقد قرن اسمه باسم ناموسه [أي الله جل وعلا]..

فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر محمد فقد تحير فيه عقلي وحدثني عن الاصل الذي جاء به... «بحار الأنوار ٤ : ١٨». ومثّل ذلك ما حكاه رشاد خليفة عن جماعة ان تكرر الشهادة الثانية «أشهد أنّ محمداً رسول الله» بجنب الشهادة الاولى «أشهد ان لا إله إلا الله» يعد شركاً أكبر «انظر القرآن والحديث والإسلام: ٣٨، ٤١، ٤٣، وكتابه الآخر قران أم حديث: ٢٠، ٣٣».

الرسالة،
وتهرئة أصل من أكبر أصول الشريعة، وهو الاعتقاد بنبوته محمد
المصطفى.

ومما يحتمل في الأمر هو أنّ هذه الرؤية تجاه ذكر اسم النبي في
الأذان وأمثاله،
هي التي رسّخت فكرة كون الأذان مناماً، وهي التي أفلقت الرسول
المصطفى حتى
جعلته لا يرى ضاحكا بعد رؤياه التي رأى فيها الغاصبين ينزون على
منبره نـزـو
القردة.

وليس من الصدفة في شيء الترابط الموجود بين أن يرى رسول الله
الشجرة الملعونة في منامه وبين أن يُسْفَه الأُمويّون مسألة الرؤيا،
ويعزّون الإسراء والمعراج إلى رؤيا لا تعدو كونها مناماً!
الله جلّ وعلا ورفع ذكر الرسول صلى الله عليه وآله هذا، ونحن نعلم
بأنّ الذي رفع ذكر الرسول هو الله في محكم كتابه، وإليك أقوال بعض
العلماء والمفسرين لتقف على المقصود، وأتته أمر ربّاني، وليس كما
تصوره أبو سفيان ومعاوية والأُمويّون ومن لف لفهم:

قال الشافعي: أخبرنا ابن عيينة، عن ابن نجيح، عن مجاهد في قوله:
(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) قال: لا أذكر إلا ذكرت معي «أشهد أن لا إله إلا الله،
وأشهد أن محمداً رسول الله»^(١). يعني - والله أعلم - ذكره عند الإيمان
والأذان، و يحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف
عن المعصية.

وقال النووي في شرحه على مسلم - بعد ذكره المشهور عن الشافعي
في رسالته ومسنده في تفسير قوله تعالى «ورفعنا لك ذكرك» -: «وروي
هذا التفسير مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن ربّ
العالمين...»^(٢).

١ . الرسالة للإمام الشافعي: ١٦، المسند للإمام الشافعي: ٢٣٣، المجموع ١: ٥٧٧، تلخيص
وانظر: الحبير ٣: ٤٣٥، تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ٣: ٤٣٧، وفي السنن الكبرى ٣:
٢٠٩ (باب ما يستدل به على وجوب ذكر النبي في الخطبة) وبعد ذكره لقول الشافعي قال: ويذكر
عن محمد بن كعب القرظي مثل ذلك. وانظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ١: ٢٨.
٢ . شرح النووي على صحيح مسلم ١: ١٦٠ باب مقدّمة الصحيح.

وفي مصنف ابن أبي شيبة الكوفي: حدّثنا ابن عيينة، عن ابن نجيح،
ع ن مجاه

«وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون» يقال: ممن هذا الرجل؟

فيقول: من العرب.

فيقال: من أيّ العرب؟

فيقول: من قريش.

(ورفعنا لك ذكرك) لا أذكر إلا ذكرت «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله»^(١).

حدّثنا شريك بن عبد الله، عن ابن شبرمة، عن الحسن في قوله «ألم
نشرح لك صدرك»: أي ملئ حكماً وعلماً (ووضّعنا عنك وزرك * الذي
أنقض ظهرك) قال: ما أثقل الحمل الظهر (ورفعنا لك ذكرك) بلى لا يذكر
إلا ذكرت معه...^(٢).

وفي دفع الشبه عن الرسول للحصني الدمشقي في قوله تعالى:
«ورفعنا لك ذكرك» قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد الأذان
والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر، فلو أن عبداً عبد الله وصدّقه في
كلّ شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم يسمع منه ولم ينتفع بشيء
وكان كافراً.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ثم إن النبيّ سأل
جبرئيل عليه السلام عن هذه الآية^(٣)، فقال: قال الله عزّ وجلّ: إذا ذكرت
ذُكرت معي.

وقال قتادة رضي الله عنه: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، وقيل:
رفعه

بأخذ الميثاق على النبيين وألزمهم الإيمان به والإقرار به.

وقيل «ورفعنا لك ذكرك» ليعرف المذنبون قدر رتبته لديّ ليتوسّلوا
بـ

ك إلى
فلا أردّ أحداً عن مسألته، فأعطيه أياها إمّا عاجلاً و إمّا آجلاً، ولا أخيب

١ . المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ٦ : ٣١٥، كتاب الفضائل - الحديث ٣١٦٨٠ .

٢ . المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ٦ : ٣١٥، كتاب الفضائل - الحديث ٣١٦٨١ .

٣ . آية «ورفعنا لك ذكرك» .

م
توسّل بك و إن كان كافراً^(١).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: «ورفعنا لك ذكرك»، فليس خطيب ولا شفيع ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقرن الله اسمه باسمه في مشارق الأرض ومغاربها، وذلك مفتاحاً للصلاة المفروضة، ثم أورد حديث ابن لهيعة، عن درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله في قوله «ورفعنا لك ذكرك» قال: قال جبرئيل: قال الله: إذا ذكرتُ ذكرتُ^(٢).

وفي جامع البيان للطبري: حدّثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدّثنا ابن ثور، ع

معمر، عن قتادة في قوله «ورَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» قال النبي صلى الله عليه وآله: ابدؤوا بالعبودية وثنوا بالرسالة، فقلت لمعمر: قال «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده» فهو العبودية، «ورسوله» أن تقول: عبده ورسوله. حدّثنا بشر، قال: حدّثنا يزيد، قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة «ورَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ»: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله».

حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحرث، عن درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله أنه قال: أتاني جبرئيل فقال: إن ربّي وربّك يقول: كيف رفعت لك ذكرك؟ قال: الله أعلم.

قال: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتُ معي^(٣).
وفي زاد المسير لابن الجوزي: قوله عزّ وجلّ «ورَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» في خمسة

أقوال:

أحدها: ما روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله أنه سأل جبرئيل عن هذه الآية فقال: قال الله عزّ وجلّ: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتُ معي؛ قال قتادة: فليس

١ . دفع الشبه عن الرسول للحصني الدمشقي: ١٣٤.

٢ . البداية والنهاية ٦: ٢٨٨ باب القول فيما أعطي إدريس عليه السلام.

٣ . تفسير الطبري ٣٠: ١٥١.

خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله،
وأشهد أن محمداً رسول الله»، وهذا قول الجمهور.
والثاني: رفعنا لك ذكرك بالنبوة؛ قاله يحيى بن سلام.
والثالث: رفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا؛ حكاه
الماوردي.
والرابع: رفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء.
والخامس: بأخذ الميثاق لك على الأنبياء و إلزامهم الإيمان بك
والإقرار بفضلك؛ حكاهما الثعلبي^(١).

أهل البيت ورفع ذكر رسول الله:
ومن هذا المنطلق كان أئمة أهل البيت: يشيدون بهذه المفخرة، و
يجعلونها أكبر
إرغام لأعداء النبي صلى الله عليه وآله وأعدائهم، الذين أرادوا تحريف هذا
الرفع للذكر وحطه إلى مرتبة الأحلام والافتراحت، وأرادوا أن يطفئوا
نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره.
يُرِيدُ الْجَاهِدُونَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّهَ
لِيُطْفِئُوا نُورَهُ

ففي الندبة الرائعة - التي وجهها إمام البلاغة علي بن أبي طالب بعد
وفاة فاطمة الزهراء إلى ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث
أرسل دموعه على خديه وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله
صلى الله عليه وآله - قال فيما قال:
سلامٌ عليك يا رسول الله سلام مودّع لا سئم ولا قال، فإن أنصرف فلا
عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد الله الصابرين، والصبيرُ
أيمنٌ وأجمل، ولو لا غلبة المستولين علينا لجعلتُ المقام عند قبرك لزاماً،
واللّبتُ عنده معكوفاً، ولأء عولتُ إحوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين

١ . زاد المسير لابن الجوزي ٨ : ٢٧٢ .

الله تُدْفَنُ ابنتُكَ سرّاً... ولم يَطُلْ العهد، ولم يَخُلْ منك الذِّكر، فالِى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك أجمل العزاء، وصلوات الله عليك وعليها ورحمة الله وبركاته^(١).

وفي هذه النذبة التصريح بأنَّ المستولين قَلَّوا أو حاولوا التقليل من شأن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وذلك بعد وفاته مباشرة ولَمَّا يخلق الذكر، وأنَّ أمير المؤمنين علياً لو استطاع لجعل مقام رسول الله في محلِّه الرفيع الذي وضعه الله فيه، لكنَّ الظروف القاسية التي كانت محيطة به لم تتح له الفرصة، فقلَّ ذكر النبيِّ عند مَنْ اشتغلوا بمشاغل الدنيا وتركوا النبيِّ وذكره أو كادوا، وهذا ممَّا جعل الإمام يقول: لجعلتُ المقام عند قبرك لزاماً، واللبث عنده معكوفاً.

وقد أشارت فاطمة الزهراء في خطبتها التي خطبتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هذه المسألة نفسها، وأنَّ هناك قوماً حاولوا إطفاء نور الله وخفض منزلة النبيِّ صلى الله عليه وآله مع قرب العهد وحدثت ارتحال النبيِّ صلى الله عليه وآله، فقالت:

فلَمَّا اختارَ اللهُ لنبيِّه دار أنبيائه ومأوى أصفائه، ظهرت فيكم حسكة النفاق، وسمل جلاباب الدين، ونطق كاظم الغاوين... هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لَمَّا يندمل، والرسول لَمَّا يُفبر... ثمَّ أخذتم تورون وقدتْها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجليِّ، وإهمال سنن النبيِّ الصفيِّ^(٢)...

ولذلك كانت تبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وتقول: لقد أصبت بخير الآباء رسول الله صلى الله عليه وآله، واشوقاه إلى رسول الله، ثمَّ انشأت تقول:

إذا مات يوماً ميّت قلّ ذكرُهُ وذكرُ أبي مذ مات والله
أكثرُ^(٣)

وأشارت بذلك إلى أنَّ الله سبحانه وتعالى رفع ذكر نبيِّه في حياته، وقلَّ ذكره بعد وفاته.

١ . مصنّفات الشيخ المفيد ١٣ : ٢٨١ - ٢٨٢ المجلس ٣٣، ح ٧، أمالي الطوسي: ١١٠، الكافي ١ : ٤٥٩، دلائل الإمامة ١٣٨.

٢ . الاحتجاج: ١٠١ - ١٠٢ والنصّ عنه. وانظرها في دلائل الإمامة: ١١٤ - ١١٨، وشرح نهج البلاغة ١٦ : ٢٥١.

٣ . كفاية الأثر: ١٩٨ (باب ما جاء عن فاطمة من النصوص).

يرفع بعد وفاته، و إن ظنَّ من ظنَّ أنه أبتُرُ إذَامات انقطع ذكره، وارتدَّ مَنْ
ارتدَّ
لعروجه ومقارنة اسمه باسم ربِّ العالمين، و غضب من غضب وحاول
عزو ذلِّكَ إلى
أنه من اقتراح عمر أو من النبيِّ نفسه وأراد له السحق والدفن، كلَّ تلك
المحاولات
التحريرية باءت بالفشل وخلد ذكر النبيِّ في الأذان والتشهد وفي كلِّ
موطئ يـ ذكر
فيه اسم رب العالمين.

ولو قرأت مقولة الإمام الحسن لمعاوية لما استنقص عليًا وحاول الحطَّ
من ذكره لرأيت الأمر كذلك؛ إذ قال له:
أيها الذَّاكر عليا، انا الحسن وأبي عليٍّ وأنت معاوية وأبوك صخر،
وأُمِّي فاطمة وأُمُّك هند، وجدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله وجدَّك حرب،
وجدَّتِي خديجة وجدَّتكَ قتيلة؛ فلعن الله أحمَلْنَا ذِكْرًا، والأَمْنَا حَسْبًا، وشَرَّنَا
قدما، وأقدمنا كفرا ونفاقا.
فقال طوائف من أهل المسجد: آمين.

قال فضل: فقال يحيى بن معين: ونحن نقول: آمين، قال أبو عبيد:
ونحن أيضا
نقول: آمين، قال أبو الفرج: وأنا أقول: آمين^(١).

هذا و إن مأساة كربلاء وقضية الإمام الحسين تؤكِّد ما قلناه وأن الإمام
خ
للإصلاح في أمة جدّه لما رأى التحريفات الواحدة تلو الأخرى تلصق
بالدين،
وعرف بأنهم يريدون ليطفئوا نور الله ورسوله.

والعقيلة زينب قد أشارت إلى هذه الحقيقة عندما خاطبت يزيد بقولها:
«كد كيدك، واسع سعيتك، واجهد جهدك، فوالله الذي شرفنا بالوحي
والكتاب والنبوة والانتخاب لا تُدرِك أمدنا، ولا تبُلِّغ غايتنا، ولا تمحو
ذِكْرنا، ولا تُميتَ وحيننا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فَنَد،

١ . مقاتل الطالبين: ٧٠ والنص عنه، الارشاد للمفيد ٢: ١٥، مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٣٦، شرح
نهج البلاغة ١٦: ٤٧، كشف الغمة ١: ٥٤٢.

وأيامك إلا عَدَد، وجمعك إلا بَدَد، يوم ينادي المنادي: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظالم العادي...»^(١)

وكانَ الإمام السَّجَّادَ عليَّ بن الحسين أراد الإلماح إلى قضية الاختلافات الأذانيَّة، وعداء معاوية مع ذكر اسم النبيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم في الأذان، حين عرَّضَ بيزيد لَمَّا أمرَ المؤذِّن أن يؤذِّن ليقطع خطبة الإمام عليَّ بن الحسين في مسجد دمشق..

قالوا: قال الإمام عليَّ بن الحسين عليه السلام: يا يزيد، انذَن لي حتَّى أصعد هذه الأعواد... فأبى يز يد، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، انذَن له ليصعد فلعلنا نسمع منه شيئاً، فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدرُ ما يُحسِن هذا؟! فلم يزالوا به فإذن له بالصعود، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيُّها الناس، أُعطينا سِتًّا وفُضِّلنا بسبع، أُعطينا العلم والحلم... وفُضِّلنا بأنَّ منَّا النبيَّ المختار مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، ومنَّا الصديق، ومنَّا الطيَّار، ومنَّا أسد الله وأسَد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومنَّا سيِّدة نساء العالمين فاطمة البتول عليها السلام، ومنَّا سبطا هذه الأُمَّة وسيِّدا شباب أهل الجنة عليهما السلام، فَمَنْ عَرَفني فقد عَرَفني، وَمَنْ لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي: أنا ابن مَكَّةَ ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء... أنا ابن من حُمِلَ على البراق في الهواء، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أُسرى، أنا ابن من بُلِّغ به جبرئيل إلى سِدرة المنتهى، أنا ابن مَن دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلَّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن مُحَمَّدٍ المصطفى...^(٢)

قال: ولم يزل يقول: أنا أنا حتَّى ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي

يكون فتنة، فأمر المؤذِّن أن يؤذِّن فقطع عليه الكلام وسكت.

فلَمَّا قال المؤذِّن: «اللَّهُ أكبر» قال عليَّ بن الحسين عليه السلام: كَبُرَتْ كبيراً لا يقاس، ولا يُدرَك بالحواس، ولا شيء أكبر من الله.

١ . الاحتجاج ٣٠٩، بحار الأنوار ٤٥: ١٣٥، اللهوف لابن طاووس ومثير الأحزان وغيرها.
٢ . كفاية الأثر ١٩٨.

فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» قال علي بن الحسين عليه السلام: شَهِدَ بِهَا شَعْرِي وَبَشْرِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَمَخِّي وَعَظْمِي.
فلما قال: «أشهد أن محمداً رسول الله» التفت علي بن الحسين عليه السلام من أعلى المنبر إلى يزيد وقال: يا يزيد! محمداً هذا جدِّي أم جدِّك؟ فإن زعمت أنه جدِّك فقد كذبت، وإن قلت أنه جدِّي فلم قتلت عترته^(١)؟

وها هنا ثلاث ركائز مهمة في هذه الخطبة:
أولها: إن يزيد يخاف أن يذكر الإمام السجّاد فضائح يزيد ومعاوية وآل أبي سفيان، مع أنّ الإمام في خطبته هذه لم يذكر صريحاً شرك أبي سفيان ولا معاوية ولا كونهما ملعونين، كما لم يذكر هنذا وما كان منها في الجاهلية من سوء السيرة، ولأما كان من بقرها بطن حمزة ولا ولا... فكانت الفضيحة لهم ببيان الحقائق

النيرة، وما حرّفه المحرّفون، وبيان مقامات النبي وعترته.
وثانيها: إنّ قسطاً مهماً من الخطبة انصبّ على حقيقة الإسراء والمعراج؛ إذ فيها العناية المتزايدة ببعض تفاصيلهما، والتأكيد على أنّهما حقيقة عيانية بدنية كانت للنبي صلى الله عليه وآله، لا أنّها رؤيا وحلم كما يدّعيه الأمويون، فكان الإسراء والمعراج فيهما رفع ذكر النبي وتشرّيع الأذان والصلاة، وفيهما رفع ذكر آل النبي صلى الله عليه وآله تبعاً له.
كما أنّ في الخطبة حقيقة أنّ علياً هو الصديق لا غيره، وأنّ فاطمة سيدة نساء العالمين، لا كما حرّفوا من أنّ الصديق هو أبو بكر، وأنّ اسمه على قائمة العرش، مع أنّ الحقيقة هي أنّ علياً هو الصديق وأن اسمه مكتوب على العرش - كما سيأتيك بيانه لاحقاً - وأن الصديقة فاطمة الزهراء قد كذّبت

١ . مقتل الحسين للخوارزمي ٦٩ - ٧١، والفتوح لابن أعمش ٣: ١٥٥.

أبا بكر الصديق!!! وقالت له: لقد جئتُ شيئاً فَرَّيَا^(١) وكذا الإمام عليّ فإنه كذب من ادعى الصديقية في أبي بكر بقوله: أنا عبدُ الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب مفترى، لقد صليت قبل الناس بسبع سنين^(٢).

وقال في آخر: أنا الصديق الأكبر، والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلاته^(٣).

وعن معاذة قالت: سمعت علياً وهو يخطب على منبر البصرة يقول: أنصركم الصديق الأكبر، أمنت قبل أن يؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم [أبو بكر^(٤)]

فلا يعرف بعد هذا من هو الصادق ومن هو الكاذب ومن هو الصديق ومن هو الصديقة في قاموس القوم؟ وقد مرّ عليك أنّ معاوية حرّف كلّ فضيلة لعلّي وجعلها في غيره.

وثالثها: أنّ يزيد لما أمر المؤدّن بالأذان ليقطع كلام الإمام، كان الإمام السجّاد

يوضّح كلّ فقرة من فقرات الأذان، مُعرّضاً بمن يتلفظون بألفاظه دون وعي لمفاهيمه، وهو ما سنقوله لاحقاً من أنّه يحتوي على مفاهيم الإسلام، وأنّه وجد الدين، وأنّه ثبت بالوحي، لا كما أرادوا تصويره بأنّه مجرد إعلام قابل

١ . تثبیت الإمامة ٣٠، بلاغات النساء ١٤، شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٢، ٢٥١، جواهر المطالب ١: ١٦١.
٢ . مستدرک الحاکم ٣: ١١٢ وقال: صحیح علی شرط الشیخین وتلخیصہ للذهبی، وشرح نهج البلاغة ١٣: ٢٢٨، ١: ٣٠، سنن ابن ماجه ١: ٤٤ ح ١٢٠ قال في الزوائد: هذا اسناد صحیح ورجاله ثقات، تاریخ الطبري ٢: ٣١٠، والأحاد والمثاني ١: ١٤٨ وغيرها.
٣ . شرح نهج البلاغة ٤: ١٢٢، ١٣: ٢٠٠، والمعارف لابن قتيبة ٩٧. وفيه قال عليّ عليه السلام: أنا الصديق الأكبر أمنتُ قبل أن يؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر.
٤ . شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٢٨، وأنساب الأشراف بتحقيق المحمدي ١٤٦، الأحاد والمثاني ١: ١٥١، والمعارف لابن قتيبة ٩٩.

للزبيد والنقصان، وُضع بأحلام واقتراحات من الصحابة!!

وفي قول السجّاد عليه السلام «يا يزيد! محمّد هذا جدّي أم جدّك» بيان لارتفاع ذكر النبي وآله، وأنّ الأمويّين لم يفلحوا في حذف اسمه من الأذان وإخماد ذكره، ومحاولة إدراج اسم «أمير المؤمنين»^(١)!!! معاوية في آخر الأذان، وإن نجحوا ظاهرياً في إخماد ثورة الحسين وقتله وقتل عتره النبي صلى الله عليه وآله.

فالأذان المشرع من الوحي كان مفخرة آل النبي، وبيانا لارتفاع ذكره وذكر

آله، لا كما قيل فيه من أنواع المختلقات. و يؤكد ذلك أنّه لمّا قدم عليّ بن الحسين بعد قتل أبيه الحسين عليه السلام إلى المدينة استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: يا عليّ بن الحسين، مَنْ غَلَبَ؟ وذلك على سبيل الشماتة فقال له عليّ بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غَلَبَ ودخل وقت الصلاة فأذن ثمّ أقم^(٢).

وذلك أنّ ذكر الرسول المصطفى خُذ في الأذان والإقامة رغم نصب

الناصر بين عداء المعادين، وبه خلود ذكر آل النبي صلى الله عليه وآله، فيكونون هم الغالبين لا بنو أمية ولا من غصبوا الحقوق وحرفوا المعالم عن سننّها ومجار يها.

وقد كانت نعمة البغض لرهط النبي وآله مترسّخة متجذرة في نفوس الأمويين إلى أبعد الحدود، حتّى وصلت بهم درجة الإحساس بالتعالي والتّيه والكبر إلى أن يحاسبوا حتّى من يمدحهم غاية المدح فيما إذا قدّم عليهم آل الرسول، فقد افتخر ابن ميادة الشاعر بقومه بعد رهط النبي وبعد بني مروان، فقال:

فَضَلْنَا قَرِيْشًا غَيْرَ رَهْطِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِ بَنِي مَرْوَانَ أَهْلِ
الْفَضَائِلِ

١ . مر عليك قبل قليل قول السيوطي في كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل ٢٦: أن أول من أمر المؤذن أن يشعره ويناديه فيقول: السلام على أمير المؤمنين الصلاة يرحمك الله، معاوية بن أبي سفيان.

٢ . أمالي الطوسي ٦٨٧ - ٦٨٨، مجلس يوم الجمعة السابع من شعبان ٤٥٧هـ.

فقال له الخليفة الاموي الوليد بن يزيد: قَدَّمْتُ رَهْطَ مُحَمَّدٍ قَبْلَنَا؟! فقال ابن ميادة: ما كنت أظنه يمكن إلا ذلك^(١).

فها هو الشاعر يصرِّح - طبقاً لضرورات الدين - بأنه لا يمكن للمسلم إلا أن يقَدِّم رَهْطَ النبي صلى الله عليه وآله على قومه وعلى جميع الاقوام، لكن العقلية الأموية والمروانية كانت تسعى في طمس آثار آل الرسول بكل ثقلها وجهدها.

وفي العصر العباسي، دخل الإمام عليّ الهادي عليه السلام يوماً على المتوكِّل فقال له المتوكِّل: يا أبا الحسن مَنْ أشعر الناس؟ - وكان قد سأل قبله عليّ بن الجهم، فذكر شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام - فلما سأل الإمام قال: عليّ الحماني حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش بمطّ خُدودٍ وامتدادِ أصابع
عصا بابه

فلما تنازنا عن المقال قضى عليهم بما نهوى نداء
لنا الصَّوامع

قال المتوكِّل: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» جدِّي أم جدِّك؟ فضحك المتوكِّل ثم قال: هو جدِّك لا ن دفعك

عنه^(٢).

تَرَاهُ جَهِيرَ الصَّوْتِ فِي كُلِّ
بِفَضْلِنا
بَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَحْمَدَ جَدُّنَا
وَنَحْنُ بَنُوهُ كَالنَّجْمِ الطَّوَالِغِ^(٣)
الطَّوَالِغِ^(٣)

١ . انظر انساب الاشراف ١٣ : ١٢٨ . وفيه انّ إبراهيم بن هشام بن عبد الملك قال لابن ميادة: يا ماصّ بظر أمّه أنت فضلت قريشاً، وجرده فضربه مائة سوط أو أقل.

٢ . أمالي الطوسي ٢٩٣ .

٣ . انظر: ديوان عليّ الحماني ٨١، ومناقب ابن شهر آشوب ٤ : ٤٠٦ وفيه: «عليهم» بدل: «تراه».

فكان الأذان وفيه اسم محمّد، المرفوع ذكره، المستتبع لرفع ذكر الأئمّة من أولاده^(١)، كان ذلك أكبر مفخرة للمسلم الحقيقي، كما كان يؤذي أعداء الإسلام الذين ارتدوا بسبب المعراج، ويؤذي من أرادوا جعل الأذان وفصوله أحلاما واقتراحات، ويؤذي معاوية الذي أرّقه ذكر اسم «محمّد» واقتترانه باسم ربّ العالمين، ويؤذي أولاد طلحة وقتلة الحسين عليه السلام، كما كان يؤرق المتوكّل العباسي، وكلّ رموز التحريف وأرباب الطموحات السلطوبيين، وكلّهم من السلك القرشي المعادي لله وللرسول ولعتره الرسول صلوات الله عليهم أجمعين.

١ . لأنه صلى الله عليه وآله أمر أن لا يصلوا عليه الصلاة البتراء.

القدرة الإلهية وفشل المخططات

إن قريشا سعت للوقوف أمام الدعوة ودابت على طمس معالم الإسلام،
لكن
الله أبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ
بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة/٣٢).
وقد مرّ عليك قول معاوية بن أبي سفيان: (إلا دفنا دفنا) في حين أن
الله

سبحانه وتعالى يقول: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ).

وقال السدي في تفسير قوله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ): كانت قريش
يقولون
لمن مات الذكور من أولاده: أبتَر، فلمآ مات ابنه صلى الله عليه وآله: القاسم،
وعبد الله بمكة، وإبراهيم بالمدينة، قالوا: بُتِرَ، فليس له من يقوم مقامه.
ثم إنه تعالى بين أن عدوه هو الموصوف بهذه الصفة، فإننا نرى أن
نسل أولئك
الكفرة قد انقطع، ونسله عليه الصلاة والسلام يزداد كل يوم وينمو وهكذا
السلام
القيامة^(١).

فقد أشار الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)
إلى أن الكوثر: أولاده صلى الله عليه وآله، قالوا: لأن هذه السورة إنما نزلت
رداً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلًا
يبقون على مرّ الزمان.
فانظر كم قُتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني
أمية في الدنيا أحد يُعبأ به.
ثم انظر كم فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم
والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم^(٢).

١ . التفسير الكبير ٣٢: ١٣٣ .

٢ . التفسير الكبير ٣٢: ١٢٤ .

وكان الأمويون يحسدون آل البيت على ما آتاهم الله من فضله، وقد

جاء في تفسير قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا خُصَّ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ^(١).

وعن ابن عباس في قوله: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ» قال: نحن الناس دون الناس^(٢).

وعن محمد بن جعفر في قوله: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ»، قال: نحن المحسودون، وعن ابن عباس في قوله «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ» قال: نحن الناس المحسودون و«فضله» النبوة^(٣).

فسبحانه جل شأنه رفع ذكرَ محمد وآل محمد بآيات التطهير والمودة والمباهاة

وسورة الدهر وبراءة وغيرها من السور والآيات الكثيرة، ولو تدبر المطالع في

سورة الضحى لعرف نزولها في مدح النبي محمد وأنه جل شأنه ذكره بثلاثة أشياء

تتعلق بنبوته، منها: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» وفي سورة ألم نشرح شرفه

بثلاثة أشياء أولها: «الم نشرح لك صدرك»، وثانيها: (وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ)، وثالثها: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)^(٤).

قال الإمام فخر الدين الرازي: جعل الله تعالى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله مساوين له في خمسة أشياء:

أحدها: المحبة؛ قال الله تعالى: «فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»، وقال لأهل بيته «قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى».

والثانية: تحريم الصدقة؛ قال صلى الله عليه وآله: لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس.

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٢٢٠.
٢ . المعجم الكبير ١١: ١٤٦، مجمع الزوائد ٧: ٦ والنص له.
٣ . شواهد التنزيل ١: ١٨٣.
٤ . التفسير الكبير ٣٢: ١١٨.

والثالثة: الطهارة؛ قال الله تعالى: (طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) أي يا طاهر، وقال لأهل بيته: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

والرابعة: في السلام؛ قال: «السلام عليك أيها النبي»، وقال لأهل بيته «سلام على آل يساً»^(١).

والخامسة: في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وعلى آل في التشهد^(٢).

وبهذا فقد عرفنا - وعلى ضوء الصفحات السابقة - بأن المجتهدين كانوا وراء فكرة الرؤيا، وأن رأسها الأمويون، استغلوا ما طرح في عهد الصحابة لما يريدون القول به لاحقاً.

فإن النصوص السابقة وضحت لنا بأن الصحابة اقترحوا على رسول الله بأن يتخذ ناقوساً مثل ناقوس النصارى أو بوقاً مثل قرن اليهود ورسول الله لم يرضَ بذلك حتى أرى عبد الله بن زيد أو غيره الأذان.

وجاء في كتاب (من لا يحضره الفقيه) عن الإمام عليه السلام أنه قال: كان اسم النبي صلى الله عليه وآله يكرّر في الأذان، فأول من حذفه ابن أروى^(٣). وهو عثمان بن عفان.

وهذا يتفق مع ما قاله محمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم في كتاب العال وهـ

يذكر علل فصول الأذان حتى يقول:.... وقوله: (حي على خير العمل) أي

على الولاية، وعلّة أنّها خير العمل أن الأعمال كلّها بها تقبل. الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فألقى معاوية من آخر الأذان (محمد رسول الله) فقال: أما يرضى محمد أن يذكر في أول الأذان حتى يذكر في آخره^(١).

١ . قرأ نافع وابن عامر ويعقوب هذه الآية بفتح الهمزة ومدّها وقطع اللام من الياء كما في آل يعقوب، «النشر في القراءات العشر ٢: ٣٦٠ وتحرير التيسير: ١٧٠» وللتأكيد أقر في مصحف المدينة النبوية برواية ورش عن نافع المدني والمطبوع في المملكة العربية السعودية صفحته ٤٠٧ الآية: ١٣٠ من سورة الصافات.

٢ . انظر: نقل كلام الفخر الرازي في: نظم درر السمطين ٢٤٠، والصواعق المحرقة ٢٣٣ - ٢٣٤، وينايبع المودة ١: ١٣٠ - ١٣١، وجواهر العقدين ٢: ١٦٦.

٣ . من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٩، كتاب الصلاة باب الأذان والإقامة.

وقد مر عليك ما رواه عبد الرزاق عن إبراهيم من أن أول من أفرد الإقامة معاوية، وقال مجاهد: كانت الإقامة مثني كالأذان حتى استخفه بعض أمراء الجور فأفرده لحاجة لهم^(٢).

وجاء في مجمع الزوائد عن عبد الرحمن بن ابن ليلي قال: كان علي بن أبي طالب إذا سمع المؤذن يؤذن قال كما يقول فإذا قال: اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله قال علي: اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله وأن الساجدين جحدوا محمداً هم الكافرون^(٣).

بعد ذلك لا غرابة عليك في تصريح الصادق عليه السلام بأن الحكومات والنواصب منهم على وجه التحديد حرّفوا أو حاولوا تحريف الحقائق، فقد عرفنا سياسة التحريف عند الأمويين ومسخهم للحقائق وأن عملهم هذا يصب في المخطط الهادف إلى إبدال كل ما جاء من حقائق الإسلام وكل ما كان من فضائل الإمام علي وأصحاب نهج التعبد. فقد روى القاسم بن معاوية خبراً قال فيه:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنه لما أسري برسول الله رأى على العرش مكتوباً «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق». فقال: سبحان الله، غيروا كل شيء حتى هذا؟!!!

١ . بحار الأنوار ٨١ : ١٧٠، عن العلل لابن هاشم، وقد علّق المجلسي على كلامه بقوله: ... وكون الشهادة بالرسالة في آخر الأذان غريب، ولم أراه في غير هذا الكتاب. أقول: قد يكون المراد من الشهادة بالرسالة في آخر الأذان هو ما جاء في بعض الروايات من استحباب ذكر الرسول وجعله الوسيلة إلى الله في آخر الأذان، وكما سمع المسلم الشهادة بالنبوة في الأذان وغيره. وهذا ما حذفه معاوية، قال الشرواني في حواشيه ٣ : ٥٤ (.. وصريح كلامهم أنه لا يندب الصلاة على النبي بعد التكبير، لكن العادة جارية بين الناس بإتيانها بها بعد تمام التكبير، ولو قيل باستحبابها عملاً بظاهر «ورفعنا لك ذكرك» وعملاً بقولهم: إن معناه «لا أذكر إلا وتذكر معي» لم يكن بعيداً، فتأمل.

٢ . أبو الوفاء الأفعاني في تعليقه على كتاب الآثار ١ : ١٠٧، وانظر: المصنّف لعبد الرزاق ١ : ١٧٩٣/٤٦٣.

٣ . مجمع الزوائد ١ : ٣٣٢.

قلت: نعم.

فقال الصادق عليه السلام ما ملخصه: إنّ الله تعالى لما خلق العرش، والماء، والكرسي، واللوح، وإسرافيل، وجبرائيل، والسموات والأرضين، والجبال، والشمس، والقمر، كان يكتب على كلّ منها «لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين». ثمّ قال عليه السلام: فإذا قال أحدكم «لا إله إلا الله محمّد رسول الله» فليقل «عليّ أمير المؤمنين»^(١).

فالقارئ البصير لو تدبّر في النصوص الصادرة عن الأئمة لعرف أنّ رسالتهم هي تصحيح للأفكار الخاطئة المبنوثة في الشريعة والتاريخ، ويتأكد لك مدعانا لو طبق على ما نحن فيه، من وجود تيار يحمي فكرة الرؤيا وهم النواصب وأعداء النبي والإمام عليّ بن أبي طالب، وهؤلاء النواصب كانوا لا يستسيغون ذكر الرسول محمّد في الأذان، أو يتصورون أنّ الشهادة الثانية من وضعه صلى الله عليه وآله، فكيف يقبل أمثال هؤلاء بشرعية شيء فيه تنويه ورفع لمنزلة آل الرسول صلى الله عليه وآله، والنواصب هم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه و يجعلون مكانها مفاهيم أخرى، وقد أشرنا سابقا إلى بعضها، وإليك نصّين آخرين في هذا السياق، إذ جاء في أصل زيد النرسي، عن الإمام الكاظم بأن الصلاة خير من النوم من بدع بني أمية^(٢)، وهي تؤكّد ما نريد الوصول إليه من حقيقة الأذان وكيفية وقوع التحريف فيه.

فقد روى الصدوق وعليّ بن إبراهيم، عن عمر بن أذينة، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: يا عمر بن أذينة، ما ترى هذه الناصبة؟ قال: قلت: في ماذا؟

فقال: في أذانهم وركوعهم وسجودهم.

قال: قلت: إنهم يقولون: إنّ أبيّ بن كعب رآه في النوم.

فقال: كذبوا، فإنّ دين الله عزّ وجلّ أعزّ من أن يرى في النوم.

١ . انظر: الاحتجاج ١٥٨.

٢ . أصل زيد النرسي ٥٤، وعنه في مستدرک الوسائل ٤: ٤٤ ح ٤١٤٠/٢.

يقول: أحد الثلاثة... فَأُتِيَتْ بطست من ذهب... ثُمَّ أُتِيَتْ بدابة دون البغل وفوق الحمار، ثُمَّ انطلقت مع جبرئيل عليه السلام... الحديث^(١).
على أَنَّ البخاري وغيره أرجعوا هذا الخبر إلى قبل أن يبعث الرسول صلى الله عليه وآله، فجاء في الصحيحين عن شريك بن عبدالله بن أبي نمر: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وآله من المسجد الكعبة: جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في مسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال: أوسطهم هو خيرهم، وقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك، فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي صلى الله عليه وآله نائمة عيناه ولا ينام قلبه.. فتولاه جبرئيل ثم عرج به إلى السماء^(٢).

وفي هذه الضبابية وهذا الإبهام نرى كتب شروح الحديث عند أهل السنة والجماعة لا توضّح إلا بعض الشيء عن هؤلاء، فحكى السندي في حاشيته على النسائي وضمن تفسيره لهذا الحديث.. «قالوا: هما حمزة وجعفر...»^(٣).

وفي شرح مسلم باب الإسراء: روي أنه كان نائما معه حينئذ عمّه حمزة بن عبد المطلب وابن عمّه جعفر بن أبي طالب^(٤).
وفي فتح الباري بشرح صحيح البخاري:... فقال أولهم: أيهم هو، فيه إشعار بأنه كان نائما بين جماعة أقلهم اثنان وقد جاء أنه كان نائما معه حينئذ حمزة ابن عبدالمطلب وجعفر بن أبي طالب ابن عمّه^(٥).

-
- ١ . مسند أحمد ٤: ٢٠٧، ٢١٠، سنن النسائي ١: ٢١٧، السنن الكبرى ١: ١٣٨.
 - ٢ . صحيح البخاري ٥: ٣٣ - ٣٤ / كتاب المناقب - باب «كان النبي تنام عينه ولا ينام قلبه» . وانظر: ٩: ٨٢٤، كتاب التوحيد - باب «وكلم الله موسى تكليما»، وصحيح مسلم ١: ١٤٨، كتاب الإيمان، باب «الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله»، وسنن البيهقي ٧: ٦٢ . وقال ابن حجر في فتح الباري ١٣: ٤٠٩: «وقوله: قبل أن يوحى إليه» أنكرها الخطابي وابن حزم وعبد الحق والقاضي عياض والنووي، وعبارة النووي: وقع في رواية شريك هذه أو هام أنكرها العلماء، أحدها قوله: قبل أن يوحى إليه، وهو غلط لم يوافق عليه.
 - ٣ . حاشية السندي على النسائي ١: ٢١٧، كتاب الصلاة باب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين.
 - ٤ . هذا ما حكاه مهمّش تفسير القرطبي ٢٠: ١٠٤ . ولم نقف عليه في مظانّه.
 - ٥ . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣: ٤٠٩ - ٤١٠، كتاب التوحيد.

وقال البناء في الفتح الربّاني^(١) والمباركفوري في تحفة الأحوذى^(٢)،
والكلام للأول: قال الحافظ: والمراد بالرجلين، حمزة وجعفر، وأنّ النبيّ
صلى الله عليه وآله حين كان نائماً بينهما.

هكذا عرّفت كتب الشروح اسم الرجلين دون ذكر سندٍ أو رواية في
ذلك، لكنّ كتب الشيعة الإمامية والإسماعيلية والزيدية رَوَتْ بأسانيدِها
أسماء الذين كانوا نائمين مع النبيّ صلى الله عليه وآله، وهم: عليّ، وحمزة،
وجعفر، كانوا يحيطون به عن يمينه وشماله وتحت رجليه..

روى عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن هشام
بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي
أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا»، قال:

روى عن رسول الله أنّه قال: بينا أنا راقد بالأبطح، وعليّ عن يميني،
وجعفر عن يساري، وحمزة بين يديّ، وإذا أنا يخفق أجنحة الملائكة
وقائل منهم يقول: إلى أيّهم بُعثت يا جبرئيل؟ فقال: إلى هذا، وأشار إليّ.
ثمّ قال: هو سيّد ولد آدم وحوّاء، وهذا وزيره ووصيّه وختنه وخليفته في
أمّته، وهذا عمّه سيد الشهداء حمزة، وهذا ابن عمّه جعفر له جناحان
خضيبان يطير بهما في الجنّة مع الملائكة، دعه فلتنم عيناه ولتسمع أذناه
ولْيَع قلبه...^(٣)

وروى القاضي النعمان في شرح الأخبار عن الطبري؛ رفعه إلى
حذيفة اليماني، قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً وهو
حاملٌ الحسن والحسين عليهما السلام على عاتقه، فقال: هذان خير الناس
أباً وأمّاً؛ أبوهما عليّ... إلى أن قال: إنّ الله عزّ وجلّ اختارنا أنا وعليّاً
وحمزة وجعفر يوم بعثني برسالته وكنّت نائماً بالأبطح، وعليّ نائم عن
يمينني، وحمزة عن يساري، وجعفر عند رجلي، فما انتبهت إلاّ بحفيف
أجنحة الملائكة، فنظرت فإذا أربعة من الملائكة وأحدهم يقول لصاحبه: يا
جبرئيل، إلى أيّ الأربعة أرسلت؟ فرسني برجلي وقال: إلى هذا.

قال: ومن هذا؟!!

قال: محمّد سيّد المرسلين.

قال: ومن هذا عن يمينه؟!!

١ . الفتح الربّاني ٢٠: ٢٤٨.

٢ . تحفة الأحوذى ٩: ١٩٣.

٣ . تفسير عليّ بن إبراهيم ٢: ١٣ تأويل الآيات ١: ٢٦٩، تفسير نور الثقلين ٣: ١٠٠ عنه.

قال: عليّ سيّد الوصيّين.
قال: ومن هذا عن يساره؟!
قال: حمزة سيّد الشهداء.
قال: ومن عند رجليه؟
قال: جعفر الطيّار في الجنّة^(١).

وروى الشيخ الطوسي بإسناده عن إبراهيم بن صالح بن زيد بن الحسن، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رقدت بالأبطح على ساعدي وعليّ عن يميني، وجعفر عن يساري، وحمزة عند رجلي، قال: فنزل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، ففزعوا لخفق أجنحتهم. قال: فرفعت رأسي فإذا إسرافيل يقول لجبرئيل: إلى أي الأربعة بُعثت وبُعثنا معك؟ قال: فرفس برجله فقال: إلى هذا... إلى آخر الرواية^(٢).

وروى المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري - من الزيدية - في الأمالي الخميسية بإسناده عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله في قول الله: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) فإننا أهل بيت مطهرون من الذنوب، ألا وإن الله اختارني من ثلاثة من أهل بيتي على جميع أمّتي وأنا سيّد الثلاثة، وسيّد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر.

قال أهل السدة: يا رسول الله، سمّ لنا الثلاثة نعرفهم؟ فبسط رسول الله كفه الطيبة المباركة ثم حلق بيده، قال: اختارني وعليّ وحمزة وجعفر، كنا رقاداً بالأبطح ليس منا إلا مسجى بثوبه، عليّ عن يميني، وجعفر عن يساري، وحمزة عند رجلي، فما نبهني من رقدتي غير حفيف أجنحة الملائكة وبرد ذراع عليّ تحت خدي، فانتبهت من رقدتي، وجبرئيل في ثلاثة أملاك، فقال له بعض الأملاك الثلاثة: يا جبرئيل، إلى أيّ هؤلاء الثلاثة أرسلت؟

فحرّكني برجله وقال: إلى هذا وهو سيّد ولد آدم.
فقال له أحد الثلاثة: ومن هو، سمّه؟

١ . شرح الأخبار ١: ١٢٠ - ١٢١ ح ٤٦ .
٢ . الأمالي للطوسي: ٧٣١ مجلس يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٥٧ هـ .

فقال: هذا محمد سيّد المرسلين، وهذا عليّ خير الوصيّين، وهذا حمزة

الشهداء، وهذا جعفر له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنّة حيث يشاء^(١).

ولو حقّقنا في رجال الخبر المروي في تفسير عليّ بن إبراهيم - والذي رواه

المرحوم شرف الدين الحسيني (من أعلام القرن العاشر) مسندا في تأويل الآيات - لرأيناهم ثقات لم يرد فيهم جرح، ويؤيده ما حكاه القاضي النعمان المصري في شرح الأخبار والطوسي والمرشد بالله في أماليهما، فنحن لو جمعنا هذين النصين مع ما جاء في الإمام عليّ وأنّه أحد سادات أهل الجنّة السبعة بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ مثاله كان في الجنّة وقد رأى ذلك رسول الله حينما أسري به إلى السماء، لعرفنا حقيقة أخرى كانت بنو أميّة تخفيها وتخاف نشرها وشيوعها بين الناس، بل سعت لطمسها وإبدالها بأخبار أخرى في الصحابة.

و إذا أردت أن تقف على جلية الأمر، فلا تحظ أنّ هناك مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة، ومجموعة من الآيات الكريمة فسرها الرسول الأكرم، وفيها تجد عليّا وحمزة وجعفر في إطار واحد لا ينفصلون، وعلى نسق فريد من الكرامة فيه لا يتفرون.

فقد أخرج الحاكم وابن ماجه بسندهما عن أنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نحن بنو عبد المطلب سادة أهل الجنّة؛ أنا وعليّ وجعفر وحمزة والحسن والحسين والمهدي، ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه^(٢).

وقد روى ابن عساكر بسنده عن حبشي بن جنادة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: إنّ الله اصطفى العرب من جميع الناس، واصطفى قريشا من العرب، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني واختارني في نفر من أهل بيتي: عليّ وحمزة وجعفر والحسن والحسين^(٣).

١ . الأمالي الخمينية ١٥١.

٢ . المستدرک علی الصحیحین ٣: ٢١١ والنصّ عنه، وهو في سنن ابن ماجه ٢: ١٣٦٨ باب خروج المهديّ ح ٤٠٨٧، وفيه: «نحن ولد عبد المطلب»... ونحو الأوّل في طبقات المحدّثين بإصفهان ٢: ٢٩١، وأيضا في سبل الهدى والرشاد ١١: ٧.

٣ . كنز العمال ١١: ٧٥٦، ح ٣٣٦٨، عن ابن عساكر.

وقد روى عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير الناس حمزة وجعفر وعلي^(١).

وروى الحاكم الحسكاني بسنده عن عبد الله بن عباس، في قول الله تعالى (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَا لِقَاءَ لَهُ) (القصص: ٦١)، قال: نزلت في حمزة وجعفر وعلي، وذلك أن الله سبحانه وتعالى وعدهم في الدنيا الجنة على لسان نبيه صلى الله عليه وآله، فهؤلاء يلقون ما وعدهم الله في الآخرة^(٢)...

وروى الحاكم الحسكاني أيضا بسنده عن عبد الله بن عباس في قول الله تعالى (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) (الأحزاب/٢٣)، يعني عليا وحمزة وجعفر (وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ) يعني عليا ينتظر أجله والوفاء لله بالعهد والشهادة في سبيل الله، فوالله لقد رزق الشهادة^(٣).

وبإسناده أيضا عن زيد، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي، قلت له: أخبرني عن قوله تعالى (أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) (الحج/٤٠)، قال: نزلت في علي وحمزة وجعفر^(٤)...

فهؤلاء الثلاثة كانوا يحوطون النبي كما تحوط عين الناظر الهدب، وكم انوا هم عماد المدافعين عنه في أوائل الدعوة الإسلامية، وقد أعلنوا إسلامهم بكل جرأة وتحذد للحشود القرشية المتظافرة على الفتك برسول الله صلى الله عليه وآله، وها قد رأيت الأحاديث النبوية الشريفة والآيات القرآنية الكريمة كيف تعدهم لنال في سلك ونظام واحد، فلماذا يحذف اسم «علي» من هذه

١ . شرح نهج البلاغة ١٥ : ٧٢ .

٢ . شواهد التنزيل ١ : ٥٦٤ ، ح ٦٠١ . وانظر: نهج الإيمان ٥١٤ .

٣ . شواهد التنزيل ٢ : ٦ ، ح ٦٢٨ . وانظر: التبيان ٥ : ٣١٨ ، وتفسير القمي ٢ : ١٨٨ .

٤ . شواهد التنزيل ١ : ٥٢١ ، ح ٥٥٢ .

الكوكبة؟! ما يكون ذلك إلا من صنيع المبغضين له والأمويين ومن لفّ لفهم، ويكفيك هذا دليلاً دامغاً على أنّ (نهج الأذان المنامي) حاول التعتيم على الحقيقة المحمدية العلوية، وحاول القضاء على (نهج الأذان السماوي)، فلم يتمكنوا من ذلك.

وهؤلاء الثلاثة - عليّ وحمزة وجعفر عليهم السلام - كانت فضائلهم متماسكة متناسقة حتّى سارت على السنة الشعراء، فقد قال الكميّ في بائيته الرائعة:

أولاك نبّي الله منهم وجعفر
وحمزة ليث الفيّلقين
المجرّب
هُم ما هُم وترا وشفعا لقومهم
لفقدانهم ما يُعذر المّتخوّب
يساق به سوقا عنيفا
قتيل التّجوبي الذي استوّارت
ويجنّب

قال شارح القصيدة: قتيل التجوبي هو عليّ بن أبي طالب، وتجوب قبيلة وهـ م
في مراد^(١).

ولما هجا أحد الشعراء - من ولد كريس بن حبيب بن عبد شمس - محمّد بن عيسى المخزومي، أجابه شاعرٌ آخر فذكر معايب بني عبد شمس وأنهم لم يكن لهم ما يذكر في الجاهلية من أمر اللواء والندوة والسقاية والرفادة، وذكر حقدهم على النبيّ وآل النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال:
لا لواء يُعدّ يا بن كريس لا ولا رقد بيته ذي السّناء
لا حجابٌ وليس فيكم سوى ر وبُغضِ النبيّ والشهداء
الكب

بين حاكٍ ومُخلجٍ وطريدٍ وقتيلٍ يلعنُهُ أهلُ السماء
ولهم زمزمٌ كذاك وجبريدٍ لٌ ومجدُ السقايةِ العرّاءِ

قال ابن أبي الحديد: قال شيخنا أبو عثمان: فالشهداء عليّ وحمزة وجعفر، والحاكي والمخلج هو الحكم بن أبي العاص... والطرید اثنان: الحكم بن أبي العاص ومعأوية بن المغيرة بن أبي العاص، وهما جدّا عبد الملك بن مروان من قبل أمّه وأبيه^(٢)...

١ . الروضة المختارة ٤٠ .

٢ . انظر: شرح نهج البلاغة ١٥ : ١٩٨ - ١٩٩ .

وعلى كلِّ حال، فإن المنصف لا يرتاب في أنَّ الأذان كان تشريعه
سماويا
لا رؤيويًا، وكان عليّ وحمزة وجعفر عليهم السلام، محيطين بالنبيّ
صلى الله عليه وآله، لكن الحكومات والسياسات حذفت اسم عليّ عليه السلام
محاولةً إبعاد هذه المكرمة عنه وهي أقرب إليه من حبل الوريد، وهذه
ليست أول فعلة من فعلات المحرّفين، بل لها نظائر ونظائر إلى ما شاء
الله.

وما ذكرهم مثال بلال وغيره من الصحابة في خبر الإسراء والمعراج
وتركهم ذكر مثال عليّ إلا شاهد آخر على ما حرفوا في الأذان السماوي،
الذي تبناه عليّ وأولاده وأصحابه.
فقد روى مضمون ذلك جابر بن عبد الله الانصاري، وأبو أمامة
الباهلي، وبريده، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وسهل بن سعد الساعدي
عن رسول الله بنصوص متقاربة.
فأمّا ما رواه جابر - فقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما^(١)،
وأبو داود الطيالسي^(٢) وأحمد^(٣) في مسنديهما، وابن حبان في صحيحه^(٤)
- والنص للبخاري - وهو:
قال رسول الله: أريتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرمضاء امرأة أبي
طلحة

وسمعت خشفة فقلت: من هذا؟

قال [جبرئيل]: هذا بلال. قال: ورأيت قصرًا بفنائها جارية، فقلت: لمن
هـ

فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك.
فقال عمر: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أعليك أغار؟!!

١ . صحيح البخاري والنص عنه ٥: ٧٠ ح ١٩٩، باب مناقب عمر بن الخطاب، وانظر: صحيح
مسلم ٤: ١٩٠٨ ح ٢٤٥٧ باب من فضائل أمّ سليم أمّ أنس بن مالك وبلال، وانظر: صحيح مسلم
٤: ١٨٦٢ باب فضائل عمر بن الخطاب ح ٢٣٩٤.
٢ . مسند أبي داود الطيالسي ٢٣٨ ح ١٧١٥ و ١٧١٩، ما رواه محمد بن المنكدر عن جابر.
٣ . مسند أحمد ٣: ٣٨٩ - ٣٩٠.
٤ . صحيح ابن حبان ١٥: ٣٠٩ في ذكر قصر عمر في الجنة، و ص ٥٥٩ في ذكر ايجاب الجنة
لبلال و ١٦: ١٦١ في ذكر أمّ حرام في الجنة.

وفي رواية أبي أمامة التي رواها أحمد في مسنده^(١) والطبراني في الكبير^(٢) والهيتمي في مجمع الزوائد^(٣) - والنص عن أحمد - قال: قال رسول الله: دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة بين يدي، فقلت: ما هذا؟ قال: بلال.

قال: فمضيت فإذا أكثر أهل الجنة فقراء المهاجرين^(٤) وذراري المسلمين ولم أرَ أحداً أقلَّ من الأغنياء والنساء... ثم خرجنا من أحد أبواب الجنة الثمانية، فلما كنت عند الباب أتيت بكفة فوضعت فيها ووضعت أمّتي في كفة، فرجحتُ بها، ثم أتى بأبي بكر فوضع في كفة وجيء بجميع أمّتي في كفه فوضعوا فرجح أبو بكر، وجيء بعمر فوضع في كفة وجيء بجميع أمّتي فوضعوا فرجح عمر، وعرضت أمّتي رجلاً رجلاً^(٥) فجعلوا يمرّون فاستبطنت عبد الرحمن بن عوف، ثم جاء بعد الأياس...

وأما رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه والتي أخرجها الطبراني في الكبير^(٦) وابن أبي شيبة في المصنّف^(٧) وابن حبان في الصحيح^(٨) وأحمد في المسند^(٩) والترمذي في السنن^(١٠) وابن خزيمة في الصحيح^(١١) والحاكم في المستدرک^(١٢) - والنص للترمذي - فهي، قال: أصبح رسول الله فدعا بلالاً، فقال: يا بلال، بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قطّ إلا سمعت خشختك أمامي.

وأما ما رواه أنس بن مالك - الذي جاء في مسند عبد بن حميد^(١٣) - فهو: قال أنس: قال رسول الله: دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت: ما هذه؟

- ١ . مسند أحمد ٥ : ٢٥٩ .
- ٢ . المعجم الكبير ٨ : ٢٨١ ح ٧٩٢٣ باختصار، مسند الروياني ٢ : ٢٧٧ .
- ٣ . مجمع الزوائد ٩ : ٥٩ ، ١٠ : ٢٦٢ .
- ٤ . لا يفوتك عدم ذكر الأنصار في هذا الحديث .
- ٥ . لاحظ عدم ذكر عثمان وعلي في هذا الحديث فقد يكون للخوارج يد في وضعه .
- ٦ . المعجم الكبير ١ : ٣٣٧ - ٣٣٨ ح ١٠١٢ .
- ٧ . المصنّف لابن أبي شيبة ٦ : ٣٩٩ ح ٣٢٣٢٥ .
- ٨ . صحيح ابن حبان ١٥ - ٥٦١ ، ٥٦٢ .
- ٩ . مسند أحمد ٥ : ٣٥٤ و ٣٦٠ .
- ١٠ . سنن الترمذي ٥ : ٦٢٠ ح ٣٦٨٩ .
- ١١ . صحيح ابن خزيمة ٢ : ٢١٤ ح ١٢٠٩ .
- ١٢ . المستدرک على الصحيحين ١ : ٣١٣ و ٣ : ٢٨٥ .
- ١٣ . منتخب مسند عبد بن حميد ٣٩٩ ح ١٣٤٦ .

فقالوا: هذا بلال، ثم دخلت الجنة فسمعت خشفة، فقلت: ما هذه؟ قالوا: هذه الغميضاء بنت ملحان وهي أم سليم أم أنس بن مالك.

وأما ما رواه أبو هريرة - وأخرجه البخاري^(١) ومسلم^(٢) وابن حبان^(٣) في صحاحهم، وابن عساكر في تاريخ دمشق^(٤) - فهو: أن النبي قال لبلال عند صلاة الفجر: يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دفّ نعليك بين يدي في الجنة، قال: ما عملت عملاً أرجى عندي أنني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي.

وأما رواية سهل بن سعد ففيها: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: دخلت الجنة فإذا منظر آت فنظرت فإذا هو بلال^(٥)..

كل هذه النصوص ظاهرة في أنه صلى الله عليه وآله رأى ذلك في معراجة إلى السماء، وهناك نصان آخران يوضحان ذلك؛ فقد روى الطبراني في الكبير بإسناده عن وحشي بن حرب، عن أبيه، عن جدّه: أن رسول الله لما أسري به في الجنة سمع خشخشة، فقال: يا جبرئيل، ما هذه الخشخة؟ قال: هذا بلال.

قال أبو بكر: ليت أم بلال ولدتني وأبو بلال وأنا مثل بلال^(٦) رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وفي مسند أحمد^(٧) ومجمع الزوائد^(٨) والأحاديث المختارة^(٩) وتفسير وتفسير ابن كثير^(١٠) عن ابن عباس، والنص لأحمد: بسنده عن ابن عباس، قال: ليلة أسري بنبي الله صلى الله عليه وآله ودخل الجنة فسمع من جانبها وجسا، قال: يا جبرئيل، ما هذا؟ قال: هذا بلال المؤذن.

- ١ . صحيح البخاري ٢: ٤٩٩ كتاب التهجد بالليل، باب فضل الطهور بالليل والنهار، ح ١٠٧٤ والنص عنه، و ج ٥: ٩٣ كتاب فضائل أصحاب النبي باب مناقب بلال بن أبي رباح.
- ٢ . صحيح مسلم ٤: ١٩١٠ باب من فضائل بلال ح ٢٤٥٨.
- ٣ . صحيح ابن حبان ١٥: ٥٦٥.
- ٤ . تاريخ دمشق ١٠: ٤٥٣ - ٤٥٤.
- ٥ . مسند أحمد ٢: ٣٣٣.
- ٦ . المعجم الكبير ٢٢: ١٣٧، مجمع الزوائد ٩: ٢٩٩.
- ٧ . مسند أحمد ١: ٢٥٧.
- ٨ . مجمع الزوائد ٩: ٣٠٠.
- ٩ . الأحاديث المختارة ٩: ٥٥٢.
- ١٠ . تفسير ابن كثير ٣: ١٤.

فهذه النصوص تشير إلى وجود مثال بلال في الجنة وإن جدّ بعض الأعلام إلى تضعيفها^(١) وحملها على كونها كانت في المنام لا اليقظة، لكنهم بهذا التعليل أو ذلك لا يمكنهم التقليل من حجيتها عند القائلين بها، وذلك لحجية رؤيا الأنبياء عند جميع المسلمين، وقد يكون ما رآه الرسول معنى آخر لتجسّم الأعمال والذي يذهب إلى القول به جماعة من المسلمين.

وبعد هذا فلأمانع من أن نذكر بعض الروايات الدالة على وجود اسم عليّ في العرش والكرسي، والتي لا نستبعد أن تكون حكومة الأمويين وضعت الأحاديث الأنفة في مقابلها، محاولةً منهم لطمس فضائل عليّ والتقليل من أهميتها، وذلك طبق المنهج الذي رسموه وخططوه في ذلك كما تقدم بيانه، إذ أن حديث رجحان كفة أبي بكر وعمر على كفة الناس أجمعين هو تحريف للحديث الثابت عن رسول الله: ضربة عليّ يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين^(٢)، وإليك الآن بعض تلك الروايات المشيرة إلى وجود اسم الإمام عليّ على ساق العرش:

روى الصدوق في «من لا يحضره الفقيه» عن عليّ عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في وصية له: يا عليّ، إنّي رأيت اسمك مقرونا باسمي في ثلاثة مواطن، فأنست بالنظر إليه، إنّي لمّا بلغت بيت المقدس في معراجي إلى السماء وجدت على صخرتها «لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيّده بوزيره ونصرته بوزيره».

فقلت لجبرئيل: من وزيري؟

قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فلما انتهيت إلى سدرة المنتهى وجدت مكتوبا عليها: «إنّي أنا الله لا إله إلا أنا»

وحددي، محمد صفوتي من خلقي، أيّده بوزيره ونصرته بوزيره»، فقلت لجبرئيل:

من وزيري؟ فقال: عليّ بن أبي طالب.

فلما جاوزت سدرة المنتهى انتهيت إلى عرش ربّ العالمين جلّ جلاله، فوجدت مكتوبا على قوائمه: «إنّي أنا الله لا إله إلا أنا وحددي،

١ . فيض القدير ٣: ٥١٧، فتح الباري ٣: ٢٦ - ٢٧، نيل الاوطار ٣: ٨١، تحفة الاحوذى ١٠: ١٢٠.

٢ . شرح المقاصد للتفتازاني ٥: ٢٩٨.

صفوتي من خلقي، أيّده بوزيره ونصرته بوزيره»، فقلت لجبرئيل: مَنْ وزيري؟ فقال: عليّ بن أبي طالب.

فلما رفعت رأسي نظرت على بطنان العرش مكتوبا: «إني أنا الله لا إليه إلا أنسه»^(١).
محمد حبيبي، أيّده بوزيره ونصرته بوزيره»^(١).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة للصدوق بإسناده إلى وهب بن منبّه، رفعه

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله لعليّ: لما عرج بي ربّي جلّ جلاله أتاني النداء: يا محمد.

قلت: لبيك ربّ العظمة لبيك، فأوحى الله إليّ: يا محمد، فيمّ اختصم الملأ الأعلى؟

فقلت: إلهي، لا علم لي.

فقال: يا محمد، هلاّ اتّخذت من الأدميين وزيرا وأخا ووصيا من بعدك؟

قلت: إلهي، ومن أتخذ؟ تخير أنت يا إلهي. فأوحى الله إليّ: يا محمد، قد اخترت لك من الأدميين عليّ بن أبي طالب.

فقلت: إلهي، ابن عمّي؟

فأوحى الله إليّ: يا محمد، إنّ عليّا وارثك ووارث العلم من بعدك، وصاحب لوائك لواء الحمد يوم القيامة، وصاحب حوضك يسقي من ورد عليه من مؤمني أمّتك.

ثمّ أوحى الله إليّ: يا محمد، إنّي قد أقسمت على نفسي قسما حقا، لا يشرب من ذلك الحوض مُبغض لك ولأهل بيتك وذريّتك الطيبين الطاهرين، حقا أقول يا محمد: لأدخلنّ جميع أمّتك الجنّة إلا من أبى من خلقي، فقلت: إلهي، هل واحد يأبى من دخول الجنّة؟

فأوحى الله إليّ: بلى.

فقلت: وكيف يأبى؟

فأوحى الله إليّ: يا محمد، اخترتُك من خلقي، واخترتُ لك وصيا من بعدك،

١ . من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٣ - ٣٧٤، وفي تاريخ دمشق ٤٧: ٣٤٤ بسنده عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيّده بعليّ ونصرته بعليّ.

وجعلته منك بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي، وألقيت محبته
في قلوب قبا

فجعلته أبا لولدك، فحقه بعدك على أمتك كحقك عليهم في حياتك، فمن
جد حقه فقد جد حقك، ومن أبي أن يواليه فقد أبي أن يواليك، ومن أبي
أن يواليك فقد أبي أن يدخل الجنة، فخررت لله ساجدا شكرا لما أنعم
علي... والخبر طويل اكتفينا منه بهذا المقدار^(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي بردة الأسلمي، قال:
سـمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي عليه السلام: يا علي، إن الله
أشهدك معي في سبع مواطن: أما أول ذلك فليلة أسري بي إلى السماء،
قال لي جبرئيل: أين أخوك؟

فقلت: خلفته ورائي.

قال: ادع الله فليأتك به، فدعوت الله و إذا مثالك معي و إذا الملائكة
وقف

صفوف، فقلت: يا جبرئيل، من هؤلاء؟ قال: هم الذين يباهيهم الله بك يوم
القيامة، فدنوت فنطقت بما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

والثاني حين أسري بي من المرة الثانية، فقال لي جبرئيل: أين أخوك؟
فقا

خلفته ورائي، فقال: ادع الله فليأتك به، فدعوت الله فإذا مثالك معي، فكشيت
لي

عن سبع سموات حتى رأيت سكاها وعمارها وموضع كل ملك منها...
إلى أن قال:

وأما السادس: لما أسري بي إلى السماء جمع الله لي النبيين فصليت
بهم ومثال

خلفي^(٢).

وفي عيون أخبار الرضا، بسنده عن أمير المؤمنين، قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء أوحى إلي ربي جلّ جلاله

١ . كمال الدين وتمام النعمة ٢٥٠ - ٢٥١ وانظر: تفسير نور الثقلين ٤: ٤٧٠.

٢ . تفسير علي بن إبراهيم ٢: ٣٣٥ - ٣٣٦ في تفسير سورة النجم وعنه في تفسير نور الثقلين ٥:
١٥٨ سورة النجم ح ٥٥.

فقال: يا محمد، إنني أطلعتُ إلى الأرضِ أطلاعةً فاخترتك منها فجعلتك نبياً، وشَقَقْتُ لك من اسمي اسماً، فأنا محمود وأنت محمد.

ثم أطلعت الثانية فاخترت منها علياً وجعلته وصيِّك وخليفتك وزوج ابنتك

وأبا ذريتك، وشَقَقْتُ له أسماً من أسمائي؛ فأنا العليُّ الأعلى وهو عليٌّ. وجعلت فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثم عرضت ولايتهم

علي
الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقرَّبين^(١)...

وفي كمال الدين وتمام النعمة، بإسناده إلى عبد السلام بن صالح الهروي، ع

علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علي: عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل، قال فيه: ... فنظرت - وأنا بين يدي ربي - إلى ساق العرش، فرأيت اثني عشر نورا، في كلِّ نور سطر أخضر مكتوب عليه اسم كلِّ وصيٍّ من أوصيائي، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم مهدي أمّتي.

فقلت: يا رب، أهؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت: يا محمد، هؤلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي وحجّتي بعدك على بريتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك. وعزّتي وجلالي لأظهرن بهم ديني، ولأعلنن بهم كلمتي، ولأظهرن الأرض بأخرهم من أعدائي، ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرن له الرياح، ولأدللن له الرقاب الصعاب، ولأرقينّه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي، ولأمدنّه بملائكتي حتّى يُعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدِي، ثم لأديمنّ ملكه، ولأداولنّ الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة^(٢).

وفي أصول الكافي، بإسناده عن الإمام عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: ... فإنه لما أسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل لأهل السماء استودع الله حبّي وحبّ أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة^(٣)...

١ . عيون أخبار الرضا ٢: ٦١ .

٢ . كمال الدين وتمام النعمة ٢٥٦ .

٣ . الكافي ٢: ٤٦ كتاب الإيمان والكفر، باب نسبة الإسلام ح ٣ .

وقد مر عليك خبر سدير الصيرفي وعمر بن أذينة في الإسراء والمعراج، وقول الإمام الصادق للاخير: يا عمر، ما ترى هذه الناصبة في أذانهم وركوعهم وسجودهم؟! نحن جننا بهذه النصوص كي نؤكد على صحة ما قاله الإمام الصادق عن النواصب ودورهم في تحريف الأمور وخصوصا المسائل التي فيها اسم الإمام عليّ بن أبي طالب وأهل بيت الرسول، وان تحريفاتهم لا تقتصر على مفردة أو مفردتين في التاريخ والشريعة، بل شملت جميع مراحل التشريع من الاسراء حتى ما لا نهاية، وإنك لو مررت بالتاريخ والحديث ودرستهما دراسة واقعية بعيدا عن التعصب لو افقتنا فيما قلناه وستقف على عشرات الروايات الدالة على مكانة الإمام عليّ والتي سنتعرض لها في الشهادة الثالثة لاحقا بإذن الله تعالى.

نحن لا نريد التفصيل في مثل هذه الموارد، بل نذكر القارئ الكريم بما مر عليه من كلام شيخ ابن أبي الحديد من أن الأمويين سعوا إلى تحريف الفضائل الثابتة في عليّ وجعلها في عثمان وأبي بكر وعمر، ونحن لو تابعنا السير التاريخي لوقفنا على التحريف اللفظي والمعنوي لبني أمية، فكما أنهم جعلوا اللعنة سمة وشرفا للملعونين!! فقد أولوا كلام الرسول في معاوية (لا أشبع الله بطنك) بأنه دعا له بأنه سيأتي يوم القيامة خميص البطن لا شيء عليه^(١). وخير مثال على التحريف المعنوي هو ما أشاعه معاوية في واقعة صفين عن مقتل عمّار بن ياسر - لما تناقل الجندُ كلامَ رسول الله «تقتلك الفئة الباغية» - الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو القاتل له حيث أخرج به وزجّ به

١ . والاعرب من هذا ما قاله ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ١٢٣، وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه واخراه، أمّا في الدنيا فإنه لما صار إلى الشام اميرا كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع اكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا ويقول والله ما أشبع وانما اعياء، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك. وأمّا في الآخرة... فإن رسول الله قال: اللهم انما أنا بشر فايماء عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة... وهذا الحديث فضيلة لمعاوية.

في المعركة، ولما سمع الإمام عليّ بن أبي طالب بهذه المقالة قال ما مفاده: وعلى هذا الكلام يكون رسول الله هو الذي قتل حمزة لأنّه أخرجه لحرب المشركين!

وأقبح منه ما روي أنّه قال لأهل الشام: إنّما نحن الفئة الباغية التي تبغي دم عثمان^(١)!

فللأمويين تحريفات لفظية وتحريفات معنوية كثيرة، وإنّ هذه الدراسات تـريـة أن توضح أمثال هذه الأمور في الشريعة والتاريخ وانعكاسا على الأذان هنا. فلا يجوز حمل بعض التحقيقات حول الأمويين وعقيدتهم في الاسراء والمعراج... على الإسهاب والخروج عن البحث، بل ما كتبه هو المقصود، ولولا لفهمنا ملابسات التشريع الذي نحن بصدده بيانه.

بلى، إنّهم لم يكونوا يحبّون آل الرسول، بل لم يحبّوا كلّ من أحبّه الرسول، كانوا يتعاملون مع آل الرسول بالشدّة والبغض، فقد ذكر المناوي في فيض القدير، وكذا القرطبي في تفسيره واقعة دارت بين مروان بن الحكم وأسامة بن زيد.

وأسامة كان ممن يحبهم رسول الله - حسب نص القرطبي وغيره - وكان عمر بن الخطاب أعطاه خمسة آلاف درهم ولابنه عبد الله ألفي درهم، فسأل عبد الله عن سر ذلك فأجابه عمر أنّه فعل ذلك لمحبة رسول الله له. قال القرطبي: وقد قابل مروان هذا الواجب (أي محبة محبّ رسول الله) بنقيضه، وذلك أنّه مرّ بأسامة وهو يصلّي بباب بنت رسول الله فقال مروان: إنّما أردت أن تُري الناس مكانك، فقد رأينا مكانك! فعَل الله بك وفعل، وقال قولاً قبيحاً. وقال له أسامة: أدبتي وإنك فاحش متفحش، وقد سمعتُ رسول الله يقول: إنّ الله يُبغض الفاحش المتفحش.

فانظر ما بين الفعلين وقِس ما بين الرجلين، فلقد آذى بنو أمية رسول الله في أحبابه وناقضوه في محابه^(١).
وعليه فالذي يجب القول به هنا، هو أنّ خبر الإسراء ثابت بالكتاب، والمعراج ثابت بالسنة - وإن لم يفرّق بعضهم بينهما فأطلق الإسراء على كليهما تساهلاً - وهذا ما جعل المجال مفتوحاً للإجمال والتفصيل والتلاعب والتشكيك في خبر المعراج أكثر من أخبار الإسراء.
فهل يرجع إجمالهم في نقل أخبار المعراج إلى عدم وقوفهم على نقول أهل بيت الوحي والنبوة؟ أم يرجع إلى أنّهم أجملوا ذلك عن قصد وعمد؟ لعلك عرفت جواب هذا السؤال ممّا مرّ، فأغنى ذلك عن الإطالة.
وبهذا يكون ما كتبناه هو إشارة إلى دواعي الأمويين ومن لفّ لفهم في تحريف خبر الأذان، وكيف ربطوا خبر الإسراء والمعراج بالشجرة الملعونة، مدّعين أنّها شجرة الزقوم؟ بل كيف ربطوها بمسائل أخرى وقضايا مصيرية في الشريعة والتاريخ؟ كلّ ذلك للتشكيك في مقام الرسول صلى الله عليه وآله والقول بأنّ منامه المعراجي هذا يشابه الأذان و يحتاج إلى شاهد لتثبيت صحته.

١ . تفسير القرطبي ١٤ : ٢٤٠، وعنه في فيض القدير ١ : ٦١٨ .

مطلبان

لنا هنا مطلبان يتضحان بعد طرحنا هذين السؤالين:
الأول: هل أن الأذان عبارة عن الإعلام للصلاة فقط، أم هل أنه بيان لأصول العقيدة وأركان الإسلام؟
الثاني: هل أن أمر الأذان توقيفي؟ وإذا كان توقيفيًا، فهل هناك فرق بين

توقيفية الواجبات وتوقيفية المستحبات أم لا؟
وقبل الجواب عن السؤال الأول لابد من الإشارة إلى حقيقة هامة في العبادات وغيرها، وهي: أن الأمور العبادية في الشرع لها ظاهر ومغزى، فقد يمكن للإنسان أن يقف على ظاهر شيء ويؤديه دون أن يعرف كنهه ومغزاه والغاية القصوى من القصد، فالمطالع مثلاً في ما جاء عن أهل بيت النبوة يقف على أسرار في الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها، ويتعرف على أمور كان لا يعرفها من ذي قبل، ولم يتنبه لها في نظرتة الأولى، من ذلك ما ذكره الصدوق في علل الشرائع، حيث قال فيه:

إن نورا من اليهود جاءوا إلى رسول الله فسألوه عن مسائل وكان فيما سألوه:
أخبرنا يا محمد لأي علة تُوضأ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لما أن وسوس الشيطان إلى آدم دنا من الشجرة ونظر إليها ذهب ماء وجهه، ثم قام ومشى إليها وهي أول قدم مشت إلى الخطيئة، ثم تناول بيده منها ممّا عليها فأكل فطار الحلي والحلل عن جسده، فوضع آدم يده على [أُم] رأسه وبكى، فلما تاب الله عليه فرض عليه وعلى ذرّيته غسل هذه الجوارح الأربع، وأمره بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة، وأمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول منها، وأمره

بمسح الرأس لما وضع يده على أمّ رأسه، وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة»^(١).

ومعنى هذا النصّ أنّ العبد يجب عليه تطهير أعضائه حينما يريد التوجّه إلى الله تعالى، وبما أنّ الوجه واليدين فيهما الحواسّ الخمس الظاهرة التي بها يُعصى الإله كإلهان عليه السلام، أن يغسلهما قبل الدخول إلى حضرة الإله.

أمّا الرأس والقدمان فهما عنصران آليان يتقوّى بهما المكلف على المعصية أو الطاعة وهما ليسا من الحواسّ الخمس، ففي الرأس القوّة المفكّرة والخياليّة التي تبعث الفرد إلى ارتكاب المعاصي أو فعل الواجب، وبالرّجل يسعى إليهما - الطاعة أو المعصية - فأمر سبحانه المسح عليهما كي ينجو من الوسوس الشيطانيّة والأغلال النفسيّة ويدخل حضيرة القدس طاهراً نقيّاً من الأدناس، ولأجل هذه الحقيقة فقد أكّدتنا في كتابنا «وضوء النبيّ» على: أنّ طهارة الوضوء هي طهارة حكميّة وليست بحقيقيّة، لأنّ المؤمن لا يُنجّسه شيء، وبالوضوء يُعرف من يطيع الله ومن يعصيه^(٢).

وبعد هذه المقدّمة لا بدّ من الإجابة عن السؤال الأوّل.

١ . علل الشرائع ١: ٢٨٠ الباب ١٩١.

٢ . انظر: وضوء النبيّ، المدخل ٤٢٨.

١ - الأذان إعلام للصلاة أم بيان لأصول العقيدة؟

قال القاضي عياض: «اعلم أنّ الأذان كلام جامع لعقيدة الإيمان،
مشتملة على

نوعيه من العقليّات والسمعيّات، فأوّله إثبات الذات وما يستحقّه من الكمال
[أي

الصفات الوجودية]، والتنزيه عن أضدادها [أي الصفات العدمية]، وذلك
بقوله

«الله أكبر»، وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالّة على ما ذكرناه.

ثمّ صرّح بإثبات الوجدانيّة ونفي ضدّها من الشركة المستحيلة في حقّه
سبحانه

وتعالى، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد، المقدّمة على كلّ وظائف الدين.
ثمّ صرّح بإثبات النبوّة والشهادة بالرسالة لنبيّنا، وهي قاعدة عظيمة

بعد

الشهادة بالوحدانيّة وموضعها بعد التوحيد، لأنّها من باب الأفعال الجائزة
الوقوع

وتلك المقدّمات من باب الواجبات، وبعد هذه القواعد كملت العقائد
العقليّة

ات فيمات يجب و يستحيل ويجوز في حقّه سبحانه وتعالى.

ثمّ دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات، فدعا إلى الصلاة وجعلها عقب
إثبات

النبوّة، لأنّ معرفة وجوبها من جهة النبيّ صلى الله عليه وآله لا من جهة
العقل.

ثمّ دعا إلى الفلاح، وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار
بأمور الآخرة من البعث والجزاء، وهي آخر تراجم عقائد الإسلام.

ثمّ كرّر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها، وهو متضمّن لتأكيد
الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان وليدخل

المصلي فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من يعبده وجزيل ثوابه...»^(١).

وقد نقل محمد بن علان - شارح الأذكار النوويّة - كلام القاضي عياض بشيء من التصرف، كقوله:

ثم كرّر التكبير آخره إشارة إلى الاعتناء السابق، لأنّ هذا المقام هو الأصل المبنيّ عليه جميع ما تقرّر من العقائد والقواعد، وختم ذلك بكلمة التوحيد إشارة إلى التوحيد المحض...^(٢).

وكان آخره اسم «الله» ليطابق البداءة، إشارة إلى أنّه الأوّل والآخر في كلّ شيء، قال القاضي: «ثم كرّر ذلك عند إقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها، وفي ذلك تأكيد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، ليدخل المصلي فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظيم حق من عبده وجزيل ثوابه على عباده»^(٣).

وقد علّق ابن علان على كلام القاضي عياض بقوله: (قلت: قال ابن

حج

شرح المشكاة: وللاعتناء بشأن هذا المقام الأكبر كرّر الدالّ عليه أربعاً

إش

رفعته، وكأنّ حكمة خصوص الأربع أنّ القصد بهذا التكرير تطهير شهود

ال

بشهود ذلك عن شهواتها الناشئة عن طبائعها الأربعة الناشئة عن أخلاطها الأربعة.

وفي شرح العباب له: (وكانّ حكمة الأربع أنّ الطبائع أربعة لكلّ منها

كم

ونقص يخصّه بإزاء كلّ منها كلمة من تلك ليزيد في كمالها ويطهر

١ . نقله عنه النووي في المجموع ٣ : ٧٥ . وانظر كلام السيّد البكري في حاشية اغائة الطالبين ١ :

٢٢٩ والبخاري في شرح الكرمانى ٥ : ٤ وشرح النووي على مسلم.

٢ . وهو أن (لا إله إلا هو)، معنى آخر لقوله (إنّا لله و إنّا إليه راجعون) أو قوله: (و إلى ربك المنتهى).

٣ . انظر: الفتوحات الربانيّة على الأذكار النوويّة ٢ : ٨٤ .

نقصها، وكذا بقية...
بذلك في كل محل ورد فيه التبريع^(١).
وقال القرطبي وغيره: (الأذان على قلة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة،
لأنه بدأ بالأكبرية وهي تتضمن وجود الله وكمالته، ثم تثنى بالتوحيد ونفي الشرك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وآله.
ثم إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة، لأنها لا تُعرف إلا من جهة الرسول.

ثم دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد.
ثم أعاد ما أعاد توكيدا، ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت والدعاء إلى الجماعة وإظهار شعار الإسلام^(٢).
قال ابن خزيمة: فإذا كان المرء يطمع بالشهادة بالتوحيد لله في الأذان وهو...
يرجو أن يخلصه الله من النار بالشهادة لله بالتوحيد في أذانه، فينبغي لكل مؤمن أن يتسارع إلى هذه الفضيلة طمعا في أن يخلصه الله من النار، خلا في منزله أو في بادية...
أو قرية أو مدينة طلبا لهذه الفضيلة^(٣).

وقال القسطلاني - بعد نقله خبر أبي هريرة عن النبي وقوله: «إذا نُودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين» - (لعظيم أمره لما اشتمل عليه من قواعد الدين وإظهار شرائع الإسلام، أوحى: لا يشهد للمؤذن بما سمعه إذا استشهد يوم القيامة، لأنه داخل في الجن والإنس المذكور في حديث: لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة^(٤)).

١ . الفتوحات الربانية ٢: ٨٣.
٢ . فتح الباري ٢: ٦١ كتاب أبواب الأذان، وعنه في بذل المجهود ٤: ٣ - ٤ . وعون المعبود ٢: ١٢٧.
٣ . صحيح ابن خزيمة ١: ٢٠٨.
٤ . إرشاد الساري ٢: ٥.

وأخرج عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري: أن أبا بكر الصديق
قال: الأذان شعار الإيمان^(١).

ونقل الصدوق بسنده إلى الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، قال:
كنّا جلوساً في المسجد، إذ صعد المؤذن المنارة، فقال: الله أكبر، الله أكبر،
فبكى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وبكىنا لبكائه، فلمّا
فرغ المؤذن، قال: «أتدرون ما يقول المؤذن؟».

قلنا: الله ورسوله ووصيّيه أعلم.
فقال: «لو تعلمون ما يقول لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، فليقله: الله
أكبر،

معان كثيرة.
منها: أن قول المؤذن: «الله أكبر»، يقع على قدميه، وأزليته، وأبديته،
وعلمه

وقوته، وقدرته، وحلمه، وكرمه، وجوده، وعطائه، وكبر يائه.
فإذا قال المؤذن: الله أكبر، فإنّه يقول: الله الذي له الخلق والأمر،
وبمشيئته

الخلق، ومنه كلّ شيء للخلق، وإليه يرجع الخلق، وهو الأوّل قبل كلّ
شيء لم يزل، والآخر بعد كلّ شيء لا يزال، والظاهر فوق كلّ شيء لا
يُدرَك، والباطن دون كلّ شيء لا يُحدّ، فهو الباقي، وكلّ شيء دونه فان.
والمعنى الثاني: «الله أكبر»، أي: العليم الخبير، عليم بما كان وما
يكون قبل أن يكون.

والثالث: «الله أكبر»، أي: القادر على كلّ شيء، يقدر على ما يشاء،
القوي
لقدرته، المقنن على خلقه، القوي لذاته، وقدرته قائمة على الأشياء كلّها،
إذا قضى

أمراً فإنما يقول له: كن فيكون.
والرابع: «الله أكبر» على معنى حلمه، وكرمه، يحلم كأنّه لا يعلم، و
يصفح كأنّه لا يرى، ويستتر كأنّه لا يعصى، لا يعجل بالعقوبة كرماً
وصفحاً وحلماً.

والوجه الآخر في معنى الله أكبر: أي الجواد، جزيل العطاء، كريم
الفعال.

والوجه الآخر: الله أكبر فيه نفي صفته وكيفيته، كأنه يقول: الله أَجَلُّ
مَن أَنْ
يُدْرِكُ الوَاصِفُونَ قَدْرَ صِفَتِهِ، الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ، وَإِنَّمَا يَصِفُهُ
الوَاصِفُونَ عَلا
قَدْرَهُمْ لَا عَلَى قَدْرِ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ أَنْ يُدْرِكَ الْوَاصِفُونَ
صِفَتَهُ عَلا
كَبِيرًا.

والوجه الآخر: الله أكبر، كأنه يقول: الله أعلى وأجلّ، وهو الغني عن
عباده، لا حاجة به إلى أعمال خلقه.

وأما قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله»: فأعلام بأنّ الشهادة لا تجور إلاّ
بمعرفة
القلب، كأنه يقول: أعلم أنه لا معبود إلاّ الله عزّ وجلّ، وأنّ كلّ معبود
باطل
الله عزّ وجلّ، وأقرّ بلساني بما في قلبي من العلم بأنّه لا إله إلاّ الله، وأشهد
أنّه لا ملجأ من الله عزّ وجلّ إلاّ إليه، ولا منجى من شرّ كلّ ذي شرّ،
وفتنة كلّ ذي فتنة إلاّ بالله.

وفي المرّة الثانية: «أشهد أن لا إله إلاّ الله»، معناه: أشهد أن لا هادي
إلاّ

ولا دليل إلى الدين إلاّ الله، وأشهد أنّي أشهد أنّ لا إله إلاّ الله، وأشهد
سُ

السموات، وسكّان الأرضين، وما فيهنّ من الملائكة والناس أجمعين، وما
فِيهِنَّ مَن

الجبّال، والأشجار، والدوابّ، والوحوش، وكلّ رطب ويابس، بأنّي أشهد
أنّ

لا خالق إلاّ الله، ولا رازق، ولا معبود، ولا ضارّ، ولا نافع، ولا قابض،
ولا باسط، ولا معطي، ولأمانع، ولا ناصح، ولا كافي، ولا شافي، ولا

مُقدّم، ولا مُؤخّر إلاّ الله، له الخلق والأمر، وبيده الخير كلّهُ، تبارك الله
ربّ العالمين.

وأما قوله: «أشهد أن محمداً رسول الله»، يقول: أشهد الله أنه لا إله إلا هو، وأن محمداً عبده ورسوله، ونبهه، وصفه، ونجبه، أرسله إلى كافة الناس أجمعين بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأشهد من السماوات والأرض، من النبيين والمرسلين، والملائكة والناس أجمعين أن محمداً سادس يد الأولين والآخرين.

وفي المرة الثانية: «أشهد أن محمداً رسول الله»، يقول: أشهد أن لا حاجة [إلى أحد] إلا إلى الله الواحد القهار الغني عن عباده والخالق والناس أجمعين، وأنتم من أرسلكم إلى الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فممن أنكره وجده ولم يؤمن به أدخله الله عز وجل نار جهنم خالداً مخلداً، لا ينفك عنها أبداً.

وأما قوله: «حي على الصلاة»، أي هلموا إلى خير أعمالكم، ودعوة ربكم وسارعوا إلى مغفرة من ربكم، وإطفاء ناركم التي أوقدتموها على ظهركم، وركم، وفكركم، وقابكم التي رهنتموها، ليكفر الله عنكم سيئاتكم، ويغفر لكم ذنوبكم، ويبدل سيئاتكم حسنات، فإنه ملك كريم، ذو الفضل العظيم، وقد أذن لنا - معاشر المسلمين - بالدخول في خدمته، والتقدم إلى بين يديه.

وفي المرة الثانية: «حي على الصلاة»، أي قوموا إلى مناجاة ربكم وعرض حاجاتكم على ربكم، وتوسلوا إليه بكلامه، وتشفعوا به وأكثروا الذكر والقنوت، والركوع والسجود، والخضوع والخشوع، وارتفعوا إليه حوائجكم، فقد أذن لنا في ذلك.

وأما قوله: «حي على الفلاح»، فإنه يقول: أقبّلوا إلى بقاء لا فناء معه، ونجاة لا هلاك معها، وتعالوا إلى حياة لا موت معها، وإلى نعيم لا نفاذ له، وإلى

مُلْكُهُ لا زوال
عنه، و إلى سرور لا حزن معه، و إلى أنس لا وحشة معه، و إلى نور لا
ظلمة معه، و إلى سعة لا ضيق معها، و إلى بهجة لا انقطاع لها، و إلى غنى لا فاقة
معه، و إلى صحة لا سقم معها، [و إلى عز لا ذلّ معه]، و إلى قوة لا ضعف معها، و
إلى كرامة لا يكرامها
لها من كرامة، و عَجَّلُوا إلى سرور الدنيا والعقبى، و نِجاة الآخرة والأولى.
و في المرّة الثانية: «حيّ على الفلاح»، فإنّه يقول: سابقوا إلى ما
دعوتكم إليه، و إلى جزيل الكرامة، و عظيم المنّة، و سنيّ النعمة، و الفوز العظيم، و نعيم
الأبدي

جوار محمّد صلى الله عليه وآله في مقعد صدق عند مليك مقتدر.
و أمّا قوله: «الله أكبر، الله أكبر»، فإنّه يقول: الله أعلى وأجلّ من أن
يعلم أحده
من خلقه ما عنده من الكرامة لعبد أجابه وأطاعه، و أطاع أمره وعبده
و عرف عيده، و اشتغل به و بذكره، و أحبّه و آمن به، و اطمأنّ إليه و وثق به و خافه
و رجاها،

و اشتاق إليه، و وافقه في حكمه وقضائه، و رضي به.
و في المرّة الثانية: «الله أكبر»، فإنّه يقول: الله أكبر: و أعلى وأجلّ من
أن يعلم
أحد مبلغ كرامته لأوليائه و عقوبته لأعدائه، و مبلغ عفوه و غفرانه و نعمته
لمن أجابه

و أجاب رسوله، و مبلغ عذابه و نكاله و هو انه لمن أنكره و جرده.
و أمّا قوله: «لا إله إلا الله»، معناه: لله الحجة البالغة عليهم بالرسول
والرسالة،

و البيان والدعوة، و هو أجلّ من أن يكون لأحد منهم عليه حجة، فمن أجابه
فله النور و الكرامة، و من أنكره فإنّ الله غنيّ عن العالمين، و هو أسرع
الحاسبين.

ومعنى «قد قامت الصلاة» في الإقامة، أي حان وقت الزيارة
والمناجاة، وقضاء الحوائج، ودرك المُنَى، والوصول إلى الله عزّ وجلّ، وإلى
كرامته وغفرانه وعفوه ورضوانه.

قال الصدوق: إنّما تَرَكَ الراوي ذكر «حيّ على خير العمل» للتقيّة^(١)،
وقد روي في خبر آخر أنّ الصادق عليه السلام سئل عن معنى «حيّ على
خير العمل» فقال: «خير العمل: الولاية». وفي خبر آخر: «خير العمل: برُّ فاطمة وولدها»^(٢).

قلت: سنفتح بإذن الله ملابسات هذه الرؤية وما يتلوها عن ابن عباس
في البابين الأوّل «حيّ على خير العمل، الشرعية والشعارية»، والثالث
«أشهد أن عليّاً وليّ الله بين الشرعية والابتداع» من هذه الدراسة إن شاء
الله تعالى. إذ لا خلاف عند جميع الفرق الشيعية إسماعيلية كانت، أم
زيدية، أم إمامية اثني عشرية جزئية الحيلة الثالثة، وأكّد الدسوقي
وغيره - كما سيأتي - على تأذين الإمام عليّ بن أبي طالب بها، فقد يكون -
وكما احتمله الشيخ الصدوق - الراوي إنّما ترك ذكر (حيّ على خير
العمل) للتقيّة وذلك للظروف التي كانت تمر بها الشيعة. ويؤيد ما قلناه في
شرعية الحيلة الثالثة وأنها موجودة في الأخبار المنقولة عن الإمام عليّ
وابن عباس ما روي عند الزيدية عن ابن عباس عن عليّ بن أبي طالب
قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لما أنتهي بي إلى سدره
المنتهى... وفيه: حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل»^(٣).

١ . وعلق القاضي نعمان بن محمد بن حسون (ت ٣٦٣هـ) في الايضاح على الرواية التي ليس فيها
ذكر (حيّ على خير العمل) بقوله. ولا اظن والله اعلم ان ذلك ترك من الرواية إلا لمثل ما قدمت
ذكره في كتاب الطهارات من الوجوه التي من اجلها اختلفت الرواة عن اهل البيت [أي البقية راجع
دعائم الإسلام ١: ٥٩ - ٦٠] فان لم يكن ذلك فقد ثبت انه اذن بها على عهد رسول الله
صلى الله عليه وآله توفاه الله تعالى وان عمر اقطعه....

٢ . معاني الأخبار ٣٨ - ٤١ والنصّ عنه، والتوحيد ٢٣٨ - ٢٤١ كما في مستدرک وسائل الشيعة
٤: ٦٥ - ٧٠ ح ٤١٨٧ / ١، وانظر: بيان المجلسي في بحار الأنوار ٨١: ١٣٤ - ١٣٥، وتفسيره
عليه السلام الأذان في جامع الأخبار: ١٧١ كما في بحار الأنوار ٨١: ١٥٣ - ١٥٥.
٣ . انظر: الخبر بتفصيله في كتاب الاعتصام بحبل الله ١: ٢٩٠.

وروى الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن عطاء، قال: كُنَّا عند ابن
عَبَّاسٍ
بِالطَّائِفِ، أَنَا وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَعُكْرَمَةُ، فَجَاءَ الْمُؤَدِّنُ فَقَالَ:
«اللَّهُ أَكْبَرُ»
اللَّهُ أَكْبَرُ»، وَاسْمُ الْمُؤَدِّنِ قَتْمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيِّ.
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَتَدْرُونَ مَا قَالَ الْمُؤَدِّنُ؟ فَسَأَلَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ، فَقَالَ:
أَخْبَرْنَا بِتَقْسِيرِهِ.

قال ابن عباس: (إذا قال المؤدِّن: «الله أكبر، الله أكبر»، يقول: يا
مَشَاغِيلَ الْأَرْضِ، قَدْ وَجِبَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَرَّعُوا لَهَا.
وَإِذَا قَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، يَقُولُ: يَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَشْهَدُ
لِي فِي مَنَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ عَلَيَّ أَنِّي أَخْبَرْتُكُمْ فِي الْيَوْمِ خَمْسَ مَرَّاتٍ.
وَإِذَا قَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ»، يَقُولُ: تَقُومُ الْقِيَامَةَ وَمُحَمَّدٌ
يَشْهَدُ لِي
عَلَيْكُمْ أَنِّي قَدْ أَخْبَرْتُكُمْ بِذَلِكَ فِي الْيَوْمِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَحَجَّتِي عِنْدَ اللَّهِ قَائِمَةً.
وَإِذَا قَالَ: «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ»، يَقُولُ: دِينًا قَيِّمًا فَأَقِيمُوهُ، وَإِذَا قَالَ:
«حَيَّ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ»، يَقُولُ: هَلُمُّوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَخُذُوا سَهْمَكُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، يَعْنِي
الْفَلَاحَ»، يَقُولُ: هَلُمُّوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَخُذُوا سَهْمَكُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، يَعْنِي
الْجَمَاعَةَ.

وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ»، يَقُولُ: حَرَمْتَ الْأَعْمَالَ.
وَإِذَا قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، يَقُولُ: أَمَانَةَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَسَبْعِ أَرْضِينَ،
وَالْجِبَالِ، وَالْبَحَارِ وَضَعْتَ عَلَى أَعْنَاقِكُمْ إِنْ شِئْتُمْ فَأَقْبَلُوا وَإِنْ شِئْتُمْ
فَأَدْبِرُوا^(١).

وقد مرَّ عليك كلام الإمام الحسين «والأذان وجه دينكم»، وقول محمد
ابن
الْحَنْفِيَّةِ: «عَمَدَتُمْ إِلَى مَا هُوَ الْأَصْلُ فِي شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَمَعَالِمِ الدِّينِ»^(٢)،
وَمِمَّا جَاءَ فِي

١ . معاني الأخبار ٤١ كما في بحار الأنوار ٨١: ١٤١ - ١٤٣ ومستدرک وسائل الشيعة ٤: ٧١ - ٧٢.

٢ . جاء في كتاب الاعتصام بحبل الله ١: ٢٧٨: قال الهادي إلى الحق [من أئمة الزيدية]: والأذان من أصول الدين، وأصول الدين لا يتعلمها رسول الله على لسان بشر من العالمين.

(مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه) بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ فِيمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْعَلْلِ
عَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ:

«إِنَّمَا أُمِرَ النَّاسُ بِالْأَذَانِ لَعَلَّ كَثِيرَةً، مِنْهَا: أَنْ يَكُونَ تَذَكِيرًا لِلنَّاسِي،

وَتَنْبِيهًا

لِلْغَافِلِ، وَتَعْرِيفًا لِمَنْ جَهِلَ الْوَقْتَ وَاشْتَغَلَ عَنْهُ؛ وَيَكُونُ الْمُؤَدِّنُ بِذَلِكَ دَاعِيًا
لِلْعِبَادَةِ

الْخَالِقِ، وَمَرْغَبًا فِيهَا، وَمُقَرَّرًا لَهُ بِالتَّوْحِيدِ، مَجَاهِرًا بِالإِيمَانِ، مَعْلَنًا
بِالإِسْلَامِ...».

إِلَى أَنْ يَقُولَ: «وَجُعِلَ بَعْدَ التَّكْبِيرِ الشَّهَادَتَانِ، لِأَنَّ أَوَّلَ الإِيمَانِ هُوَ

التَّوْحِيدُ

وَالإِقْرَارُ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالثَّانِي الإِقْرَارُ لِلرَّسُولِ بِالرِّسَالَةِ، وَأَنَّ إِطَاعَتَهُمَا
وَمَعْرِفَتَهُمَا

مَقْرُونَتَانِ، وَلِأَنَّ أَصْلَ الإِيمَانِ إِنَّمَا هُوَ الشَّهَادَتَانِ، فَجُعِلَ شَهَادَتَيْنِ
شَهَادَتَيْنِ كَمَا جُعِلَ

فِي سَائِرِ الْحَقُوقِ شَاهِدَانِ، فَإِذَا أَقْرَأَ الْعَبْدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَأَقْرَأَ
لِلرَّسُولِ

بِالرِّسَالَةِ فَقَدْ أَقْرَأَ بِجُمْلَةِ الإِيمَانِ؛ لِأَنَّ أَصْلَ الإِيمَانِ إِنَّمَا هُوَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ.
وَإِنَّمَا جُعِلَ

بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ الدَّعَاءُ إِلَى الصَّلَاةِ، لِأَنَّ الأَذَانَ إِنَّمَا وَضِعَ لِمَوْضِعِ الصَّلَاةِ،
وَإِنَّمَا هُوَ

نِدَاءٌ إِلَى الصَّلَاةِ فِي وَسْطِ الأَذَانِ وَدَعَاءٌ إِلَى الْفَلَاحِ وَإِلَى خَيْرِ الْعَمَلِ،
وَجُعِلَ

لِخَيْرِ الْعَمَلِ وَجُعِلَ

الْكَلَامُ بِاسْمِهِ كَمَا فَتَحَ بِاسْمِهِ»^(١).

وَفِي الْعَلْلِ لِمَحْمَدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ إِبرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، قَالَ: عَلَّةُ الأَذَانِ أَنْ

تُكَبَّرَ اللهُ

وَتُعَظَّمَهُ وَتَقْرَأَ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَبِالنَّبُوءَةِ وَرِسَالَتِهِ وَتَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ وَتَحْتَمِلُ
عَلَّةَ

وَمَعْنَى الأَذَانِ: الإِعْلَامُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى

١ . مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه ١: ٢٩٩/٩١٤، علل الشرائع: ٩/٢٥٨ الباب ١٨٢، عيون أخبار الرضا
٢: ١٠٣-١٠٥.

النَّاسِ) (التوبة/٣)، أي: إعلام، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كنتُ أنا الأذان في الناس بالحجِّ»، وقوله: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) (الحج/٢٧)، أي: أعلمهم وادعهم.

فمعنى «الله» أنه يخرج الشيء من حدِّ العدم إلى حدِّ الوجود ويخترع الأشياء
لا من شيء، وكلّ مخلوق دونه يخترع الأشياء من شيء إلا الله، فهذا
معنى «الله»
وذلك فرق بينه وبين المحدث.

ومعنى «أكبر»، أي: أكبر من أن يُوصَف في الأوّل، وأكبر من كلّ شيء لما خلق الشيء.
ومعنى قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله»: إقرار بالتوحيد، ونفي الأنداد
وخلعه
وكلّ ما يعبدون من دون الله.

ومعنى «أشهد أن محمداً رسول الله»: إقرار بالرسالة والنبوة، وتعظيم
لرسول
الله صلى الله عليه وآله، وذلك قول الله عزّ وجلّ: (وَرَفَعْنَا لَكَ
ذِكْرَكَ) (الانشراح/١)، أي: تُذكر معي إذا ذكرت.

ومعنى «حيّ على الصلاة»، أي: حتّ على الصلاة.
ومعنى «حيّ على الفلاح»، أي: حتّ على الزكاة.
وقوله: «حيّ على خير العمل»، أي: حتّ على الولاية، وعلّة أنّها
خير العمل
أنّ الأعمال كلّها بها تقبل.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، فألقى معاوية من
أخ
«محمّد رسول الله»، فقال: أما يرضى محمّد أن يُذكر في أوّل الأذان حتّى
يذكر
آخره؟!

ومعنى الإقامة: هي الإجابة والوجوب، ومعنى كلماتها فهي التي
ذكرناها
الأذان، ومعنى «قد قامت الصلاة»، أي: قد وجبت الصلاة وحانت
وأقيمت، وأمّا

العلة فيها، فقال الصادق عليه السلام: «إذا أذنتَ وصليتَ صلى خلفك صفًّا من الملائكة، وإذا أذنتَ وأقمتَ صلى خلفك صفًّا من الملائكة»، ولا يجوز ترك الأذان إلا في صلاة الظهر والعصر والعتمة، يجوز في هذه الثلاث الصلوات إقامة بلا أذان،

والأذان أفضل، ولا تجعل ذلك عادة، ولا يجوز ترك الأذان والإقامة في صلاة المغرب وصلاة الفجر، والعلة في ذلك أن هاتين الصلاتين تحضرهما ملائكة الليل وملائكة النهار^(١).

وقال الشيخ جعفر كاشف الغطاء - ضمن بيانه لحكم وفضل الأذان -: «... ولأته وضع لشعائر الإسلام دون الإيمان»^(٢).

فهذه النصوص تشير بوضوح إلى أن الأذان لم يكن إعلاماً بوقت الصلاة فقط،

بل هو بيان لكليات الإسلام وأصول العقيدة والعقائد الحقة. فلو كان بياناً لوقت الصلاة خاصة؛ لكان للشارع أن يكتفي بتشريع علامة كي تكون معلماً للوقت والمكان كما تفعله اليهود والنصارى والمجوس بالبوق والناقوس وإشعال النار وغير ذلك. وعليه، لم يكن الأذان لإعلام وقت الصلاة خاصة، ويؤيد قولنا شمولية التأذين لكثير من الأمور الاجتماعية والحياتية، ولو سلطنا الضوء على آثار الأذان في الشريعة لوقفنا على جواب سؤالنا.

١ . بحار الأنوار ٨١: ١٦٩ . عن كتاب العلل لمحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم.
٢ . كشف الغطاء، الطبعة القديمة ٢٢٧ في بيان كيفية الأذان، وسنعلّق في الباب الثالث «اشهد ان عليّاً ولي الله بين الشرعية والابتداع» على كلامه رحمه الله تعالى.

الأذان وأثاره في الحياة الاجتماعية:
من الثابت في الشريعة الإسلامية استحباب الأذان والإقامة لأمر
حياتيّة واجتماعيّة كثيرة غير الصلاة، نذكر موارد منها:
الأذان والمولود:

عن عليّ عليه السلام: «مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَلْيُؤَدِّنْ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى بِأَذَانِ
الصَّلَاةِ، وَلِيَقُمْ فِي الْيَسْرَى، فَإِنَّ ذَلِكَ عَصْمَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَالْإِفْرَاحِ
لَهُ»^(١).

وفي سنن أبي داود بسنده عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، قال:
رَأَيْتُ
رسول الله صلى الله عليه وآله أُذِنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ
بِالصَّلَاةِ^(٢).

الأذان والعقم:
شكا هشام بن إبراهيم إلى الرضا عليه السلام سقمه وأنه لا يولد له،
فأمره أن يرفع صوته بالأذان في منزله، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله
عني سقمي، وكثر ولدي^(٣).

الأذان والمرض:
عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه دخل عليه رجل من
مواليه وقد وعك، فقال له عليه السلام: «ما لي أراك متغيّر اللون؟».
فقلت: جُعِلْتُ فداك، وعكتُ وعكا شديدا منذ شهر، ثم لم تتقلع الحمى
عني،
وقد عالجت نفسي بكل ما وصفه لي المترقون فلم أنتفع بشيء من ذلك.

١ . النصّ في الجعفریات (الأشعّيات): ٣٢، وقريب منه في دعائم الإسلام ١: ١٤٧، وعنه في
بحار الأنوار ٨٤: ١٦٢ - ١٦٣. وانظر: وسائل الشيعة ٢١: ٤٠٥ - ٤٠٦ كتاب النكاح باب
استحباب الأذان في أنن المولود.

٢ . سنن أبي داود ٤: ٣٢٨ كتاب الأدب باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه ح ٥١٠٥، وسنن
الترمذي ٤: ٩٧ كتاب الأضاحي باب الأذان في اذن المولود ح ١٥١٤، وقال: هذا حديث حسن
صحيح.

٣ . الدعوات للقطب الراوندي: ١٨٩ - ١٩٠، وعنه في بحار الأنوار ٨١: ١٥٦. ومستدرک وسائل
الشيعة ٤: ٣٩ كتاب الصلاة وانظر: كلام الشيخ يحيى بن سعيد في جامع الشرائع ٧٣، والصدوق
في من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٢ ح ٩٠٣.

فقال له الصادق عليه السلام: «حلّ أزرار قميصك، وأدخل رأسك في قميصك وأذنك وأذنك».

وأقم واقراً سورة الحمد سبع مرات».

قال: ففعلت ذلك، فكأنما نشطت من عقل^(١).

وحكى العجلوني في كشف الخفاء عن الفقيه محمّد السيابا - فيما حكى عن نفسه - أنه هبّت ريح فوقعت منه حصاة في عينه وأعياه خروجها وآلمته أشدّ الألم، وأنه لمّا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمّداً رسول الله، قال ذلك، فخرجت الحصاة من فوره^(٢).

الأذان وسعة الرزق:

شكا رجل لأبي عبد الله الصادق عليه السلام الفقر، فقال: «أذن كلّما سمعت الأذان كما يؤذن المؤذن»^(٣).

وقال سليمان بن مقبل المدني: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: [لأيّ]

علة يستحبّ للإنسان إذا سمع الأذان أن يقول كما يقول المؤذن، وإن كان على البول والغائط؟

فقال عليه السلام: «لأنّ ذلك يزيد في الرزق»^(٤).

الأذان ووجع الرأس:

ذكر الشيخ الطبرسيّ في عدّة السفر وعمدة الحضرة: روي عن الأئمة: أنه: «يكتب الأذان والإقامة لرفع وجع الرأس ويعلّق عليه»^(٥).

الأذان وسوء الخلق:

عن الصادق عليه السلام: «إن لكلّ شيء قرماً، وأنّ قرم الرجل اللحم، فمن تركه أربعين يوماً ساء خلقه، ومن ساء خلقه فأذّنوا في أذنه اليمنى»^(٦).

الأذان وطرد الشيطان:

١ . طبّ الأئمة ٥٢، كما في بحار الأنوار ٨١ : ٧٥ .

٢ . كشف الخفاء ٢ : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٣ . بحار الأنوار ٨١ : ١٧٤ عن الدعوات للراوندي .

٤ . وسائل الشيعة ١ : ٣١٥ كتاب الطهارة أبواب أحكام الخلوة، وانظر: ١٥ : ٣٤٧ - ٣٤٨ عن الإمام عليّ، كتاب الجهاد أبواب جهاد النفس .

٥ . مستدرک وسائل الشيعة ٤ : ٧٦، مستدرک سفينة البحار ١ : ٦٥ في مادة «أذن»، الطبعة القديمة .

٦ . المحاسن ٢ : ٢٥٦ كتاب المآكل ح ١٨٠٨، بحار الأنوار ٨١ : ١٥١ .

روى سليمان الجعفريّ أنّه سمع الإمام الصادق عليه السلام، يقول: «أذن في بيتك، فإنّه يطرد الشيطان، ويستحبّ من أجل الصّبيان»^(١).
الأذان والغول:

في دعائم الإسلام عن عليّ عليه السلام قال: «قال رسول الله: إذا تَعَوَّلْتُمْ لَكُمْ الْغِيلَانُ^(٢) فَأَذِّنُوا بِالصَّلَاةِ»^(٣).

وعن أبي سعيد الخدريّ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جنّ ولا إنس ولا شيء إلّا وشهد له يوم القيامة»^(٤).

وقال الخطاب الرعيني في مواهب الجليل نقلاً عن الناشري من الشريعة فـ

الإيضاح: يستحبّ الأذان لمزدحم الجنّ، وفي أذن الحزين، والصبيّ عندما يولد فـ

اليمنى ويقوم في اليسرى، والأذان خلف المسافر والإقامة^(٥).

فتلخّص مما سبق ومن أقوال بعض علماء أهل السنّة والجماعة، وجميع الشيعة بفرقها الثلاث أنّ تشريع الأذان كان في المسرى وأنّ تشريعه لم يكن لتعيين وقت الصلاة خاصّة؛ لاكتناف هذه الشعيرة الإسلامية أسراراً عالية ومعاني باطنية عميقة ذكرنا بعضها، وستقف على غيرها لاحقاً، وستعرف بأنّ السرّ في رفع «حيّ على خير العمل» لم يكن لما علّوه، وكذا المقصود من جملة «الصلاة خير من النوم» لم يكن كما يفهمه عامّة الناس من العبارة، بل هناك أسرار ومسائل تكتنف هذه الفصول سنرفع الستار عنها بإذن الله تعالى.

١ . الحدائق النضرة ٧: ٣٦٦.

٢ . الغول: نوع من الجنّ يغتال الإنسان - بحار الأنوار ٨١: ١١٩.

٣ . دعائم الإسلام ١: ١٤٧ كما في بحار الأنوار ٨١: ١٦٢، ومستدرک وسائل الشيعة ٤: ٦٢.

٤ . صحيح البخاري ١: ٣٠٦ كتاب الأذان باب رفع الصوت بالأذان ح ٥٧٥، سنن النسائي ٢:

١٢ كتاب الأذان باب رفع الصوت بالأذان.

٥ . مواهب الجليل ٢: ٨٥. وانظر فتح المعين لشرح فرة العين المطبوع في هامش اغاثة الطالبين

١: ٢٣٠.

٢ - توقيفية الأذان

وصل البحث بنا إلى طرح سؤال آخر وهو: هل الأذان توقيفيٌّ بمعنى لزوم إتيان فصوله كما هي، أم إنّ لنا الحق في الزيادة والنقصان حسب ما تقتضيه المصلحة؟ وهل هناك فرق بين الأمور التوقيفية

العبادية وغيرها، وبين الواجبات والمستحبات، أم لا؟ بل ما هو حكم الأذان، وهل توقيفيتها كالقرآن لا يمكن الزيادة والنقيصة فيها؟ أم أن توقيفيتها هي بشكل آخر؟ من الثابت المعلوم أن الأذان توقيفيٌّ، وقد مرت عليك نصوص أهل بيت النبوة الدالة على أنه شرّع في الإسراء والمعراج، ومثله جاء في كتب بعض أهل السنة والجماعة.

لكن من حقنا أن نتساءل: لو كان كذلك فكيف لنا أن نتعامل مع بعض الأحاديث والنصوص المشعرة بعدم التوقيفية، وذلك لما فيها من الزيادة والنقصان، وعلى أيّ شيء تدل، هل على التخيير أم الرخصة أم على شيء آخر؟

روى أبو بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: لو أنّ مؤذنا أعاد في الشهادة وفي حيّ على الصلاة أو حيّ على الفلاح المرتين والثلاث وأكثر من ذلك إذا كان إماماً يريد به جماعة القوم ليجمعهم لم يكن به بأس^(١).

وعن أبي عبيدة الحذاء، قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام يكبر واحدة واحدة فـ الأذان، فقلت له: لم تكبر واحدة واحدة؟ فقال: لا بأس به إذا كنت مستعجلاً في الأذان^(٢).

١ . الكافي ٣: ٣٠٨ ح ٣٤ والنص عنه، وعنه في وسائل الشيعة ٥: ٤٢٨ .
٢ . التهذيب ٢: ٦٢ ح ٢١٦، الاستبصار ١: ١١٤٠/٣٠٧، ووسائل الشيعة ٥: ٤٢٥ .

وروى الشيخ في الصحيح عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله ع
المرأة تؤذن للصلاة؟ فقال: حسنٌ إن فعلت، وإن لم تفعل أجزأها أن تكبر
وأن

تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله^(١).
وعن أبي مريم الأنصاري في الصحيح، قال: سمعت أبا عبد الله عليه
السلام يقول: إقامة المرأة أن تكبر وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده
ورسوله صلى الله عليه وآله^(٢).

وجاء في رواية البخاري ومسلم، عن عبد الله بن الحارث، قال: خطبنا
أبـ
عبّاس في يوم ذي رزغ، فأمر المؤذن لما بلغ (حيّ على الصلاة) قال قل:
«الصلاة فـ
الرحال»، فنظر بعضهم إلى بعض، فكأنهم أنكروا، فقال: كأ نكم أنكرتم
هـ
هذا فعله من هو خير مني - يعني النبي صلى الله عليه وآله - وإنها عزيمة،
وإنني كرهت أن
أُخرجكم^(٣).

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنه كان يزيد في الفجر جملة
«الصلاة خير من
النوم»^(٤)!

فعلى أي شيء تدل هذه النصوص؟ وما المعنى بها؟ وكيف يمكن
تطبيقها مع القول بتوقيفية العبادات؟

١ . التهذيب ٢: ٥٨ ح ٢٠٢، وسائل الشيعة ٥: ٤٠٥.
٢ . الكافي ٣: ٣٠٥، كتاب الصلاة باب بدء الأذان والإقامة.
٣ . صحيح البخاري ١: ٣٢٤ - ٣٢٥، كتاب الأذان باب هل يصلي الإمام بمن حضر... في المطر
ح ٦٢٩ وقرنت منه في باب (الرخصة في المطر والعلّة ان يُصلي في رحله) وفي باب (الأذان
للمسافر إذا كانوا جماعة...) عن نافع قال أذن ابن عمر في ليلة بارده بصحبنا ثم قال: صلوا في
رحالكم... وانظر فتح الباري لابن رجب ٣: ٤٩٣، صحيح مسلم ١: ٤٨٥ ح ٦٩٩، كتاب صلاة
المسافرين وقصرها.
٤ . التهذيب ٢: ٦٣ ح ٢٢٢.

وهل أنّ توقيفية الأذان تختلف عن غيره من الأحكام فيجوز إعادة (حيّ على الفلاح) ثلاث مرات أو أكثر في الأذان، ولا يجوز الزيادة والنقيصة في أمر عبادي آخر؟

وهل هناك فرق بين الواجب التوقيفي والمستحبّ التوقيفي؟
إنّ التوقيفيّ معناه هو التعبدّي، أيّ التعبدّ بما جاء به الشارع المقدّس دون زيـادة
ولا نقصان، فلو صحّ مجيء «حيّ على الفلاح» في الأذان ثلاثاً فهو
شـرعيّ ويحـمـل
إما على التخيير أو الرخصة لضرورة خاصة.

ولو لم يصحّ الخبر فلا يعمل به، وليس هناك فرق بين التوقيفيّ في العبادات
والتوقيفيّ في المعاملات، وكذا لا فرق بين التوقيفيّ في الواجبات والمسـتـحبـات، فعلى
المكلف أن يؤدّي ما سمعه وعقله على الوجه الذي أمر به الشارع فقط، فـفـي كـمـال
الدين للصدوق، عن عبد الله بن سنان، قال: قال الصادق عليه السلام: ستصيبكم شبهة فتبتقون بلا علم يرى ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق.

قلت: وكيف دعاء الغريق؟

قال: تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك..

فقلت: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك.
فقال عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ مقلب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك^(١).
بهذا النهج يتعلم المسلم لزوم التروّي والتأني والحيطه والحذر في النقل وضرورة رعاية النص كما هو دون زيادة ونقصان، هذا ما علمنا الشارع المقدّس التمسك به.

نعم، قد يختلف توقيفي عن توقيفي آخر، وبلحاظ زاوية خاصة، بمعنى أنّ

١ . كمال الدين وتمام النعمة ٢: ٣٥١ باب ٤٣ ح ٤٩ وعنه في بحار الأنوار ٥٢: ١٤٨ ح ٧٣.

توقيفية الأذان قد تختلف عن توقيفية الزواج والطلاق، أي: أن توقيفية
الزواج والطلاق تتعلق بأمر كلي لا بجزئيته، أي يجب على المطلق أو العاقد أن
يُنشئ عاقدة الزواج والطلاق في كلامه دون التعبد بصيغة واحدة خاصة، فله أن
يقول: (أنكحت) أو (زوّجت) أو (متّعت)، فلو أتى العاقد بأي صيغة منها صح
زواجه.

وكذا الحال بالنسبة إلى الطلاق فلو قال المطلق: زوجتي طالق، أو
فاطمة طالق، أو امرأتي التي في ركن الدار طالق - لو كانت هناك مثلاً - صح طلاقه،
لأن المطلق هو إنشاء علاقة الزوجية في الزواج، وقصد الإبانة في الطلاق دون التعبد
بصيغة مخصوصة، وهذا بخلاف التعبد بنصوص القرآن وما شابهه، لأن الثاني
يأبى التغيير والتبديل، فلا يجوز تقديم جملة من القرآن على أخرى، فلا يجوز أن
تقول: (الرحمن) بدل (الرحمن الرحيم)؛ لأن المطلوب أداء النصّ السماوي كما
هو.

إذا توقيفيات الأمور تختلف بحسب تعلق الأحكام، فتارة: تتعلق
بالحقيقة وذات الأمر، وأخرى بلزوم التعبد بالنص المعهود دون زيادة ونقص،
وقبل قليل بأن توقيفية الزواج والطلاق مثلاً تتعلق بالحقيقة الكلية دون
التعبد بخصوصها، بخلاف توقيفية القرآن فإنها توقيفية بالنص فلا يجوز الزيادة
والنقص والتقديم والتأخير، ومن القبيل الأوّل الأذكار المستحبة في القنوت،
فمستحبّ يقينا لكن لا يلحظ فيه ذكر مخصوص، فللقانت أن يقنت بما شاء

تسبيح وتحميد وشكر و...

والآن نتساءل عن توقيفية الأذان وأنه من أي القسمين، وهل يجوز فيه الزيادة والنقيصة وتبديل كلمة بأختها أم لا؟ ولو جاز فإلى أي حدّ يسمح لنا الشارع بالتصرف؟ وهل أنه من قبيل الذكر المسموح به في القنوت أو من قبيل اختلاف صيغ التشهد وصلاة الخوف عند أهل السنة والجماعة أم هو شيء آخر؟
نترك القارئ معنا إلى الأبواب اللاحقة كي نوقفه على حقيقة الأمر وما نريد قوله بهذا الصدد.

الخلاصة

بعد أن بيّنا معنى الأذان لغة واصطلاحاً، والأقوال التي قيلت في
تاريخ تشريع الأذان، عرضنا أشهر الأقوال الموجودة عند أهل السنة والجماعة في بدء
الأذان
فكانت سنّة:

١ - تشريعه باقتراح من الصحابة وخصوصاً عمر بن الخطّاب.
٢ - تشريعه بمنامات رآها بعض الصحابة. مثل أبي بكر وعمر وعبد
الله بن زياد
وغيرهم.

٣ - نزول الأذان تدريجياً، ثم إضافة عمر الشهادة بالنبوة.
٤ - الأذان وحي من الله تلقاه الرسول من جبرئيل في المعراج.
٥ - إن عمر أول من سمع أذان جبرئيل في السماء ثم سمعه بلال.
٦ - إن تشريع الأذان نزل به جبرئيل على آدم لما استوحش.
ثم أتينا برؤية أهل البيت في بدء الأذان، وأكدنا اتفاقهم على كون
تشريع الأذان

في المعراج، ونقلنا نصوصاً عن:

١ - الإمام عليّ بن أبي طالب.
٢ - الإمام الحسن بن عليّ.
٣ - الإمام الحسين بن عليّ.
٤ - محمّد بن عليّ بن أبي طالب (ابن الحنفية).
٥ - الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين.
٦ - الإمام محمّد بن عليّ الباقر.
٧ - الإمام جعفر بن محمّد الصادق.
٨ - الإمام عليّ بن موسى الرضا.
ثم ذكرنا أقوال بعض أعلام الإمامية كي نوّكد إطباقهم على هذا الأمر
وأنه

مأخوذ من الوحي النازل على النبيّ دون الرؤيا.
وحيث أن القول بكونه وحياً قد ورد عند الفريقين بعكس القول بكونه
مناماً

الذي انفردت به أهل السنة والجماعة، ألقينا بعض الضوء على هذه
الرؤية فكانت أن
واقفة مع أحاديث الرؤيا، ثم تحقيق في دواعي نشوء مثل هذه الفكرة
عن
واحتملنا ارتباط هذا الأمر مع قوله تعالى «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك
إلا فتنة
للناس» المرتبط بلعن بني أمية، موضحين هناك بعض معالم الخلاف
وجوره
مؤكدين على أن أهل البيت كانوا يشيرون في كلماتهم ومواقفهم إلى أن
بني أمية
جدوا للوقوف أمام انتشار ذكر محمد وآله في الأذان والتشهد والخطبة،
س
للتقليل من مكانة الإسراء والمعراج والادعاء بأنه كان بالروح فقط، أي
أنه ك
المنام لا في اليقظة، وذلك طمسا لذكر الرسول المستتبع طمس ذكر
مكارمه صلى الله عليه وآله وفضائه، والأنكى من ذلك أنهم أغفلوا وجود
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ضمن المضطجعين مع النبي عند
العروج أو البعثة وحرّفوا نصوصا ومشاهدات أخرى كانت في المعراج
وتسميتها بأسماء آخرين.
ومثله تناسيهم ذكر وجود مثاله في الجنة مع أنهم ذكروا وجود أمثلة
من ه
أقل شأنًا ومنزلة من علي بكثير. وقد قلنا بأن فكرة الرؤيا استحكمت عند
القوم بع
صلح الإمام الحسن مع معاوية لقول سفيان بن الليل: فتذاكرنا عنده، فقال
بعضنا:
إنما كان الأذان برويا عبد الله بن زيد، فقال له الحسن بن علي: أنّ شأن
الأذان أعظم من ذلك، أذن جبرئيل...
ثم ذكرنا ما حكي عن الإمام الحسين وأنه سئل عما يقول الناس فقال
عليه السلام: الوحي ينزل على نبيكم وتزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد
الله بن زيد.

والنبوة والإمامة - بنظر الإمامية - ثمّ ذكرنا الأذان وأثاره في الحياة الاجتماعية.

ثانيهما: توقيفية الأذان...! وقد تركنا القارئ دون جواب متكامل هنا، وذلك

لأنّ هذا المطلب يحتاج إلى مقدمات ومزيد بيان للملابسات وما زيد في الأذان وم

نقص منه، فلا بدّ من مسانيرة البحث للوقوف على الحقيقة. والآن مع أوّل باب من هذه الدراسة:

البابُ الأوَّلُ حيَّ على خَيْرِ العَمَلِ الشرعية والشعارية

- أنَّها جزء على عهد رسول الله
- تأذين الصحابة وأهل البيت بها
- رفع الخليفة الثاني لها
- بيان لمعنى الحيلة وسبب حذفها
- تاريخ المسألة والصراعات فيها

و يقع الكلام في هذا الباب في أربعة فصول:

الفصل الأوَّل: الكلام في شرعية حيَّ على خير العمل، وأنَّها كانت جزءا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

الفصل الثاني: في تحديد زمن حذف هذه الحيلة، وامتناع بلال عن التأذين.

الفصل الثالث: في بيان معنى حيّ على خير
العمل، والأسباب التي دعت عمر
بن الخطاب إلى حذفها من الأذان.

الفصل الرابع: بيان تاريخ المسألة وكيف صارت
شعاراً لنهج التعبد المحض،
وحذفها شعاراً سياسياً لخصومهم
في العصور المتأخرة بعد ثبوت
شرعيّتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

الفصل الأوّل

في جزئية حيّ على خير العمل

ويتلخص الكلام فيه في ثلاثة أقسام:

- القسم الأوّل: بيان اتّفاق الفريقين على أصل
شرعيّة «حيّ على خير العمل»
وانفراد أهل السنة والجماعة بدعوى
النسخ فيها من بعد.
- القسم الثاني: أسماء من أدّن بـ «حيّ على خير
العمل» من الصّحابة والتّابعين وأهل
البيت.
- القسم الثالث: إجماع العترة.

القسم الأوّل

اتّفاق الفر يقين على أصل شرعيّتها

من الثابت المسلّم الذي لا يقبل الشكّ هو ثبوت جزئية «حيّ على خير العمل»

في الأذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأتّها مضافاً إلى وجودها في روايات الإمامية الاثني عشرية وفي روايات الزيديّة والإسماعيليّة، رواها أهل السنة والجماعة بطرقهم، وأنّ بلالاً كان يؤدّن بها في الصبح خاصّة، بل كان جمّ غفير من الصحابة يؤدّنون بها.

وحكي عن بعض أئمّة المذاهب الأربعة أنّهم قالوا بالتأذين بها، لكنّ

عَدَمُهم ادّعوا أنّ رسول الله أمر بلالاً بحذفها من الأذان ووضع مكانها جملة

«الصلاة خير من النوم».

من هذا يتبيّن أنّهم لا ينكرون شرعيّتها في مبدأ الأمر، لكنّهم يقولون بنسخها،

فما الناسخ إذا؟ ولم تُنسخ هذه الجملة بالخصوص من الأذان؟ للإجابة عن هذا السؤال لابدّ من ملاحظة أنّ أهل السنّة والجماعة

انقسموا - في -

هذه المسألة - إلى فريقين؛ فمنهم من قال إنّ الناسخ هو قول رسول الله صلى الله عليه وآله لبلال: «اجعل مكانها الصلاة خير من النوم»^(١)، في حين لم يرَ الفريق الآخر منهم بدءاً من السكوت عن بيان الناسخ؛ لضعف تلك الأخبار وعدم دلالتها على المقصود، بل لاحتواء تلك الأسانيد على وقفات علميّة؛ سنديّة ودلاليّة، يجب بيانها إن اقتضى الحال.

١ . انظر: مجمع الزوائد ١: ٣٣٠، «وفيه: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبدالرحمن بن عمّار بن سعد وقد ضعفه ابن معين». والجدير بالذكر أنّ المتقي الهندي ذكر رواية الطبراني في كنز العمال ٨: ٣٤٢ ح ٢٣١٧٤ بعد ذكر إسنادها قال: كان بلال يؤدّن بالصبح فيقول: حيّ على خير العمل، ولم يذكر فيه: «اجعل مكانها الصلاة خير من النوم».

قال السيّد المرتضى في الانتصار: وقد روت العامّة أنّ ذلك [أي «حيّ على خير العمل»] مما كان يقال في بعض أيام النبي، وإنّما ادّعي أنّ ذلك نُسَخَ ورُفِعَ، وعلى مَنْ ادّعى النسخ الدلالة له، وما يجدها^(١).
وقال ابن عربي في الفتوحات المكية: ... وأمّا من زاد في الأذان حيّ على خير العمل فإن كان فعل في زمان رسول الله - كما روي أنّ ذلك دعا به في غزوة الخندق؛ إذ كان الناس يحفرون، فجاء وقت الصلاة وهي خير موضوع كما ورد في الحديث، فنأدى المنادي أهل الخندق «حيّ على خير العمل» - فما أخطأ مَنْ جعلها في الأذان، بل اقتدى إن صحّ الخبر، أو سنّ سنة حسنة^(٢).

وجاء في الروض النضير عن كتاب السنام ما لفظه: الصحيح أنّ الأذان شرّع بحيّ على خير العمل، لأنّه اتّفِقَ على الأذان به يوم الخندق، ولأنّه دعاءٌ إلى الصلّاة، وقد قال صلى الله عليه وآله «خير أعمالكم الصلّاة»^(٣). كما وردت روايات أخرى تفيد أنّ مؤدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرهم من الصحابة استمروا على التأذين بها حتّى ماتوا^(٤).

وعليه فالفرقان شيعهً وسنةً متّفقان على ثبوت حكمها في الصدر الأوّل وعلا
كونها جزء من الأذان في بدء التشريع، لكنّ أهل السنة والجماعة انفردوا بدعوى النسخ، وهو كلام قرّر في العهود اللاحقة لأسباب تقف عليها لاحقاً.

فهذا الأمر يشير إلى أنّ شرعيّتها وجزئيّتها كانت ثابتة عند الفريقين من
عهد الرسول الأكرم، ويضاف إلى ذلك أنّ الشيعة الإمامية والزيدية والإسماعيلية
لهم طرقهم الخاصّة والصّحيحة وكلّها تُؤكّد ثبوتها على عهد رسول الله

١ . الانتصار ١٣٧، باب «وجوب قول حيّ على خير العمل في الأذان».

٢ . الفتوحات المكية ١: ٤٠٠.

٣ . هذا ما حكاه عزّان محقّق كتاب (الأذان بحيّ على خير العمل) ١٢ عن الروض النضير ١: ٥٤٢.

٤ . المصدر نفسه ٥٠ - ٥٦..

صلى الله عليه وآله وعدم نسخها في حياته صلى الله عليه وآله، «وأن رسول الله أمر بلالاً أن يؤذن بها فلم يزل يؤذن بها حتى قبض الله رسوله»^(١). وهذا نص صريح يدل على عدم نسخ «حي على خير العمل» وعلى كونه الأذان حتى قبض الله رسوله.

ويؤيد هذا المروي عندنا عن بلال ما رواه الحافظ العلوي الزيدي^(٢) مسنداً إلى أبي محذورة

١ . انظر: من لا يحضره الفقيه ١: ٢٨٤/ح ٨٧٢ وعنه في وسائل الشيعة ٥: ٤١٦، والاستبصار ١: ٣٠٦ ح ١١٣٤، والأذان بحى على خير العمل للحافظ العلوي ٩١. ٢ . وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن العلوي الشجري الكوفي (الإمام المحدث الثقة العالم الفقيه مسند الكوفة) كما نص عليه الذهبي في العبر ٣: ٢١٢ وسير أعلام النبلاء ١٧: ٦٣٦ وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٣: ٢٧٤. مات بالكوفة في ربيع الأول سنة ٤٤٥ هـ، ومولده في رجب سنة ٣٦٧ هـ. قال ابن النرسي: ما رأيت من كان يفهم فقه الحديث مثله. وقال: كان حافظاً خرّج عنه الحافظ الصوري وأفاد عنه وكان يفخر به (سير أعلام النبلاء ١٧: ٦٣٦). وفي (طبقات الزيدية ٢: ٢٩٢): الثقة العابد مسند أهل الكوفة، وقد ترجم له الطهراني في طبقات أعلام الشيعة (أعلام القرن الخامس ١٧٠ - ١٧٢).

له كتاب «فضل الكوفة» و «فضل زيارة الحسين» و «تسمية من روى عن الإمام زيد من التابعين»، و «التاريخ»، و «التعازي» وكتاب «الجامع الكافي» وقد جمعه من بضع وثلاثين كتاباً من كتب الإمام محمد بن المنصور المرادي الزيدي، وهو من أجل ما كتب في الفقه ونصوص الأئمة الزيدية، وفيه بحث الأذان. وله كتاب على انفراد باسم «الأذان بحى على خير العمل» له طرق متعدّدة عند الزيدية، وقد أشار محمد يحيى سالم عزّان إلى بعض طرقه إلى هذا الكتاب في مقدّمة تحقيقه ص (٣٢)، وكذا العلامة السيّد محمّد بن حسين بن عبد الله الجلال، حيث قال في آخر نسخته: يقول الفقير إلى الله المعترف بالذنب والتقصير محمد بن حسين بن عبد الله الجلال: أروي كتاب «الأذان بحى على خير العمل» من عدّة طرق عن مشايخي رحمهم الله بطريق الإجازة العامّة، وأرويه عن سيدي العلامة قاسم بن حسين أبو طالب بالسماع من فاتحته إلى خاتمته إلاّ اليسير منه في الإجازة العامّة، وهو يرويه عن عدد من مشايخه ذكرتهم في مؤلّفي المسمّى (الأنوار السنية في إسناد علوم الأمة المحمدية) منهم شيخه العلامة علي بن حسين المغربي عن شيخه السيّد العلامة عبد الكريم بن عبد الله أبو طالب عن شيخه العلامة بدر الال... إلى آخر مشايخه - عن المؤلّف أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم جميعاً. وقد طبع هذا الكتاب في اليمن في شهر صفر عام ١٣٩٩ هـ، السيّد يحيى عبد الكريم الفضل عن نسخة العلامة الجلال. قال المحقق في مقدّمته للكتاب: وقد روى التّأذين بـ «حي على خير العمل»، أكثر من عشرة من الصحابة، وجاءت رواية الأذان من أكثر من مائة طريق، وكلّ منها بإسناد متصل (انظر: المقدمة ٥ - ٦).

وقد نقل عن هذا الكتاب كثير من الأعلام أمثال الإمام القاسم بن محمّد في كتاب الاعتصام، والشوكاني في نيل الأوطار، وأخرج مسنده في كتابه (إتحاف الأكابر)، ورواه وأخرج مسنده

من أن رسول الله علمه الأذان، وفيه التَّأذِين بحَيٍّ على خير العمل^(١).
ومن المعلوم أن أبا محذورة تَعَلَّمَ الأذان من رسول الله - حسبما
يقولون - في أواخر السَّنَةِ الثَّامِنَةِ من الهجرة بعد رجوعه من حُنَيْن^(٢)،
ومعناه ثبوت حَيٍّ على خير العمل وشرعيتها حتَّى ذلك التاريخ، ولم يَأْمُر
رسولُ الله بإبدالها بـ «الصلاة خير من النوم».
ويضاف إلى ذلك أن رواية الحافظ العُلوي عن بلال تنفي الزيادة التي
جاء بها
الطبراني والبيهقي عنه رضوان الله تعالى عليه؛ لأنَّ الحافظ العُلوي
كان قد
قال:

حدَّثنا عليُّ بن محمَّد بن إسحاق المقرئ الخزَّاز، أخبرنا أبو زرعة
أحمد بن الحسين الرازي، حدَّثنا أبو بكر بن تومردا، أخبرنا مسلم بن
الحجاج، حدَّثنا إبراهيم بن محمَّد بن عرعة، حدَّثنا معن بن عيسى، حدَّثنا
عبد الرحمن بن سعد المؤدِّن، عن محمَّد بن عمَّار بن حفص بن عمر،
عن جدِّه حفص بن عمر بن سعد، قال: كان بلال يؤدِّن في أذان الصبح
بحَيٍّ على خير العمل^(٣).
في حين نرى هذا الحديث نفسه قد ورد في الطبراني والبيهقي^(٤) من
طريق يعقوب بن حميد، عن عبد الرحمن بن سعد [المؤدِّن]، عن عبد الله

العلامة عبد الواسع الواسعي في كتابه (درر الأسانيد)، وكذا العلامة مجد الدين المؤيد والعلامة
الجلال وغيرهم.
ومن المؤسف أن النسخة المطبوعة التي بأيدينا مغلوبة، ولم تُعرض وتُقابل مع نسخ خطية أخرى
للكتاب، وإن كتب على المطبوع حقَّه السيّد يحيى عبد الكريم الفضيل. ولأجله استعنت في بعض
الأحيان بنسخة أخرى من تحقيق محمَّد يحيى سالم عزَّان، وفي أحيان أخرى بكتاب الاعتصام بحبل
الله المطبوع فيه كتاب الأذان بكامله. وقد أراني المحقِّق الحجة السيّد محمد رضا الجلالى نسخة من
كتاب (الأذان بحَيٍّ على خير العمل) بخط العلامة المحدث السيّد محمد بن الحسين الجلال مجيزاً له
رواية هذا الكتاب، وقد أخبرني بأنه يعزم على تحقيقه وطبعه فسرتني عزمه أملين له التوفيق
والسداد.

١ . انظر: «الأذان بحَيٍّ على خير العمل» للحافظ العُلوي ٢٦ - ٢٩، ٢٧. وكذا: تحقيق عزَّان ٥٠ -
٥٤.

٢ . سبل السلام ١: ١٢٠، كتاب المسند للشافعي ٣١، مسند أحمد ٣: ٤٠٨، سنن النسائي ٢: ٥.

٣ . الأذان بحَيٍّ على خير العمل ٢٨. وبحقيق عزَّان ٥٦. والاعتصام بحبل الله ١: ٢٩٠.

٤ . المعجم الكبير ١: ٣٥٣ والنص عنه، وفي السنن الكبرى ١: ٤٢٥ وفيه قال الشيخ: هذه اللفظة
لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وآله فيما علم بلالاً وأبا محذورة ونحن نكره الزيادة فيه وبالله
التوفيق.

بن محمد وعمر وعمّار ابني حفص، عن آبائهم، عن أجدادهم، عن بلال: أنه كان ينادي بالصبح فيقول: «حيّ على خير العمل»، إلا أنّ فيما أخرجه الطبراني والبيهقي زيادة:

فأمره النبي صلى الله عليه وآله أن يجعل مكانها «الصلاة خير من النوم» وترك «حيّ على خير العمل».

والمتمم في رواية معن بن عيسى عن عبد الرحمن بن سعد التي أوردها الحافظ العلوي يراها أوثق من رواية يعقوب بن حميد التي أوردها الطبراني والبيهقي باتفاق الجميع؛ لأنّ معن بن عيسى ثقة ثبت وكذا غيره من رجال السند.

ومما يحبذ هنا هو أنّ نقوم بتحقيق بسيط عن رجال الإسنادين وما رَووه عن بلال وأبي محذورة، واختلاف النقل عنهما، كي نتعرف على ملابسات مثل هذه الأمور في الشريعة والأحكام: وقفه مع الحديثين^(١) ذكرت كتب الحديث والتاريخ أسماء أربعة من الذين أذنوا على عهد رسول الله، وهم:

- ١ - بلال بن رباح الحبشي
- ٢ - أبو محذورة القرشي
- ٣ - عبد الله بن أمّ مكتوم
- ٤ - سعد القرظ

وقد أذن أبو محذورة بعد السنة الثامنة من الهجرة^(٢)، وقيل بعد فتح مكة^(٣)، ونقل عن سعد القرظ أنه كان يؤذن بقبأ^(٤).

وربما تكون روايات الأذان عند المذاهب الأربعة والاختلافات في فصوله وأعداده، راجعة إلى اختلاف عمل هؤلاء الصحابة في الأذان

١ . أحدهما: الذي رواه الطبراني والبيهقي بإسنادهما عن عبد الرحمن بن سعد القرظ، وفيه: كان بلال يؤذن في أذان الصبح بحيّ على خير العمل، وأنّ رسول الله أمره أن يجعل مكانها الصلاة خير من النوم، وهو يخالف ما رواه الحافظ العلوي من طريق مسلم بن الحجاج والذي يخلو من هذه الزيادة.

الثانية: حديث أبي محذورة المختلف فيه، والذي رواه رجال الصحاح والسنن ليس فيه «حيّ على خير العمل»، أمّا الحافظ العلوي وأحمد بن محمد بن السري فقد رَوياه وفيه التأذين بحيّ على خير العمل، وهو الذي يتفق مع مرويات أهل البيت، وعليه إجماع العترة حسبما ستعرف بعد قليل.

٢ . سبل السلام ١: ١٢٠، كتاب المسند للشافعي ٣١، مسند أحمد ٣: ٤٠٨، سنن النسائي ٢: ٥.

٣ . الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ٤٥٠.

٤ . تلخيص الحبير ٣: ١٩٩، تهذيب الأسماء للنووي ١: ٥٥.

أو اختلاف النقل عنهم، مضافاً إلى ما جاء عن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه فيه.

فالاختلاف أمر ملحوظ في الأحاديث، وقد يُنقل عن الصحابي الواحد نقلان متخالفان؛ فالتكبيرتان والأربع في أول الأذان مثلاً ورد كلٌّ منهما عن عبد الله بن زيد، والتثويب وعدمه جاء عن أبي محذورة، واختص خبر الترجيع^(١) بأبي محذورة دون غيره من المؤذنين، فما سبب كلِّ هذا الاختلاف والكل ينسب فعله إلى الصحابة؟

«فمالك والشافعي ذهبا إلى أن الأذان مثنى مثنى والإقامة مرّة مرّة، إلا

الشافعي يقول في أول الأذان (الله أكبر) أربع مرات ويرويها محفوظاً عن عبد الله بن زيد وأبي محذورة، وهي زيادة مقبولة والعمل بها في مكة ومن تبعهم من أهل الحجاز.

لكن مالكا وأصحابه ذهبوا إلى تثنية التكبير، وقد روي ذلك من وجوه صحاح من أذان أبي محذورة ومن أذان عبد الله بن زيد وعليه عمل أهل المدينة المقرظ^(٢).

واتفق مالك^(٣) والشافعي^(٤) على الترجيع في الأذان، لكن الحنابلة^(٥) والأحناف^(٦) قالوا:
لا ترجيع في الأذان، وكلُّ استند فيما ذهب إليه إلى نقله عن بعض الصحابة!!

١ . الترجيع في الأذان هو تكرير الشهادتين جهرا، هكذا فسره الصاغاني، انظر: تاج العروس ٥: ٣٥١.

٢ . انظر: فتح المالك ١: ٧. وفتح الباري لابن رجب الحنبلي ٣: ٤١٣.

٣ . فتح المالك ١: ٨.

٤ . المجموع للنووي ٣: ٩٠.

٥ . المغني لابن قدامة ١: ٤١٦. فتح الباري لابن رجب ٣: ٤١٤.

٦ . المبسوط للسرخسي ١: ١٢٨، الهداية شرح البداية ١: ٤١ باب الأذان.

قال الأثرم: سمعت أبا عبد الله [يعني أحمد بن حنبل] يُسأل: إلى أيّ الأذان

يذهب؟ قال: إلى أذان بلال...

قيل لأبي عبد الله: أليس حديث أبي محذورة بعد حديث عبد الله بن زيد؟ لأنّ

حديث أبي محذورة بعد فتح مكة؟

فقال: أليس قد رجع النبيّ إلى المدينة فأقرّ بلالاً على أذان عبد الله بن زيد^(١).

بلى، إنّ فعل الصحابي كان هو الحجة رغم الاختلافات، لكن لنا أنّ نتساءل عن هذا الاختلاف هل أنّه حصل بالفعل في زمن الصحابي، أم أنّه من صنع المتأخرين، وما هي ملابسات هذه الأحاديث المختلفة؟ بل ما هي قيمة رجال إسنادها؟!

ونحن إيماناً بضرورة دراسة مثل هذه الأمور سلّطنا بعض الضوء على رجـال

خبري بلال وأبي محذورة.

فقد ادّعي في طريق الطبراني والبيهقي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لبلال: «اجعل مكانها الصلاة خير من النوم»، مع أنّ هذه الزيادة غير موجودة في طريق الحافظ العلوي.

وفي رواية أبي محذورة «فاجعل في آخرها: الصلاة خير من النوم»، وهي أيضاً غير موجودة في طريق الحافظ العلوي.

فأيّ النقلين هو الصواب إذن؟!

مع ما رواه الطبراني والبيهقي عن بلال

قد مر عليك قبل قليل^(٢) ما رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عليّ الصائغ، والبيهقي بإسناده عن أبي الشيخ الأصفهانيّ - في كتاب الأذان - عن محمد بن عبدالله بن رسته، كلاهما عن يعقوب بن حميد بن كاسب:

حدّثنا عبدالرحمن بن سعد بن عمّار بن سعد القرظ، عن عبدالله بن محمد، وعمر وعمّار ابني حفص، عن آبائهم، عن أجدادهم، عن بلال...

١ . المغني لابن قدامة ١: ٤١٦ - ٤١٧.

٢ . مرّ في صفحة: ١٨٦.

وفي هذا الإسناد: يعقوب بن حميد بن كاسب، فهو أبو يوسف، مدني
الأصل،
مكي الدار؛ هذا ما قاله ابن أبي حاتم الرازي، ثم قال: سألت يحيى بن
معين عن يعقوب بن كاسب، فقال: ليس بشيء.
وقال أبو بكر بن خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول وذكر ابن
كاسب، فقَالَ: _____
ليس بثقة، قلت: من أين قلت ذلك؟ قال: لأنه محدود^(١).
قلت: أليس في سماعه ثقة؟ قال: بلى.
أخبرنا عبد الرحمن، قال: سمعت أبي يقول: ضعيف الحديث.
أخبرنا عبد الرحمن قال: سألت أبا زرعة عن يعقوب بن كاسب،
فقال: _____
قلت: كان صدوقاً في الحديث، قال: لهذا شروط. وقال في حديث رواه
يعقوب: _____
قلبي لا يسكن إلى ابن كاسب^(٢).
وقال أبو بكر: سمعت يحيى بن معين وذكر ابن كاسب يقول: ليس
بثقة، فقَالَ: _____
له: من أين قلت ذلك؟ قال: لأنه محدود، قلت: أليس هو في سماعه ثقة؟
فقال: بلى، فقلت له: أنا أعطيك رجلاً تزعم أنه وجب عليه حدٌ وتزعم أنه
ثقة، قال: من هو؟ قلت: خلف بن سالم، قال: ذلك إنما شتم بنت حاتم مرةً
واحدة، وما به بأس لولا أنه سفيه.
قلت لمصعب الزبيري: إن يحيى بن معين يقول في ابن كاسب: إن
حديثه _____ لا يجوز
لأنه محدود، فقال: ليس ما قال، إنما حدّه الطالبيون في التحامل وليس
حدود
الطالبين عندنا بشيء لجورهم، وابن كاسب ثقة مأمون صاحب حديث،
أبو _____
للخيزران، وكان من أمناء القضاة زماناً^(٣).

١ . المحدود: من أقيم عليه الحد.

٢ . الجرح والتعديل ٩: ٢٠٦.

٣ . التعديل والتجريح للباقي ٣: ١٤٢٥.

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ: تفرّد بأشياء وله مناكير، حدّث عنه البخاري وابن ماجة وعبد الله بن أحمد و إسماعيل القاضي، وأبو بكر بن أبي عاصم وطائفة، ذكره البخاري فقال: لم نرَ إلا خيرا، وقال أبو حاتم: ضعيف^(١).

وفي ميزان الاعتدال: قال البخاري: لم نرَ إلا خيرا، هو في الأصل صدوق وثّد مضر بن محمّد الاسدي فروى عن ابن معين: ثقة، وروى عبّاس عن يحيى: ليس بثقة^(٢)، فقلت: لم؟

قال: لأنّه محدود...

والنسائي: ليس بشيء.

وأبو حاتم: ضعيف.

قال الذهبي: كان من علماء الحديث لكن له مناكير وغرائب، وحديثه

في

صحيح البخاري في موضعين: في الصلح، وفيمن شهد بدرًا... قال الحلواني: رأيت أبا داود السجستاني قد جعل حديث يعقوب بن كاسب وقايات على ظهور كتبه، فسألته عنه، فقال: رأينا في مسنده أحاديث أنكرناها، فطالبناه بالأصول فدافعنا، ثمّ أخرجها بعد فوجدنا الأحاديث في الأصول مغيرة بخطّ طريّ؛ كانت مراسيل فأسندها وزاد فيها^(٣).

وفي سير أعلام النبلاء:

«... وكان من أئمة الأثر على كثرة مناكير له - إلى أن يقول -: وقال ابن عدي: لا بأس به وبرواياته، هو كثير الحديث، كثير الغرائب، كتبت مسنده عن القاسم بن عبد الله عنه، صنّفه على الأبواب، وفيه من الغرائب والنسخ والأحاديث العزيزة، وشيوخ أهل المدينة ممّن لا يروى عنهم غيره...»^(٤).

وقال ابن حبان في الثقات: مات سنة أربعين أو أحد وأربعين ومائتين،

ك

١ . تذكرة الحفاظ ٢: ٤٦٦.

٢ . في تهذيب الكمال ٣٢: ٣٢٢ عن عباس الدوري عن ابن معين: ليس بشيء.

٣ . ميزان الاعتدال ٧: ٢٧٦ - ٢٧٧. وانظر: الضعفاء الكبير للعقيلي ٤: ٤٤٦.

٤ . سير أعلام النبلاء ١١: ١٥٨ وانظر: كلام ابن عدي في الكامل ٧: ١٥١.

يحفظ وممن جمع وصنّف، واعتمد على حفظه فربّما أخطأ في الشيء بعد الشيء، وليس خطأ الإنسان في شيء يهّم فيه ما لم يفحش ذلك منه بمُخرجه عن الثقات إذا تقدّمت عدالته^(١).

قلت: كيف يقول ابن حبان هذا وهو يعلم بأن الخدشة فيه جاءت لكونه محدودا لا من جهة حفظه؛ لأنّ الثابت عدم قبول شهادة الفاسق وخصوصا لو أفحش في التحامل على أهل البيت، وخصوصا الإمام عليّ بن أبي طالب، وهذا يشير إلى نصبه بلا أدنى شك؛ لأنّ الطالبين حدّوه لنصبه، وقد وقفت على سرّ الحد لقول الزبير «إنّما حده الطالبين في التحامل» وقول ابن معين في خلف بن سالم «... إنّما شتم بنت حاتم مرّة واحدة وما به بأس»، وهما يرشدان إلى أنّ الخدشة جاءت فيه من هذه الجهة، وهي فسق بلا شك، لا من جهة نسيانه، وكيف لا يكون فاسقا غير معتمد الرواية وهو يغير الأصول ويسند المراسيل؟! أضف إلى كلّ ذلك أنّه كان «أبوه مولى للخيزران وكان من أمناء القضاة زمانا»؟
وأما عبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد المؤدّن.

فقد قال ابن أبي حاتم عنه: سئل يحيى بن معين عن عبد الرحمن المـؤدّن، فقـال: مديني ضعيف؛ روى عن أبي الزناد^(٢).

وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: ضعيف من السابعة^(٣).
وقال الشوكاني في نيل الأوطار: وعبد الرحمن ضعيف^(٤).
وقال ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني: ضعيف^(٥).
وقال البخاري في تاريخه الكبير: عبد الرحمن بن سعد فيه نظر، مولى بني مخزوم^(٦).
وقال المارديني الشهير بابن التركماني في الجوهر النقي: منكر الحديث^(٧).

١ . الثقات لابن حبان ٩ : ٢٨٥ .

٢ . الجرح والتعديل ٥ : ٢٣٨ .

٣ . تحرير تقريب التهذيب ٢ : ٣٢١ .

٤ . نيل الأوطار ٣ : ٣٤٦ .

٥ . الأحاد والمثاني ١ : ٦٥ .

٦ . تاريخ البخاري الكبير ٥ : ٢٨٧ .

٧ . الجوهر النقي ٣ : ٢٨٦ .

وضَعَّفَه ابن أبي حاتم، وقال ابن القطان: هو وأبوه وجدّه مجهولو الحال^(١).

وقال الألباني في إرواء الغليل: عبد الرحمن بن سعد ضعيف وأبوه وجده لا يعرف حالهم^(٢).

وأما عبد الله بن محمد فقد ضعفه ابن معين^(٣).

وسئل يحيى بن معين عن عبد الله بن محمد وعمّار وعمر ابني حفص بن عمّار بن

سعد عن آبائهم عن أجدادهم كيف حال هؤلاء؟ قال: ليسوا بشيء^(٤).

وأما عمر بن حفص بن عمر بن سعد القرظ.

فقد قال ابن معين: ليس بشيء^(٥).

وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: عمر بن حفص بن عمر بن سعد

القرظ

المدني المؤذن فيه لين، من السابعة^(٦).

وأما عمار بن حفص بن عمر بن سعد القرظ، فهو أخو عمر، وهو

والحمد لله رب العالمين

روى عنه عبد الرحمن بن سعد^(٧).

قال البخاري: لم يصحّ حديثه^(٨).

وقال يحيى بن معين: ليس بشيء^(٩).

وأما حفص بن عمر بن سعد القرظ، فلم يسمع من جدّه ولا غيره من

الصحابة، وربما نسب إلى جدّه فيتوهمه الواهم أنه تابعي^(١٠).

١ . الجوهر النقي ١ : ٣٩٤ .

٢ . إرواء الغليل ٣ : ١٢٠ .

٣ . الجوهر النقي ١ : ٣٩٤ ، ٣ : ٢٨٧ .

٤ . انظر: تاريخ ابن معين (الدارمي) ١٦٩ ، الكامل في الضعفاء ٥ : ٧٣ ، الضعفاء للعقيلي ٢ :

٣٠٠ - ٣٠١ ، والجرح والتعديل ٦ : ١٠٣ .

٥ . الجوهر النقي ٣ : ٢٨٧ الجرح والتعديل ٦ : ١٠٢ ، المغني في الضعفاء ٢ : ٤٦٤ ، تهذيب

الكامل ٢١ : ٣٠٢ ، تهذيب التهذيب ٦ : ١٨٣ .

٦ . تحرير تقريب التهذيب ٣ : ٦٨ .

٧ . التاريخ الكبير ٥ : ٢٨٧ .

٨ . ميزان الاعتدال ٥ : ٢١١ .

٩ . لسان الميزان ٤ : ٢٧١ ، الجرح والتعديل ٦ : ٣٩٢ .

١٠ . معرفة علوم الحديث: ٧٠ النوع الخامس عشر .

وقد علق ابن التركماني على أحد أحاديث حفص بن عمر في كتاب صلاة العيدين بقوله: إن حفصا والد عمر المذكور في هذا السند إن كان حفص بن عمر المذكور في السند الأول فقد اضطربت روايته لهذا الحديث، رواه هنا عن سعد القرظ، وفي ذلك السند رواه عن أبيه وعمومته عن سعد القرظ، فظهر من هذا أن الأحاديث التي ذكرها البيهقي في هذا الباب لا تسلم من الضعف. وكذا سائر الأحاديث الواردة في هذا الباب..^(١)

وحكى الزيلعي عن «الإمام»: وأهل حفص غير مُسمَّين، فهم مجهولون.^(٢)

كان هذا حال رجال هذا الإسناد.

مع ما رواه الحافظ العلوي عن بلال

أما طريق الحافظ العلوي فهو أحسن من هذا بكثير، وإن كان فيه بعض الملابس؛ لأنَّ الحافظ خرَّج حديثه من طريق مسلم بن الحجاج، وإن لم يكن في صحيحه:

حدثنا إبراهيم بن محمَّد بن عرعة، حدثنا معن بن عيسى، حدثنا عبد الرحمن بن سعد المؤدَّن، عن محمَّد بن عمَّار بن حفص بن عمر. وهم خير من أولئك.

فمسلم بن الحجاج، صاحب الصحيح، فهو إمام عند القوم.

وأما إبراهيم بن محمَّد بن عرعة بن البرند بن النعمان أبو إسحاق البصري فـ_____ري فـ_____ال
عنه ابن أبي حاتم الرازي: سئل أبي عن إبراهيم بن أبي عرعه فقال: صدوق.^(٣)

وحكى عن علي بن الحسين بن حبان أنه قال: وجدت في كتاب أبي بـ_____ط يـ_____ده

قلت له - يعني يحيى بن معين -: أبو عرعة؟

١ . الجوهر النقي ٣: ٢٨٧.

٢ . نصب الراية ١: ٢٦٥.

٣ . الجرح والتعديل ٢: ١٣٠.

فقال: ثقة معروف الحديث، كان يحيى بن سعيد يكرمه، مشهور بالطلاء، ك... يس

الكتاب؛ ولكنه يفسد نفسه، يدخل في كل شيء^(١). وجاء فيه بعض التليين. وأما معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعي مولاهم القزاز أبو يحيى المدني؛ فهو في طبقة يعقوب بن حميد بن كاسب، فقد ترجم له المزي في التهذيب^(٢)، قال أبو حاتم: أثبت أصحاب مالك وأوثقهم معن بن عيسى، وهو أحب إلي من عبد الله بن نافع الصائغ ومن ابن وهب^(٣). أما عبد الرحمن بن سعد المؤذن فضعيف حسبما عرفت.

وأما محمد بن عمار بن حفص بن عمر، فهو أبو عبد الله المدني مؤذن مس... جد

الرسول، ويقال له: كشاكش، وهو مولى الانصار و يقال: مولى عمار بن ياسر^(٤).

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: ما أرى به بأس^(٥)، وقال الدوري ع... ن

يحيى بن معين: لم يكن به بأس^(٦).

وقال علي بن المديني: ثقة^(٧).

قال أبو حاتم: شيخ ليس به بأس، يكتب حديثه^(٨).

وقال ابن حجر: لا بأس به، من السابعة^(٩).

وحفص بن عمر بن سعد القرظ قد عرفت حاله وهو متكلم فيه، والخبر موقوف عليه وليس بحجة.

- ١ . تاريخ بغداد ٦: ١٤٩ - ١٥١ وفيه: سكن بغداد وحدث بها عن يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ومحمد بن جعفر ومحمد بن بكر البرساني ومعن بن عيسى...
- ٢ . تهذيب الكمال ٢٨: ٣٣٦.
- ٣ . الجرح والتعديل ٨: ٢٧٧ - ٢٧٨ الترجمة ١٢٧١.
- ٤ . تهذيب الكمال ٢٦: ١٦٣، تهذيب التهذيب ٩: ٣٥٨، التاريخ الصغير ٢: ١٨٣.
- ٥ . العلل لأحمد ٢: ٤٨٥، بحر الدم فيمن مدحه أحمد أو ذم ١٤١.
- ٦ . تاريخ بن معين برواية الدوري ١: ١٤٧.
- ٧ . لسان الميزان ٧: ٣٦٩ - ٣٧٠، تهذيب الكمال ٢٦: ١٦٣.
- ٨ . الجرح والتعديل ٨: ٤٣.
- ٩ . تحرير تقريب التهذيب ٣: ٢٩٥.

ومع كل هذه الملابس نرى هذا الإسناد أنظف مما رواه الطبراني في الكبير والبيهقي عن أبي الشيخ الإصفهاني عن محمد بن عبد الله بن رُسته في السنن.

مع ما رواه السري عن أبي محذورة و يعضد ثبوت الحيلة الثالثة عن رسول الله ما رواه الحافظ العلوي بطرق متعددة - سيأتيك ذكرها تحت عنوان «تأذين الصحابة وأهل البيت» - عن أبي محذورة وأنها اتفقت جميعا على ثبوتها.
وأما رواية الحافظ العلوي بإسناده الذي فيه أحمد بن محمد بن السري فأليك نصّها:

حدّثنا أبو القاسم عليّ بن الحسين العرزمي إملاءً من حفظه، قال: حدّثنا أبو بكر أحمد ابن محمد بن السري التميمي، حدّثنا أبو عمران موسى بن هارون بن عبد الله الجمال، حدّثنا يحيى ابن عبد الحميد الحماني، حدّثنا أبو بكر بن عياش، عن عبد العزيز بن ربيع، عن أبي محذورة، قال: كنتُ غلاماً صبيّاً، فأذّنت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لصلاة الفجر، فلما انتهيت إلى «حيّ على الفلاح» قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ألحق فيها «حيّ على خير العمل»^(١).
وهذا النص - كما تراه - واضح لا مغمز في لفظه ولا معناه، لكنّ المتأخّرين من علماء العامّة حرفوا النص عن وجهته فنقلوا الرواية بشكل آخر، قالوا:

زعم أحمد بن محمد بن السري أنّه سمع موسى بن هارون عن الحماني عن أبي بكر بن عياش عن عبد العزيز بن ربيع عن أبي محذورة، قال: كنت غلاماً فقال النبيّ: اجعل في آخر أذانك «حيّ على خير العمل»^(٢).

وبناء على هذا التلاعب قال الحافظ ابن حجر في خبر السري: «وهذا حدّثنا به جماعة عن الحضرمي عن يحيى الحماني وإنما هو: اجعل في آخر أذانك الصلاة خير من النوم»^(٣).
لكن كلامه باطل من عدة جهات:

١ . الأذان بحّي على خير العمل ١٥ - ١٦ .

٢ . ميزان الاعتدال ١: ٢٨٣ - ٢٨٤ .

٣ . لسان الميزان ١: ٢٦٨ .

الأولى: أنّ مكان «حيّ على خير العمل» عند من يقول بها هي وسط الأذان
لا في آخره، وأنها من أصل الأذان لا زيادة فيه كالصلاة خير من النوم،
وإنّما ساءلوا وعلمهم هذا التلاعب تحريفهم نص السري عن وجهته، حيث جعلوا الحيلة
الثالثة في
آخر الأذان، ليتسنى لهم ادعاء أنّ الرواية وردت بجعل «الصلاة خير من
النوم» فمضمون
آخره لا الحيلة الثالثة.

الثانية: أنّ زيادة «الصلاة خير من النوم» جاءت متأخرة، وقد قال
مالك
عنها أنّها ضلال^(١)، ورجع الشافعي عن القول بها في الجديد^(٢)؛ لعدم
ثبوت ذلك
عن أبي محذورة، وهو مؤثر على عدم شرعيتها في أصل الأذان، فلو
كان
كذلك فالزيادة مشكوك فيها ولا يمكن الأخذ بها، وقد جاء في مصنف ابن
أبي شيبة
عن الأسود بن يزيد قوله وقد سمع المؤدّن يقول «الصلاة خير من النوم»
فقال
لا يزيدون في الأذان ما ليس سنة^(٣).

الثالثة: إنّ ما زعمه ابن حجر من وضع حديث: نار تلتقط مبغضي آل
محمد،
واتهم به أحمد بن محمد بن السري، فباطل.
إذ لا شاهد له على ذلك إلا استعظامه واستكباره أن يرد مثل هذا
الحديث في

١ . انظر: مواهب الجليل ٢: ٨٣ كتاب الصلاة، فضل الأذان والإقامة، حيث صرح بأن التثويب
ضلال، فتمحل بعضهم وقالوا إنّ المراد بالتثويب «حيّ على خير العمل» وقال آخر المراد هو
التثويب الثاني وهو خنق للحقيقة، خصوصا وقد حكى عن مالك تجويزه الحيلة الثالثة كما سيأتي
في آخر القسم الثالث من هذا الفصل «جزئية حي على خير العمل»، والباب الثاني من هذه
الدراسة «الصلاة خير من النوم شرعة أم بدعة».

٢ . الأئمّة ١: ٨٥.

٣ . مصنف ابن أبي شيبة ١: ١٨٩.

فضل آل محمّد، ولو أنصف لعلم أنّ مبغضي آل محمّد في النار وأنّه لا
اس

ولا استعظام. وهناك روايات كثيرة تشير إلى هذا المعنى، فقد يكون أحمد
بن محمّد

بن السري نقل الحديث بالمعنى، وهو جائز عند الفريقين، ومحض
الانفراد - لو صحّ - لا يدلّ على الوضع، خصوصاً مع أنّ لحديثه هذا
شواهد ومتابعات كثيرة، وأحمد هذا ثقة بإجماعهم، ولم يعيبوا عليه إلاّ
شيئاً لا يصحّ به قدح.

فأحمد بن محمّد بن السري المعروف بابن أبي دارم المتوفّى ٣٥١ هـ
قال عنه

الحافظ محمّد بن أحمد بن حمّاد الكوفي، بعد أنّ أرّخ وفاته: كان مستقيم
الأمّة - ر عامّة -
دهره، ثمّ في آخر أيامه كان أكثر ما يُقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل
يق: رأ عليّ هـ:
إنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن.

وفي خبر آخر في قوله تعالى: «وجاء فرعون» عمر: «ومن قبله»
أبو بكر «والمؤثفات» عائشة وحفصة، فواففته على ذلك؛ ثمّ أنّه حين أدنّ
الناس بهذا الأذان المُحدّث وضع حديثاً متنه: تخرج نار من عدن^(١)...

وعليه فالخدشة في ابن أبي دارم جاءت لروايته المثالب لا لسوء
حفظه واختلاطه بأخرّة و..، بل لروايته أشياء لا ترضي الآخرين من
القول برفس فاطمة، وشرعية حيّ على خير العمل، وأنّ النار تلتقط
مبغضي آل محمّد وغيرها.

وقد تلاحظ مما سبق: إمكان الخدش في خبري أبي محذورة وبلال
المُ

لنسخ الحيلة الثالثة، والمُعَارَضِينَ بما رواه العلوي. ونلفت نظر القارئ
الكريم إلى أنّ
هذين الخبرين بمجردهما قد لا يصلحان لإثبات شرعية حيّ على خير
العمل، بل،

١. لسان الميزان ١: ٢٦٨. ودعوى ابن حجر وغيره أنّ هذا من مختلقات السري لا يثبت أمام
الحقيقة العلمية، إذ روى هذا التأويل كثير من المحدثين ومن كتبوا في المثالب.

إن ثبوتها عندنا يرجع إلى ما عندنا من طرق صحيحة في ذلك، و يؤيده تأذين أهل البيت والصحابة بذلك، وهو ما ستعرفه بعد قليل، الأمر الذي يتفق مع سيرة بلال وحياته الفكرية التي ستقف عليها في الفصل الثاني «حذف الحيلة وامتناع بلال عن التأذين» من هذا الباب.

مشيرين إلى أن الملايسات العلمية التي تعرضنا لها أنفا ينبغي أن تحدّ من إصراف من يدّعي النسخ ويلهج بوجود الناسخ بلا دليل مُرضٍ، وهذا هو الذي

أشار إليه الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) بقوله:
وقد روت العامة أنّ ذلك مما كان يقال من بعض أيّام النبيّ وإنّما ادّعي أنّ ذلك نُسِخَ ورُفِعَ، وعلى من ادّعى النسخ الدلالة له وما يجدها. وممّا يضحك الثكلى أنّ البعض أسرف للغاية؛ حيث رفض جزئية حيّ على خير العمل، مدّعي أنّ الشيعة هم الذين أوجدوها وحشروها في كتب أهل السنة والجماعة لأنّ بقية الفرق الإسلاميّة لا تقول بذلك، كما أنّ صحاحهم ومسانيدهم قد خلت من «حيّ على خير العمل».

وأمام احتمال طرح مثل هذه الشبهة، نقول: إنّ هذه القضية لم تختصّ بالطالبيين دون غيرهم على ما ضبطته لنا صفحات تاريخ السنّة والسيرة، بل أقرّها عدد من الصحابة وعملوا بها، ويكفيها أن نذكر هنا اسم ابن عمر فقط لأنّه الصحابي الذي كان مورد اعتماد أهل السنة والجماعة في فترات متعاقبة من التاريخ، حتّى أنّ المنصور العبّاسيّ قد وجّه مالكا حين تدوين كتاب «الموطأ» بقوله: هل أخذت بأحاديث ابن عمر؟ قال: نعم.

قال المنصور: خذ بقوله وان خالف عليّا وابن عباس^(١).
وعلى ضوء هذا الأمر الحكومي يمكننا القول: إنّ الدولة العبّاسيّة قد اعتبرت
فقه ابن عمر معيارا ومقياسا شاخصا لتدوين السنّة، لأنّه لم يكن شخصا عادياً، بل كانت شخصيته ذات أبعاد مبطنّة، وفي هذا المجال رأينا يضيف على

وما ذكره في كتاب (الأذان بحَيِّ على خير العمل) أنَّها كانت ثابتة في الأذان أيام النبي، وفي خلافة أبي بكر، وفي صدر من خلافة عمر ثم نهى عنها^(١).

وبعد ذكر جواب هذا الزيديِّ على الإشكال الأوَّل، نقول: إنَّ من الثابت المعلوم أنَّ ليس باستطاعة كتبهم التسعة أن تضمَّ جميع الأحاديث والروايات المرويَّة على مرِّ التاريخ، بل ولم يدَّع أصحاب تلك الكتب أنفسهم الإمام بكلِّ ما رُوِيَ أو جمعهم لكلِّ ما صحَّ عن رسول الله. بلى، إنَّهم ادَّعوا أنَّ أحاديثهم منتقاةٌ من الأحاديث الصحيحة، وبهذا المعنى صرح كلُّ من النسائيِّ والبخاريِّ وابن ماجة وغيرهم، فهذا يقول إنَّه انتقى صحيحه من ستمائة ألف حديث صحيح، وذلك يقول إنَّه أخذها من ثلاثمائة ألف حديث صحيح.. وهكذا.

وصحيح أنَّهم يصفون الأحاديث التي انتقوها بأنَّها صحيحة، ولكنَّهم بذات الوقت لا ينكرون صحَّة بقية الأحاديث المتروكة عندهم - التي لم يشملها تدوينهم - فهم والحال هذه لا ينفون وجود أحاديث صحيحة عند الآخرين.

فلو لاحظت أحاديث عبدالله بن زيد الأنصاري المعتمدة عندهم في تشريع الأذان فلا تجدها في صحيحي البخاري ومسلم، ولم يأتِ بهما الحاكم في مستدركه، فما يعني هذا إذا؟

ونحن قد بيَّنا أنَّ ثمة اتفاقاً بين الفريقين على ثبوت «حيِّ على خير العملي» ف_____ عهد رسول الله واستمرَّ ذلك إلى أن جاء المنع من قبل عمر بن الخطاب، وبه_____ ذا تتأكَّد

شرعية وثبوت «حيِّ على خير العمل» إلى أنَّ حكم عمر بن الخطاب بعدم شرعيِّتها، وعلى هذا الأساس فإنَّ «حيِّ على خير العمل» هي السنة الحقة وما خالفها ليس من سنة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله.

أمَّا الإجابة على إشكالهم الثاني فهي غير مبتورة عن الإجابة على الإشكال الأوَّل، إذ أنَّ امتداد الإجابة بمثابة الردِّ الفاصل على إشكالهم الثاني، لأنَّهم يقولون بأنَّ الروايات التي وردت فيها الحيلة الثالثة «حيِّ

١ . انظر: هامش مسند زيد بن علي: ٨٤ عن الأذان بحَيِّ على خير العمل: ٦٣ بتحقيق عزَّان. والنص عن طبعة دار الحياة لمسند الإمام زيد.

على خير العمل» ضعيفة السند، لأنَّ أغلب رواتها من الضعاف... وهنا لابد لنا من الخوض في بحث منهجي مبنائي معهم ليكون حديثنا أكثر علمية وأدقّ توجيهها، فنقول:

هل ضوابط الجرح والتعديل المتبعة في توثيق وتضعيف الرجال هي ضوابط قرآنية، أو هي مبنية على الهوى والهوس، أو تتحكّم بها الطائفة، كأن يكون

للسافعية ضوابطهم الخاصة بهم، وكذا للمالكية والحنفية وغيرهم. فقد خدش ابن معين وأحمد بن صالح في الإمام الشافعي^(١). وذكر الخطيب البغدادي أسماء الذين ردّوا على الإمام أبي حنيفة^(٢). وقال الرازي في رسالة ترجيح مذهب الشافعي ما يظهر منه أنّ البخاري عارض أبا حنيفة من الضعفاء في حين لم يذكر الشافعي^(٣).

وحكي عن أبي علي الكرابيسي أنّه كان يتكلم في الإمام أحمد، وكذا

العراقيّ شيخ ابن حجر في ابن حنبل ومسنده^(٤).

وذكر الخطيب في تاريخه أسماء عدّة قد خدشوا في الإمام مالك^(٥).

وقد خدشوا في الإمام البخاري والنسائي وغيرهما.

فما المعتبر في الجرح والتعديل إذا؟

في سياق جوابنا على إشكالهم الثاني، نقول أيضا: لو سلّمنا فرضا بعض

الروايات، فإنّ كثرتها وتعدّد طرقها، تجعلها معتبرة، ويمكن الأخذ بها بنسبة

قاعدية: (الحديث الضعيف يقوّي بعضه بعضا)^(٦). وأنّهم كثيرأما أخذوا بروايات رجالها ضعفاء، فمثلاً أنّهم عملوا بقوله صلى الله عليه وآله «على

١ . انظر: هامش تهذيب الكمال ٢٤ : ٣٨٠.

٢ . تاريخ بغداد ١٣ : ٣٧٠ وفيه اسم ٣٥ رجلاً تكلموا في الإمام أبي حنيفة.

٣ . طبقات الشافعية ٢ : ١١٨.

٤ . انظر: فيض القدير ١ : ٢٦.

٥ . تاريخ بغداد ١ : ٢٢٤، وتهذيب الكمال ٢٤ : ٤١٥.

٦ . نصب الراية ١ : ٩٣ عن البيهقي أنّه قال: والآثار الضعيفة إذا ضم بعضها إلى بعض أحدثت قوة فيما اجتمعت فيه من الحكم.

اليد ما أخذت حتّى توديه»^(١) على رغم ضعف سندها وانحصارها بسمرة بن جندب.

هذا كلّه بصرف النظر عن أنّ هناك جمًّا غفيرا من علماء المسلمين - من طوائف الاثني عشرية والاسماعيلية والزيدية - روا بطرق صحاح وحسان ثبوت الحيلة الثالثة في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وعدم نسخها، وحينئذ فنحن نرى انجبار الروايات الضعيفة بهذه الطرق الصحيحة والحسنة.

ويتأكد لك سبب ندرة الروايات الدالة على الحيلة الثالثة في مدرسة الخلفاء أو تضعيفهم لرواياتها لو سائرت البحث معنا حتّى الفصل الرابع «حيّ على خير العمل تاريخها السياسي والعقائدي» إذ هناك ستقف على الاسباب السياسية الكامنة وراء هكذا أمور في الشريعة.

أمّا فيما يتعلّق بالإشكال الثالث من أنّ عمل النبيّ الأكرم هو الحجّة وليس عمل الصحابة في المورد المشار إليه، فليس لنا إشكال في أصل هذا الكلام والمبنى، لكن فيه على أهل السنّة إيرادان: نقضيّ وحليّ؛ إذ أنك ترى أهل السنّة يتبعون عمل الصحابة ويجعلونه معيارا لهم في الأحكام الفقهيّة، ولكنهم اتّخذوا موقفا مضادا لمنهجيتهم الفقهيّة في مسألة «حيّ على خير العمل» على الرغم من دعم عمل الصحابة فيها بالنصوص الكثيرة الصريحة والشواهد التاريخيّة المؤيّدّة لها.

فعلى الرغم من التزام الصحابة بـ «حيّ على خير العمل» في أذانهم، وعلى الرغم من كثرة الروايات التي تؤكد شرعيّتها، ترى بعضهم يستثنون حكم هذه المسألة على ضوء طريقتهم فيقولون: الحجّة - في هذه المسألة بالذات - عمل النبيّ الأعظم وليس عمل الصحابة، مع أنّ من بينهم من يقول بأنّ (فعل الصحابيّ يخصّص

١ . مسند أحمد ٥: ٨، ١٣، ١٢، سنن الدارمي ٢: ٢٦٤ باب في العارية موداة، ابن ماجة ٢: ٨٠٢ باب العارية، سنن أبي داود ٢: ١١٥ باب في الرقبى، سنن الترمذي ٢: ٣٦٨ باب ما جاء في العارية موداة، مستدرک الحاكم ٢: ٤٧، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٩٠، ٩٥، ١٠٠، السنن الكبرى للنسائي ٣: ٤١١.

الْقَرَأَنَ (١) ..

وهذا تناقض واضح وصريح من جانبهم!
بينما تراهم في حين آخر يقولون بأنَّ فعل الصحابيِّ هو علامة أو
انعكاس لفعل
النبيِّ الأكرم، ولمَّا كان ثمة خلاف بين فقه عليٍّ عليه السلام وفقه عمر،
وبين ابن عمر وعمر نفسه، وبين الصحابة الآخرين فيما بينهم أيضاً، فإنَّ
هذا مؤشر يدلُّ دلالة واضحة على وجود مذهبين مختلفين: أحدهما يتبع
رسول الله صلى الله عليه وآله والنصوص الواردة، والآخر يعطي لنفسه
الاجتهاد، ويتعبد بسيرة الشيخين و إن خالفت سنة رسول الله
صلى الله عليه وآله.

ولو نقبت في الكتب وتتبع أقوال المؤرخين في ابن عمر لوقفت على
أنَّ المشهور عندهم أنَّه كان يتحرى آثار النبيِّ الأكرم، وقد سَطُرَتْ في
كتاب «منع تدوين الحديث» ثمان وثلاثون حالة اختلف فيها عبد الله بن
عمر مع أبيه.

إذ كان ابن عمر في أغلبها يحاول اتِّباع سنة رسول الله، لكنَّ عمر لم
يأبه بكلام ابنه، ملتزماً برأيه، عاملاً بالقياس أو الاستحسان وما شابه
ذلك..

فبماذا يُفسَّر إذاً خلاف ابن عمر مع أبيه؟ نحن لا نريد بكلامنا هذا
القول بأنَّ ابن
عمر كان من اتِّباع نهج التعبد المحض، أو أنَّه لا يجتهد مقابل النص، لكن
الصبغة
الغالبة عليه هي شهرته بتحري آثار رسول الله واتِّباع سننه لا
الاجتهاد والرأي.

ولمَّا كان عمر هو الذي أمر ب «الصلاة خير من النوم»، وهو الذي
نهى عن
«حيِّ على خير العمل»، كان فعل الصحابة في هذا المورد هو الحاكم
وهو الحجَّة
عندهم بخلاف ما يدَّعون من أنَّ فعل النبيِّ الأكرم هو الحجة لا غير.

وبهذا، فقد عرفنا شرعية الأذان بحَيِّ على خير العمل، وانه لم ينسخ
من قِبَلِ
رسول الله صلى الله عليه وآله كما يقولون، وما دُكر من إشكالات كلّها كانت
واهية لا تناهض الأدلة، بل وقفت - عزيزي القارئ الكريم - على بعض
تحريفات الأمويين ومن اتبعوهم من المتزلفين المتزلفين وكيف حرّفوا
قول أبي محذورة (فلما انتهيت إلى حيّ على الفلاح قال النبيّ
صلى الله عليه وآله: ألحق فيها حيّ على خير العمل)، وأبدلوها ب (اجعل
في آخر أذانك حيّ على خير العمل) فان هذا الكلام باطل وتحريف
صريح للنصوص. لأنّ «ألحق فيها حيّ على خير العمل» يؤكد على أن
مكان الحيلة الثالثة هو بعد الحيعتين لا كما تقول الرواية المفتعلة بأنّها
في آخر الأذان، ف «الصلاة خير من النوم» تتفق مع كونها آخر الأذان
لتأخر تشريعها، أما الحيلة الثالثة فهي بعد الحيعتين، إلا أن يقولوا بأن
الحيلة الثالثة أو الصلاة خير من النوم - كما في الرواية الأخرى - هو
آخر الأذان، مسقطين بذلك التكبير والتهليل عن آخر الأذان وهذا لا
يقوله احد.

وعليه فيكون الصحيح الذي يتفق مع فصول الأذان هو ما رواه
الحافظ العاصمي
بإسناده عن ابي محذورة لأما حرفه الذهبي وابن حجر، فتدبر.

القسم الثاني

تأذين الصحابة وأهل البيت ٨

إنَّ المطالع في كتب السير والتاريخ والحديث عند المذاهب الإسلاميَّة
يقف على
أسماء عدة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وأهل بيت رسول الله
صلى الله عليه وآله كانوا يؤذنون بـ «حيّ على خير العمل» وإن كانت
بعض تلك النصوص تشير إلى تأذينهم بها في الفجر خاصة، لكنّ هناك
نصوصاً أخرى تدل على شموليتها لجميع الأوقات.
و إليك الآن أسماء بعض من أذن بها للرسول الأكرم، وأسماء بعض
كبار الصحابة وأهل بيت النبوة، جننا بها من طرق الشيعة الإمامية الاثني
عشرية، وطريق
الزيدية، والإسماعيلية وأهل السنة والجماعة، اعتقاداً منا بضرورة
الوقف على
جميع الطرق عند جميع المذاهب الإسلاميَّة، كي لا تكون رؤيتنا ضيقة
منحصرة
بمذهب دون آخر، بل لتكون شموليَّة موسَّعة تكشف عن وجهات نظر
الجميع.

١ - بلال بن رباح الحبشي (ت ٢٠هـ):

أخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في سننه، بسندهما عن عمّار
وعمر ابني حفص بن عمر، عن آبائهم، عن أجدادهم، عن بلال أنّه كان
يؤذّن بالصبح فيقول: «حيّ على خير العمل»، فأمر النبيّ أن يجعل
مكانها «الصلاة خير من النوم» وترك «حيّ على خير العمل»^(١).
وقد مرّ عليك قبل قليل كلام الحافظ العلوي وتحققنا في هذه الرواية،
وأن جملة (فأمره النبيّ...) إلى آخره، لم تكن في الإسناد الأصلي، ويؤيّد
صحة كلام الحافظ العلوي وروايته ما روي - عندنا - عن أبي بصير، عن

١ . المعجم الكبير ١: ٣٥٢، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤٢٥ مجمع الزوائد ١: ٣٣٠ كنز العمال
٨: ٢٣١٨٨/٣٤٥.

أحدهما عليهما السلام أنه قال: إن بلالاً كان عبداً صالحاً فقال: لا يؤذن لأحد بعد رسول الله، فترك يومئذ «حيّ على خير العمل»^(١).
وعن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن خير أعمالكم الصلاة، وأمر بلالاً أن يؤذن بحيّ على خير العمل؛ حكاها في الشفاء^(٢).
وفي كنز العمال: كان بلال يؤذن بالصبح فيقول «حيّ على خير العمل»^(٣).

٢ - علي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ):

روى الإمام المؤيد بالله الزبيدي في كتابه شرح التجريد، من طريق
عبد بن يعقوب، عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام أنه قال:
سمعت رسول الله يقول: «إن خير أعمالكم الصلاة» وأمر بلالاً أن يؤذن
بحيّ على خير العمل^(٤).

وروى الحافظ العلوي بسنده عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر
بن أبي طالب: حدّثني أبي، عن أبيه، عن جده، قال: كان أبي عليّ عليه
السلام إذا خرج إلى سفر لا يكمل الأذان إلى غيره ولا الإقامة، وكان لا
يدع أن يقول في أذانه: حيّ على خير العمل^(٥).

وقد أخرج الحافظ العلوي ذلك بطرق عدّة عن الإمام عليّ، منها:
حدّثنا محمد بن الحسين التيملي قراءة، حدّثنا^(٦) عليّ بن العباس
الجلبي، حدّثنا بكّار بن أحمد، حدّثنا حسن بن حسين، عن عمرو بن ثابت،
عن محمد بن عبد الرحمن، قال: كان ابن النباح يجيء إلى عليّ عليه
السلام حين يطلع الفجر فيقول: حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ
على خير العمل، فيقول عليّ عليه السلام: مرحباً بالقائلين عدلاً،
وبالصلاة مرحباً وأهلاً، يا ابن النباح: أقم.

١ . من لا يحضره الفقيه ١: ٢٨٤، وسائل الشيعة ٥: ٤١٨، ولنا تحقيق عن بلال في الفصل الثاني من هذا الباب فراجع.
٢ . البحر الزخار ٢: ١٩١، وانظر: الشفاء ١: ٢٦٠.
٣ . كنز العمال ٨: ٣٤٢، ح ٢٣١٧٤.
٤ . جواهر الأخبار والآثار ٢: ١٩١، الاعتصام بحبل الله المتين ١: ٣٠٩.
٥ . الأذان بحيّ على خير العمل: ٩٤ الحديث ٧٤.
٦ . في الاعتصام ١: ٢٩١: نبأنا.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ (١)

فِي لِقَائِهِ (٢)، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ زَكْرِيَا، حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ يَعْقُوبَ، أَخْبَرَنَا

عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى: بِنَحْوِهِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارِ الْعَجَلِيِّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ

حَنِينٍ (٣)،

حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ يَعْقُوبَ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى: بِنَحْوِهِ.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ بَشَّارٍ، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ [بْنِ بَنَانٍ] الشَّيْبَانِيُّ،

قَالَ: حَدَّثَنَا

الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الرَّقَّاءِ الْمَقْرِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ

مُحَسَّنِ بْنِ الطَّرِيفِ (٤)،

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ (٤) ابْنُ

أَخِي

مَالِكِ بْنِ أُوَيْسٍ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ضَمِيرَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي

طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي أَذَانِ الصَّبْحِ: حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ،

حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ.

حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمِيدِ الْمَقْرِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ

الْحَسَنِ

الْحُسَيْنِ بْنِ عَيْسَى الْعُلَوِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا الْمَغِيرَةُ بْنُ

مُحَمَّدٍ (٥)،

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ (٥) حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

١ . في تحقيق عزَّان: بن كنانة وليس فيها (في لقائه).

٢ . في الاعتصام: في كتابه.

٣ . أثبت عزَّان في المتن: نُجْبِيَّة، وقال في الهامش: في ج: حنية وفي ط: علي بن محمد بن حنينة، والصواب ما أثبتته، انظر: ترجمته في المعجم [الذي أعده في آخر الكتاب]. أما في الاعتصام: حبيبة.

٤ . أثبت عزَّان في المتن بدل اويس «انس» واحال على ما ترجمه له في المعجم. وهو الموجود في الاعتصام ١: ٢٩٢ كذلك وفي آخره الحيلة مرة واحدة.

٥ . في متن عزَّان: «بن عبد الرحمن» وقال في الهامش: وفي ط: إبراهيم بن عبد الرحمن. وهو الموجود في الاعتصام ١: ٢٩٢.

و^(١) محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جده، قال: كان أبي علي عليه السلام إذا خرج إلى سفر لا يكمل الأذان إلى غيره والإقامة^(٢)، وكان لا يدع أن يقول في أذانه: حيّ على خير العمل.

حدّثنا^(٣) جعفر بن محمد الجعفري ومحمد بن عبد الله بن الحسين، حدّثنا أحمد بن

محمد بن سعيد، حدّثنا يعقوب بن يوسف الضبي، حدّثنا أبو جبارة حصين بن المخارق، عن يعقوب بن عدي، عن يحيى بن زيد، عن آبائه، عن علي عليه السلام: أنه كان يأمر مؤذنه أن ينادي في أذانه بحيّ على خير العمل.

حدّثنا^(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم قراءةً، أخبرنا محمد بن أبي العباس القاسم بن زكريّا، [حدّثنا^(٥)] عبّاد بن يعقوب، أخبرنا نصر بن مزاحم، عن سفيان بن إبراهيم الحريري، عن صباح المزني، عن سعيد، عن الأصبع بن نباتة، قال: جاء مؤذنو علي عليه السلام فحيّوه بالصلاة، فقال: مرحبا بالقائلين عدلاً، وبالصلاة مرحبا وأهلاً. فلما تفرق المؤذنون خرج علينا، فقال: حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن الحسين قراءةً، حدّثنا الحسين بن محمد الفزاري، حدّثنا جعفر بن عبد الله المحمّدي، حدّثنا مصباح بن الهالقان^(٦)، حدّثنا إبراهيم بن محمد - يعني ابن أبي يحيى - عن جعفر، عن أبيه، [عن جده^(٧)] قال: كان علي عليه السلام يقول في أذانه: حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل، وذكر الحديث.

* طريق الإمام الصادق عليه السلام:

- ١ . في الاعتصام: عبدالله بن محمد.
- ٢ . في نسخة عزّان: ولا الإقامة. وهو الموجود في الاعتصام ١: ٢٩٢ كذلك.
- ٣ . في الاعتصام: أخبرنا.
- ٤ . في نسخة عزّان: أخبرنا، وقد سقط ما قبله.
- ٥ . الزيادة من تحقيق عزّان. والاعتصام ١: ٢٩٢.
- ٦ . في الاعتصام: الهالقان.
- ٧ . الزيادة من الاعتصام.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن زيد بن بشر، وعلي بن محمد الشيباني،
ق_____

حدّثنا الحسن بن محمد بن سعيد بن مسلم، حدّثنا علي بن العباس وعلي بن
س_____

حدّثنا بكار بن أحمد، حدّثنا نصر بن مزاحم، عن الثقة إبراهيم بن أبي
يحيى، ع_____،
جعفر بن محمد عليه السلام: أن علياً عليه السلام كان يقول لكل صلاة:
حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل.

* طريق إبراهيم بن محمد:

أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم قراءة، أخبرنا محمد بن أبي العباس
ال_____ وراق ف_____

كتابه، حدّثنا محمد بن القاسم، حدّثنا الحسن بن محمد المزني، حدّثنا
ه_____ ارون ب_____ ن أبي
بروة، حدّثني حسين أخي، عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى: أن علياً
عليه السلام كان يقول لكل صلاة: حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة،
حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل، حيّ على خير
العمل^(١).

٤ . طريق الإمام الباقر عليه السلام:

أخبرنا محمد قراءة، حدّثنا محمد [قراءة^(٢)]، حدّثنا حسن، حدّثنا
حس_____ ين اب_____

نصر، حدّثنا خالد بن عيسى، عن عاصم بن جميل^(٣)، عن جعفر، عن
أبي_____ ه: أن

علياً عليه السلام كان يقول في الأذان لكل صلاة: حيّ على الصلاة حيّ
على الصلاة، حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل حيّ
على خير العمل.

أخبرنا محمد [بن أحمد^(٤)]، أخبرنا محمد [بن أبي العباس^(١)]،
أخبرنا _____ محمّد

١ . وانظر: الاعتصام ١: ٢٩٣.

٢ . الزيادة من الاعتصام ١: ٢٩٣.

٣ . في تحقيق عزّان: بن حميد الخياط.

٤ . الزيادة من عزّان.

[بن القاسم^(٢)]، حدّثنا حسن [بن محمّد المزني^(٣)]، حدّثني هارون ابن أبي بردة، عن وهب بن وهب، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه [عن جده^(٤)]، أن عليًا عليه السلام كان يُنْثِي الإقامة كما يُنْثِي الأذان، وأخبرنا أنه إن أذن في الصبح قال: حيّ على خير العمل.

أخبرنا^(٥) أحمد بن زيد بن بشّار، حدّثنا الحسن [بن^(٦) محمّد الرقّاء، حدّثنا

عليّ بن العباس وعليّ بن الحسين بن سلامة، قالوا: حدّثنا بكار، حدّثنا حسـن^(٧) بن

حسين [العُرني]، عن صالح بن أبي الأسود، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان في أذان عليّ عليه السلام: حيّ على خير العمل.

.. حدّثنا ابن النّحاس، حدّثنا عليّ، حدّثنا بكار بهذا... وقال: كان في الأذان حيّ على خير العمل.

حدّثنا عبد الله بن مخالد^(٨) البجلي، أخبرنا أحمد بن محمّد بن سعيد، حدّثني أحمد بن يحيى بن المنذر الحجري، حدّثنا أبو الطاهر أحمد بن عيسى، حدّثني الحسن بن عليّ الينبعي عن أبيه، قال: سمعت محمّد بن عليّ عليه السلام يؤذن حيّ على خير العمل، فقلت له: أيش هذا الأذان؟ قال: هذا أذان خير البرية بعد النبيّ عليه السلام جدّك عليّ بن أبي طالب عليه السلام^(٩).

١ . الزيادة من عزّان.

٢ . الزيادة من عزّان.

٣ . الزيادة من عزّان.

٤ . الزيادة من الاعتصام ١: ٢٩٣.

٥ . في تحقيق عزّان: حدّثنا.

٦ . الزيادة من تحقيق عزّان والاعتصام.

٧ . في الاعتصام: حسين.

٨ . في الاعتصام ١: ٢٩٤: مجالد.

٩ . الأذان بحيّ على خير العمل للحافظ العلوي: ٤٨ - ٥٣، وتحقيق عزّان من ص ٩٢ - ٩٨.

والاعتصام ١: ٢٩٤.

وجاء في حاشية الدسوقي ما نصه: «كان عليّ عليه السلام يز يد
«حيّ على خير العمل» بعد «حيّ على الفلاح» وهو مذهب الشيعة
الآن»^(١).

ومعنى كلامه أنّه عليه السلام لم يَزِد شيئاً إضافياً على فصول الأذان،
بل إنّ كان يأتي بأمر لم يعمل به الخلفاء.

طرق أخرى:

وفي الاعتصام بحبل الله: وقد ذكر الفقيه صالح بن الصديق النمازي
في شـرحه
(الأنهار على إثمار الأزهار) قال ابن الرفعة من أصحاب الشافعي في
مطلبه: قال
القاضي حسين في التعليق: روي عن عليّ عليه السلام أنّه كان يقول
«حيّ على خير العمل» وبه أخذت الشيعة^(١).
وروى الحافظ العلوي من طريق ابن عباس، عن عليّ بن أبي طالب،
قال: سمعت رسول الله يقول: لما انتهى بي إلى سدره المنتهى، فرأيت من
جلال الله ما رأيت، قال لي: يا محمد «حيّ على خير العمل»، قلت: يا
رب وما خير العمل؟ قال: الصلاة قربان أمّتك...^(٢)
وعن يحيى بن زيد، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام أنّه كان يأمر
مؤدّنه أن ينادي فـي
أذانه بحيّ على خير العمل^(٣).
وعن حسين بن عبد الله بن ضميرة، عن جدّه ضميرة، عن عليّ بن
أبي طالب عليه السلام أنّه كان يقول في أذان الصبح «حيّ على خير
العمل حيّ على خير العمل»^(٤).
وروت الزيدية عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أنّ عليا عليه السلام
كان يثني الإقامة كما يثني الأذان، وأخبرنا أنّه إن أذن في الصبح قال:
حيّ على خير العمل.

وعنه أيضا، قال: إنّ عليا عليه السلام كان يقول لكل صلاة «حيّ على
الفلاح، حيّ على خير العمل»^(٥).

١ . الاعتصام بحبل الله ١ : ٣٠٨ .

٢ . الأذان بحيّ على خير العمل للحافظ العلوي: ٦١ بتحقيق عزّان . والاعتصام بحبل الله ١ :
٢٩٠ .

٣ . كتاب الأذان بحيّ على خير العمل: ٩٢ / الحديث ٦٩ ، بتحقيق عزّان .

٤ . كتاب الأذان بحيّ على خير العمل: ٩٣ / الحديث ٧٣ ، بتحقيق عزّان .

٥ . الأذان بحيّ على خير العمل: ٩٦ الحديث ٧٧ وقد مرّ آنفا .

وفي من لا يحضره الفقيه: وكان ابن النّباح يقول في أذانه: «حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل» فإذا رآه عليّ قال: مرحبا بالقائلين عدلاً، وبالصلاة مرحبا وأهلاً^(١).

٣ - أبو رافع (كان حيّاً في عهد الإمام الحسن):

قال الحافظ العلوي: أخبرنا عليّ بن محمّد [إسحاق^(٢)] الخزّاز، أخبرنا _____ الحسن _____ بن محمّد بن سعيد المقرئ، حدّثنا الحسن بن حيّاس^(٣)، حدّثنا محمّد بن _____ سليمان [لؤين]، حدّثنا شريك، عن عاصم بن^(٤) عبيد الله، عن عليّ ابن الحسين، عن _____ بن أبي رافع، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا سمع الأذان قال كما يقول، فإذا بلغ حيّ على خير العمل قال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله^(٥).

٤ - عقيل بن أبي طالب (ت في خلافة معاوية):

روى الحافظ العلوي بسنده عن عبيدة السلماني: أنّ عقيل بن أبي طالب _____ ب _____ يؤذن ب «حيّ على خير العمل» إلى أن فارق الدنيا^(٦).

٥ - الحسن بن عليّ بن أبي طالب (ت ٥٠ هـ):

قال القاسم بن محمّد - وهو من أعلام الزيدية - ذكر في كتاب السنن ما لفظه: الصحيح أنّ الأذان شرع بحيّ على خير العمل؛ لأنّه اتفق على الأذان به يوم الخندق، ولأنّه دعاء إلى الصلاة؛ وقد قال صلى الله عليه وآله: خير أعمالكم الصلاة، وقد اتفق أيضاً على أنّ ابن عمر والحسن والحسين

١ . من لا يحضره الفقيه ١: ٢٨٨ ح / ٨٩٠ وانظر: كتاب الأذان بحيّ على خير العمل: ٩٤ الحديث ٧٥.
٢ . الزيادة من الاعتصام ١: ٢٨٩.
٣ . تحقيق عزّان: حبّاش. وفي الاعتصام ١: ٢٨٩: حبّاش.
٤ . في الاعتصام ١: ٢٨٩: عن.
٥ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٢٨، وتحقيق عزّان: ٥٥. الاعتصام ١: ٢٨٩، وفيما يلي عن الاعتصام ١: ٢٩٤ مثله.
٦ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٥٤، وتحقيق عزّان: ١٠٩.

عليهما السلام وبلالاً وجماعة من الصحابة أدنوا به، حكاه في شرح
الموطأ وغيره من كتبهم^(١).

وقد روى الحافظ العلوي عن محمد بن أحمد بن إبراهيم، أخبرنا محمد
بن أبي
العبّاس الوراق بحرانة، حدّثنا محمد بن القاسم، حدّثنا حسن بن محمد،
حدّثنا محمد

بن عليّ الكندي، عن زكريّا بن يحيى، عن عبد الرحمن بن أبي حمّاد،
عن يوسف بن يعقوب، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أذاني
وأذان آبائي النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين وعليّ بن
الحسين.. حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل^(٢).

وفي الاعتصام ١: ٢٩٤ عن الأذان للحافظ العلوي: أخبرنا محمد بن
طلحة الثعالبي ببغداد، حدّثنا محمد بن عمر الجعابي القاضي، حدّثنا
إسحاق بن محمد - يعني ابن مروان - حدّثنا أبي، حدّثنا زيد بن المعدل،
حدّثنا عبدالله بن يزيد المرادي، عن النعمان بن قيس، عن عبيدة السلماني
قال: كان عليّ بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعقيل بن أبي طالب،
وابن عباس، وعبدالله ابن جعفر، ومحمد ابن الحنفية: يؤذنون إلى أن
فارقوا الدنيا فيقولون: حيّ على خير العمل، ويقولون: لم تنزل في الأذان.

٦ - أبو محذورة (ت ٥٩ وقيل ٥٧٩هـ):

روى محمد بن منصور في كتابه الجامع، بإسناده عن رجال
مرضيين، عن أبي محذورة - أحد موذني رسول الله صلى الله عليه وآله - أنه
قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أقول في الأذان «حيّ على
خير العمل»^(٣).

١ . الاعتصام بحبل الله المتين ٣٠٧ - ٣١٣، وانظر: الروض النضير ١: ٥٤٢.
٢ . الأذان بحيّ على خير العمل للحافظ العلوي: ٥٤، وبحقيق عزّان: ١٣٦ الحديث ١٧١.
والاعتصام ١: ٢٩٤.
٣ . البحر الزخّار ٢: ١٩٢، أمالي أحمد بن عيسى ١: ٩٢، وكذلك ميزان الاعتدال ١: ١٣٩، لسان
الميزان ١: ٢٦٨.

وروى محمد بن منصور: أنّ [أبا] القاسم عليه السلام أمره أن يؤذّن و يذكر ذلك [يعني حيّ على خير العمل] في أذانه، قال: إنّ رسول الله أمره به؛ هكذا في الشفاء^(١).

وأخرج الحافظ العلوي من عدّة طرق خبر الحيلة الثالثة، منها طريق الحمّاني أنف الذكر، والأخرى:

١ - حدّثنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن النّحاس^(٢) قراءة، حدّثنا عليّ ابن عبّاس البجلي، [حدّثنا بكار بن أحمد، حدّثنا مخول بن إبراهيم، عن^(٣) محمد بن بكر، عن زياد بن المنذر، قال: حدّثني شيخ من أصحابنا، عن رجل حدّثه عن أبي محذورة، قال: أمرني رسول الله أن أقول في الأذان: حيّ على خير العمل^(٤)].

٢ - أخبرنا أحمد بن عليّ بن العطار ومحمد بن الحسين بن عزال قراءة عليهما، قالوا: حدّثنا عليّ بن أحمد بن عمرو، حدّثنا محمد بن المنصور المقرئ، حدّثني أحمد بن عيسى، عن محمد بن بكر، عن أبي الجارود مثله^(٥).

٣ - حدّثنا أحمد بن زيد بن يسار، أخبرنا الحسن بن محمد بن سعيد بن مسلم [الرقاء]، حدّثنا محمد بن الحسن الأريسي^(٦)، حدّثنا أحمد بن يحيى الصوفي، حدّثنا مخول بن إبراهيم، حدّثني محمد بن بكر الأرحبي، عن أبي الجارود، قال: حدّثني يحيى - شيخ من أصحابنا - عن رجل حدّثه عن أبي محذورة قال: أمرني رسول الله أن أقول في الأذان: حيّ على خير العمل^(٧).

٤ - حدّثنا محمد بن الحسين بن النّحاس قراءة، حدّثنا عليّ بن العبّاس البجلي، حدّثنا بكار بن أحمد، حدّثنا عثمان بن سعيد الأحول، حدّثني هُذيل

١ . جواهر الأخبار والآثار ٢: ١٩١ .

٢ . في تحقيق عزّان: النّحاس.

٣ . الزيادة عن تحقيق عزّان: ٥١ ح ٢ .

٤ . الاعتصام بحبل الله ١: ٢٨٤ .

٥ . علق عزّان: ٥١ ح ٣ اخرج محمد بن منصور في الامالي ١: ١٩٦ (٢٣٤ راب الصدع) وفيه: امرني رسول الله ان اقول في الاذان حيّ على خير العمل... وانظر: الاعتصام بحبل الله ١: ٢٨٤ .

٦ . في تحقيق عزّان: الاويسي انظر: ٥٢ ح ٤ .

٧ . الاعتصام بحبل الله ١: ٢٨٤ .

ابن بلال المدائني، قال: سمعت [ابن^(١)] أبي محذورة يقول: حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل..
 ٥ - حدّثنا^(٢) أبو الطيب عليّ بن محمّد بن بنان، حدّثني أبو القاسم عبد الله ابن جعفر بن محمّد النجار الفقيه، حدّثنا العباس بن أحمد بن محمود الرازي - قدّم حاجًا في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة - حدّثنا أبو جعفر^(٣) أحمد بن محمّد بن سلامة الأزدي بمصر - يعني الطحاوي الفقيه - حدّثنا يونس بن بكر^(٤)، حدّثنا ابن وهب، حدّثني عثمان [بن الحكم الجذامي^(٥)]، الجذامي^(٥)، عن ابن جريج، عن ابن أبي محذورة، عن آل أبي محذورة^(٦)، عن أبي محذورة، قال: قال رسول الله: اذهب فأذن عند المسجد الحرام وقل: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمّدًا رسول الله، أشهد أن محمّدًا رسول اللّ، حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله^(٧).

٦ - وبهذا الإسناد عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، قال: تأذين

مضى يخالف تأدينتهم^(٨) اليوم، وكان أبو محذورة يؤذن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فأدركته أنا وهو يؤذن، وكان يقول في أذانه بين الفلاح والتكبير حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل.
 وروى الإمام المؤيد بالله في شرح التجريد من طريق أبي بكر المقري، قال: حدّثنا الطحاوي الفقيه، قال: حدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا أبو عاصم، قال:

١ . من تحقيق عزّان: ٥٤ ح ٧ . والاعتصام بحبل الله ١: ٢٨٤ - ٢٩٠.

٢ . في الاعتصام ١: ٢٨٩ اخبرنا.

٣ . في الاعتصام ١: ٢٨٩ أبو هند.

٤ . في الاعتصام: بكر.

٥ . في الاعتصام: الحرامي.

٦ . الزيادة من تحقيق عزّان: ٥٢ ح ٥.

٧ . في تحقيق عزّان: ٥٣ زيادة تمّ ارجع فمد صوتك بـ «الله أكبر» إلى أن تنتهي إلى الشهادتين، ثمّ قل: حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. وهذه الزيادة موجودة في الاعتصام ١: ٢٨٩ كذلك، وفي أول الأذان تكبيرتان.

٨ . في الاعتصام ١: ٢٨٩: تأدينتكم.

حدَّثنا ابن جريج، قال: حدَّثنا عثمان بن السائب^(١)، قال: أخبرني أبي، عن
عبد الملِك بن
أبي محذورة، عن أبي محذورة مؤذن النبي، قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وآله: اذْهَبْ فَأَذِّنْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَقُلْ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ،
الله أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ... إلى أن ذكر «حيّ على خير العمل، حيّ على خير
العمل»^(٢). وهو نفس خبر الحافظ العلوي إلا أن العلوي رواه عن طريق
يونس بن بكر، حدَّثنا ابن وهب، حدَّثني عثمان بن الحكم المدائني، عن
ابن جريج.

وقال الإمام يحيى بن حمزة من أئمة الزيدية في الانتصار: الحجّة
التاليّة مـ رواه
محمد بن منصور في كتاب الجامع بإسناده عن رجال مرضيين، عن أبي
محذورة أحـ
مؤدّني رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أمرني رسول الله...
وقال الإمام محمد بن المطهر في المنهاج: وروينا أن أبا محذورة أمره
النبـ يقول «حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل».

وروى الحافظ العلوي بإسناده عن طريق يحيى بن حميد الجماني،
قال: حدَّثنا
أبو بكر بن عيَّاش، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي محذورة، قال: كنت
غلامـ
صديقاً فأدّنت بين يدي رسول الله لصلاة الفجر، فلما انتهيت إلى حيّ على
الفلاح، قال النبي: ألحِقْ بها «حيّ على خير العمل»^(٣).

١ . في الاعتصام ١: ٢٨٠: السائب.

٢ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٢٧ وما في مسند المؤيد بالله موجود في معاني
الأثار المطبوع، إلا أنه سقط منه لفظ «حيّ على خير العمل» وهو يعني أن المؤيد لم يرو الرواية
عن كتاب الطحاوي وإنما رواها عن طريق أبي بكر المقرئ عن الطحاوي، وقد تابعه العباس بن
أحمد بن محمود الرازي كما هو مذكور، ويقوّيه ما أورد الحافظ المرادي (انظر: حيّ على خير
العمل لمحمد سالم عزّان: ٢٠). والاعتصام بحبل الله ١: ٢٨٠ وفيه علمني رسول الله الأذان كما
اوذن الآن الله أكبر، اللهُ أَكْبَرُ، وذكر فيها الحيلة الثالثة، ثم قال: وذكره الهادي بلفظه في الاحكام
والمنتخب، وقال في المنتخب الذي صح لنا عن رسول الله هذا.. وروي في الشفا مثل هذا عن ابن
ابي محذورة.

٣ . الأذان بحيّ على خير العمل تحقيق عزّان: ٥٠. والاعتصام ١: ٢٨٣.

٧ - الحسين بن عليّ بن أبي طالب (ت ٦١ هـ):

قال القاسم بن محمّد - وهو من أعلام الزيدية - : ذكر في كتاب السنن
م لفظ

الصحيح أنّ الأذان شرّع بحّيّ على خير العمل؛ لأنّه اتّفق على الأذان به
يوم
الخدق، ولأنّه دعاء إلى الصلاة؛ وقد قال صلى الله عليه وآله: خير أعمالكم
الصلاة، وقد اتّفق أيضا على أنّ ابن عمر والحسن والحسين عليهما
السلام وبلالاً وجماعة من الصحابة أدنوا به، حكاها في شرح الموطأ
وغيره من كتبهم^(١).

وقد روى الحافظ العلوي عن محمّد بن أحمد بن إبراهيم، أخبرنا محمّد
بن أبي

العبّاس الورّاق بحرانة، حدّثنا محمّد بن القاسم، حدّثنا حسن بن محمّد،
حدّثنا محمّد

بن عليّ الكندي، عن زكريا بن يحيى، عن عبد الرحمن بن أبي حماد،
عن

بن يعقوب، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أذاني وأذان
آبائي النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين وعليّ بن
الحسين: حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل^(٢).

٨ - زيد بن أرقم (ت ما بين ٦٦ إلى ٦٨ هـ):

حكى الشوكانيّ في نيل الأوطار، عن المحبّ الطبري في إحكام
الأحكام: أنّ زيد بن أرقم كان يؤذّن بحّيّ على خير العمل^(٣).

٩ - عبد الله بن عباس (ت ما بين ٦٨ إلى ٧٠ هـ):

روى الحافظ العلوي عن محمّد بن طلحة الثعالبي^(٤) ببغداد، حدّثنا
محمّد ابن عمر الجعابي القاضي، حدّثنا إسحاق بن محمّد - يعني ابن
مروان - حدّثنا أبي، حدّثنا زيد بن المعدلة^(٥)، حدّثنا عبد الله بن نزار

١ . الاعتصام بحبل الله المتين ٣٠٧ - ٣١٣. وانظر: الروض النضير ١: ٥٤٢.
٢ . الأذان للحافظ العلوي: ٥٤، وبتحقيق عزّان: ١٣٦ الحديث ١٧١. وقد مر عليك في صفحة
٣١٩ ما جاء في الاعتصام عن الحسن والحسين وغيرهم من الطالبين.
٣ . نيل الاوطار ٢: ٤٤، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٥: ٢٨٣.
٤ . بتحقيق عزّان: النعالي.
٥ . في تحقيق عزّان: المعدّل.

المرادي، عن النعمان بن قيس، عن عبيدة السلماني، قال: كان عليّ بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعقيل بن أبي طالب، وابن عباس، وعبد الله بن جعفر، ومحمد بن الحنفية، يؤذنون إلى أن فارقوا الدنيا، فيقولون: حيّ على خير العمل.. ويقولون: لم يزل في الأذان^(١).

١٠ - عبد الله بن عمر (ت ٧٣ وقيل ٧٤هـ):

اختلفت الروايات عنه، ففي بعضها أنه كان يقول بحيّ على خير العمل دومًا، وفي أخرى أنه كان يقولها أحيانًا أو في السفر خاصة. وقد وضّحنا في كتابنا وضوء النبيّ (البحث الروائي) سرّ مثل هذا الاختلاف في المرويّات، وسيأتي مزيج إن اقتضى الأمر. فأما الآثار الدالّة على تأذين ابن عمر بها دومًا، فهي:

١. عن محمد بن سيرين، عن ابن عمر، أنه كان يقول ذلك في أذانه^(٢).

٢. وفي مصنّف عبد الرزّاق، عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن ابن عمر كان إذا قال في الأذان «حيّ على الفلاح» قال «حيّ على خير العمل» ثمّ يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله^(٣).

٣. وعن زيد بن محمد، عن نافع: أنّ ابن عمر كان إذا أذن قال «حيّ على خير العمل»^(٤).

٤. وعن ابن عون، عن نافع، قال: كان ابن عمر إذا أذن قال «حيّ على خير العمل» أخرجه المؤيد بالله^(١).

١ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٥٤، وتحقيق عزّان: ١٠٩ وفيه: لم تنزل في الأذان.

٢ . السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤٢٥، الاعتصام بحبل الله ١: ٣٠٨.

٣ . المصنّف ١: ٤٦٠/ح ١٧٨٦.

٤ . الاعتصام بحبل الله ١: ٢٩٥. وراب الصدع ١: ١٩٨ وفي الايضاح للقاضي نعمان: ١٠٩ و... وفيها بهذا الاسناد [أي الذي مر في الكتب الجعفرية] عن جعفر بن محمد بن نافع ابن عبد الله بن عمر إذا اقام الصلاة فبلغ (حي على الفلاح) قال (حي على خير العمل).

وقال الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير: وروى ابن حزم في كتاب الإجماع، ع
ابن عمر أنه كان يقول في أذانه «حيّ على خير العمل»^(٢).
ثم قال: وبحثت عن هذين الاسنادين في «حيّ على خير العمل» فوجدتهما

صحيحين إلى ابن عمر وزين العابدين^(٣).
أما الأقوال المشيرة إلى تأذينه بها في بعض الأحيان، فهي:
١ - مالك بن أنس، عن نافع: كان ابن عمر أحيانا إذا قال «حيّ على الفلاح»

قال على إثرها: «حيّ على خير العمل»^(٤).
٢ - عن الليث بن سعد، عن نافع، قال: كان ابن عمر لا يؤذّن في سفره، وكثيرا يقول: «حيّ على الفلاح» وأحيانا «حيّ على خير العمل». ورواه محمد بن سيرين
عن ابن عمر أنه كان يقول ذلك في أذانه، وكذلك رواه نسير بن ذعلوق
عن ابن عمر وقال: في السفر^(٥).

٣ - وعن عبيد الله والليث بن سعد، عن نافع، قال: كان ابن عمر ربّما زاد في أذانه «حيّ على خير العمل»^(٦) ورواه أيضا عطاء عن ابن عمر^(٧).
٤ - عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن نافع، عن ابن عمر، أنه كان يقول في السفر يقولها مرّتين أو ثلاثا يقول «حيّ على الصلاة حيّ على

١ . أخرجه المؤيد بالله في شرح التجر يد - مخطوط - من طريق عمّار بن رجاء عن أزهر بن سعد انظر: الأذان بحيّ على خير العمل للحافظ العلوي بتحقيق عزّان: ١٠٣.
٢ . انظر: مراتب الإجماع، لابن حزم: ٢٧.
٣ . الروض النضير ١: ٥٤٢ وانظر: الأحكام لابن حزم ٤: ٥٩٣، ومقدمة الأذان بحيّ على خير العمل بتحقيق عزّان: ١٤.
٤ . السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤٢٤؛ الاعتصام بحبل الله ١: ٢٩٧، ٣٠٨، ٣١٢.
٥ . السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤٢٤ - ٤٢٥، وانظر: مصنف ابن أبي شيبة ١: ١٩٦.
٦ . فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي ٣: ٤٩٧.
٧ . السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤٢٤، الاعتصام بحبل الله ١: ٢٩٩، ٣١٠.

الصلاة، حياي عا
خير العمل»^(١).

قال ابن حزم: ولقد كان يلزم من يقول بمثل هذا عن صاحب - فمثل هذا لا يقال بالرأي - أن يأخذ بقول ابن عمر هذا، فهو عنه ثابت بأصح إسناد^(٢).

وروى الحافظ زين الدين العراقي عن الإمام علاء الدين مغلطاي في كتاب

(التلويح شرح الجامع الصحيح) أنه قال ما لفظه: أما حيي على خير العمل فذكر اب

حزم أنه صح عن عبد الله بن عمر، وأبي أمامة بن سهل بن حنيف أنهما كانا يقولا ولان في أذانهما حيي على خير العمل. وقال مغلطاي: وكان علي بن الحسين يقولها^(٣).

وقال المحقق الجلال: وصح ابن دقيق العيد وغيره أن ابن عمر وعلني بي بن الحسين ثبتا على التأذين بها إلى أن ماتا^(٤).

وفي المختصر من شرح ابن دقيق العيد على العمدة ما لفظه: وقد صح بالسند

الصحيح أن زين العابدين وعبد الله بن عمر أذنا بحيي على خير العمل إلى أن ماتا^(٥).

وإليك الآن بعض الطرق التي ذكرها الحافظ العلوي في كتابه الأذان بحيي عا

خير العمل، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب.
* زيد عن نافع:

١ . مصنف عبد الرزاق ١ : ٤٦٤ / ح ١٧٩٧ .

٢ . المحلى ٣ : ١٦٠ - ١٦١ .

٣ . الروض النضير ١ : ٥٤١ . والاعتصام بحبل الله ١ : ٣١١ .

٤ . ضوء النهار ١ : ٤٦٨ .

٥ . الروض النضير ١ : ٥٤٢ .

أخبرنا أبو الطيّب محمّد بن الحسين التيمي قراءة، حدّثنا أبو جعفر
محمّد بن أبي _____
عليّ بن مهدي العطار، حدّثنا قاسم بن وهب التيمي، حدّثنا قاسم أبو بكر
الجلبي، حدّثنا إسماعيل بن هارون الخزار، عن عاصم العمري، عن زيد
بن محمّد بن^(١) نافع: أنّ ابن عمر كان إذا أذن قال: حيّ على خير العمل.
* محمد بن عجلان عن نافع:

حدّثنا محمّد بن حميد بن محمّد [بن الحسين^(٢)] بن حميد اللخمي،
حدّثنا أبو بكر _____
محمّد بن جعفر الأدمي القاري، حدّثنا موسى بن إسحاق، حدّثنا منجاب^(٣)
بن الحارث، عن عليّ بن شهر^(٤)، عن حاتم، عن محمّد بن عجلان، عن
نافع، قال: سمعت ابن عمر يقول: حيّ على خير العمل.

حدّثنا الحسين بن محمّد بن الحسن المقرئ، حدّثنا عليّ بن الحسين بن
يعقوب _____
حدّثنا عليّ بن أحمد بن حاتم، حدّثنا محمّد [بن أحمد^(٥)] بن مروان، حدّثنا
حدّثنا _____
بن سعيد، عن^(٦) حاتم، بن إسماعيل، عن محمّد بن عجلان، عن نافع، عن
عن ابن عمر: أنه كان يقول: حيّ على خير العمل.

حدّثنا عبد الله بن بشر بن مخالداً^(٧) الجلبي، أخبرنا أبو العبّاس أحمد بن
بن محمّد بن _____
سعيد، حدّثنا أحمد بن يحيى بن المنذر الحجري، حدّثنا أبو الطاهر أحمد
بن عيسى _____
حدّثني أبو بكر بن أبي أويس، عن سليمان بن بلال، عن ابن عجلان، عن
نافع، عن ابن عمر: أنه كان يؤذّن فيقول: حيّ على خير العمل، و يقول:

١ . في الاعتصام: عن.
٢ . الزيادة من الاعتصام.
٣ . في الاعتصام ١: ٢٩٦: منجاب، وضبطه في الهامش: بكسر النميم وسكون النون وفتح الجيم
التيمي، أبو محمد الكوفي.
٤ . في الاعتصام: مسهر.
٥ . الزيادة من الاعتصام.
٦ . في الاعتصام: حدّثنا بدل عن.
٧ . في الاعتصام: مجالد.

حدَّثنا ميمون بن حميد المقرئ، أخبرنا إسحاق بن محمد المقرئ،
حدَّثنا أبو زيد _____
الحسن بن [محمد بن^(١)] السكن التميمي، حدَّثنا جعفر بن محمد
السِّدُّوس_____ي، حدَّثنا
أزهر بن سعدان، حدَّثنا ابن عون، عن نافع، قال: كان ابن عمر إذا أذن
قال: _____: حدَّثنا
على خير العمل^(٢).

حدَّثنا حسن بن حسين بن حبيش المقرئ، أخبرنا أبو العباس محمد ابن
أحمد _____

بن مرزوق، حدَّثنا أبو زيد الحسن بن محمد بن السكن: بهذا.
حدَّثنا أبي، حدَّثنا علي بن سفيان^(٣) بن يعقوب الهمداني^(٤)، حدَّثنا أبو
زيد الحسن بن محمد بن السكن: بهذا.

* ابن جريج عن نافع:

حدَّثنا^(٥) أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مهدي
البغدادي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الفارسي قراءة سنة تسع
وعشرين وثلاثمائة، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد، حدَّثنا عبد الرزاق
بن همام الصنعائي، عن ابن جريج، عن نافع: أنَّ ابن عمر كان يقول: -
يعني في الأذان - حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، حيَّ على خير
العمل.

* عثمان بن مقسم عن نافع:

أخبرنا محمد بن طلحة التعالى^(٦)، حدَّثنا محمد بن عمر بن زياد بن
عجلان، حدَّثنا محمد بن إسماعيل الراشدي، حدَّثنا أمية بن الحارث،

١ . الزيادة من الاعتصام.

٢ . جاء في الاعتصام ١: ٢٨١ قال المؤيد بالله فيه أيضا: أخبرنا أبو العباس الحسن قال: أخبرنا
محمد بن علي الصباغ، ويوسف بن محمد الكسائي، وأحمد بن سعيد الثقفي قالوا أخبرنا عمار بن
رجا قال: حدَّثنا أزهر بن سعد عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر انه كان يقول في اذان: حيَّ
على خير العمل، وهو في أصول الاحكام والشفاء.

٣ . في الاعتصام: شفير.

٤ . في الاعتصام: الهمداني.

٥ . في الاعتصام: أخبرنا.

٦ . في الاعتصام: الثعالبي وبعده: حدَّثنا محمد بن عمر الجعابي، حدَّثنا أحمد بن زياد ابن
عجلان، حدَّثنا محمد بن إسماعيل الراشدي...

حدّثنا عثمان بن مقسم، عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان يقول في أذانه: حيّ على خير العمل.

* عبيد الله بن عمر عن نافع:

أخبرنا محمّد بن أحمد بن إبراهيم قراءةً، حدّثنا أحمد بن محمّد بن الهيثم في كتابه، حدّثنا أبو عليّ الخراساني، حدّثنا أبو بكر، حدّثنا أبو أسامة، حدّثنا عبيد الله، عن نافع، قال: كان ابن عمر ربّما زاد في أذانه: حيّ على خير العمل.

أخبرنا محمّد^(١) بن أبي العباس الورّاق، حدّثنا محمّد بن الحسين بن جعفر^(٢)، حدّثنا عبيد الله [بن إسماعيل القرشي، حدّثنا أبو أسامة، حماد بن أسامة عن عبيد الله^(٣)]، عن نافع، قال: كان ابن عمر ربّما زاد في أذانه: حيّ على خير العمل.

أخبرنا عليّ بن محمّد الشيباني، ومحمّد بن أحمد [بن إبراهيم^(٤)] قراءةً عليهما، قالوا: أخبر الحسن بن محمّد بن إسماعيل بن إسحاق في كتابه، حدّثنا جعفر بن محمّد الحسني^(٥)، حدّثنا عيسى بن مهران، أخبرنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي، حدّثنا أبو مالك الحسني، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، قال: كان ابن عمر ربّما قال في أذانه: حيّ على خير العمل.

* جورية بن أسماء عن نافع:

أخبرنا عليّ بن محمّد بن بنان في كتابه، حدّثني ثوابة بن أحمد بن عيسى بن ثوابة بن عيسى بن مهران^(٦) الأسدي الموصلي في الكوفة في مجلس السكوني، حدّثنا أبو يعلى أحمد بن عليّ بن المثني، حدّثنا عبد الله^(٧) بن محمّد بن أسماء، حدّثنا جورية^(٨)،

١ . في الاعتصام ١: ٢٩٨ أخبرنا محمد، أخبرنا محمد بن العباس.

٢ . في الاعتصام: حفص.

٣ . الزيادة من الاعتصام ١: ٢٩٨.

٤ . الزيادة من الاعتصام.

٥ . في الاعتصام ١: ٢٩٨ الجنبي وقال في الهامش: بفتح الجيم وسكون النون بعدها موحدة اسمه عمرو بن هاشم انتهى من الطبقات.

٦ . في الاعتصام: بهران.

٧ . في الاعتصام: عبيد الله.

جورية^(١)، عن نافع: أن ابن عمر كان لا يؤذّن في السفر ولكن يجعلها إقامة و يقول: حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل، مرتين.

أخبرنا عليّ بن محمّد الشيباني، أخبرني الحسين بن محمّد الرقّاء،
حَدَّثني جَعْفَرُ
بن محمّد الحسني، حدّثنا عيسى بن مهران، حدّثنا أبو غسان الهذلي،
حَدَّثنا جُورِيَةُ
بن أسماء، [عن عتبة^(٢)]، عن نافع، عن ابن عمر: أنّه كان يقول في
أذانه: حَيِّ عَالِي
خير العمل، مرتين.

* يحيى بن أبي كثير عن نافع:

أخبرنا عمر بن عبد الواحد بن مهدي البغدادي في كتابه إليّ، حدّثنا
محمّد
إسماعيل الفارسي، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن عبادي^(٣)، حدّثنا عبدا
لرزاق بن همام، حدّثنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن رجل^(٤): أنّ
ابن عمّـر كـان إذا قال:
في الأذان: حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، قال: حيّ على خير
العمل، ثمّ يقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله.

* عطاء عن ابن عمر:

أخبرنا محمّد بن طلحة التّغالي، وكتبه إليّ بخطّه، حدّثنا القاضي محمّد
بن عا
الجعابي الحافظ، حدّثنا إسحاق بن محمّد - يعني ابن مروان - حدّثنا أبي،
حَدَّثنا
المغيرة بن عبد الله^(٦)، عن مقاتل بن سليمان، عن عطاء، عن ابن عمر:

١ . في الاعتصام: جويرية.

٢ . لم توجد في الاعتصام ١: ٢٩٨.

٣ . في الاعتصام: عباد.

٤ . لم يذكر اسمه في الأصل، وقال عزّان: ويبدو أنّه نافع لأنّ الرواية عنه.

٥ . في الاعتصام: عمر.

٦ . في الاعتصام: عبيد الله.

أنه كان يؤذّن بحَيِّ على خير العمل، ثم ترك ذلك وقال^(١): أخاف أن يتّكل الناس^(٢).

١١ - جابر بن عبد الله (ت ٦٨ إلى ٧٩هـ):

قال الحافظ العلوي: أخبرنا محمّد بن جعفر التميمي مناولةً، أخبرنا عبـد العزيز _____ بن يحيى الجلودي، حدّثنا محمّد بن سهل، حدّثنا عمر بن عبد الجبار، حدّثنا أبي _____، حدّثنا عليّ بن جعفر، عن أبيه، عن جده، عن جابر، قال: كان على عهد رسـول _____ الله صلى الله عليه وآله يقول المؤذّن بعد قوله «حيّ على الفلاح» «حيّ على خير العمل»، فلمّا كان عمر بن الخطاب في خلافته نهى عنه كراهة أن يُنكّل عن الجهاد^(٣)؟

١٢ - عبد الله بن جعفر (ت ٨٠ وقيل ٩٠هـ):

روى الحافظ العلوي بسنده عن عبيدة السلماني: أن عبد الله بن جعفر بن أبي _____ طالب كان يؤذّن بـ «حيّ على خير العمل» إلى أن فارق الدنيا^(٤).

١٣ - محمد بن علي بن أبي طالب (ت ما بين ٧٣ - ٩٣هـ):

روى الحافظ العلوي من طريق عليّ بن حزور، عن محمّد بن بشر، قال: جـاء _____ رجل إلى محمّد بن الحنفية، فقال له: بلغنا أنّ الأذان إنّما هو رؤيا رأها _____ الأنصار، فقصّها على رسول الله، فأمر بلالاً فأذّن بتلك الرؤيا! فقال له محمّد _____ الحنفية: إنّما يقول بهذا الجاهل من الناس، إنّ أمر الأذان أعظم من ذلك، إنّ _____

١ . القائل عمر بن الخطاب.

٢ . الأذان بحَيِّ على خير العمل للحافظ العلوي: ٥٥ - ٦٢ . وانظر: الطريق الاخير في صفحه ٢٥ من الكتاب نفسه وبتحقيق عزّان من صفحة: ١٠٠ - ١٠٨ .

٣ . الأذان بحَيِّ على خير العمل للحافظ العلوي: ٣٠، والاعتصام ١: ٢٩١ .

٤ . الأذان للحافظ العلوي: ٥٤، وتحقيق عزّان: ١٠٩ . والاعتصام ١: ٢٩٤ .

أسري برسول الله صلى الله عليه وآله سمع ملكا يقول: «الله أكبر الله أكبر» فقال عز وجل: أنا كذلك أنا الأكبر لا شيء أكبر مني، إلى أن قال: ثم قال: «حي على خير العمل»، فقال الله: هي أزكى الأعمال عندي وأحبها إلي^(١).

وروى الحافظ العلوي من طريق عبيدة السلماني، عن محمد بن الحنفية أنَّهُ ك_____ان يؤذن إلى أن فارق الدنيا فيقول: «حي على خير العمل»^(٢).

١٤ - أنس بن مالك (ت ما بين ٩١ إلى ٩٣ هـ):

قال الحافظ العلوي: أخبرنا أبو الطيب أحمد بن محمد بن بنان، أخبرنا

الحسن بن محمد بن الحسن اليشكري، حدّثني أبو عبد الله الحسن^(٣) بن محمد بن سعيد ببغداد، حدّثنا محمد بن الغيصي^(٤) بدمشق، حدّثنا إبراهيم بن عبد الله، حدّثني عمّ _____ي

عبد الرزاق الإمام، عن معمر بن^(٥) ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بينا أنا نائم إذ أتاني جبريل فهمزني برجله فاستيقظت، فلم أر شيئا، ثم أتاني الثانية فهمزني فاستيقظت فأخذ بضبعي، فجعلني في شيء كوكر الطير، فما أطرفت بصري [طرفة] حتّى رجعت إلى الأرض، فأتى بي مكانا، فقال [لي]: أتدري أين أنت؟ فقلت: لا يا جبريل، فقال: هذا بيت المقدس، بيت الله الأقصى، إلى^(٦) المحشر والمنشر؛ ثم قام قام جبريل فجعل سبابته اليمنى في أذنه اليمنى، وأذن مثنى مثنى، يقول في أحدها^(٧): «حي على خير العمل» حتّى إذا مضى^(٨) أذانه أقام الصلاة الصلاة مثنى مثنى، وقال في آخرها: «قد قامت الصلاة، قد قامت

- ١ . الأذان بحي على خير العمل: ٥٧ بتحقيق عزّان، والخبر طويل اقتطفنا منه بعض المقاطع. والاعتصام بحبل الله ١: ٢٨٥. وانظر الايضاح للقاضي نعمان: ١٠٥.
- ٢ . الأذان بحي على خير العمل بتحقيق عزّان: ١٠٩ الحديث ١٠٧.
- ٣ . في الاعتصام ١: ٢٨٨: الحسين.
- ٤ . في الاعتصام: الفيض.
- ٥ . في الاعتصام: عن.
- ٦ . في الاعتصام: إليه.
- ٧ . في الاعتصام: وقال في آخرها.
- ٨ . في الاعتصام: قضى.

الصلاة»، فبرق نور من السماء، ففتحت به قبور الأنبياء، فأقبلوا من كل أوب يُلبون دعوة جبريل، فوافى أربعة آلاف نبي وأربعمائة وأربعة عشر نبيًا، وأخذوا مصافهم، ولا أشك أن جبريل سيتقدمنا، فلما استنوا في مصافهم أخذ جبريل بضبعي فقال لي: تقدم يا محمد فصل بإخوانك، فالخاتم أولى من المختوم، وذكر بقية الحديث...^(١)

١٥ - علي بن الحسين بن علي (ت ٩٤ هـ):

جاء في مصنف ابن أبي شيبة وسنن البيهقي ومصادر أخرى، عن حاتم بن...
إسماعيل، عن جعفر، عن أبيه، ومسلم بن أبي مريم: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يؤذن فإذا بلغ: «حي على الفلاح» قال: «حي على خير العمل» ويقول: هو الأذان الأول^(٢).

وقال الحلبي في سيرته: ونقل عن ابن عمر وعلي بن الحسين أنهما كانا...
في أذانيهما بعد «حي على الفلاح»، «حي على خير العمل»^(٣).

وجاء في الاعتصام بحبل الله... ومن شرح المختصر لابن دقيق العيد
العمدة ما لفظه: وقد صح بالسند الصحيح أن زين العابدين وعبد الله بن
عمير أذنا...
بحي على خير العمل إلى أن ماتا^(٤).

وقد أخرج الحافظ العلوي من عدة طرق أذان علي بن الحسين رواية
وإجازة:

* حديث حاتم عن جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين.

أخبرنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن النخاس قراءة، حدثنا علي بن
العباس

١ . الأذان بحي على خير العمل، للحافظ العلوي: ٢٦. والاعتصام ١: ٢٨٨ - ٢٨٩.
٢ . مصنف ابن أبي شيبة ١: ١٩٥ والنص عنه، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤٢٥، الاعتصام بحبل
الله ١: ٢٩٩، ٣١، ٣٠٨، وغيرهما. مسند زيد بن علي: ٨٣ عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام
أنه كان يقول... نحوه.
٣ . السيرة الحلبية ٢: ٣٠٥ باب الأذان، المحلى ٣: ١٦٠، وفيه وقد صح عن ابن عمر وأبي امامة
بن سهل بن حنيف أنهم كانوا... دعائم الاسلام ١: ١٤٥، جواهر الأخبار والآثار للصعدي ٢:
١٩٢.
٤ . الاعتصام بحبل الله ١: ٣١٢.

الجبلي، حدّثنا بكار بن أحمد، حدّثنا حسن بن حسين، عن حاتم بن
إسماعيل، ع
جعفر، عن أبيه: أن عليّ بن الحسين كان يؤذّن، فإذا بلغ: «حيّ على
الفلاح» قال: «حيّ على خير العمل»، و يقول: هو الأذان الأوّل^(١).
حدّثنا محمّد بن عبد الله الجعفي ومحمّد بن الحسين بن غزال، قالوا:
حدّثنا محمّد
بن عمّار بن محمّد العجلي العطار لفظاً، حدّثنا الحسين بن الحكم الحبري،
حدّثنا
جندل بن [والف^(٢)]، عن حاتم بن إسماعيل، عن جعفر، عن أبيه، [عن
عليّ^(٣)]
بن الحسين: أنه كان إذا بلغ في أذانه «حيّ على الفلاح» كان يقول: «حيّ
على خير العمل»، وكان يقول: هو الأذان الأوّل^(٤).
حدّثنا ميمون، حدّثنا عليّ بن حميد المقرئ^(٥)، أخبرنا إسحاق بن محمّد
النجار المقرئ، حدّثنا أبو زيد الحسن بن السكن التميمي، حدّثنا جعفر بن
محمّد السدوسي^(٦)، حدّثنا حاتم بن إسماعيل المدني^(٧)، عن جعفر بن
محمّد، عن أبيه، قال: كان عليّ بن الحسين إذا أذّن قال: «حيّ على خير
العمل»، ويقول: هو الأذان الأوّل.

١ . الاعتصام ١: ٢٨٧.

٢ . في تحقيق عزّان: والق.

٣ . في تحقيق عزّان: أن.

٤ . أخرجه بن أبي شيبّة ١: ١٩٥ ح ٢٢٣٩ عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر عن أبيه ومن طريق
مسلم بن أبي مريم عن علي بن الحسين وأخرجه البيهقي ١: ٤٢٥ من طريق موسى بن دواد عن
حاتم به. والاعتصام ١: ٢٨٧. وفي الإيضاح للقاضي نعمان: ١٠٨ وفي الكتب الجعفرية من رواية
ابن علي محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي عن أبي الحسن موسى بن إسماعيل بن موسى بن
جعفر عن أبيه عن جده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه: أن علي بن الحسين....

٥ . في الاعتصام ١: ٢٨٧ حدّثنا ميمون بن حميد، أخبرنا إسحاق بن محمد المقرئ حدّثنا أبو زيد.

٦ . في الاعتصام ١: ٢٨٧ الدوسي.

٧ . في الاعتصام: المدني.

حدَّثنا حسن بن حسين بن حبيش المقرئ، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد

بن [مرزوقي^(١)] المقرئ، حدَّثنا أبو زيد الحسن بن السكن: بمثله. حدَّثنا أبي رضي الله عنه، حدَّثنا محمد [بن الحسين^(٢)] بن سعيد الأزدي،

حدَّثنا عبد الله بن زيدان، حدَّثنا محمد [بن ثوابة^(٣)]، حدَّثنا حفص الهلالي الهلالي عني عن حاتم المدني^(٤)، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، قال: قال: ذَكَرَ عَنِّي عَنده «حيّ على خير العمل»، قال: كان أذان الناس الأوّل.

حدَّثنا جعفر بن محمد الحسني، حدَّثنا عيسى بن مهران، أخبرنا العبد الصالح مخول بن إبراهيم، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل، عن جعفر، عن أبيه، قال: كان علي بن الحسين يز يد في أذانه، إذا قال: «حيّ على الفلاح» قال: «حَيِّ عَلِيَّ عَلِيَّ خَيْرَ الْعَمَلِ». ويقول: يا بُنَيَّ، هو الأذان الأوّل.

أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، أخبرنا أحمد بن محمد الكندي، حدَّثنا أبو

علي الخراساني، حدَّثنا أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل المدني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، ومسلم بن أبي مريم: أنّ علي ابن الحسين كان يؤذن، فإذا بلغ «حيّ على الفلاح»، قال: «حَيِّ عَلِيَّ خَيْرَ الْعَمَلِ». ويقول: [هـ] الأذان الأوّل، يعني أذان النبي صلى الله عليه وآله.

[وفيما أجاز لي جعفر بن محمد بن حاجب، عن أحمد بن محمد بن سعيد^(٥)].

١ . في تحقيق عزّان: المرزوقي.

٢ . الزيادة من الاعتصام ١: ٢٨٧، وفي تحقيق عزّان: الحسن.

٣ . في الاعتصام ١: ٢٨٧: بن نوار.

٤ . في الاعتصام: المدني.

٥ . الزيادة من الاعتصام ١: ٣٠٠.

حدَّثنا جعفر بن عليّ بن نجيح، حدَّثنا أبو غسان، حدَّثنا حاتم، عن
جعفر بن _____ ر _____
محمد، [عن أبيه^(١)] ومسلم بن أبي مریم: أن عليّ بن الحسين كان يؤذن،
فإذا بلغ _____
«حيّ على الفلاح» قال: «حيّ على خير العمل»، ويقول: هو الأذان
الأول.

[وفيما أجاز لي جعفر بن محمد بن حاجب، عن أحمد بن محمد بن
س _____ عيد^(٢)،
حدَّثنا محمد بن أحمد بن النضر، حدَّثنا موسى بن داود، حدَّثنا حاتم بن
إس _____ ماعيل،
عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، قال: كان يؤذن فإذا
بلغ _____
على الفلاح» قال: «حيّ على خير العمل»، ويقول: هو الأذان الأول.

حدَّثنا الحسين بن محمد بن الحسن المقرئ، حدَّثنا مسلم التميمي، حدَّثنا
جعفر بن محمد الأزدي^(٣)، حدَّثنا محمد بن جميل، حدَّثنا إبراهيم - يعني
ابن محمد بن ميمون - عن حاتم، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، ومسلم بن
أبي مریم: أن عليّ بن الحسين كان يؤذن، فإذا بلغ «حيّ على الفلاح»
قال: «حيّ على خير العمل»، ويقول: هو الأذان الأول.

حدَّثنا عليّ بن محمد بن بنان، حدَّثنا الحسن بن محمد السكوني، حدَّثنا
الحضرمي، حدَّثنا محمد بن عبيد النحاس، حدَّثنا حاتم، عن جعفر، عن
أبيه، ومسلم بن أبي مریم: أن عليّ بن الحسين كان يؤذن، فإذا بلغ «حيّ
على الصلاة»، «حيّ على الفلاح» قال: «حيّ على خير العمل»، ويقول:
هو الأذان الأول.

أخبرنا أحمد بن زيد بن بشّار، حدَّثنا الحسن بن محمد الرقّاء، حدَّثنا
جعفر ابن محمد الأزدي^(٤)، حدَّثنا محمد بن جميل، حدَّثنا إبراهيم بن
محمد بن ميمون، وحدَّثنا حاتم: بمثله.

١ . من الاعتصام ١ : ٣٠٠ .

٢ . الزيادة من الاعتصام .

٣ . في الاعتصام ١ : ٣٠١ : الأودي .

٤ . في الاعتصام ١ : ٣٠١ : الأودي .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قِرَاءَةً، أَخْبَرَنَا [أحمد بن (1)] مُحَمَّدُ
بْنُ هَارُونَ
فِي كِتَابِهِ إِلَيَّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ،
حَدَّثَنَا

حَاتِمٌ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَمُسْلِمُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ
الْحُسَيْنِ كَانَ يُؤْذَنُ، فَإِذَا بَلَغَ «حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» قَالَ: «حَيَّ عَلَى خَيْرِ
الْعَمَلِ»، وَ يَقُولُ: هُوَ
الْأَذَانُ الْأَوَّلُ، يَعْنِي أَذَانَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ قِرَاءَةً، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَارُونَ فِي
كِتَابِهِ إِلَيَّ (2)،
أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ زَكْرِيَا، حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ
عَلِيِّ الْكِنْدِيِّ، حَدَّثَنَا زَكْرِيَا بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَمَّادٍ،
حَدَّثَنَا حَاتِمٌ

بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: الْأَذَانُ الْأَوَّلُ - يَعْنِي أَذَانَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - «حَيَّ
عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ»، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ يَقُولُهُ فِي أَذَانِهِ.

[قَالَ وَفِيمَا أَجَازَ لِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَاجِبٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ
سَعِيدٍ (3)]، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بُوَيْغٍ (4)، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ، عَنْ
حَاتِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَمُسْلِمِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ: أَنَّ
عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ إِذَا بَلَغَ «حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» قَالَ: «حَيَّ عَلَى خَيْرِ
الْعَمَلِ»، وَ يَقُولُ: هُوَ الْأَذَانُ الْأَوَّلُ.

أَخْبَرَنَا زَيْدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَاجِبٍ فِي كِتَابِهِ إِلَيَّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ
بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْوَالِيدِ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ الْمُقْرِيِّ، حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ
يَعْقُوبَ، أَخْبَرَنَا حَاتِمٌ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَمُسْلِمِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ:

١ . الزيادة من الاعتصام.
٢ . ليس في الاعتصام ١: ٣٠١ إليَّ.
٣ . الزيادة من الاعتصام ١: ٣٠٢.
٤ . وفي الاعتصام ١: ٣٠٢: برقع وقال في الهامش: المشهور في كتب الحديث بزيع ياء ثم زاي
ثم غين معجمة وفي نسخة برقع انتهى عن هامش الاصل.

أن عليّ بن الحسين كان يؤذن، فإذا بلغ «حيّ على الفلاح» قال: «حيّ على خير العمل»: ويقول هو الأذان الأوّل.

أخبرنا عليّ بن محمّد بن بنان، حدّثنا ثوابة بن أحمد بن عيسى بن ثوابة بن مهران، حدّثنا عليّ بن الحسين المستملي، وجماعة، قالوا: حدّثنا جعفر بن محمّد الغرباني^(١)، حدّثنا قتيبة بن سعد، حدّثنا حاتم بن إسماعيل، عن جعفر ابن محمّد، عن أبيه، قال: كان عليّ بن الحسين يقول في أذانه: «حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل»، ويقول: هو الأذان الأوّل.

حدّثنا زيد بن حاجب، حدّثنا محمّد بن عمّار، حدّثنا الحسين بن الحكم، حدّثنا جندل بن والّف^(٢)، عن حاتم بن إسماعيل، عن جعفر، عن أبيه، وعن ابن أبي مريم: عن عليّ بن الحسين: أنه كان إذا بلغ في أذانه «حيّ على الفلاح» قال: كان يقول: «حيّ على خير العمل»، وكان يقول: هو الأذان الأوّل.

* يحيى بن العلي عن جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين^(٣):

أخبرنا محمّد بن الحسين بن النحاس قراءةً، [حدّثنا] عليّ بن العبّاس البجلي، حدّثنا بكار بن أحمد، حدّثنا الحسن بن حسين وسعيد بن عثمان، عن أبي يحيى بن العلي^(٤)، عن جعفر، عن أبيه، قال: كان عليّ بن الحسين يقول في أذانه: «حيّ على خير العمل»، ويقول: هو الأذان الأوّل.

حدّثنا محمّد بن الحسين بن غزال، حدّثنا أبو جعفر محمّد بن عمّار العطار، حدّثنا جعفر بن عليّ بن نجيج، حدّثنا حسن بن حسين، عن يحيى بن العلي^(٥)، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، قال: كان عليّ بن الحسين يقول في أذانه: «حيّ على خير العمل»، ويقول: هو الأذان الأوّل.

* عبد الله بكير وعمرو بن جميع عن جعفر عن علي بن الحسين:

١ . في الاعتصام ١: ٣٠٢: الفرياني.

٢ . في الاعتصام ١: ٣٠٢: والّق.

٣ . هذا السطر كتب بالاسود في الاعتصام.

٤ . في الاعتصام: حسن بن حسين، وسعيد بن عثمان عن يحيى بن العلاء.

٥ . في الاعتصام ١: ٣٠٣: العلاء.

أخبرنا محمد بن الحسين بن النحاس قراءةً، حدّثنا عليّ بن العباس
البجلي، حدّثنا بكار، حدّثنا حسن بن حسين، حدّثنا عبد الله بن بكير، وعمرو بن
جمي، حدّثنا عليّ بن الحسين يقول: «حيّ على خير العمل» بعد
«حيّ على الفلاح».

* حسين بن مخارق عن جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين
عليهم السلام:

أخبرنا محمد بن عبد الله الجعفي قراءةً، حدّثنا أبو العباس أحمد بن
محمد سعيد، أخبرنا يعقوب بن يوسف بن زياد الضبي، حدّثنا أبو جنادة حُصين
بن مخارق، عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن عليّ بن الحسين كان يقول:
في أذانه: حيّ على خير العمل، مرّتين.

* سفيان بن السمط عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده:

حدّثنا الحسين بن محمد بن الحسين الخزّار، حدّثنا عليّ بن الحسين بن
يعقوب، حدّثنا أحمد بن عيسى العجلي العطار، حدّثنا جعفر بن عنبسة اليشكري،
حدّثنا

أحمد بن عمر البجلي، حدّثنا سلام بن عبد الله الهاشمي، عن سفيان بن
السمط، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، قال: أوّل من أدن في
السماء جبريل حين أسري بالنبّي صلى الله عليه وآله فقال: الله أكبر، الله
أكبر، فذكره إلى قوله: «حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل»،
فقال الملائكة: أمر القوم بخير العمل، وأقام الصلاة، وقال جبريل: يا
محمد، إن الله أمرنا بالسجود لأبيك آدم فلنسا نتقدم ولده، فتقدّم رسول الله
صلى الله عليه وآله فصلى بالملائكة^(١).

* مندل بن علي عن جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين:

[ومما أجاز لي جعفر بن محمد بن حاجب بروايته عن أحمد بن محمد بن سعيد^(١)]، حدّثنا أحمد بن يوسف، وأخبرني مندل بن [محمد، قالاً: حدّثنا الحسين بن محمد، حدّثنا مندل بن^(٢) عليّ - واسمه عمرو بن عليّ - القرني^(٣)، عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن عليّاً - وهو عليّ بن الحسين - كان يقول: حيّ على الفلاح، حيّ على الصلوة، حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل.

* **غياث بن إبراهيم بن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين:**

أخبرنا جعفر بن محمد بن حاجب إجازةً، عن أحمد بن سعيد، حدّثني محمد بن الفضل، حدّثني أبي، حدّثنا غياث، عن جعفر، عن أبيه: أن عليّ ابن الحسين بين ك إذا أذن قال: حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل.. يقول: أي بني هذا الأذان - يعني [أذان النبي^(٤)] - حتّى نهى عنه عمر.

* **عن عبد الله بن سنان عن جعفر عن عليّ بن الحسين عليهما السلام:**

أخبرنا جعفر بن محمد بن حاجب إجازةً، عن أبي العباس بن سعيد، حدّثنا الحسن بن جعفر بن مدرار، حدّثنا عمي طاهر بن مدرار، حدّثنا عبد الله بن جعفر بن محمد، قال: كان عليّ بن الحسين يقول في أذانه: حيّ على خير العمل، ويقول: هو الأذان الأوّل.

١ . الاعتصام ١ : ٣٠٤ .
٢ . الزيادة من الاعتصام .
٣ . في الاعتصام: العنزي .
٤ . الزيادة من الاعتصام ١ : ٣٠٤ .

* محمد بن مسلم عن جعفر عن علي بن الحسين عليهما السلام:

فيما أجاز لي جعفر بن محمد بن حاجب، عن أحمد بن محمد بن
سعيد، ح - دثني
الحسن بن جعفر بن مدرار، حدثنا العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم،
ع - ن أبي
عبد الله، قال: كان علي بن الحسين يقول في أذانه: حيّ على خير العمل.

* محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين عن جعفر:

فيما أجاز لي جعفر بن محمد بن حاجب، عن أحمد بن محمد بن
سعيد، أخبرنا
جعفر بن محمد بن عمر قراءة، حدثني عبد الله بن جميل، حدثني عبد الله
ب - ن محمد

يعني ابن عبد الله بن علي بن الحسين - عن أبيه، عن جعفر ابن محمد،
قال: كان علي بن الحسين يقول في أذانه: حيّ على خير العمل.

* أبو العباس بن الفضل بن عبد الملك السقاف عن جعفر بن محمد:

فيما أجاز لي جعفر بن محمد بن حاجب، عن أحمد بن محمد بن
سعيد، ح - دثنا
الحسن بن القاسم، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني داود بن حصين، عن
أبي
العباس، عن أبي عبد الله، قال: كان علي بن الحسين يقول في الأذان: حيّ
على خير العمل.

* أبو مريم عبد الغفار بن القاسم الأنصاري عن جعفر بن محمد:

أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم قراءة، أخبرنا محمد بن محمد بن
ه - ارون ف
كتابه، حدثنا محمد بن القاسم بن زكريا، حدثنا حسن بن عبد الواحد، حدثنا
ح - ن
ابن سعيد، حدثنا أبي، حدثنا أبو مريم، حدثنا جعفر ابن محمد، عن علي
بن الحسين: أنه كان يقول إذا أذن: حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل،
ويجعل في آخر أذانه وإقامته «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله».

* عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبي جعفر
عن علي بن الحسين:

حدّثنا عبد الله بن خالد بن بشر البجلي، أخبرنا أحمد بن محمد بن
سعيد، حدّثنا أحمد بن يحيى بن المنذر الحجري، حدّثنا أبو الطاهر أحمد بن عيسى،
حدّثني أبي، عن أبيه، عن علي بن الحسين وأبي جعفر: أنّهما كانا يؤذنان: حيّ علي
خير العمل.

* أبو الجارود زياد بن المنذر عن أبي جعفر عن علي بن الحسين:
أخبرنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن النحاس قراءة، حدّثنا علي بن
العبد، حدّثنا بكّار^(١)، حدّثنا نصر بن مزاحم، عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر
محمد بن علي، قال: سمعت أبي علي بن الحسين يؤذّن: «حيّ على الفلاح حيّ على
خير العمل» في الأذان والإقامة.

حدّثنا أحمد بن زيد بن بشّار، حدّثنا الحسن بن محمد الرقّاء، حدّثنا
جعفر ابن محمد الأزدي، حدّثنا محمد بن جميل، حدّثنا نصر: بنحوه.
حدّثنا محمد بن عبد الله ومحمد بن الحسين بن غزال، قالوا: حدّثنا^(٢)
الحسن بن محمد [بن^(٣)] الفرزدق، حدّثنا جعفر بن عبد الله المحمّدي، حدّثنا محمد
بن الطحّان، حدّثنا محمد بن بكر الأرحبي وعكرمة بن يزيد الأحمسي، عن

١ . الاعتصام ١: ٢٨٦ وفيه: بكار بن أحمد بن أحمد، حدّثنا علي بن أبي حنيفة ومخول ابن
إبراهيم قالوا: حدّثنا محمد بن بكر عن زياد بن المنذر قال: سمعت أبا جعفر يقول كان أبي علي بن
الحسين عليه السلام يقول إذا أذن: حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل، قال: وكانت من الأذان،
وكان عمر لما خاف أن يتثبط الناس عن الجهاد ويتكلوا؛ امرهم فكفوا عنها.

٢ . في الاعتصام ١: ٣٠٤: أخبرنا.

٣ . الزيادة من الاعتصام ١: ٣٠٥.

٤ . في الاعتصام: جيلة.

أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر يقول: كان أبي عليّ ابن الحسين^(١) إذا قال: «حيّ على الفلاح» قال: «حيّ على خير العمل»، قال: وكانت في الأذان الأوّل، وكان عمر لما خاف أن يتنبّط الناس عن الجهاد ويتكلّوا على الصلاة أمرهم أن يكفوا عنها^(٢).

حدّثنا أحمد بن عليّ العطار ومحمّد بن الحسن^(٣) بن غزال قراءةً عليهما، قالوا: حدّثنا عليّ بن أحمد بن عمرو، حدّثنا محمّد بن منصور، حدّثني أحمد ابن عيسى، عن محمّد بن بكر، عن أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر يقول: كان عليّ بن الحسين إذا قال: «حيّ على الفلاح» [حيّ على الفلاح]، قال: «حيّ على خير العمل» [حيّ على خير العمل]^(٤)، وكانت في الأذان فأمرهم عمر أن يكفوا عنها مخافة أن يتنبّط الناس عن الجهاد ويتكلّوا على الصلاة.

حدّثنا أحمد بن زيد بن بشّار، حدّثنا الحسن بن محمّد الرّفاء المقري، حدّثنا جعفر بن محمّد الأزدي^(٥)، حدّثنا محمّد بن جميل، حدّثنا محمّد بن جبلة، عن محمّد بن بكر، عن أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر يقول: كان أبي عليّ بن الحسين إذا قال: «حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح»، قال: «حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل»، قال: وكانت في الأذان، وكان عمر لما خاف أن يتنبّط الناس عن الجهاد، ويتكلّوا على الصلاة، أمرهم يكفوا عنها.

حدّثنا حسين بن محمّد البجلي، حدّثنا محمّد بن [مسلم^(٦)] بن محمّد بن مسلم التميمي، حدّثنا جعفر بن محمّد الأزدي^(٧)، حدّثنا محمّد بن جميل: بمثله.

١٦ - أبو أمامة بن سهل بن حنيف (ت ١٠٠هـ):

ذكر المحبّ الطبري - إمام الشافعية في عصره - في كتابه المسمّى ب (إحكام الأحكام) ما لفظه: ذكر الحيلة بحيّ على خير العمل عن صدقة

١ . في الاعتصام: أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر يقول كان أبي عليّ بن الحسين...

٢ . الاعتصام ١: ٢٨٧، ٣٠٥.

٣ . في الاعتصام ١: ٢٨٦: حسين.

٤ . الزيادة من الاعتصام ١: ٢٨١ وبدل: ان يكفوا عنها (فكفوا عنها).

٥ . في الاعتصام ١: ٣٠٥: الاودي.

٦ . لا توجد هذه الزيادة في الاعتصام ١: ٣٠٥.

٧ . في الاعتصام ١: ٣٠٥: الاودي.

بن يسار عن أبي أمامة بن سهل بن * أنه كان إذا أذن قال: «حيّ على خير العمل». أخرجه سعيد بن منصور^(١).

وروى الحافظ العلوي من طريق صدقة بن يسار، قال: كنت فيما بين مكّة [والمدينة] فصحبت رجلاً - صحبته سائر يومي لم أدر من هو - فإذا هو أبو أمامة بن سهل بن حنيف، فسمعتة يؤذن في أذانه «حيّ على خير العمل»^(٢).

وفي الاعتصام بحبل الله، عن الأذان للعلوي: حدّثنا محمد، أخبرنا محمد ابن أبي العباس من كتابه، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، حدّثنا حسن بن محمد، حدّثنا حرب بن حسن المحاربي، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن صدق ابن يسار المكي، قال: صحبت ذات يوم أبا أمامة بن سهل بن حنيف، قال: فقال سائر القوم ابن بدري، قال: فحضرت الصلاة: فسمعتة يقول في أذانه: حيّ على خير العمل، خير على خير العمل^(٣).

وروى البيهقي: أن ذكر «حيّ على خير العمل» في الأذان روي عن أبي أمامة بن حنيف^(٤).

وقد مر عليك كلام علاء الدين المتقي في كتاب التلويح في شرح الجامع الصحيح: وأمّا «حيّ على خير العمل» فذكر ابن حزم أنه قد صحّ عن ابن عمر وأبي أمامة بن سهل بن حنيف أنهم كانوا يقولون في أذانهم «حيّ على خير العمل». وما أضافه صاحب التلويح على قوله هذا: وكان عليّ بن الحسين يقولها^(٥).

وكلام ابن حزم: قد صح عن ابن عمر وأبي أمامة بن سهل بن حنيف أنهم

كانوا يقولون في أذانهم «حيّ على خير العمل»^(٦).

١٧ - محمد بن عليّ الباقر (ت ١١٤ هـ):

- ١ . الاعتصام بحبل الله ١: ٣٠٩، ٣١١، الروض النضير ١: ٥٤١، دلائل الصدق ٣: ١٠٠.
- ٢ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٥٥ بثلاثة طرق، وصفحه ١١٢ بتحقيق عزّان والاعتصام بحبل الله ١: ٢٩٥.
- ٣ . الاعتصام ١: ٢٩٥.
- ٤ . سنن البيهقي ١: ٤٢٥. وانظر فتح الباري لابن رجب ٣: ٤١٧ عنه.
- ٥ . انظر: دلائل الصدق ٣: ١٠٠، والاعتصام بحبل الله ١: ٣١١، والمحلّى ٣: ١٦٠.
- ٦ . المحلّى ٣: ١٦٠.

روى الحافظ العلوي بسنده عن أحمد بن عيسى، عن محمد بن بكر،
عن أبي جعفر [الباقر] قال: كان أبي علي بن الحسين إذا
قال: «حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح» قال: «حيّ على خير العمل حيّ على
خير العمل»، قال: وكانت في الأذان فأمرهم عمر أن يكفّوا عنها مخافة أن
يُنْبَطَّ النَّاسُ عن الجهاد و يتكفوا على الصلاة^(١).

وفي الاعتصام عن الأذان للحافظ: أخبرنا أبو الطيب محمد بن
الحسين التلمي قراءة، حدّثنا علي بن العباس البجلي، حدّثنا جعفر بن
محمد بن الحسين الزهري، وبكار بن أحمد، قالوا: حدّثنا حسن بن حسين،
عن خالد بن إسماعيل المخزومي، عن جعفر بن محمد عليهما السلام،
قال: كان أبي إذا أذن بالصلاة قال: حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح،
حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل، ثم يقول: يا بني هذا النداء
الأول^(٢).

وروى الحافظ العلوي عن الباقر من اثنين وعشرين طريقا، منها من
طريق جابر الجعفي عن أبي جعفر، قال: أذاني وأذان آبائي - النبي
صلى الله عليه وآله، وعليّ، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين - «حيّ
على خير العمل حيّ على خير العمل»^(٣).

وروى الإمام محمد بن منصور المرادي المقرئ، عن محمد بن
جميل، عن نصر بن مزاحم، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، أنّه كان
يقول «حيّ على خير العمل» في الأذان والإقامة^(٤).

١ . انظر: كتاب الأذان بحيّ على خير العمل: ٢٢، وبتحقيق عزّان: ١١٤ الحديث ١١٣ وفيه
الحيّلتين مرّة مرّة، وفي ص ٢١ عن زياد بن المنذر، ورأب الصدع للمرادي ١: ١٩٦ الحديث
٢٣٥.

٢ . الاعتصام بحبل الله ١: ٣٠٦.

٣ . كتاب الأذان بحيّ على خير العمل: ٥٤، وبتحقيق عزّان: ١٣١ - ١٣٦.

٤ . رأب الصدع ١: ١٩٧ الحديث ٢٣٨. وانظر: الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي:
٧٨ - ٨٢، وبتحقيق عزّان: ١٣٢ الحديث ١٦٠.

وقد مر عليك سابقاً ما أخرجه الشيخ الطوسي في التهذيب والاستبصار عن ابن أذينة، عن زرارة والفضيل بن يسار، عن الإمام الباقر تحت عنوان «أهل البيت وبدء الاذان».

١٨ - زيد بن عليّ (ت ١٢١هـ):

روى الحافظ العلوي من طريق طيبة بن حيان، قال: كان زيد بن عليّ يأمر المؤذن أن يقول في الأذان «حيّ على خير العمل». ومن طريق يزيد بن معاوية بن إسحاق، قال: كنا بجبّانة سالم وقد أمّنا أهل الشام، فأمر زيد بن عليّ معاوية بن إسحاق؛ فقال: أذن ب «حيّ على خير العمل»^(١).

وروى زيد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، أنّه كان يقول في أذانه: «حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل»^(٢).

قال الحافظ أبو عبدالله محمد بن عليّ بن الحسن بن عليّ في كتاب «الأذان بحيّ على خير العمل»: حدّثنا أبو العباس أحمد بن زيد بن بشارة قراءة، قال: حدّثنا الحسن بن محمد بن سعيد، حدّثنا الحسن بن محمد الأوسي، حدّثنا أحمد بن يزيد بن رشد، حدّثنا أبو معمر سعيد بن جنتم^(٣)، قال: سمعت زيد بن عليّ يقول: إن عمر نحى من النداء في الأذان: «حيّ على خير العمل» وقد أبلغت العلماء أنّها كان يؤدّن بها رسول الله حتّى قبضه الله عزّ وجلّ إليه، وكان يؤدّن بها لأبي بكر حتّى مات، وطرّفا من ولاية عمر حتّى نهى عنها^(٤).

١٩ - يحيى بن زيد بن عليّ (ت ١٢٥هـ):

قال الحافظ العلوي، أخبرنا محمد بن الحسين النحاس قراءة، حدّثنا عليّ بن عباس البجلي، حدّثنا بكار بن أحمد الهمداني، حدّثنا مخول بن إبراهيم، حدّثنا محمد بن

١ . كتاب الأذان بحيّ على خير العمل، بتحقيق عزّان: ٣٧ الحديث ١٧٢ و ١٧٣.

٢ . مسند الإمام زيد: ٨٣.

٣ . ما في المتن هو طبق نسخة الفضيل، أما في تحقيق عزّان: حدّثنا أحمد بن زيد بن بشارة البيساني، حدّثنا الحسن بن محمد بن سعيد الرّفاء، حدّثنا محمد بن الحسن بن عبد الحميد بن محسن الأوسي، حدّثنا أحمد بن رشد، حدّثنا أبو معمر سعيد بن خثيم قال...

٤ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٨٣ وبتحقيق عزّان: ١٣٨ وانظر: مسند الإمام زيد: ٩٣ ثمّ اخرج هذا الخبر برجاله ومعناه، وفي أمالي أحمد بن عيسى: فأمرني أن أقول: «حيّ على خير العمل».

بن بكر الأرحبي، عن زياد ابن المنذر، قال: حدّثني حسان، قال: أدّنت ليحيى بن زيد بخراسان فأمرني أن أقول «حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل»^(١).

أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن عليّ بن العطار المقرئ ومحمّد بن الحسين بن غزال قراءةً عليهما، قالوا: حدّثنا عليّ بن أحمد بن عمرو الجنبى، حدّثنا محمّد بن منصور المقرئ، حدّثني أحمد بن عيسى، عن محمّد بن بكر، عن أبي الجارود، عن حسان، قال: أدّنت ليحيى بن زيد بخراسان فأمرني أن أقول: «حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل». أخبرنا عليّ بن محمّد بن بنان، حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمّد الرقّاء، حدّثنا جعفر بن محمّد الحسنى، حدّثنا عيسى بن مهران، حدّثنا مخول، حدّثنا صباح المزني، قال: أذن رجل كان مع يحيى بن زيد بخراسان، قال: ما زال مؤدّتهم ينادي ب «حيّ على خير العمل» حتّى قتل^(٢).

٢٠ - محمّد بن زيد بن عليّ (لم نقف على وفاته):

قال الحافظ العلوي: حدّثنا محمّد بن أحمد بن إبراهيم، أخبرنا محمّد بن

أبي العباس الورّاق في كتابه إليّ، قال: حدّثنا محمّد بن قاسم بن وهيب، عن أحمد بن مفضل، عن محمّد بن زيد بن عليّ، [قال: تقول] في الأذان مرتين: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمّداً رسول الله أشهد أن محمّداً رسول الله، حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

حدّثنا عليّ بن محمّد بن بنان الشيباني، أخبرنا عليّ بن الحسين بن يعقوب الهمداني، حدّثني عليّ بن العباس، حدّثنا قاسم بن وهيب، حدّثنا أحمد بن

١ . الأذان بحّي على خير العمل، للحافظ العلوي: ٨٦ وبتحقيق عزّان: ١٤٤ وانظر: أمالي أحمد بن عيسى ١: ١٩٧ الحديث ٢٣٦، وعنه في الاعتصام بجبل الله ١: ٢٨١، وانظر الايضاح للقاضي نعمان: ١٠٩ كذلك، وللإمام المهدي محمد بن المطهر الزيدي في المنهاج الجلي إسناد آخر لهذه الروايات فراجع.

٢ . انظر: كتاب الأذان بحّي على خير العمل: ٨٧.

خير العمل»^(١).

حدّثنا الحسين بن محمّد بن الحسن المقرئ، حدّثنا عليّ بن الحسين بن يعقوب الهمداني، حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن وهيب القرشي، حدّثنا عباد عن سالم، قال: كان إبراهيم بن عبد الله يأمرهم إذا كانوا في البادية أن يزيدوا في الأذان «حيّ على خير العمل»^(٢).

٢٣ - جعفر بن محمّد الصادق (ت ١٤٨ هـ):

روى الحافظ العلوي من طريق معاوية بن عمّار، قال: سمعت جعفر بن محمّد يقول في الأذان «حيّ على خير العمل»^(٣).

وفي الاعتصام بحبل الله عن كتاب الأذان: أخبرنا أبو العباس أحمد بن زيد ابن بشار، وعليّ بن محمّد الشيباني، قالوا: حدّثنا الحسن بن محمّد بن سعيد ابن مسلم، حدّثنا عليّ بن العباس وعليّ بن سلامة، حدّثنا بكار بن أحمد، حدّثنا نصر بن مزاحم، عن الثقة إبراهيم بن أبي يحيى، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام كان يقول لكل صلاة: حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل^(٤).

ومن طريق عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله، قال: سألته عن الأذان، فذكره وقال فيه «حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح» «حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل»^(٥).

١ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٨٨، وبتحقيق عزّان: ١٤٧ ح ١٨٦.

٢ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٨٩، وبتحقيق عزّان: ١٤٧ ح ١٨٧.

٣ . كتاب الأذان بحيّ على خير العمل: ٨٥.

٤ . الاعتصام بحبل الله ١: ٢٩٣.

٥ . كتاب الأذان بحيّ على خير العمل: ٨٥. وبتحقيق عزّان: ١٤١، ثم قال الحافظ العلوي: وقد روى حديث الأذان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عليهما السلام جماعة قد تقدّم أحاديثهم في باب علي بن الحسين. فاستغنيا عن إعادتها هنا، منهم: هاني بن إسماعيل المدني، ومحمد بن عبد الله بن علي بن الحسين، وعبد الله بن محمّد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وأبو مريم الأنصاري، ومندل بن علي العثري، ويحيى بن العلي الرازي، وغيث بن إبراهيم، وسفيان بن السمط، وعبد الله بن بكير، وعمرو بن جميع، وحصين بن مخارق، وعبد الله بن سنان، ومحمد بن المسلم، وأبو العباس، وخالد بن إسماعيل المخزومي.

ورواه عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر عن أبيه عن جدّه جماعة من الثقات منهم: حسن بن حسين المغربي، ومخول بن إبراهيم، وأبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي، وإبراهيم بن محمد بن ميمون، ومحمد بن عبيد النحاس، وأبو بكر بن أبي شيبة، وعبد الرحمن بن أبي حمّاد، وإسماعيل

وقد روى هذا الخبر الشيخ الطوسي بإسناده عن النضر، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله [الصادق] في التهذيب^(١) والاستبصار^(٢).

وعن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن حماد بن عثمان، عن إسحاق بن عمار، عن المعلى بن خنيس، قال: سمعتُ أبا عبد الله يؤذّن فقال: اللهُ أكبر اللهُ أكبر اللهُ أكبر اللهُ أكبر، أشهد أن لا إله إلا اللهُ أشهد أن لا إله إلا اللهُ، أشهد أن محمداً رسول اللهُ صلى اللهُ عليه وآله، أشهد أن محمداً رسول اللهُ صلى اللهُ عليه وآله، حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل، اللهُ أكبر اللهُ أكبر، لا إله إلا اللهُ لا إله إلا اللهُ^(٣).

وعن فضاله، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي وكليب الأسدي؛ جميعاً عن أبي عبد الله أنه حكى لهما الأذان وفيه: «حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل»^(٤).

٢٤ - الحسين بن عليّ صاحب فخ (ت ١٦٩ هـ):

كان الحسين يؤذّن بها و يأمر أصحابه بالتأذّن بها، قال الحافظ العلوي:

أخبرنا محمّد بن الحسين بن النحاس قراءة، حدّثنا عليّ بن العباس الجبالي، حدّثنا عنترة بن حسين العصافي، قال: كان حسين بن عليّ صاحب فخ يقول

في أذانه «حيّ على خير العمل»^(٥).

وروى أبو الفرج الاصفهاني خبر (صاحب فخ) مع الوالي العمري، وفيه: ان الحسين بن عليّ (صاحب فخ) و يحيى بن عبد الله بن الحسن «قتل سنة ١٧٥ هـ في حبس الرشيد».

بن أبان، وجندل بن والف [والقبلي]، وجعفر بن محمد السدوسي، وموسى بن داود وقتيبة بن سعيد.

١ . التهذيب ٢: ٥٩ ح ٢٠٩.

٢ . الاستبصار ١: ٣٠٥ ح ١١٣٣.

٣ . الاستبصار ١: ٣٠٦ ح ١١٣٦. وانظر: التهذيب ٢: ٦١ ح ٢١٢.

٤ . انظر: التهذيب ٢: ٦٠ ح ٢١١، والاستبصار ١: ٣٠٦ ح ١١٣٥.

٥ . الأذان بحى على خير العمل، للحافظ العلوي: ٨٩، وبتحقيق عزّان: ١٤٨ ح ١٨٨.

وسليمان بن عبد الله بن الحسن «قتل بفتح سنة ١٦٩ هـ».
وإدريس بن عبد الله بن الحسن «ت ١٧٧ هـ بالمغرب».
وعبد الله بن الحسن الإفطس «قتل ما بين ١٧٠ - ١٧٨ هـ».
وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا.
وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن الحسن.
وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي «قتل
بفتح ١٦٩ هـ».
وعبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب.

وجّهوا إلى فتیان من فتیانهم ومواليهم فاجتمع.. ستة وعشرون رجلاً
من ولد علي، وعشرة من الحاج، ونفر من الموالي، فكانوا جميعاً وراء
التأذين العلني بحی علی خیر العمل^(١).
وسیأتي مزيد كلام عنه وما فعله بالوالي العمري بعد قليل^(٢).

٢٥ - موسى بن جعفر الكاظم (ت ١٨٣ هـ):

سیأتي بعد قليل^(٣) ما رواه الصدوق عنه في العلل عنه عليه السلام
وأنه أجاب محمد بن أبي عمير عن العلة الظاهرة والباطنة لـ «حي علی
خیر العمل».

٢٦ - علي بن موسى الرضا (ت ٢٠٣ هـ):

روى الصدوق بإسناده عن الفضل بن شاذان فيما ذكره من العلل عن
الرضا عليه السلام في الأذان بالخصوص، وقال فيما قال: ... وإنما هو
نداء إلى الصلاة في وسط الأذان ودعاء إلى الفلاح وإلى خير العمل،
وجعل ختم الكلام باسمه كما فتح باسمه^(٤).

وروى في العلل وفي عيون أخبار الرضا بأسانيد أخرى قوله «وإنما
هو نداء إلى الصلاة، فجعل النداء إلى الصلاة في وسط الأذان، فقدّم قبلها
أربعاً: التكبيرتين والشهادتين، وأخر بعدها أربعاً يدعو إلى الفلاح حتّى

١ . انظر: مفصل الخبر في الفصل الرابع (حي علی خير العمل تأريخها العقائدي والسياسي)
ومقاتل الطالبيين: ٤٤٣ / ٤٤٧.

٢ . في الفصل الرابع «حي علی خير العمل، تأريخها السياسي والعقائدي».

٣ . في الفصل الثالث «حي علی خير العمل، دعوة للولاية وبيان لأسباب حذفها».

٤ . من لا يحضره الفقيه ١: ٣٠٠ ح ٩١٤، علل الشرائع ١: ٢٥٩.

على البرّ والصلاة، ثمّ دعا إلى خير العمل مرغبا فيها وفي عملها وفي أدائها، ثمّ نادى بالتكبير والتهليل ليتم^(١)...».

٢٧ - عليّ بن جعفر بن محمّد بن عليّ (ت ٢١٠هـ):

قال الحافظ العلوي: حدّثنا أبي رضي الله عنه، حدّثنا محمّد بن جعفر المقيّ ربي، حدّثنا محمّد بن الحسين الأسناني^(٢)، حدّثنا أحمد بن جناب، عن عليّ بن جعفر بن محمّد، قال: قال في الأذان: «حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل»^(٣).

٢٨ - أحمد بن عيسى (ت ٢٤٧هـ):

قال الحافظ العلوي: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن عليّ العطّار البجلي، ومحمّد بن عليّ بن الحسين بن غزال الحارثي قراءةً عليهما، قالوا: حدّثنا عليّ ابن أحمد بن عمرو الحسن^(٤)، حدّثنا محمّد بن منصور المقرئ، قال: سألت أحمد بن عيسى، قلت: إذا أذنت تقول: «حيّ على خير العمل حيّ على خير العمل»؟ قال: نعم.

قلت: في الأذان والإقامة.

قال: نعم ولكنّي أخفيها^(٥).

وأخرى: قلت لأحمد بن عيسى، تقول إذا أذنت «حيّ على خير العمل»؟

قال: نعم.

قلت: في الأذان والإقامة؟

قال: نعم^(٦).

١ . علل الشرائع ١: ٢٥٩ / الباب ١٨٢ . والنصّ عنه، عيون أخبار الرضا ٢: ١٠٤ . علة تشريع الأذان.

٢ . في تحقيق عزّان: الأشناني.

٣ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٨٩، وبتحقيق عزّان: ١٤٩.

٤ . في تحقيق عزّان: الجبان.

٥ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٩٠، وبتحقيق عزّان: ١٤٩ الحديث ١٩٠ وراب الصدع ١: ١٩٧ الرقم ٢٣٧ وانظر الايضاح للقاضي نعمان: ١٠٩ وفيه معنى قوله: (أخفيها) بمعنى التقيه لان ذلك هو السنة.

٦ . المصدر نفسه.

٢٩ - الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ (ت ٢٦٠هـ):
قال الحافظ العلوي: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن عليّ بن الحسن
الهـ ذلي ق راءة،
حدّثنا عليّ بن أحمد بن عمرو الحسني، حدّثنا الحسن بن يحيى بن الحسين
بن زيـد بن
عليّ، قال: أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله على أن يقولوا في الأذان
والإقامة: «حيّ على خير العمل» وأن ذلك عندهم سنّة. وقد سمعنا في
الحديث أن الله سبحانه وتعالى بعث ملكا من السماء إلى الأرض بالأذان
وفيه «حيّ على خير العمل». ولم يزل النبيّ صلى الله عليه وآله يؤذّن بحيّ
على خير العمل حتّى قبضه الله، وكان يؤذّن بها في زمن أبي بكر، فلمّا
ولي عمر قال: دعوا «حيّ على خير العمل» لئلا يشتغل الناس عن
الجهاد، فكان أوّل من تركها^(١).

وبعد كلّ هذا نقول: لو صحّ النسخ فلماذا نرى إصرار بعض الصحابة
والتابعين وكلّ أهل البيت على شرعيّتها وضرورة الإتيان بها؟
وهل يصحّ أن ينسخ حكم «حيّ على خير العمل» ولا يعلمه عبد الله
بن عمـر
وعليّ بن الحسين وأبو أمامة بن سهل بن حنيف سنوات بعد رسول الله،
فلـو كـمـان ثـمـنـة
نسخ لَمَّا خَفِيَ عليهم، وما معنى كلام الإمام عليّ بن الحسين: «هذا هو
الأذان
الأول»؟ أليس المعنيّ به هو الأذان الأول قبل التحريف؟
إنّ إجماع أهل البيت وتأذين بعض الصحابة بـ«حيّ على خير العمل»
ليؤكّد
شرعيّة الإتيان بها وعدم نسخها.

١ . الأذان بحيّ على خير العمل، للحافظ العلوي: ٩١، وبتحقيق عزّان: ١٥٠ الحديث ١٩٢.

القسم الثالث

إجماع العترة

مرّ عليك سابقا في (تأذين الصحابة وأهل البيت) أن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يقول ويأمر مؤذنه أن يقول: حيّ عليّ خير العمل.

والمدقق في حديث تشريع الأذان الذي رواه الإمام عليّ عن النبيّ يقف على جزئية «حيّ عليّ خير العمل» فيه، إذ جاء في حاشية الدسوقي ما نصه:

(كان عليّ يزيد حيّ عليّ خير العمل بعد حيّ عليّ الفلاح، وهو مذهب الشيعة الآن)^(١).

ومعنى كلامه أنّه عليه السلام كان يأتي بأمر أعرض عنه الخلفاء، وهو فعل أبنائه من بعده كذلك حتّى استقرّت السيرة به عند الشيعة؛ للاعتقاد بعدم الفصل بين فعـل الإمام عليّ ومذهب الشيعة الآن، لأنّ الشيعة يستقون فقههم وأحكامهم من الإمام عليّ وأبنائه المعصومين عليهم السلام. وقد روى الحافظ العلوي (أبو عبد الله) بإسناده عن عبيدة السلماني، قال:

كان عليّ بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعقيل بن أبي طالب، وابن عباس، وعبد الله بن جعفر، ومحمّد بن الحنفية يؤذنون إلى أن فارقوا الدنيا فيقولون ب «حيّ عليّ خير العمل» ويقولون: لم تزل في الأذان^(٢). وعنه كذلك عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: أذاني وأذان آبائي - عليّ، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين - حيّ عليّ خير العمل حيّ عليّ خير العمل^(٣).

١ . حاشية الدسوقي ١ : ١٩٣ .

٢ . الأذان بحيّ عليّ خير العمل: ١٠٩ الحديث ١٠٧، الاعتصام ١ : ٢٩٤ .

٣ . مقدمة الأذان بحيّ عليّ خير العمل لعزّان: ١٨ .

وجاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي في ترجمة عمر بن إبراهيم بن محمد المتوفى سنة ٥٣٩ - من أحفاد الإمام زيد الشهيد - نقلاً عن السمعاني أنه قال:

وكان خشن العيش، صابراً على الفقر، قانعاً باليسير، سمعته يقول: أنا زيدي المذهب ولكني أفتي على مذهب السلطان - يعني أبا حنيفة - إلى أن يقول السمعاني: وكنت ألزمه طول مقامي بالكوفة في الكور الخمس، ما سمعت منه طول ملازمتي له شيئاً في الاعتقاد أنكرته، غير أنني كنت يوماً قاعداً في باب داره وأخرج لي شذرة من مسموعاته وجعلت أفنقد فيها حديث الكوفيين فوجدت فيها جزءاً مترجماً بتصحيح الأذان بحى على خير العمل، فأخذته لأطالعه، فأخذه من يدي وقال: هذا لا يصلح لك، له طالبٌ غيرك، ثم قال: ينبغي للعالم أن يكون عنده كل شيء، فإن لكل نوع طالباً^(١).

فلو جمعت هذا النص مع الذي مر عليك من أن زيدا كان يأمر مؤذنه بالحيعة
الثالثة عندما يأمن أهل الشام، وكذا من أن يحيى بن زيد كان يأمر أصحابه
بخراسان أن يحيعلوا فما زال مؤذنه ينادي بها، ومثله كلام إبراهيم بن عبيد الله بن الحسن وانه كان يأمر أصحابه - إذا كانوا بالبادية - أن يزيّدوا في الأذان
خير العمل^(٢).

وما قاله أحمد بن عيسى في جواب من سأله عن التأذين بحى على خير العمل؟
قال: نعم، ولكن أخفيها^(٣).

فلو جمعت هذه النصوص بعضها إلى بعض لوقفت على الظروف التي كان يعيشها الطالبون، وهي ظروف لم تكن مؤاتية لإبداء آرائهم، حتى ترى عمر ابن إبراهيم رغم كونه زيدياً يفتي على مذهب السلطان؛

١ . معجم الادباء ١٥ : ٢٥٩ .
٢ . حى على خير العمل بتحقيق عزّان: ١٤٧ ح ١٨٦ و ١٨٧ .
٣ . حى على خير العمل بتحقيق عزّان: ١٥٠ ح ١٩٠ واخرجه محمد بن منصور في الامالي [لابن عيسى] ١ : ١٩٤ رقم ٢٣٧ قال سألت أحمد... الخ.

لأن الفقه السائد يومئذ كان فقه أبي حنيفة، فلا يرتضي أن يطلع السمعاني على الجزء المصحح بالأذان بحَيِّ على خير العمل، فيأخذه منه و يقول له: «هذا لا يصلح لك، له طالب غيرك» ثم يعلل سر وجود مثل هذه الكتب والأجزاء مصححة عنده بأنه ينبغي «للعالم أن يكون عنده كل شيء، فإن لكل نوع طالبا» لأن عمر بن إبراهيم كان يعرف السمعاني واهتماماته، وقد أشار السمعاني نفسه إلى توجهاته الشخصية بقوله «... وجعلت أفتقد فيها حديث الكوفيين فوجدت...» وفي هذا كفاية لمن أراد التعرف على ملابسات التشريع وما دار بين الكوفة والشام والحجاز و.. من التخالف والتضاد.

هذا شيء عن ملابسات (حَيِّ على خير العمل)، وهي تدلّ على دور الحكومة بعدم التأذين بها. والآن مع أقوال بعض العلماء عن إجماع العترة على التأذين بحَيِّ على خير العمل. قال الشوكاني في نيل الأوطار: (... والتثويب زيادة ثابتة فالقول بها لازم،

والحديث ليس فيه ذكر «حَيِّ على خير العمل»، وقد ذهبت العترة إلى إثباته وأتت به بعد قول المؤذن «حَيِّ على الفلاح»، قالوا: يقول مرتين: حَيِّ على خير العمل، ونسبه المهدي في البحر إلى أحد قولَي الشافعي، وهو خلاف ما في كتب الشافعية،

فإنّ لم نجد في شيء منها هذه المقالة^(١)، بل خلاف ما في كتب أهل البيت^(٢).

قال في الانتصار: إنّ الفقهاء الأربعة لا يختلفون في ذلك، يعني في أنّ «حيّ على خير العمل» ليس من ألفاظ الأذان، وقد أنكر هذه الرواية الإمام عزّ الدين في شرح البحر وغيره ممّن له اطلاع على كتب الشافعية.

«احتج القائلون بذلك» بما في كتب أهل البيت - كامالي أحمد بن عيسى، والتجريد، والأحكام، وجامع آل محمّد - من إثبات ذلك سنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال في الأحكام: وقد صحّ لنا أنّ «حيّ على خير العمل» كانت على عهد

رسول الله يؤذّن بها، ولم تُطرح إلّا في زمن عمر. وهكذا قال الحسن بن يحيى. ذلك عنه في جامع آل محمّد.

وبما أخرج البيهقي في سننه الكبرى بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر أنّ

يؤذّن بحيّ على خير العمل أحياناً. وروى فيها عن عليّ بن الحسين أنّه قال: هو الأذان الأوّل. وروى المحبّ الطبري في أحكامه عن زيد بن أرقم أنّه أذّن بذلك، قال المحبّ الطبري: رواه ابن حزم ورواه سعيد بن منصور في سننه عن

١ . يؤيد صحة كلام المهدي ما قاله القاسم بن محمّد بن عليّ نقلاً عن توضيح المسائل للمقري «قد ذكر الروياني أنّ للشافعي قولاً مشهوراً بالقول به»، وما قاله الشافعي عن التثويب وأنه لم يثبت عن أبي محذورة. ولو جمعنا هذين القولين وضممنا أحدهما إلى الآخر لأتضح لنا ما نريد قوله من الملازمة وعدم الفصل بين القول (بحيّ على خير العمل) وعدم القول (بالصلاة خير من النوم)، وكذا العكس، إذ قد ثبت عن ابن عمر تأديته بـ (حيّ على خير العمل) وكراهيته للتثويب، ومثله الأمر بالنسبة إلى الإمام علي، فالقائل بشرعية «حيّ على خير العمل» لا يقبل شرعية «الصلاة خير من النوم»، والقائل بشرعية «الصلاة خير من النوم» ينكر شرعية «حيّ على خير العمل»، فإنكار الشافعي للتثويب يرجح المنسوب إليه من القول بـ «حيّ على خير العمل».

هذا وقد أشار الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (المتوفى ٨٤٠ هـ) في البحر الزخار ٢: ١٩١ إلى أنّ أخير قول الشافعي هو القول بالحيلة الثالثة وذلك بعد أن أشار إلى إجماع العترة بذلك فقال: (.. العترة جميعاً، وأخير قول الشافعي حيّ على خير العمل)، فتأمل.

٢ . هذا قصور أو تقصير من الشوكاني، فقد عرفت إجماع العترة على التأذين بـ «حيّ على خير العمل»، وكان ينبغي له أن يحقّق في المسألة قبل أن يقطع برأيه هذا.

أبي أمامة ابن سهل البدرى، ولم يرو ذلك من طريق غير أهل البيت مرفوعا، وقول بعضهم: وقد صحح ابن حزم والبيهقي والمحب الطبري وسعيد بن منصور ثبوت ذلك عن عليّ بن الحسين...»^(١).

وجاء في كتاب الاعتصام بحبل الله:... وفي الجامع الكافي: قال الحسن بن يحيى بن الحسين [بن زيد المتوفى ٢٦٠]: أجمع آل رسول الله على أن يقولوا في الأذان والإقامة (حيّ على خير العمل) وأن ذلك عندهم سنة، قال: وقد سمعنا في الحديث أن الله سبحانه بعث ملكا من السماء إلى الأرض بالأذان، وفيه: حيّ على خير العمل.. ولم يزل النبي صلى الله عليه وآله يؤذن بحيّ على خير العمل حتى قبضه الله إليه، وكان يؤذن بها في زمان أبي بكر، فلما وليّ عمر قال: دعوا حيّ على خير العمل لا يشتغل الناس عن الجهاد. وكان أول من تركها^(٢).

وقال الأستاذ عزّان في مقدمة كتاب (الأذان بحيّ على خير العمل):... وقال الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (المتوفى ٤١١ هـ): ومذهب يحيى - يعني الهادي - وعامة أهل البيت التأذين بحيّ على خير العمل^(٣).

وقال القاضي زيد بن محمد الكلاري - وهو من أتباع المؤيد بالله ولم يعاصره -: التأذين به - أي بحيّ على خير العمل - إجماع أهل البيت لا يختلفون فيه، ولم يرد عن أحد منهم منعه وإنكاره، وإجماعهم عندنا حجة يجب اتباعها^(٤).

وقال الإمام محمد بن المطهر المتوفى ٧٢٨ هـ: ويؤذن بحيّ على خير العمل، والوجه في ذلك إجماع أهل البيت^(٥)...

وقال العلامة صلاح بن أحمد بن المهدي المتوفى ١٠٤٨ هـ: أجمع أهل البيت على التأذين بحيّ على خير العمل^(٦).

- ١ . نيل الاوطار ٢: ٤٣ - ٤٤ .
- ٢ . الاعتصام بحبل الله ١: ٢٧٨ عن الجامع الكافي مخطوط .
- ٣ . شرح التجريد مخطوط .
- ٤ . شرح القاضي زيد للتحرير مخطوط .
- ٥ . المنهج الحلي شرح مسند الإمام زيد بن علي ١: ٧٧ مخطوط .
- ٦ . شرح الهداية: ٢٩٤ .

وقال العلامة الشرفي المتوفى ١٠٥٥: وعلى الجملة فهو - أي الأذان بحَيِّ على

خير العمل - إجماع أهل البيت، وإنما قطعه عمر^(١).
وقال العلامة المحقق الحسن بن أحمد الحلال المتوفى ١٠٨٤ هـ - بعد أن ذكر اتفاق العترة على التأذين بحَيِّ على خير العمل -: وإجماع العترة وعليّ، وهما معصومان عن تعمد البدعة^(٢).
وقال شيخنا^(٣) السيّد العلامة مجد الدين حفظه الله: وقد صحّ إجماع أهل البيت: على الأذان بحَيِّ على خير العمل^(٤).
وذكر في أمالي أحمد بن عيسى: ذهب آل محمّد أجمع إلى أثبات حَيِّ على خير العمل

العمل مرتين في الأذان بعد حَيِّ على الفلاح.
وفي شرح الأزهار: ومنهما: حَيِّ على خير العمل، يعني أنّ من جملة ألفاظ الأذان والإقامة حَيِّ على خير العمل؛ للأدلة الواردة المشهورة عند أئمة العترة وشيعتهم وأتباعهم وكثير من الأمة المحمديّة التي شحنت بها كتبهم.

قال الهادي إلى الحق يحيى بن الحسن في الأحكام: وقد صحّ لنا أن حَيِّ على خير العمل كانت على عهد رسول الله يؤدّون بها، ولم تُطرح إلا في زمن عمر بن الخطّاب، فإنه أمر بطرحها وقال: أخاف أن يتكل الناس عليها ويتركوا الجهاد، وفي المنتخب: وأمّا «حَيِّ على خير العمل» فلم تزل على عهد رسول الله حتّى قبضه الله، وفي عهد أبي بكر حتّى مات، وإنما تركها عمر وأمر بذلك فقيل له: لم تركتها؟ فقال: لنألا يتكل الناس عليها ويتركوا الجهاد^(٥). انتهى ما قاله عزّان.
وقال الصنعاني: إن صحّ إجماع أهل البيت - يعني على شرعية حَيِّ على خير العمل - فهو حجة ناهضة^(٦).

١ . ضياء ذوي الابصار مخطوط ١ : ٦١ .

٢ . ضوء النهار ١ : ٤٦٩ .

٣ . الكلام لعزّان .

٤ . المنهج الاقوم في الرفع والضم : ٣٥ .

٥ . الاحكام ١ : ٨٤ ، شرح الازهار ١ : ٢٢٣ ، البحر الزخار ٢ : ١٩١ ، الأذان للعلوي بتحقيق عزّان : ١٥٣ .

٦ . هذا ما حكاه عزّان في كتابه «حَيِّ على خير العمل بين الشرعية والابتداع» : ٦٨ عن كتاب منحة الغفار المطبوع بهامش ضوء النهار .

وقال المقبل عن أنمة الزيدية: ولو صحَّ ما ادعي من وقوع إجماع أهل البيت فـ
ذلك لكان أوضح حجّة^(١).

ونحن في الفصل الرابع «حيّ على خير العمل وتاريخها العقائدي والسياسي» من هذا الباب سنؤكّد هذا الإجماع عند أهل البيت، وعند الشيعة بفرقها الثلاث، ونوضّح سير هذه المسألة وكيف صارت شعاراً لنهج التعبد المحض في العصور المتأخرة بعد أن أدنّ بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف صار حذفها وإبدالها بـ«الصلاة خير من النوم» شعاراً لخصومهم، وهو دليل قوي على ما نريد قوله من وقوع الملابسات في هذه الشعيرة الإسلامية.

موكّدين بأنّا ببياننا لهذه الأقسام الثلاثة أردنا أن نوضح وجهة نظرنا في جزئية هذا الفصل من فصول الأذان، ولا نريد أن نحكم آراءنا فوق كلام الباري وأقوال الرسول كما يفعله بعض متعصي المذاهب الذين يرجّحون كلام إمام مذهبهم على القرآن والسنة المطهرة، مثل ما فعله الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين إذ قال:

«ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة، والحديث الصحيح، والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالٌّ مضلٌّ، وربّما أداه ذلك»

للكفر؛ لأنّ الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر^(٢).
يستبين ممّا سبق أنّ الشيعة لم ينفردوا بهذا القول، بل هناك نقول عن الشافعي وبعض الأعلام في القول بجزئية «حيّ على خير العمل». ومن المفيد أن نقف قليلاً عند هذا الأمر لنؤكد على صحة ما قلناه من أنّ هذا الفصل «حيّ على خير العمل» كان جزءاً من الأذان على عهد رسول الله إذ أمر النبيّ مؤدّنه بالتأذين به، لكن المقدرات السياسية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله شاءت محوه وإزالته.

١ . انظر: مقدمة الأذان بحيّ على خير العمل لعزّان: ١٧.

٢ . حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٣: ١٠ ط دار احياء التراث العربي، وقد رد الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي القاضي الأول بالمحكمة الشرعية بدولة قطر على كلام الصاوي في كتاب أسماه (تنزيه السنة والقرآن عن كونهما مصدر الضلال والكفران) هذا ما قاله العلامة الخليفي مفتي سلطنة عمان في كتابه الحق الدامغ: ١٠.

ومما يؤيد قولنا هذا ما قاله القاسم بن محمد بن عليّ نقلاً عن «توضيح المسائل» لعلماد الدين يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المقرئ ما لفظه: ومنها إثبات حيّ على خير العمل، قال: رواه الإمام المهدي أحمد بن يحيى في بحره عن أخير قولّي الشافعي قال: وقد ذكر الروياني أنّ للشافعي قولاً مشهوراً بالقول به. وقد قال كثير من علماء المالكية وغيرهم من الحنفية والشافعية إنّه كان «حيّ على خير العمل» من ألفاظ الأذان.

قال الزركشي في كتابه المسمى بالبحر ما لفظه:
«ومنهاما الخلاف فيه موجود [في المدينة] كوجوده في غيرها، وكان ابن عمر - وهو عميد أهل المدينة - يرى أفراد الأذان ويقول فيه «حيّ على خير العمل» انتهى بلفظه^(١).
إلى أن قال القاضي يحيى بن محمد بن حسن بن حميد [المقري]: فصحّ ما رواه الروياني أنّ للشافعي قولاً مشهوراً في إتيان «حيّ على خير العمل»^(٢).

وفي الروض النضير: وقد قال كثير من علماء المالكية وغيرهم من الحنفية والشافعية أنّه كان «حيّ على خير العمل» من ألفاظ الأذان^(٣).

وفي الاعتصام بحبل الله: وروى الإمام السروجي عن شرح الهداية للحنفية أحاديث «حيّ على خير العمل» بطرق كثيرة^(٤).
وبعد هذا اتضح سقم ما انفرد به أهل السنة والجماعة من القول بکراهة الإتيان بحيّ على خير العمل في الأذان^(٥)؛ لأنّ فعل ابن عمر و إن قلنا بعدم دوامه فهو بيان لجواز الإتيان بها، وفعل أبي أمامة بن سهل بن حنيف يؤكد جزئيتها وأنها كانت على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وكذا تأذين الإمام عليّ وعليّ بن الحسين، فهو دليل على مشروعية هذا

١ . الاعتصام بحبل الله المتين ١ : ٣٠٧ .

٢ . الاعتصام بحبل الله ١ : ٣٠٨ .

٣ . الروض النضير ١ : ٥٤٢ .

٤ . الاعتصام ١ : ٣١١ .

٥ . انظر المجموع للنووي ٣ : ٩٨ .

الفصل، ويضاف إليها أقوال العلماء فإنها تدل في أقل التقادير على عدم حرمة الإتيان بها.

ففي كتاب «الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر» على هامش يواقبت الجواهر للشعراني، التصريح بعدم الكراهية، قال فيه [أي الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية]: ما عرفتُ مستند مَنْ كره قول المؤذن «حيّ على خير العمل» فإنه روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بها يوم حفر الخندق...

وحكى الشيخ فخر الدين التلمساني عن صاحب (حاشية منهيّة) من علماء الهند: إنّ ابن تيمية زعم في منهاجه على بدعة «حيّ على خير العمل» في الأذان، فهذا تشدّد منه نحن لا نوافق معه في ذلك^(١).

وقال مهّمّش مراتب الإجماع ما هذا نصه: فلا يكون هذا - حيّ على خير العمل - بدعة الروافض كما يزعم ابن تيمية^(٢). وبهذا عرفت أنّ «حيّ على خير العمل» فصل قد أُدّن به على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعمل به الصحابة وأهل البيت، وذهب بعض الأعلام إلى شرعيته وعدم كراهة الإتيان به. نعم، إنّ أتباع النهج الحاكم تركوه، ولم يرووا فيه إلا القليل، وقالوا

الموجود أنّه قد نسخ!

هذا وقد تمخض من كلّ ما سبق أمور:

١. اتفاق الفريقين على أصل شرعيتها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وانفراد أهل السنة والجماعة بدعوى النسخ، وقد تحدى السيّد المرتضى أن يأتوه بالناسخ، بقوله: وإنما ادعي أنّ ذلك نسخ ورفع، وعلى من ادعى النسخ الدلالة وما يجدها.

٢. ذكرنا في القسم الثاني الدليل الثاني من أدلّتنا على جزئية الحيلة

الثالث

١. حاشية منهيّة: ٢. انظر: كلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية ٤: ١٦٥.
٢. مراتب الاجماع لابن حزم: ٢٧، انظر: منهاج السنة النبوية ٦: ٢٩٣ - ٢٩٤.

وهو فعل الصحابة وأهل البيت، فذكرنا فيه اسم ثلاثين شخصا أدنوا بـ«حيّ على خير العمل» من الصحابة والتابعين وأهل البيت.

٣ . إجماع العترة واتفاق الشيعة بفرقها الثلاث على الحيلة.

٤ . وأخيرا ختمنا الكلام عن جزئية الحيلة الثالثة بما حكى عن الشافعي وبعض الاعلام من القول بجزئيتها. وسوف نُثبت لاحقاً - إن شاء الله - وجود ملازمة بين القول بـ«حيّ على خير العمل» وعدم القول بـ«الصلاة خير من النوم»؛ لأنّ القائل بشرعية أحدهما لا يقول بشرعية الآخر. وحيث ثبت عن الشافعي رجوعه - في أواخر أيام حياته - عن التثويب لعدم ثبوت صحة حديث أبي محذورة عنده يرجح المنسوب من القول بـ«حيّ على خير العمل» إليه، ومثله الكلام عن مالك وغيرهم من الأحناف والمذاهب الأخرى.

الفصل الثاني
حذف الحيلة؟ وامتناع بلال عن
التأذين؟

قبل البدء في بيان بحوث هذا الفصل لابد من معرفة معنى ما قاله أحد الصادقين^(١) فيما رواه عنه أبو بصير، أنه قال: إن بلالاً كان عبداً صالحاً فقه:

لا أُؤدّن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فترك يوماً مؤذناً «حيّ على خير العمل»^(٢).

ولو ثبت هذا الخبر وصح الحديث لصار زمن سقوط حيّ على خير العمل من الأذان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عهد أبي بكر بالذات، وهذا يخالف المشهور بين الطالبين والمتفق عليه عند الشيعة الإمامية، والزيدية، والاسماعيلية، فإنهم جميعاً قد أطبقوا على إسقاطها في عهد عمر بن الخطاب، فما يعني ما رواه أبو بصير إذا؟

الحديث الأنف هو بصدد التعريف ببلال الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه كان صلب العود شجاعاً في مبادئه، وعبداً صالحاً، ومعناه: لو كان بلال مؤذناً في العصور اللاحقة لما ترك حيّ على خير العمل؛ وذلك لإيمانه وتقواه وثباته على العقيدة، لكن لما ترك بلال - بل اضطرراً إلى ترك - الأذان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان في ذلك فرصة للآخرين بالزيادة والنقيصة فيه^(٣).

ولك الحق أن تسأل عن علّة ترك بلال للأذان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن الأقوال التي قيلت في ذلك، وهل يصح حقاً نقل عن بلال بأنه طلب من أبي بكر أن يذهب إلى الشام كي يربط على ثغور المسلمين، أو أنه قال: لا أطيق أن أُؤدّن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أو غير ذلك؟

إنّ الدقّة في معرفة سير الأحداث تفرض علينا أن نقول: إنّ ترك بلال للأذان لم يكن لمجرد حالة نفسية وردّة فعل تجاه وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ بلالاً كان أتقى وأورع من أن يترك منصباً نصّب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله طيلة حياته، ذلك لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم ينصّب مؤذناً شخصياً له، بل أعطاه دور مؤذن الإسلام، فكيف يترك هذا الدور الشريف لمجرد موت النبيّ

١ . أي الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهم السلام.

٢ . من لا يحضره الفقيه باب الأذان والإقامة ١: ١٨٤ ح ٨٧٢.

٣ . كزيادة (الصلاة خير من النوم) فيه أو نقيصة (حيّ على خير العمل) منه.

صلى الله عليه وآله؟! وهو أعلم الناس بما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل الأذان والمؤذنين.

بل كيف تعقل صياغة عذر ترجيحه للجهاد في الشام على التأذين للمسلمين،
مع أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أمر المسلمين أن ينضوا تحت لواء أسامة وفيهم أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة، ومن الثابت أنّ بلالاً كان مستثنى من هذا الأمر الجهادي، حيث أطبق التاريخ والمؤرخون على أنّه كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله يؤذن له حتّى آخر لحظة من لحظات حياته الشريفة، فكيف ترك التأذين ورّجح الجهاد؟!!

إنّ هذا لا يعقل في حق بلال، خصوصاً وأنّه لم يُعهد عنه اتخاذه موقفاً مرتباً

عند موت النبي صلى الله عليه وآله كما حدث ذلك لعمر بن الخطّاب^(١)، بل تلقى الحادث كباقي المسلمين بألم وأسى، واضعاً نصب عينيه قوله تعالى: «وما محمّد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرّسُلُ أفان مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم»^(ال عمران/٤٤:١)، وقوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)^(الزمر/٤٠).

فما قيل في ترك بلال للأذان لمجرّد وفاة النبي صلى الله عليه وآله لا يمكن الركون إليه بحال من الأحوال، لاسيّما وأنّ بلالاً لو بقي على أذانه لكان ذلك أقوى للمسلمين وأثبت لنفوسهم، حيث يظنون يعيشون مع الرسول وذكرياته السماوية العطرة، بل يكون ذلك أبعث للمسلمين على الجهاد، لأنّه يذكرهم بأيّام كان ينادي فيها بمحضر النبي بالصلاة جامعة للجهاد والخروج والقتال.

على أنّنا نرى أنّهم يستعوضون عن بلال بسعد القرظ الذي لم يؤذن على عهد رسول الله إلا ثلاث مرّات بقاء - ان صح النقل - وأبي محذورة الذي كان يستهزئ بالأذان وبرسول الله^(٢)، فلماذا لم يخرج سعد القرظ للجهاد إذا كان الجهاد أفضل من التأذين؟!!

١ . تاريخ الطبري ٣: ٢٠٢ - ٢٠٣ في أحداث سنة ١١ هـ، وأسد الغابة ٣: ٢٢١.
٢ . هذا ما سنوضحه لك في الباب الثاني من هذه الدراسة «الصلاة خير من النوم شرعة أم بدعة» فانتظر.

و إذا كان بلال قد ترك الأذان لترجيح الجهاد عليه، فلماذا لا نرى له أي مشاركة في قتال المرتدين؟! ولماذا لم يرد اسمه مع أبي بكر في حروب الردّة؟ ونحن نعلم بأن حروب الردة قد طالت - بين موت النبي صلى الله عليه وآله وبدء فتوح الشام - فاصلة زمنية تقارب سنة^(١) أو أقل. ولماذا لم يؤدّن بلال في هذه المدّة لأبي بكر، إذ كان بوسعه أن يؤدّن

لـه، حتّى إذا بدأت مسيرة جيوش المسلمين للشام تركه واشتغل بالجهاد؟ إنّ بقاء بلال في المدينة ولو فترة قصيرة لم يؤدّن فيها لأبي بكر، إنّما يعنى شـيئاً؟ فما هو؟ حتّى إذا بدأت الجيوش بالزحف نحو الشام، خرج بلال - طائعا أو مكرها -

إلى الشام وبقي فيها. وعليه لا يصح التبرير المطروح من ترك بلال الأذان ترجيحاً للجهاد عليه، بل يبدو أنّ هذا العذر والتبرير اختلق لدعم فكرة حذف الحيلة الثالثة ترجيحاً للجهاد عليها - وهي فكرة عمر بن الخطاب التي صرّحت بها روايات عديدة - بدعوى أنّ الجهاد - لا الصلاة - هو خير العمل، ومعنى كلامهم أن بلالاً ترك الأذان ترجيحاً للجهاد عليه!! فإذا لم يصح هذا التبرير فلنا أن نقول: إنّ هناك أمراً آخر دعاه إلى اتخاذ هذا الموقف. فما هو؟

يبدو أنّ وراء ترك بلال للأذان سرّاً كامناً، لأنّه ترك الأذان بمجرد تسلّم أبي بكر للخلافة، ويظهر أنّه بقي في المدينة مدّة يسيرة قد لا تتجاوز وقت وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أو تتجاوزها بأيام قلائل.

وما قيل من أنّ بلالاً أدّن لأبي بكر مدّة خلافته، ثمّ رجّح الجهاد في زمان عمر فهو شيء لا يصح؛ لأنّ بلالاً كانت له مشاركات في فتوح الشام، وهذا يعني أنّه كان مع جيوش المسلمين، وقد تفتّن ابن كثير إلى ذلك قائلاً:

١ . بدأت حروب الردة بعد أربعين أو ستين يوماً من وفاة النبي، وانتهت بمقتل مسيلمة في ربيع الأول سنة ١٢هـ.

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ترك بلال الأذان، و يقال: أذن للصدّيق أيام خلافته، ولا يصحّ^(١).

وقد علق النووي في المجموع على كلام ابن قسيط الذي قال بأن بلالاً كان يسلم على أبي بكر وعمر في أذانه يقول: وهذا النقل بعيد أو غلط، فإن المشهور المعروف عند أهل العلم بهذا الفن ان بلالاً لم يؤذن لأبي بكر ولا عمر وقيل اذن لابن بكر رضي الله عنهم، ورواية ابن قسيط هذه منقطعة فإنه لم يدرك ابا بكر ولا عمراً بلالاً رضي الله عنهم^(٢).

وكان امتناع بلال من التأذين لأبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وآله لم يرق لرجال النهج الحاكم، لأنه تبدو منه معالم معارضته للخلافة الجديدة، من هنا وضعوا شتى المختلقات لتوجيه عدم تأذينه له، وكان الأقرب للواقع أنه اضطرّ إلى ترك المدينة متجهاً نحو الشام، إذ كانت الشام منفى المعارضين، وكان ستار الجهاد خير وسيلة لإبعاد المعارضين، حيث ذهب سعد بن عباد الأنصاري مكرهاً إلى الشام فقتل هناك غيلة، ونفي في زمان عثمان أبو ذر ومالك الأشتر وغيرهما من المعارضين إلى الشام وحبوس معاوية^(٣)، ولا يستبعد أن يكون بلال قد رأى - نتيجة ضغوط أبي بكر وعمر عليه كما ستعلم - أن الذهاب إلى الشام أسلم له، وأبعد عن عيون السلطة.

و يؤكد لنا أن وراء امتناع بلال من التأذين لأبي بكر أمراً مخفياً، عدم امتناعه من التأذين لأهل البيت، حيث أذن لفاطمة الزهراء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مرّة، وأذن لولديها الحسن والحسين عليهما السلام مرّة أخرى بعد وفاة فاطمة، وذلك ما لم يختلف فيه المؤرخون وأرباب السير. روى الصدوق: أنه لما قبض النبي صلى الله عليه وآله امتنع بلال من الأذان وقال: لا أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن فاطمة

١ . البداية والنهاية ٤: ١٠٤/٧ احداث سنة عشرين من الهجرة.

٢ . المجموع ٣: ١٢٥.

٣ . تاريخ يعقوبي ٢: ١٧٢ وفيه نفي أبي ذر إلى الشام، وتاريخ الطبري ٤: ٣١٧ - ٣٢٦ / احداث سنة ٣٣ وذكر فيه تسير عثمان جماعة من أهل الكوفة إلى الشام منهم مالك الأشتر.

قالت ذات يوم: إني أشتي أن أسمع صوت مؤذن أبي بالأذان، فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان، فلما قال: «الله أكبر الله أكبر» ذكرت أباه صلى الله عليه وآله وأيامه فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلى قوله «أشهد أن محمداً رسول الله» شهقت فاطمة شهقةً وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال الناس لبلال: أمسك يا بلال، فقد فارقت ابنة رسول الله الدنيا، وظنوا أنها قد ماتت، ففطع أذانه ولم يتمه، فأفاقت فاطمة وسألته أن يتم الأذان فلم يفعل، وقال لها: يا سيّدة النسوان، إني أخشى عليك مما تنزلينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك^(١).

وهذا يدل على وجود بلال في المدينة قبل وفاة الزهراء عليها السلام، ولم يكن قد خرج منها بعد إلى الشام، وهذا يؤكد أن أبا بكر بقي أربعين يوماً^(٢) - على أقل التقادير - يدبر أمورهم قبل أن يجهز لقتال المرتدين، وظل يقاتل المرتدين مدة لا تقل عن ستة أشهر ولا تزيد عن سنة قبل أن يسيّر الجيوش التي فتحت الشام بعد أن كان جيش أسامة رجع عن وجهة الشام دون قتال.

وقد علمت أن بلالاً لم يشارك في قتال المرتدين، بل صرّحوا بأنه أقام في المدينة إلى أن خرجت بعوث الشام^(٣). كان بلال إذا في المدينة ولم يؤذن لأبي بكر، فلماذا لم يؤذن لأبي بكر؟! إنه تسأول يفرض نفسه، ويبحث عن اجابة.

روى إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء، حدثني أبي محمد بن سليمان، عن أبيه سليمان بن بلال، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: إن بلالاً رأى في منامه النبي صلى الله عليه وآله وهو يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال؟! أما أن لك أن تزورني يا بلال؟ فانتبه حزينا وجلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة [من الشام]، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه. فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمّهما ويقبلهما، فقالا له: يا بلال، نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذنه لرسول الله صلى الله عليه وآله في

١ . من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٨ / ح ٩٠٧، وانظر: الدرجات الرفيعة: ٣٦٥ - ٣٦٦.
٢ . وقيل: سنين يوماً، وقيل سبعين يوماً، انظر: تاريخ الطبري ٣: ٢٤١، واليعقوبي ٢: ١٢٧.
٣ . انظر: كنز العمال ١٣: ٣٠٥ ح ٣٦٨٧٣، مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦٥. بل قال ابن أبي حاتم أنه خرج إلى الشام في خلافة عمر. انظر: المراسيل: ١٠٨، وعنه في تهذيب الكمال ١٧: ٣٧٣.

السَّحَر، ففعل، فعلاً سطح المسجد، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما أن قال: «الله أكبر الله أكبر» ارتجت المدينة.

فلما أن قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» زاد تعاجيجها، فلما أن قال: «أشهد أن محمداً رسول الله» خرج العواتق من خدورهن، فقالوا: أبعث رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فما روي يوماً أكثر باكياً وباكية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك اليوم^(١).

لقد ثبت أن بلالاً أدن لفاطمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وقبل خروجه إلى الشام، وأدن للحسن والحسين عليهما السلام بعد وفاة فاطمة عند رجوعه من الشام لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، بل روي أنه كان يرجع كل سنة مرة إلى المدينة فينادي بالأذان للمسلمين إلى أن مات^(٢)، فلماذا لم يؤذن للخليفة الأول، ومن بعده للثاني؟! إن حقيقة امتناع بلال من التأذين تتجاوز مسألة ترحيله إلى الشام للمشاركة في الجهاد، بل إن المسألة لتصل إلى معارضته لأصل خلافة أبي بكر وعمر ولأنه أبي - كما يبدو - أن يؤذن لهما بالأذان الذي بُدّل فيه وغير، والذي سخّروا له من بعد سعد القرظ مولى قر يش، الذي ظل مؤذناً حتى للحجاج الثقفي، ولم يكن له أي دور في المدينة في زمان النبي صلى الله عليه وآله.

قال النووي في تهذيب الأسماء: جعل النبي صلى الله عليه وآله سعد القرظ مؤذناً بقاء، فلما ولي أبو بكر الخلافة وترك بلال الأذان نقله أبو بكر إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ليؤذن فيه فلم يزل يؤذن فيه حتى مات في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي، وتوارث بنوه الأذان. وقيل: الذي نقله عمر بن الخطاب^(٣).

ولكن بلالاً مع ذلك لم يمتنع عن التأذين لأهل البيت والمسلمين المخلصين

١ . تاريخ دمشق ٧: ١٣٦ ترجمة رقم ٤٩٣ قال: انبأنا أبو محمد بن الاكفاني، نا عبد العزيز بن أحمد، نا تمام بن محمد، نا محمد بن سليمان، نا محمد بن الفيض، نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء، ثم ذكر باقي الاسناد، والنص عنه، ومختصر تاريخ دمشق ٤: ١١٨، ٥: ٢٦٥، أسد الغابة ١: ٢٠٨. وانظر: تهذيب الكمال ٤: ٢٨٩، حيث أبدل «الحسن والحسين» ب «بعض الصحابة».

٢ . انظر: الدرجات الرفيعة: ٣٦٧، نقلاً عن كتاب المنتقى.

٣ . تهذيب الأسماء ١: ٢٠٧.

- ولذلك قال جعفر بن محمد: رحم الله بلالاً فإنه كان يحبنا أهل البيت^(١)، بل إنه امتنع عن التأذين لرجال النهج الحاكم ورؤوس الخلافة وحدهم. روى الشيخ المفيد بسنده عن الصادق عليه السلام أنه قال: وكان بلال مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله لزم بيته ولم يؤذّن لأحد من الخلفاء^(٢). وقال المزني: ويقال: إنه لم يؤذّن بعد النبي صلى الله عليه وآله، إلا مرة واحدة، في قدمة قديمها لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله، وطلب إليه الصحابة ذلك فأذن، ولم يتم الأذان...^(٣) وفي كتاب أصفياء أمير المؤمنين، روى عن ابن أبي البختري، قال:

ح
عبد الله بن الحسن: إن بلالاً أباي أن يبائع أبا بكر، وإن عمر جاء وأخذ بتلابيبه
فقال: يا بلال، إن هذا جزاء أبي بكر منك؟! إنه أعتقك فلا تجيء تباعه؟!
فقال بلال: إن كان أبو بكر أعتقني لله فليدعني له، وإن كان أعتقني لغيبه
فها أنا ذا^(١).

١ . الاختصاص: ٧٣. ويدل على اختصاص بلال بعلي وأهل البيت عليهم السلام وعدم إيمانه شرعية خلافة أبي بكر، ما روي في تفسير الحسن العسكري: في إن بلالاً كان يعظم أمير المؤمنين عليه السلام ويوقره أضعاف توقيره لأبي بكر، فقبل له في ذلك مع أن أبا بكر كان مولاه الذي اشتراه واعتقه من العذاب، فأجاب من ذلك بأحسن جواب، فكان فيما قال: إن حق علي أعظم من حقه، لأنه، لأنّه
أنقذني من رق العذاب الذي لو دام علي وصبرت عليه لصرت إلى جنات عدن، وعلي أنقذني من رق العذاب الأبد، وأوجب لي بموالي له وتفضيلي إياه نعيم الأبد «تفسير العسكري ٦٢١/ح ٣٦٥».

هذا وقد بقي بلال إلى آخر لحظات عمره الشريف موالياً لمحمد وآل محمد، وقد ردد قبل موته نفس الشعار الذي رده عمار في صفين من بعد:

غدا سنلقى الأحبة
محمدًا وحزبه

«مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦٧».

٢ . الاختصاص: ٧٣.
٣ . انظر كلام المزني في تهذيب الكمال ٤: ٢٨٩، ومثله ما حكاه الحصني الشامي «ت ٨٢٩هـ» في كتابه دفع الشبه عن الرسول: ١٨٢ عن الحافظ عبد الغني المقدسي في كتابه الكمال في ترجمة بلال - وأنه قد قال بهذا القول قبل المزني -. وقد يكون مقصود المزني والمقدسي من جملة «طلب إليه الصحابة» هو طلب الحسن والحسين، إذ لم يقل أحد بأنه أذن للصحابة على نحو العموم، وكذا لا يصح ما قاله بأن بلالاً لم يؤذّن بعد النبي إلا مرة واحدة؛ لثبوت تأذينه لفاطمة الزهراء قبل رحلته إلى الشام.

وأما بيعته فما كنت أبايع أحدا لم يستخلفه رسول الله، وإنَّ بيعة ابن عمِّه

الغدِير في أعناقنا إلى يوم القيامة، فأئنا نستطيع أن يبايع على مولاه؟

فقال له عمر: لا أمَّ لك، لا تُقَمَّ معنا!

فارتحل إلى الشام^(١)...

وفي كتاب كامل البهائي - لعماد الدين الطبري^(٢) -: إنَّ بلالاً امتنع عن بيعة أبي بكر والأذان له^(٣).

فعلى هذا يكون بلال قد عارض خلافة أبي بكر، وامتنع من التأذين له مع بقائه بالمدينة، لعدم إيمانه بشرعية خلافته، ولأنَّه وعمر أرادا منه ما يأباه، خرج إلى الشام مكرها لا ترجيحا للجهاد على منصبه النبوي في التأذين، ولا ردّة فعلٍ منه تجاه وفاة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله.

فإنَّ بلالاً لم يبايع لهما، وبقي معارضا للغاصبين في صفِّ عليٍّ وغيره

الصحابية، وقد أذن في هذه المدّة لفاطمة، وكان على اتصال بأهل البيت، ثمَّ إنَّهم بعد وفاة فاطمة وإجبار عليٍّ على البيعة، ونفي سعد بن عبادة إلى الشام، وكسرهم سيف الزبير، ووو... أجبروا بلالاً على مغادرة المدينة تحت غطاء القتال فبقي جبهات الشام، وكان قد عاد إلى المدينة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله، فأذن للحسن والحسين.

وبهذا، فإنَّ مختلفة تأذينه لعمر^(٤) في الجابية بالشام، قد وضعت للتغطية على نزاع بلال مع عمر في شأن كيفية توزيع الأراضي

١ . لا يخفى عليك أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي اشترى بلالاً وأعتقه، لكن بواسطة أبي بكر إذ كانت عنده علاقات حسنة مع كفار قريش ولم يكن وتّره.

٢ . الدرجات الرفيعة: ٣٦٧، عن كتاب أصفياء أمير المؤمنين. وقد روى الوحيد البهبهاني قريبا من هذا في التعليقة (انظر: معجم رجال الحديث ٤: ٢٧٢)..

٣ . الذي فرغ من تأليفه سنة ٦٧٥ هـ.ق.

٤ . الأربعين للماحوزي: ٢٥٧، نقلاً عن كامل البهائي.

٥ . وضعت روايات مفادها أن بلالاً أذن لعمر في الجابية، وقد وردت بأربعة طرق:

أولها: ما رواه الطبري في تاريخه ٤: ٦٥ / أحداث سنة ١٧ هـ، قال: «كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف [بن عمر التميمي]، عن مجالد عن الشعبي». وهذا الإسناد فيه سيف بن عمر الوضاع المتهم بالزندقة.

ثانيها: ما رواه البيهقي في سننه ١: ٤١٩، وابن عساكر في تاريخه ١٠: ٤٧١، والذهبي في سيره ١: ٣٥٧، وكلها تنتهي إلى «أبي الوليد أحمد بن عبد الرحمن القرشي، حدّثنا الوليد بن مسلم، قال:

المفتوحة وأمثالها، حيث قام بلال إلى عمر فقال: لتقسمنَّها أو لنتضاربنَّ عليها بالسيف^(١).

ولما أبى عمر ذلك، ودعا على بلال ومن معه بالهلاك^(٢)، سأل بلال عمرَ البقاء في الشام واعتزال باقي الفتوحات، ففعل ذلك عمر^(٣)، فبقي بلال في دمشق إلى أن مات بها.

وقد كان أبو بكر قد أغضب بلالاً في زمن النبي صلى الله عليه وآله، فأمر النبيُّ أبا بكر أن يترضاه، قالوا:

مرَّ أبو سفيان ببلال وسلمان وصهيب، فقالوا: ما أخذت سيوفُ الله من عُتق هذا بعدُ مأخذها، فقال أبو بكر الصديق: أتقولون هذا لشيوخ قريش وسيدها؟!

فذهب أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بذلك، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله: يا أبا بكر لعلَّك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربَّك، قال: فرجع أبو بكر، فقال: يا إخوة، لعلَّكم غضبتهم. قالوا: يغفر الله لك يا أبا بكر^(٤)!

وقد كان بين بلال وعمر اختلاف في وقت الأذان، أدَّى بهم من بعد أن يختلفوا صحة أذان ابن أم مكتوم الأعمى في الفجر، مخطئين أذان بلال لعدم تشخيصه الفجر الصادق، لضعف في بصره!!^(٥)

سألت مالك بن أنس...». وهذا الإسناد فيه أحمد بن عبد الرحمن القرشي الذي لم يسمع من الوليد بن مسلم قط، وكان شبه قاص، وقالوا عنه: لا تقبل شهادته على تمرتين. ناهيك عن الوليد بن مسلم الذي كان رقاعاً للحديث كثير الخطأ وروى عن مالك عشرة أحاديث ليس لها أصل، وكان رديء التذليل.

ثالثها: ما ذكره البخاري في التاريخ الصغير والذهبي في سيرة ١: ٣٥٧ والنص عن البخاري: «حدَّثنا يحيى بن بشر، حدَّثنا قراد، أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه». وهذا الإسناد فيه هشام بن سعد الذي ضعفه أحمد بن حنبل وابن سعد ويحيى بن معين والنسائي، وقال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به، وقال ابن حبان: كان ممن يقلب الأسانيد وهو لا يفهم، ويسند الموقوفات من حيث لا يعلم، وبطل الاحتجاج به.

رابعها: ما أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة عن أولاد سعد القرظ. وفي هذا الإسناد أولاد سعد القرظ المجهولون كما مرَّ عليك. ولا يفوتنك أنَّ أولاد سعد القرظ أرادوا التغطية على نزاع بلال مع الخلفاء الذي أدَّى إلى تركه الأذان، حتَّى جاءوا بسعد القرظ فجعلوه بديلاً عن بلال رحمه الله، واستمرَّ التأذين الرسمي في ذريته كما عرفت.

- ١ . السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٣١٨.
- ٢ . الروض الأنف ٦: ٥٨١، المبسوط للسرخسي ١٠: ١٦.
- ٣ . اسد الغابة ٢: ٧٩، تاريخ دمشق ١٦: ٢١، الإصابة ٤: ٧٢.
- ٤ . مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦١.
- ٥ . هذا ما تقف عليه في الباب الثاني من هذه الدراسة: «الصلاة خير من النوم» فراجع.

روى الأوزاعي أنّ بلالاً أتى عمر بن الخطاب فقال: الصلاة الصلاة، فردّها عليه، فقال له عمر: نحنُ أعلمُ بالوقت منك، فقال له بلال: لآءنا أعلم بالوقت منك، إذ أنت أضلّ من حمار أهلك^(١)!

وفي زحمة هذا التضادّ السياسي الفقهي بين بلال من جهة، وأبي بكر وعمر وأتباعهما من جهة، يبدو أنّهم طلبوا منه حذف «حيّ على خير العمل» وإبدالها بـ«الصلاة خير من النوم»، فرفض بلال ذلك، ولذلك رفضوا بلالاً ورفضهم، ونسبوا إلى بلال ضعف البصر واللثغة في اللسان وغيرها من الأمور الجارحة، وجاءوا بدله بسعد القرظ وأبي محذورة، ووضعوا أحاديث نسبوها إلى بلال، وكأنّه أدن بـ«الصلاة خير من النوم» في زمان النبيّ، مع أنّ الصحيح نسبته إلى بلال عكس ذلك، فإنّه أدن بـ«حيّ على خير العمل» لا الصلاة خير من النوم.

على أنّ بلالاً كان هو أقرب المشاهدين لما واجهوا به النبيّ قبيل وفاته، وكيف

تخلّفوا عن جيش أسامة، وقدموا أبا بكر للصلاة. كان بلال على علم بما يجري من حوله، ولذلك اعتزل القوم ونجا بدينه وأذانه الذي رواه لنا أهل البيت عن جبرئيل عن الباري والذي ليس فيه «الصلاة خير من النوم».

لكنّ عمر بن الخطاب لما استتب له الأمر، سعى لتطبيق ما يرجوه، فحذف الحيلة الثالثة وأبدلها بالصلاة خير من النوم، وهو الواقع الذي رواه الأعلام من المسلمين:

قال سعد التفتازاني في حاشيته على شرح العزدي، والقوشجي في شرح مبحث الإمامة وغيرهم: إنّ عمر بن الخطاب خطب الناس وقال: أيها الناس، ثلاث كُنَّ على عهد رسول الله أنا أنهى عنهنّ وأحرمهنّ وأعاقب عليهن، وهي: متعة النساء، ومتعة الحجّ، وحيّ على خير العمل^(٢).

وقال الحافظ العلوي: أخبرنا محمّد بن طلحة النعالي البغدادي، حدثنا محمّد بن عمر الجعابي الحافظ، حدّثنا إسحاق بن محمّد [بن مروان]،

١ . مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦٦ - ٢٦٧.

٢ . شرح التجريد: ٣٧٤، كنز العرفان ٢: ١٥٨، الغدير ٦: ٢١٣، والبياضي في الصراط المستقيم

٣: ٢٧٧ عن الطبري في المسترشد: ٥١٦.

حدّثنا أبي، حدّثنا المغيرة بن عبد الله، عن مقاتل بن سليمان، عن عطاء، حدّثنا أبي [السائب بن مالك] عن عمر أنّه كان يؤذن بحيّ علي خير العمل، ثمّ ترك ذلك وقال: أخاف أن يتكل الناس^(١).

وجاء في كتاب الاحكام - من كتب الزيدية -: قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: وقد صحّ لنا أنّ «حيّ علي خير العمل» كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يؤذن بها ولم تطرح إلا في زمن عمر بن الخطاب، فإنّه أمر بطرحها وقال: أخاف أن يتكل الناس عليها، وأمر بإثبات «الصلاة خير من النوم» مكانها.

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: والأذان فأصله أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّمه ليلة المسرى، أرسل الله إليه ملكا فعلمه إيّاه، فأما ما يقول به الجهال من أنّه رؤى يا...^(٢).

وعن نافع، عن ابن عمر: أنّه كان يؤذن فيقول: حيّ علي خير العمل، ويقول كانت في الأذان فخاف عمر أن ينكل الناس عن الجهاد.

وعن الباقر قال، كان أبي عليّ بن الحسين يقول إذا أدن: حيّ علي الفلاح، حيّ علي خير العمل. قال: وكانت في الأذان، وكان عمر لمّا خاف ان يتثبط الناس عن الجهاد ويتكلوا، أمرهم فكفوا عنها^(٣).

وعن الإمام زيد بن عليّ: أنّه قال: ممّا نقم المسلمون على عمر أنّه نحي من النداء في الأذان حيّ علي خير العمل، وقد بلغت العلماء أنّه كان يؤذن بها رسول الله حتّى قبضه الله عزّ وجلّ، وكان يؤذن بها لأبي بكر حتّى مات، وطرفا من ولاية عمر حتّى نهى عنها^(٤).

وعن جعفر بن محمّد قال: كان في الأذان حيّ علي خير العمل، فنقصها عمر^(٥).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: كان الأذان بحيّ علي خير العمل على عهد رسول الله، وبه أمروا أيام أبي بكر وصدرا من أيام عمر، ثمّ أمر عمر بقطعه وحذفه من الأذان والإقامة، فقبل له في ذلك

١ . الأذان بحيّ علي خير العمل للحافظ العلوي، بتحقيق عزّان: ٩٩، وانظر: صفحه ٦٣ منه.
٢ . الإحكام ١: ٨٤.
٣ . انظر: الأذان بحيّ علي خير العمل: ٧٩.
٤ . الأذان بحيّ علي خير العمل: ٢٩ - ٣٠ وهامش السنه للإمام زيد: ٨٣.
٥ . النصوص عن ابن عمر والباقر، وزيد، وجعفر بن محمد موجودة في الأذان بحيّ علي خير العمل، للحافظ العلوي بتحقيق عزّان: ٦٣.

فقال: إذا سمع الناس أنّ الصلاة خير العمل تهاونوا بالجهاد وتخلفوا عنه. وروينا مثل ذلك عن جعفر بن محمد، والعامّة تروي مثل هذا...^(١)

وروى القاضي زيد الكلاري في شرح التحرير، عن الإمام القاسم بن إبراهيم أنّه قال: فأما «حيّ على خير العمل» فكانت في الأذان، فسمعها عمر يوماً فأمر بالإمساك فيه عنها وقال: إذا سمعها الناس ضيّعوا الجهاد لموضعها وابتكروا عليها^(٢).

وقال في المنتخب: وأما «حيّ على خير العمل» فلم تزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى قبضه الله عزّ وجلّ، وفي عهد أبي بكر حتّى مات، وإنّما تركها عمر أمر بذلك، فقيل له: لم تركتها؟

فقال: لئلاّ يتكل الناس عليها و يتركوا الجهاد^(٣).

وعن الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ، قال: لم يزل النبيّ صلى الله عليه وآله يؤذن بحيّ على خير العمل حتّى قبضه الله، وكان يؤذن بها في زمن أبي بكر، فلمّا ولي عمر قال: دعوا «حيّ على خير العمل» لئلاّ يشتغل الناس عن الجهاد، فكان أوّل من تركها^(٤).

وقال الفضل بن شاذان (المتوفى ٢٦٠هـ) مخاطباً أهل السنّة... وروى يتم عن أبي يوسف القاضي - رواه محمد بن الحسن عن أصحابه - وعن أبي حنيفة، قالوا: كان الأذان على عهد رسول الله وعلى عهد أبي بكر وصدر من خلافة عمر يُنادى فيه «حيّ على خير العمل».

١ . دعائم الإسلام ١: ١٤٢، بحار الأنوار ٨١: ١٥٦. وجاء في كتاب الايضاح للقاضي نعمان المتوفى ٣٦٣ هـ والمطبوع في (ميراث حديث شيعه) ١٠: ١٠٨.. فقد ثبت انه اذن بها على عهد رسول الله حتى توفاه الله تعالى وان عمر اقطعه وقد يزيد الله في فرائض دينه بكتابه وعلى لسان نبيه ما شاء لا شريك له وانا ذاكر ما جاءت به الرواية من الأذان بحي على خير العمل - وبدأها بهذا الخبر -: في كتب ابن الحسين علي بن فرسند [ورسند] روايته عن احمد عن الحسين عن لولو عن بشر عن ابي جعفر محمد بن علي قال: اسقط عمر من الأذان حي على خير العمل فنهاه علي فلم ينته.

٢ . الأذان بحيّ على خير العمل بتحقيق عزّان: ١٥٣.

٣ . الأذان بحيّ على خير العمل بتحقيق عزّان: ١٥٣. وانظر الايضاح للقاضي نعمان: ١٠٨.

٤ . الأذان بحيّ خير العمل، للحافظ العلوي بتحقيق عزّان: ٦٣ - ٦٤.

فقال عمر بن الخطاب: إنّي أخاف أن يتكل الناس على الصلاة إذا قيل: «حيّ على خير العمل» و يدعوا الجهاد، فأمر أن يطرح من الأذان «حيّ على خير العمل»^(١).

إنّ كل هذه النصوص دالّة على أنّ إسقاط «حيّ على خير العمل» من الأذان

كان في عهد عمر بن الخطّاب، وأنّ الصحابة كانوا قد أدنوا بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى عهد أبي بكر، وصدرا من خلافة عمر، وأنّ عمر سمعها يوما فأمر بالإمساك فيه عنها وقال: إذا سمعها الناس ضيّعوا الجهاد.

إنّ عمر نفذ في أثناء تسلّمه أزمنة الأمور ما كان يطمح إليه من حذف «حيّ على خير العمل» التي كانت في أذان المسلمين، وقد سمعت أنّ مما نغمه المسلمون على عمير حذفه «حيّ على خير العمل».

و يبدو أنّه لم يتسنّ لعمر أن يحذفها بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله مباشرة و إن حاول ذلك، وكان الجهاد قائما على سوقه أيضا، لكنّه نجح في ذلك عند استلامه الخلافة مسكنا المعارضين بالقوة والشدة المعهودتين منه.

ومن هنا نعرف أنّ المقصود من كلمة بلال «لا أوذن لأحد بعد رسول الله» أنّها تعني: أنني لا أوذن لأحدٍ اغتصب الخلافة ظلما بعد رسول الله، ومن جدّ في حذف ما يدل على الإمامة والولاية و إسقاطها من الأذان^(٢). وبهذا فليس هناك تخالف بين ما رواه أبو بصير وما قالته الشيعة - بفرقها الثلاث - وذلك للدور الذي لعبه عمر بن الخطاب إبان عهد الخليفة الأوّل في رسم الخطوط العامة للحكم الذي يرتضيانه، إذ أقرّ تلك التطلعات بعد بسط نفوذه في خلافته، ممّا دعا بلالا إلى أن يترك الأذان ويقول: «لا أوذن لأحد بعد رسول الله».

١ . الإيضاح: ٢٠٦ وراجع كتاب العلوم ١: ٩٢ والاعتصام بحبل الله المتين ١: ٣٠٤، ٢٩٩، ٢٩٦.
٢ . هذا ما سنبحثه في الفصل القادم «حي على خير العمل دعوة إلى الولاية».

وخلاصة القول: أن الحيلة الثالثة «حي على خير العمل» كانت على زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، وزمن أبي بكر، وصدرا من خلافة عمر، ثم حذفها عمر في أيام حكمته، وأنه كان يقصد إلى ذلك منذ حروب الردة، ثم أراد تطبيقها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، لكنه اصطدام بمعارضة بلال مؤذن النبي صلى الله عليه وآله الذائع الصيت، الذي رفض أن يؤذن لرموز الخلافة المغتصبة، فأبعدوه وأبدلوه بسعد القرظ، فتسنى لهم ما أرادوا من بعد، فتمهدت لهم الأرضية لذلك بعد إقصاء بلال عن منصبه الذي وضعه فيه النبي صلى الله عليه وآله. وقد دلت كل النصوص والأحداث التاريخية على أن حذفها كان في حكومة عمر، ودلّ خبر أبي بصير عن أحد الصادقين - الذي صدرنا هذا الفصل به - على أن عمر كان قاصدا هذا القصد من قبل، ثم نفذ في أيام استخلافه.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى - كما ستعرف في الباب الثاني «الصلاة خير من النوم شرعة أم بدعة» - أن إضافة «الصلاة خير من النوم» أيضا كانت من مبتكرات عمر بن الخطاب، الذي رفع الحيلة الثالثة وجعل مكانها «الصلاة خير من النوم» فسار الأمويون والمجتهدون من بعده على مساره، وأحكموا ما ذهب إليه عمر، حتى صار في العصور اللاحقة تلازم بين إثبات الحيلة الثالثة ورفض التثويب عند نهج التعبد، وفي المقابل ثمة تلازم بين حذف الحيلة الثالثة وإثبات التثويب عند نهج الاجتهاد والحكومات. وقد تطور الأمر - كما سيأتيك - إلى أن صار ذلك شعارا سياسيا لكل من طرفي النزاع.

وفي هذا المقام نلاحظ ما رواه زيد النرسي - في أصله - عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام، حيث قال: «الصلاة خير من النوم» بدعة بني أمية، وليس ذلك من أصل الأذان»⁽¹⁾، فإن الإمام الكاظم كان ناظرا إلى استفحال هذا التثويب وشيوعه واتخاذه طابع العموم والانتشار في زمن بني أمية الذين ساروا في هذا المجال على خطى عمر بن الخطاب، وأيدوا نهج الاجتهاد والرأي في مقابل نهج التعبد المحض، وبذلك لا يكون ثمة تخالف بين القول بأنها بدعة وضعت في عهد عمر بن الخطاب

والقول بأنّها بدعة أموية؛ لأنّ الثانية حكّمت ما شرّع في عهد
الشيخين.

وبعد هذا نتساءل: هل تصحّ هذه العلّة «أي علّة الخوف من ترك
الناس للجهاد» لحذف هذا الفصل من فصول الأذان، أم هل أنّ هناك دافعا
آخر وراء هذا الأمر؟ هذا ما سنوضحه في الفصل اللاحق.

الفصل الثالث
حيّ على خير العمل
دعوة إلى الولاية، وبيان لأسباب
حذفها

ذكرت كتب الحديث والتاريخ أنّ ل «حيّ على خير العمل» معنيتين:
ظاهريّ وباطنيّ:

أمّا المعنى الظاهري لجملة «حيّ على خير العمل» فهو: أنّ خير الأعمال الصلاة والدعوة إلى إتقانها، وهذا هو الفهم الأوّلي المتبادر للذهن.

وتدلّ عليه رواية الصدوق في علل الشرائع وعيون أخبار الرضا فيما رواه من العلل عن الإمام الرضا عليه السلام... فقال: أخبرني عن الأذان، لم أمرأ به؟

قال: لعل كثيرة، منها: أن يكون تذكيرا للساهي، وتنبها للغافل، وتعريفا لمن جهل الوقت... إلى أن يقول: فجعل النداء إلى الصلاة في وسط الأذان، فقدّم قبلها أربعاً: التكبيرتين والشهادتين، وأخر بعدها أربعاً: يدعو إلى الفلاح حثاً على البر والصلاة، ثمّ دعا إلى خير العمل مرغّباً فيها وفي عملها وفي أدائها، ثمّ نادى بالتكبير والتهليل ليتمّ بعدها أربعاً...^(١)

أمّا المعنى الباطني المكنون - الذي يعرفه أهل البيت ومن نزل في بيوتهم الكتاب - فهو ما رواه الصدوق في معاني الأخبار وعلل الشرائع، بإسناده عن محمد بن مروان، عن الباقر عليه السلام، قال: أتدري ما تفسير «حيّ على خير العمل»؟

قال، قلت: لا.

قال: دعاك إلى البرّ، أتدري برّ من؟

قلت: لا.

قال: دعاك إلى برّ فاطمة وولدها^(٢).

وقال الحافظ العلوي: أخبرنا محمّد بن أحمد قراءة، أخبرنا محمّد بن أبي العباس الوراق في كتابه، أخبرنا محمّد بن القاسم، حدّثنا حسن بن عبدالواحد،

١ . علل الشرائع: ٢٥٩ الباب ١٨٢، عيون أخبار الرضا ٢: ١٠٣.

٢ . معاني الاخبار: ٤٢، علل الشرائع: ٣٦٨ الباب ٨٩، وعنهما في بحار الأنوار ٨١: ١٤١.

ح
حرب بن حسن، حدّثنا الحارث بن زياد - يعني الطحان - حدّثنا محمّد بن
م
قال: سمعت أبا جعفر وسأله رجل عن تفسير الأذان قال، فقال له: الله
أكبر، ر، ق
فهو كما قال الله أكبر من كلّ شيء... حتّى بلغ: حيّ على خير العمل، قال:
أمّا قوله: حيّ على خير العمل، قال: فأمرك بالبر، تدري برّ من؟
قال الرجل: لا.
قال: بر فاطمة وولدها^(١).

وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام: سئل عن معنى «حيّ على
خير العمل». فقال: خير العمل الولاية^(٢).
هذا وقد علّل الإمام الكاظم سبب حذف عمر بن الخطاب لهذه العبارة
م
الأذان بسببين: ظاهري وباطني.

إذ روى الصدوق في كتاب علل الشرائع بسنده الحسن بل الصحيح
ع
ن أبي
عمير أنّه سأل أبا الحسن (الكاظم) عن «حيّ على خير العمل» لم تركت
م
الأذان؟

قال: تر يد العلة الظاهرة أو الباطنة؟
قلت: أريدهما جميعاً.
فقال: أمّا العلة الظاهرة فلنلأ يدع الناس الجهاد اتّكالاً على الصلاة،
وأما
الباطنة فإنّ «خير العمل» الولاية، فأراد من أمره بترك «حيّ على خير
العم

من الأذان أن لا يقع حتّى عليها ودعاء إليها^(٣).
فما وجه الترابط بين الصلاة والدعوة إلى برّ فاطمة وولدها؟
بل ما يُعنى بمجيء الولاية وبرّ فاطمة وولدها في الأذان للصلاة؟

١ . الأذان بحّي على خير العمل للحافظ العلوي بتحقيق عزّان: ١٣٥ الحديث ١٦٩.

٢ . التوحيد للصدوق: ٢٤١، وعنه في بحار الأنوار ٨١: ١٣٤.

٣ . علل الشرائع: ٣٦٨ العلة ٨٩. وعنه في بحار الأنوار ٨١: ١٤٠.

أحقاً أنّ جملة «خير العمل» هي الولاية أم أنّها: الصلاة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟.. وهل هناك تناف بين الرؤيتين.
وهل يصح مضمون الرواية القائلة بأنّ عمر أراد من أمره بتركها أن لا يقم على الولاية ودعاءً إليها؟ أم هل هناك شيء آخر؟
وما المقدمات التي تساعدنا على تفهّم مقصود الإمام أبي الحسن الكاظم في علّة حذف عمر بن الخطاب لعبارة «حيّ على خير العمل».
بل بماذا تفسّر الشيعة هذه المقولة وما جاء عن أبي جعفر الباقر بأنّ الإسلام بُني على خمس: الصلاة والصوم والزكاة والحجّ والولاية، ولم يُنادَ بشيء كما نُودي بالولاية^(١).

بل كيف تكون الولاية أهمّ من كلّ شيء؟ وهل هي أهمّ من الشهادتين كذلك؟

ولماذا تُرجع الشيعة كلّ شيء إلى الولاية؟
إنّ أنمة أهل البيت قد أجابوا عن هذه التساؤلات، وأنّ المعنيّ عندهم بـ«ما نُودي بشيء كالولاية» وأمثالها لا يعني أنّها أهمّ من الشهادتين، بل إنّ أمر الشهادتين مفروغ منه؛ لأنّ الإمام قال: (بني الإسلام على خمس) ومعناه: أنّ الإسلام المؤلّف من الشهادتين قد بني على خمس: الصلاة، الصوم، الزكاة، الحجّ، الولاية، وأنّ الولاية أفضلها، وما نُودي بشيء كالولاية، لكون الإمامة امتداداً للنبوّة، لا أنّها قبل النبوّة والتوحيد - كما يصوّره البعض - فلا يمكن معرفة الله إلّا بالنبي، ولا يمكن معرفة النبيّ صلى الله عليه وآله والله جلّ جلاله معرفةً مقبولةً صالحةً إلّا بالإمام المفترض طاعته، وهذا ما وضّحته كتب الإمامية، وأشار إليه العلماء في كتبهم الكلامية.

إذ الاعتقاد بالإمامة لا يُترك بحال، فهي ليست كالصلاة والصوم والزكاة والحجّ التي قد يرخّص في تركها في ظروف خاصة؛ فالحائض مثلاً تترك الصلاة،

١ . المحاسن ١: ٤٤٥ - ٤٤٦ باب الشرايع، والكافي ٢: ١٨ باب دعائم الإسلام ح ١ و ٣ و ٨.

والمريض معفو عن الصوم، والزكاة والحج ساقطان عن الفقير، أما الولاية فهي واجبة على المكلف سواء كان صاحباً أم مريضاً، وذملاً أو معسراً^(١) و... لأنها من الأصول التي يبتني عليها قوام الشريعة، وبها تقام الأحكام، وقد مرّ عليك كلام الإمام الزيدي يحيى بن الحسين - في كتابه الأحكام - عن الأذان، وأنه من أصول الدين، إشعاراً منه بمكانة هذه الشعيرة وما تحمله من مفاهيم وأفكار.

فالأذان وإن كان من شعائر الدين، لكن فصوله تنطوي على أهم أصول الدين، والاعتقاد بالإمامة عندنا من أصول المذهب، وقد وضّح الإمام الباقر عليه السلام مكانة الإمامة بين العبادات الخمس، وقد سأله عنها زرارة بقوله: وأي شيء من ذلك أفضل؟

قال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ - إلى أن قال - إنّ أفضل الأشياء ما أنت عليه إذا فاتك لم يكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤدّيه...

وعليه فمبحث الإمامة والولاية من المسائل المهمة والمختلف فيها بين المسلمين، بل من المسائل المتجذرة في تاريخ الإسلام، وقد كتب فيها الأعلام مصنفات كثيرة ولا يسع هذه الدراسة الإحاطة بجوانبها، لكننا نكتفي بالإشارة إلى قليل من مجموع مئات الأدلة المستدل بها على الإمامة، نأتي بها كي نوضّح معنى ومقصود الإمام الكاظم، وكيف: أنّ الولاية خير من الجهاد والصلاة وسواهما.

١ . جاء في الخصال: ٢٧٨ ح ٢١ باب الخمسة بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: بني الإسلام على خمس: أقام الصلاة، وابتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم شهر رمضان، والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربع منها رخصة، ولم يجعل في الولاية رخصة. من لم يكن له مال لم تكن عليه الزكاة، ومن لم يكن له مال فليس عليه حج، ومن كان مريضاً صلى قاعداً وافرط شهر رمضان، والولاية صحيحاً كان أو مريضاً أو ذا مال أو لا مال له فهي لازمه».

بعض أدلة الولاية:

وليكن الكلام أولاً عن آية المودة؛ مفهومها ومعطياتها، وهل تعني المحبة كما يقولون أم تعني شيئاً أكثر من مجرد المحبة؟
بل هل هناك اختلاف بين قوله «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ» وقوله «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»؟
وعلى أي شيء تدل هذه الآية الأخيرة بالتحديد؟
وهل يعقل أن يحصر شخص رسالي عظيم كرسول الله صلى الله عليه وآله أجر رسالته - التي ما أؤدي نبي مثل ما أؤدي صلى الله عليه وآله هو عليها - بحب أقربائه وعشيرته؟
وهل إن قرار الرسول هذا جاء لتحكيم أسرته وعشيرته وتقوية الروح القبلية والنزعة العشائرية التي كانت سائدة عند العرب في الجاهلية - والعياذ بالله؟
أم هل أنه صلى الله عليه وآله أراد بذلك أموراً أخرى تعبر عن إرادة السماء؟

ثم من هم أقرباؤه المعنيون في هذه الآية؟

المعلوم أنّ النبي صلى الله عليه وآله أوجب مودة قريبه لا لتعظيم الجانب القبلي والعشائري، إذ الثابت عن رسالة السماء أنّها تخالف هذه النزعة الجاهلية الضيقة؛ حيث ذمّ الباري عمّ النبي وزوجة عمّه في سورة نزلت في عمّ رسول الله، أبي لهب، دون اعتبار لنسبه منه صلى الله عليه وآله: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) (المسد/١-٥).

إذا لا يكون المعنى بالقربى عشيرته وأقربائه بما هم أقرباؤه وعشيرته، بل المعنى بذلك فئة خاصة منهم، لهم سمات وخصائص تجعلهم أمناء على دين الله وواسطة للفيض الإلهي، وهؤلاء هم الصادقون والمطهرون الذين أذهب الله عنهم الرجس، وقد نوهنا بطرف من منزلتهم فيما مضى.

إذ لا يعقل أن يأمر الله ورسوله المؤمنين بالتودد إلى من ليس بأهل للمودة،
وإلى من هو منحرف عن الجادة - والعياذ بالله - بل إن أمره بالتودد إليهم يشير إلى

أَنَّ لهؤلاء القربى خصائص يتميِّزون بها ليست للأخرين، كالعلم
والفضـل والتقى
والصبر و... وهذه المقومات هي التي جعلت من هؤلاء قدوة، وقد عرفهم
بحانه

في آية التطهير وحصرهم بمن تحت الكساء وهم بعد النبيِّ محمدٍ
صلى الله عليه وآله: عليّ وفاطمة والحسن والحسين.

من يعرف الدين الإسلامي يعلم بأن الإسلام يهتم بالقيم والمثل لا
العلائق والاتجاهات القبلية والعشائرية، فقد جعل رسول الله سلمانَ
الفارسي من أهل بيته لما امتلكه من مؤهلات وخصائص ذاتية ومعنوية
مع عدم امتلاكه أي علائق مع النبيِّ صلى الله عليه وآله من الوجهة القبلية
والإقليمية.

قال أبو فراس في هذا المعنى من النسب الإيماني:

كانت مودّة سلمانٍ له رحماً ولم يكن بينَ نوحٍ وابنه
رحمٌ

المسألة إذا أعظم مما تصوّره مدرسة الخلفاء ونهج الاجتهاد والرأي

من أن

الآية تعني المحبة بما هي محبة مجردة، وأن رسول الله أراد الاهتمام

بعشـيرته وأقربائه

وذويه، بل إن آية المودّة تشير إلى مبدأ آخر واضح للمفكر اللبيب، لأنّ

الشـارع

لا يأمر بمحبة من هو ليس بأهل أو بمحبة الفاسق والفاجر - والعياذ بالله -

بل سـبحانه

يأمر بمودّة من له خصوصية أن يكون واسطة للفيض الإلهي وصيانة

الأحـكام،

و إجراء الحدود على وجهاتها الصحيحة، وحفظ الثغور، وتقسيم الفيء،

وردّ

الشبهات، وغيرها من مستلزمات صيانة الدين الحنيف وحفظه، وهو دليل

على

سلامة القربى المعنيين في الآية من العيب والنقص، إذ جعلهم عدلاً
لأنّ الـذي

لا يأتيه ريب، وعلق أجر رسالته - التي لاقى الصعاب من أجلها - على مودتهم.

قال الزمخشري في الكشف بعد طرحه سؤالاً وجوابه: وروي أنها لما نزلت،

[قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى] قيل: يا رسول الله، من قرابتك

هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما. ويدل عليه

روي عن علي رضي الله عنه: شكوت إلى رسول الله حسد الناس لي، فقَالَ: أم

ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة، أنا وأنت والحسن والحسين،

وأزواجنا عن أيمننا وشمائلنا، وذريتنا خلف أزواجنا^(١)..

وعن النبي صلى الله عليه وآله: حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في عترتي. ومن اصطنع صنيعه إلى أحد من ولد عبد المطلب،

ولم يجازِه عليها، فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيامة^(٢)..

وروي أن الأنصار قالوا: فَعَلْنَا وَفَعَلْنَا؛ كَأَهِمْ افْتَخَرُوا. فقال عباس - أو ابن

عباس رضي الله عنهما -: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله فاتاهم في

مجالسهم، فقال: يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أدلة فأعزكم الله بي؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: أفلا تجيبوني؟

قالوا: ما نقول يا رسول الله؟

١ . انظر: فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل ٢: ٦٢٤ ح ١٠٦٨ وفيه زيادة: وشيعتنا من وراننا.
٢ . انظر: مسند زيد بن علي: ٤٦٣ و ٤٦٦ الباب ٤ في فضل الحسنين (نشر دار الحياة) وهذا المطلب غير موجود في ما اعتمدهنا في تخريج الروايات عن مسند زيد، فانه ينتهي إلى آخر كتاب الفرائض، وهو من منشورات دار الكتب العلمية.

قال: ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فأويناك؟ أو لم يكذبوك فصدّقناك؟
أو لم يخذلوك فنصرناك؟

قال: فما زال يقول حتّى جئتوا على الرُّكْب، وقالوا: أموالنا وما في
أيدينا لله ولرسوله، فنزلت الآية وقال رسول الله:

من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل
محمّد

مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن
مات على

حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل
محمّد

ملك الموت بالجنّة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يُزفّ
إلى الجنّة

كما تُزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فُتِحَ
لَهُ

باباً إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار
لملائكة الرحمة،

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنة والجماعة، ألا ومن
مات على

بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه «أيس من رحمة الله»،
ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض

آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة»^(١)....

وقد نقل الرازي كلام الزمخشري في تفسيره معلقاً عليه بقوله:
وروى صاحب الكشّاف أنّه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، من

قربنك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟
فقال: علي وفاطمة وابناهما.

١ . تفسير الكشاف ٣: ٤٠٣، وفي تفسير القرطبي ١٦: ٢١ - ٢٣ في ذيل الآية حكى عن الثعلبي
هذه الرواية فذّله بـ (ومن مات على بغض آل بيتي فلا نصيب له من شفاعتي).

فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبي، و إذا ثبّت هذا وجب أن يكونوا
مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدل عليه وجوه:
الأول: قوله تعالى: (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ووجه الاستدلال به ما
سبق.

الثاني: لا شك أنّ النبي كان يحبّ فاطمة، قال صلى الله عليه وآله:
فاطمة بضعة منّي يؤذيها ما يؤذيها، وثبّت بالنقل المتواتر أنّه كان يحبّ
عليًا والحسن والحسين.

و إذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله؛ لقوله (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ) ولقوله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) ولقوله (قُلْ إِنْ
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) ولقوله سبحانه (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي
رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).

الثالث: إن الدعاء لآل من نصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة
التشهد في الصلاة، وهو قوله: (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد
وارحمهم محمدًا وآل محمد).

وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير آل، فكلّ ذلك يدلّ على أن حبّ
آل محمد واجب، وقال الشافعي رضي الله عنه:

يا راکبا قف بالمحصّب من واهتفّ بساکن خيفها
منى والنهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى فیضا کملّطم الفرات
منى الفاض
إن کان رفاضا حبّ آل محمد فلیشهد الثقلان أنّی رافضي^(١)
رافضي^(١)

ولو تدبرت في خبر أبي عبيدة عن الإمام الصادق - والمروي في
تفسير علي بن إبراهيم القمي - لعرفت مزية فاطمة الزهراء على عائشة
وعلى غيرها من نساء النبي، قال الصادق عليه السلام: كان رسول الله
يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام، فغضبت من ذلك عائشة، وقالت يا رسول
الله: إنك تكثر تقبيل فاطمة! فقال رسول الله:

يا عائشة، إنه لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فأدناني جبرئيل
من شجرة

١ . التفسير الكبير للرازي ٢٧: ١٦٦، وديوان الشافعي: ٨٤.

طوبى وناولني من ثمارها فأكلته، فلما هبطت إلى الأرض، حوّل الله ذلك
مساءً في
ظهري، فلما هبطت إلى الأرض فواقعتُ بخديجة فحملت بفاطمة، فما
قبّلتها قاطبا
وجدت رائحة شجرة طوبى منها^(١).

وحسب هذا دليلاً لمعرفة صحة ما نقول من أنّ مودّتها ميزان
للإسلام والإيمان.

وعليه، فالأجر على الرسالة لا بدّ أن يرتبط بأصل الرسالة، ولا معنى
لما يقال من إرادة التودّد العاطفي البحت لذوي القربى، بل المعنى به هو
أنّ هذه النخبة الصالحة هي التجسيد الواقعي للدين وصمّام الأمان
للرسالة، وأنّ التودّد إليهم سيعود بالنفع على الناس قبل النفع على القربى،
لأنّها لا تزيد القربى مقاما ومنزلة إذ منزلتهم محفوظة من عند الله، فهم
مستودع العلم وظرف الرسالة، وهذا ما صرّح به الذكر الحكيم بقوله «إلا
المودّة في القربى» لا (المودة للقربى)، وفي هذا إيماء لطيف إلى أنّهم
غير محتاجين إلى مودة الناس، بل إنّ مودّتهم تؤدّي بالناس إلى الخير
والصلاح، لأنّ التودّد الذي تكون القربى ظرفا له سيربطهم بالرسالة
وصاحبها ارتباطا وثيقا ترجع خيراته إلى الناس، وهو لطف من الله
للإنس، إذ جعل مودّة أهل بيت رسوله سببا لنجاتهم من الهلكة، وهي من
قبيل جعل حب الإمام عليّ وبغضه مقياسا لمعرفة المؤمن من المنافق،
وقد كان المنافقون من الصحابة يُعرفون ببغضهم لعليّ بن أبي طالب، فقد
ثبت عن أبي سعيد الخدري قوله:

«إنّا كنّا نعرف المنافقين - نحن معاشر الأنصار - ببغضهم عليّ بن
أبي طالب»^(٢).

وورد عن عبادة بن الصامت قوله: كنا نبور أولادنا بحبّ عليّ بن أبي
طالب،

فإذا رأينا أحدا لا يحبه علمنا أنّه ليس منّا وأنّه لغير رشدة^(١).

١ . تفسير عليّ بن إبراهيم كما في نور الثقلين ٣: ١٣١، مجمع الزوائد ٩: ٢٠٢، وانظر: الدر
المنثور ٤: ١٥٣ والمستدرک للحاکم ٣: ١٥٦، والمنقب لابن المغازلي: ٣٥٧، وتاريخ الخميس ١:
٢٧٧.
٢ . أسد الغابة ٤: ٣٠.

وجاء عن ابن مسعود قوله: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ببغضهم عليّ بن أبي طالب^(٢).
إذا كان عليّ بن أبي طالب محكّمًا للأَنْصار ولغيرهم^(٣)، وهذا بخلاف قوله صلى الله عليه وآله في الأَنْصار (لا يحبّهم إلاّ مؤمن ولا يبغضهم إلاّ منافق)^(٤).

ففي النصّ الأوّل كان شخص عليّ بن أبي طالب هو المعيار لمعرفة المؤمن _____ من _____ المنافق، بخلاف الأَنْصار الذين يرجع حبّهم إلى ما فعلوه من نصرتهم لنش _____ ر الدي _____ ن

الإسلامي والسعي في إيواء المسلمين وقيامهم في مهمات الدين.
قال النووي في شرح مسلم (إنّ من عرف مرتبة الأَنْصار.... وعرف من عليّ ابن أبي طالب قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وحبّ النبيّ له، وما كان منه في نصرّة الإسلام وسوابقه ثمّ أحبّ الأَنْصار وعلّيًا لهذا، كان ذلك من دلائل صحّة إيمانه وصدقه في إسلامه، لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله...)^(٥).

وكلام النووي كما تراه فيه غفلة عن الفرق الشاسع بين الأمر بحبّ عليّ عليه السلام والأمر بحبّ الأَنْصار، لأنّ حبّ عليّ عليه السلام مطلوب بذاته، بخلاف حبّ الأَنْصار فإنّه مطلوب لسوابقهم، ويؤكد ذلك أنّ في الأَنْصار منافقين ومنحرفين وأصحاب ارتباطات باليهود - وإن كانت غالبيتهم من أنصار الإمام عليّ عليه السلام ومخالفين لقريش - فلا يعقل أن يكون حبّهم جميعًا لذواتهم، وإنّما كان الحب لهم كمجموعة لها مواقف محمودة.

١ . الغريبيين للهروي ١: ٢٢٢ مادة «بور»، ذكر اول الحديث، تاج العروس ٣: ٦١ مادة (بور)، وغيرهما.

٢ . الدر المنثور ٦: ٦٦.

٣ . ومن هنا أنشأت عائشة تقول في حق علي عليه السلام:

إذا ما التّبر حُكّ على محكّ تبيّن غشّه من غير شكّ
وفينا التبر والذهب المصقّى عليّ بيننا شبه المحكّ

الكنز المدفون للسيوطي: ٦٨.

٤ . صحيح مسلم ١: ٨٥ ح ١٢٩ كتاب الايمان.

٥ . شرح مسلم ١ - ٢: ٤٢٣ - ٤٢٤، كتاب الايمان / باب ٣٣.

ومثل الإمام عليّ كانت الصديقة فاطمة الزهراء، إذ علّق الباري عزّ وجلّ رضاه و غضبه على رضاها و غضبها؛ لقوله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله يغضب لغضبك و يرضى لرضاك»^(١)، فصار رضى فاطمة معياراً لرضى الله، وهو دليل على نزاهتها المطلقة و عصمتها و طهارتها التامة من كلّ ما يشين، إذ لا يعقل تعلق رضى الله برضى إنسان غير معصوم.

ولا يفوتك ما أخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي ذر الغفاري، قال: قال رسول الله: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني». وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٢).

وفي هذا الحديث دلالة على كمال الإمام عليّ و عصمته، لأننا نعلم أن رسول الله لا يدهن ولا يجامل ولا يبالي، وبذلك يكون معنى الحديث أن إرادة الإمام عليّ منبعتة من إرادة الله ولا يمكن أن تتخلف عن إرادته جل و علا، و كراهته منبعتة عن كراهة الله، ولا يمكن أن تتخلف إحداهما عن الأخرى، إذ لو أمكن التخلف لكان قوله «من أطاعه فقد أطاع الله» غلطاً، ولكن قوله: «من عصاه فقد عصى الله» باطلاً، معاذ الله^(٣)، حيث إن طاعة الرسول هي طاعة الله، و عصيانه هو عصيان الله، فيكون من أطاع علياً فقد أطاع الله و رسوله، و من عصاه فقد عصى الله و رسوله..

وهكذا الحال بالنسبة إلى الإمامين الحسن والحسين، فهما إمامان قاما أو قعدا

وسيدا شباب أهل الجنة، فهؤلاء هم القربى المعنيون في آية المودة.

وعلى هذا فالدعوة إلى المودة في القربى ونقل فضائلهم هي مقدّمة إلى الأخذ بنهجهم والاهتداء بهداهم؛ لتعلّق أجر الرسالة بها، بل هو تعبير آخر عمّا

جاء في حديث الثقلين «ما إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» لأنّ مفهوم السنة

١ . المعجم الكبير ١: ١٠٨ و ٢٢: ٤٠١، مجمع الزوائد ٩: ٢٠٣، مستدرک الحاكم ٣: ١٥٤، الإصابة ٨: ٢٦٦.

٢ . المستدرک على الصحيحين ٣: ١٢١.

٣ . الحق المبين: ٧٩ للمرجع الديني الشيخ الوحيد الخراساني.

لغة: هو الطريق، والصراط، والجادة، واصطلاحاً: هو اتباع الرسول
ق_____ولاً وفع_____لاً
وتقريراً.

وقد أرشدنا الرسول صلى الله عليه وآله إلى لزوم اتباع العترة، فيكون
الابتعاد عن هؤلاء ابتعاداً عن النبي صلى الله عليه وآله والإسلام، وهو عين
الضلالة والهلكة، لأنه لا هدى إلا بالقرآن والنبي والعترة، فعلي مع
القرآن، والقرآن مع عليّ «لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»^(١).
ولو تأملت في هذه العبارة لعرفت مكانة الإمام عليّ ولرأيت في رتبة
المعيّة _____
القرآن، وهي نسبة تقوم بطرفين، ويستحيل أن تقوم بطرف واحد، وعندما
ق_____ال
النبيّ: «عليّ مع القرآن»، فقد أثبتتها، فلماذا أعاد إثباتها بصيغة أخرى،
فقال: «والقرآن مع عليّ»؟

حاشا أفصح من نطق بالضاد من اللغو في كلامه، وحاشا أفصح من
نطق بالضاد من التكرار في كلامه، [دون معنى متوحّي، فإنّه
صلى الله عليه وآله] أراد أن يفهمنا أن مسألة معيّتهما [هي] معيّة من نوع
خاص، ويشير إلى أبعادها العميقة، ذلك أن المعيّة بين شيئين أو أكثر،
عندما تطلق، فيقال: زيد مع عمرو، فهي أعمّ من أن يكون هذا الطرف
في الإضافة متقدّماً رتبة على ذلك أو متأخراً عنه، بل تدلّ على أنهما معا
يقطع النظر عن رتبة كلّ منهما.
وربّما كان فيها إشارة إلى أنّ المقرّون أقلّ رتبة من المقرّون به، لهذا
أع_____اد

النبيّ صلى الله عليه وآله صياغة هذه المعية، ليقول للمفكرين: لا ينبغي أن
تفهموا من قولي: «عليّ مع القرآن» أن عليّاً أقلّ رتبة من القرآن، بل
القرآن مع عليّ أيضاً، فهما وجودان متعادلان»^(٢).

١ . المستدرک ٣: ١٢٤ قال صحيح ولم يخرجاه، الجامع الصغير ٢: ١٧٧، كنز العمال ١١:
٦٠٣.
٢ . الحقّ المبين: ١٠٥ للمرجع الديني الشيخ الوحيد الخراساني.

ويؤيد هذا الاستنتاج ما جاء عن النبي: «عليّ مني وأنا من عليّ»^(١)،
وقوله صلى الله عليه وآله لعليّ: «أنت مني وأنا منك»^(٢).

ولو جمعنا آية المودة، مع آية التطهير، مع حديث الثقلين، وما جاء في
أهل الكساء، وقوله: لا يزال الدين عزيزاً حتى يكون منهم اثنا عشر
خليفة كلهم من قريش^(٣)، وقوله: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات
ميتة جاهلية^(٤)، وغيرها من الآيات والروايات، لعرفنا دلالة هذه
النصوص على الولاية التي هي بمعنى الإمامة، لا بمعنى صاحب
والمحبّ، وما شابه ذلك من المفاهيم التي تطرحها مدرسة الخلفاء ونهج
الاجتهاد والرأي.

عرفنا إذا أنّ الخطاب في آية المودة هو لعموم المسلمين الذين آمنوا
برسالة النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، لا لخصوص المشركين من قريش
حسبما قاله البعض؛ لكون الآية مدنية وإن كانت السورة مكية، فلا يُعقل
أن يخاطب الرسول أعداءه من المشركين ويطلب منهم أجراً على رسالته.
وكذا لا يصحّ ما قاله بعضهم: من أنّ الآية تشير إلى معنى توّد
المسلمين في التقرب إلى الله، ومعنى كلامهم هذا أنّ القربى استعملت
بمعنى مطلق التقرب، وهذا باطل لغوياً حيث لم يرد هذا المعنى في
المعاجم.

ويضاف إليه: كيف يمكن للرسول أن يوقف أجر رسالته على نفسها،
لأنّ المسلم وباتّباعه الرسالة يحصل له القرب إلى الله، فلا معنى للتوّد
والإلحاح في القرب إليه؛ لأنّه توقيف الشيء على نفسه، وإن كان كذلك
فلا يكون أجر الرسالة بل هو نتيجة الرسالة.

هذا، وإنك لو طالعت التاريخ الإسلامي لعرفت أنّ مفهوم القربى
كان في الصدر الأوّل يطلق على عليّ وفاطمة والحسين، ثمّ أطلقت على
أبنائهم المعصومين لاحقاً.

روى الحاكم النيسابوري في المستدرک عن الإمام الحسن قوله: وأنا
ممن أهل

١ . سنن الترمذي ٥: ٣٠٠ ح ٣٨٠٣، مصنف بن أبي شيبة ٧: ٥٠٤ ح ٥٨، سنن ابن ماجه ١:
٤٤ ح ١١٩.

٢ . صحيح البخاري ٣ - ٤: ٣٦٣ - ٣٦٤ كتاب الصلح / باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان...

٣ . صحيح مسلم ٦: ٤ كتاب الامارة، سنن بي داود ٤: ١٠٦ ح ٤٢٨٠.

٤ . وسائل الشيعة ١٦: ٢٤٦ كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

البيت الذين افترض الله مودتهم على كلّ مسلم فقال تبارك وتعالى (قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا
حُسْنًا) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت^(١).

وقال أبو إسحاق السبيعي: سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك
وتعالى «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» فقال: قربي
النبي، رواهما ابن جرير الطبري^(٢).
وعن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا

المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟
قال: فاطمة وولدها: ^(٣).

وثبت عن عليّ بن الحسين أنه قال للشامي ردا على تنكيل الشامي به:
أما

قرأت كتاب الله عزّ وجلّ؟

قال الشامي: نعم.

فقال عليّ بن الحسين: أما قرأت هذه الآية (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ)

قال: بلى.

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: فنحن أولئك، فهل تجد لنا في
سورة بني إسرائيل حقا خاصّة دون المسلمين؟
فقال: لا.

فقال عليّ بن الحسين: أما قرأت هذه الآية «وَأَتَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ»؟

قال: نعم.

قال عليّ بن الحسين: فنحن أولئك الذين أمر الله عزّ وجلّ نبيه أن
يؤتيهم

حقهم.

فقال الشامي: إنكم لآءنتم هم؟

١ . المستدرك على الصحيحين ٣: ١٧٣ .
٢ . تفسير ابن كثير ٤: ١١٣ سورة الشورى .
٣ . تفسير ابن أبي حاكم ١٠ ص ٣٢٧٧ .

فقال عليّ بن الحسين: نعم، فهل قرأت هذه الآية «واعلموا أنّما عنتم
فإنّ لله خمسة وللرسول ولذي القربى».

فقال الشامي: بلى.

فقال عليّ بن الحسين: فنحن ذوو القربى، فهل تجد لنا في سورة
الأحزاب حقا خاصة دون المسلمين؟

فقال: لا.

قال عليّ بن الحسين: أما قرأت هذه الآية (إنّما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

قال: فرفع الشامي يده إلى السماء ثم قال: اللهم إني أتوب إليك - ثلاث
مرات

اللهم إني أتوب إليك من عداوة آل محمد، وأبرأ إليك ممن قتل أهل بيت
محمد، ولقد

قرأت القرآن منذ دهر فما شعرت بها قبل اليوم^(١).

وهذا النص يؤكد لنا وضوح دلالة هذه الآيات المباركة، حيث إن
الشيخ

الشامي فهم معانيها بأدنى تأمل، وبمجرد إيضاح الإمام السجاد عليه
السلام له المراد من هذه الآيات. هذا من جهة، ومن جهة ثانية يبين هذا

النص مدى التعتيم الإعلامي
الأموي على أهل البيت، وتحريفات السلطة لمعاني هذه الآيات المباركة،

ولذلك
كانّ الشيخ الشامي من قبل لم يشعر بها وبمعانيها. ولم يعرف المصداق

الأكمل لها في
زمانه.

ومثله روى حكيم بن جبير، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: كنت أجالس
أشياخا لنا إذ مر علينا عليّ بن الحسين وقد كان بينه وبين أناس من قريش
منازعة في امرأة تزوّجها منهم لم يرض منكحها، فقال أشياخ الأنصار:
ألا دعوتنا أمس لما كان بينك وبين بني فلان، إنّ أشياخنا حدّثونا أنّهم أتوا

١ . الاحتجاج: ٣٠٧، وتفسير ابن كثير ٤: ١٢٢ سورة الشورى.

رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمد، ألا نخرج إليك من ديارنا ومن أموالنا لِمَا أعطانا الله بك وفضلنا بك وأكرمنا بك؟ فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» ونحن ندلكم على الناس، أخرج ابن منده^(١).

وجاء في الكافي في حديث طويل عن الباقر عليه السلام فيه قوله: «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ» يقول: أجر المودة الذي لم أسألكم غيره فهو لكم تهتم دون به وتتجون به من عذاب يوم القيامة، وقال لاعداء الله، اولياء الشيطان أهل التذبذب

والانكار: «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ»^(٢). وبعد هذا قلنا أن نحتمل أن الله تعالى قد ألمح في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى الآية/٢٣)، إلى ما تلاقىه هذه المجموعة الصالحة من قربي الرسول من أمته بعده.

فعن خالد بن عرفطة، قال: قال رسول الله: إنكم سئبتلون في أهل بيتي من بعدي^(٣).

وقال الإمام الباقر: بليئة الناس علينا عظيمة؛ إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا^(٤).

وجاء عن إبراهيم النضام قوله: علي بن أبي طالب محنة على المتكلم؛ إن وف حقه غلا، وإن بخسه حقه أساء، والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن حادة الشبه أن ص الترقى إلا على الحاذق الدين^(٥).

١ . أسد الغابة ٥ : ٣٦٧ .

٢ . الكافي ٨ : ٣٧٩ / ح ٥٧٤ ، البرهان ٧ : ٧٩ .

٣ . كنز العمال ١١ : ١٢٤ / ٣٠٨٧٧ .

٤ . الارشاد ٢ : ١٦٧ ، مناقب آل أبي طالب ٤ : ٢٠٦ ، بحار الأنوار ٤٦ : ٢٨٨ ح ١١ عن الارشاد .

٥ . مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢١٥ باب في حساده .

وقال الشعبي: ما ندري ما ن صنع بعليّ؛ إن أحببناه افتقرنا، و إن أبغضناه كفرنا^(١).

واشتهر عن محمد بن إدريس الشافعي قوله: ماذا أقول في رجل أخفت أصدقاؤه فضائله خوفاً، وأخفت أعداؤه فضائله حسداً، وشاع له من بين ذين ما ملأ الخافقين^(٢).

من هذا يتبين لنا أنّ آية المودة هي معنى آخر لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (المائدة: ٦٧)

والأخيرة صريحة في نزولها في حجة الوداع و يوم غدير خمّ. ولا يصحّ ما قالوه من أنّها نزلت في أوّل البعثة لما خاف رسول الله صلى الله عليه وآله من التبليغ، فهده الله وطمأنه.

أو ما قالوه من أنّها نزلت في مكّة قبل الهجرة فاستغنى بها النبي عن حراسة عمّه أبي طالب.

أو ما قالوه من نزولها في المدينة في السنة الثانية للهجرة بعد غزوة أحد.

لأنّ القول الأوّل يكذّبه كون السورة مدنية؛ فلا يعقل أن يأتي خبرٌ كان في أوّل

البعثة في آخر سورة من القرآن، ولو صحّ ذلك القول وما يليه وأنّ الله كان قصداً

رسول الله صلى الله عليه وآله، فما معنى صلاة الخوف وما فعله صلى الله عليه وآله مع الأعداء في السنوات الأخيرة من حياته الشريفة؟

وأكثر من ذلك، هو أنّ الرسول لو كان قد حُمي هذه الحماية في بدء الدعوة واستغنى عن حماية أبي طالب، فما معنى تلك النصوص

الصادرة عنه صلى الله عليه وآله إلى القبائل والتي يطلب منهم أن يحموه؟ بل ما معنى هجرته من مكّة إلى المدينة المنورة؟

فالآية صريحة في نزولها في آخر حياته الشريفة، وبعد حجة الوداع، إذ

و

١ . المناقب للخوارزمي: ٣٥٠ الفصل ١٩ وعنه في بحار الأنوار ٢٩: ٤٨١.
٢ . حلية الأبرار ٢: ١٣٦ (للبحراني)، مشارق أنوار اليقين للبرسي: ١٧١، وقيل هي للخليل بن أحمد اللغوي الشهير كما جاء في ملحقات السيّد المرعشي على إحقاق الحق ٣: ٤٠٦، ٤: ٢. وقد نسب العلامة الحلّي هذه المقولة لأحد الفضلاء دون ذكر اسمه انظر: كشف اليقين: ٤.

كانت في بدء الدعوة فلا معنى لعبارة (بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) إذ لم ينزل إليه إلا الشريعة
اليسير، وهذه الجملة تدلّ على الماضي الحقيقي وهو يتطابق مع نزولها
في حياته صلى الله عليه وآله، وخصوصاً حينما نرى توقّف أمر الرسالة عليه
(بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)!

وعليه فالآيتان - آية التبليغ وآية المودة - دالتان على شيء واحد مرتبط
بأجر الرسالة وتبليغها، وهما أمران مَوْلَوِيَّانِ من الباري جل شأنه (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)،
وكلاهما يرتبط بأمر الولاية والخلافة الإلهية، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخاف من
رجوع أمته القهقري - وهي كائنة لا محالة - وذلك لاجتماع قريش على
العصبية والقبلية وسعيهم لإبعاد الإمام عليّ عن الخلافة وإمرة
المؤمنين؛ لأنّه وثر قريشاً وكسّر شوكتها وعظمتها.

على أنّك لو تأملت كلمات الأنبياء: قبل النبيّ محمّد المصطفى
صلى الله عليه وآله لرأيتهم يوقفون أجرهم على الله، ففي سورة الشعراء
حكاية عن قول نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قولهم (إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ نُوحُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا *
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء/ ١٠٦-١٠٩)

وقوله (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
الْعَالَمِينَ) (الشعراء/ ١٢٤-١٢٧)

وقوله (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
الْعَالَمِينَ) (الشعراء/ ١٤٢-١٤٥)

وقوله (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
الْعَالَمِينَ) (الشعراء/ ١٦١-١٦٤)

وقوله (إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء/ ١٧٧- ١٨٠)

وهكذا نجد أنّ كلمات هؤلاء الأنبياء الكرام: كانت واحدة متطابقة تعبر عن معنى واحد محدّد معلوم، هو أنّهم لم يطلبوا من الناس أجرا على الرسالة، و إنّما أجرهم «على ربّ العالمين».

أما الرسول المصطفى فيقول (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ) (الأنعام/ ٩٠) وقال تعالى (وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (يوسف/ ١٠٤٧).

وقال علي لسان نبيّه صلى الله عليه وآله: « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ شَاءِ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رَبِّهِ سَبِيلًا) (الفرقان/ ٥٧) فما يعني ذلك، وعلى أيّ شيء يدل؟

إنّ المقدمة السابقة قد تكون وضحت جواب هذا الأمر، خصوصا بعدما عرفت أنّ رسالة المصطفى هي الرسالة الخاتمة، فلا يمكن إبقاء هذه الرسالة إلا بـ «ذكر للعالمين» و «من شاء أن يتّخذ إلى ربه سبيلا» وهما القرآن والعترة، وذلك لوجود نصوص كثيرة تشير إلى أنّ أهل البيت هم (الذكر) و (السبيل) إلى الله، وهو ما اصطلح عليه في كلام النبيّ صلى الله عليه وآله بالثقلين، فيصير معنى الآية وكلام النبيّ لزوم اتّخاذ السبيل إلى الله وهم القربى، وأنّ اتّخاذ هذا السبيل سيعود نفعه على الناس، (عليكم). أمّا أجر رسول الله فهو على الله لقوله سبحانه في سورة سبا (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (سبا/ ٤٧). ومعنى الآية: أنّي قمت بواجبي، وأديت ما عليّ، ولا أسألكم عليه من أجر بعد المودة إن أجري إلا على الله، لكن لو أردتم الانتفاع من هذه الرسالة والنجاة فاتصلوا بالسبب الممدود بين الأرض والسماء وهو القرآن والعترة.

وبهذا فلا تنافٍ بين قوله «لا أسألكم عليه من أجر إلا المودة في القربى» وبـ «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ» (١).

إنّ هذا أليقترب بنا من فهم المعنى العميق لـ «حيّ على خير العمل»
الذي نـ ص
عليه أهل البيت: الذين هم أعلم الناس بدين الله بما فازوا به من تطهير الله
تعالى
إياهم تطهيراً شاملاً، في المعرفة والمعتقد، وفي المواقف والعمل. وهذا
المعنى الذي
يتضمنه «حيّ على خير العمل» هو الولاية أو برّ فاطمة وولدها أو ما
شابه ذلك، لم
أتضح لك في الصفحات السابقة من أنّ الأذان هو بيان لأصول العقيدة،
ولمّا كان
الولاية امتداداً للرسالة فلا غرابة في أن تكون أجر الرسالة، خصوصاً مع
ما نعرف من تأكيدات رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل بيته وقربائه
المنتجبين.

لقد أكد رسول الله على العترة بدءاً من (وأندُرُ عشيرتك الأقربين) (١).
ومروراً بحجة الوداع التي خطب فيها رسول الله خمس مرات، وختمها
بالكتاب الذي منعه من كتابته في آخر حياته الشريفة.
قال الحلبي في سيرته: «خطب النبي خمس خطب: الأولى يوم السابع
من ذي الحجة بمكة، والثانية يوم عرفة، والثالثة يوم النحر، والرابعة يوم
القرى بمنى، والخامسة
يوم النفر الأول بمنى» (٢).

وقد روى مسلم وأحمد وغيرهما - خطبته صلى الله عليه وآله عند
مرجعه من حجة الوداع إلى المدينة - عن زيد بن أرقم، قال: قام رسول
الله صلى الله عليه وآله يوماً خطيباً بماء يدعى خُماً بين مكة والمدينة، فحمد
الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: ألا أيّها الناس، إنّما أنا بشر يوشك
أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله منه
الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله
ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم في أهل بيتي، أذكركم في أهل
بيتي، أذكركم في أهل بيتي.

١ . الشعراء: ٢١٤، وانظر: في تفسيرها كتب التفسير والتواريخ اخبار أول البعثة.
٢ . السيرة الحلبية ٣: ٣٣٣.

فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟
قال: نساؤه من أهل بيته؟! ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.
قال: ومن هم؟

قال: هم آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟

قال: نعم^(١).

وعن أبي هريرة: من صام يوم ثمانى عشرة من ذي الحجة كتب له

صيام شهرين

شهرين، وهو يوم غدیر خُمّ لما أخذ النبيّ بيد عليّ بن أبي طالب فقال:

ألسنّ وليّ المؤمنین؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

فقال عمر بن الخطاب: بخ بك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي

ومولى كل مسلم! فأنزل الله عز وجلّ (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت

عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)^(٢).

١ . صحيح مسلم ٧: ١٢٢، مسند أحمد ٤: ٣٦٧.

٢ . تاريخ دمشق ٤٢: ٢٣٣، الدر المنثور ٢: ٢٥٩، تاريخ بغداد ٨: ٢٩٠.

عُود على بدء

كانت هذه مقدمة أتينا بها كي نوضح وجه أفضلية الولاية على العبادات الأربعة الأخرى، إذ الصلاة تتركها الحائض، والصوم يتركه المريض، والزكاة والحج ساقطان عن الفقير، أما الولاية فهي واجبة على الصحيح والمريض والغني والمعسر، لأنها مفتاحهنّ، وبأهل البيت تُعرف الأحكام، وتُقبل العبادات، ويُعبد الله، فهم باب الله الذي يُوتى «وبالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف»^(١) لأنه الضمان الإلهي للشريعة. ونحن نعلم بأن الشريعة مرت بمرحلتين:

١ - التأسيس على يد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

٢ - الصيانة من الانحراف، وهو دور الأئمة المفترضين الطاعة، وهو ما كان يؤكّد عليه الرسول للأمة، يحذرها من الابتعاد عنهم لأنّ ذلك سيؤدّي بهم إلى الضلال.

وقد كان النهج الحاكم في تعارض مع هذه الصفوة الطاهرة، فما من الصفوة إلا مقتول أو مسموم، وقد ثبت في علم السياسة والاجتماع أنّ جميع الثورات الفكرية، إذامات زعماؤها، وتولى إدارتها غير الأكفاء انحرقت عن مسارها الذي اختطه لها صاحبها، أمّا إذا واصل المسيرة الأكفاء الذين يختارهم صاحب الثورة والتغيير، فإنها تبقى حيّة نابضة، ولا تنحرف عن منهاجها الأصلي. هذا عن القسم الأول من السؤال.

أمّا ارتباط برّ فاطمة ولدها بالأذان والصلاة - كما في بعض الروايات -^(٢) فهو معنى تفسيري للجملة، ومن قبيل بيان المعاني المشكّلة

١ . انظر: الكافي ١: ٢٢٤، كمال الدين وتمام النعمة: ٦٧٧، معاني الأخبار: ٩٧.

٢ . كرواية معاني الاخبار: ٤٢، وعلل الشرائع ٢: ٢٥٦.

والمتشابهة أو الخفية والمجملّة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فالإمام قد يكون أراد بتوضيحه ذلك بيان ما هو المقصود في العلم الالهي، وبيان ما حدث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من عقود لفاطمة؛ فبعد إقصاء عليّ عليه السلام عن الخلافة - أي ترك الولاية التي هي خير العمل - عقّوا فاطمة فغضبوا منها فدكا^(١)، وروّعواها، وهددوها بحرق دارها^(٢) حتّى ماتت غاضبة عليهما^(٣)، كما عقّوا ولدها فمضوا مسمومين مقتولين مشرّدين. ولو تمسك القوم بالولاية التي هي خير العمل لبرّوا فاطمة وولدها، ولما خرجت الخلافة من أهلها، ومن هنا نعلم أن تفسير الحيلة الثالثة تارة بالولاية، وأخرى ببرّ فاطمة وولدها، إنّما هما وجهان لعملة واحدة، وعبارتان تدلان على معنى مشترك واحد، وهو أنّ محمّدا وعليّ وأولادهم المعصومين هم خير البرية.

ولعلّ القارئ الكريم قد وقف على جذور هذا الأصل الديني من القرآن والعترة فيما وضّحناه سابقا في البحوث التمهيدية، من أنّ تشرّيع الأذان سماويّ، وهو يحمل في طياته سمات معنوية وأسرارا عالية، وأنّه بيان لأصول العقيدة وكتيّات الإسلام، لأنّ الأذان ليس إعلاما لوقت الصلاة فقط، بل إنّ آثاره تجري في عدة أمور، فهو بيان لما ابتنى عليه الدين الإسلامي من التوحيد والنبوة - والإمامة في نظر الإمامية -.

إنّ إكمال الدين و إتمام النعمة لا يكون إلاّ بإمامة عليّ وولده، وهذا ما دلّلت عليه الكتب الكلامية، ودلّت عليه الآيات الكريمة التي منها آية التطهير وآية الولاية «**إنّما وليكم الله...**» وآية المباهلة، وسورة الدهر، وغيرها من عشرات الآيات والأحاديث - إن لم نقل المئات - دالّة عليه،

١ . انظر: شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٠٩ - ٢٥٣ و ١٧: ٢١٦، الاحتجاج ١: ٢٦٧، الاختصاص: ١٨٣.

٢ . جاء في تاريخ الطبري ٣: ٢٠٢ بسند معتبر، قال: أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة. وقد كانت فاطمة في البيت، فقالوا لعمر: إنّ في البيت فاطمة! قال: وإنّ (انظر الإمامة والسياسة ١: ١٢، اعلام النساء ٤: ١١٤).

٣ . جاء في صحيح البخاري ٢: ٥٠٤ كتاب الخمس باب ٨٣٧ باب فرض الخمس ح ١٢٦٥ بسنده عن أم المؤمنين عائشة أنّها أخبرته: أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله سألت ابا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله قال: لا نورث ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله، فهجرت أبا بكر فلم تنزل مهاجرته حتّى توقّفت، وعاشت بعد رسول الله ستة أشهر.

وهذا ما يجب أن يعتقد به كلّ مسلم؛ إذ عرفت أنّ لا صلاة كاملة ومقبولة إلاّ بولايتهم.

إنّ عبارة «حيّ على خير العمل» الدالة على الإمامة هي جزء من الأذان؛ لما تضافرت به روايات الإمامية الاثني عشرية، والزيدية، والإسماعيلية، ولوجودها حتّى في مصادر أهل السنّة، وقد أذن بها كبار الصحابة، وحكي عن الإمام الشافعي والإمام مالك القول بجزئيتها، وسنزيد المسألة وضوحاً وجلاءً في الباب الثالث (أشهد أنّ عليّاً ولي الله بين الشرعية والابتداع) من هذه الدراسة، ضمن بحثنا عن شرعية الشهادة الثالثة أو بدعيّتها.

ما وراء حذف الحيلة الثالثة

نصّ التفنّازاني والقوشجي وغيرهما على دافع الخليفة عمر بن الخطّاب إلى حذف هذا الفصل من الأذان، واتفق الزيدية والإسماعيلية والإمامية على ثبوت هذا الحذف عنه، في حين جرى التعقيم على هذه النقطة في أغلب كتب أهل السنة، على الرغم من تأكيد كثير من النصوص التاريخية والحديثية المتناثرة في المصادر على حذف عمر لحيّ على خير العمل للدافع الذي أعلنه.

إنّ ما ذكر من تعليلٍ لحذف الحيلة الثالثة قد يكون وجيهاً عند عمر بن الخطاب؛ لانسجامه مع نفسيته ومنهجه في فهم النصوص، وللظروف التي كان يعيشها من غزوات وحروب وتوسيع لرقعة الدولة، وهو ممّا يستوجب بالطبع جمع الطاقات وتوظيفها للغرض المنشود، وعدم السماح للمتقاعدين في التشبث بعزل قد تبعدهم عن الجهاد، من جعلتها الاتكال على الصلاة أو الولاية باعتبارهما خير العمل.

لكنّ هذا السبب في منع عمر بن الخطاب تردد عليه عدة أمور: **أولها: إنّ الغزوات والحروب كانت أعظم وأكثر على عهد رسول الله، وكان ظروف انبثاق الدولة الإسلامية الفتية وبداية انطلاقها لنشر دين الله أدهى إلى حذف هذه الحيلة من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله - لو صحّ هذا التعليل - من الظروف التالية التي عاشها الخليفة بعد استقرار أمور الدولة بشكلها الذي كانت عليه. فلماذا لم يحذف رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الفصل وحذفها عمر⁽¹⁾!**

١ . وهذا التعليل والرد، ورد نظيرهما في إتمام عثمان للصلاة بمنى، بحجّة خوفه أن يظن الناس أنّ صلاة القصر هي المفروضة، فأجابه الصحابة بأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يقصر الصلاة وينبّه المسلمين على أنّ ذلك مخصوص بمنى. فلو صحّ تعليل عمر، لكان يمكنه أن يقر الحيلة

إنّ هذا لَيثير تساؤلاً حول صحّة هذا التعليل الذي فسّر به عمر حذفه
هـ

يومئ إلى وجود سبب آخر غير معلن في هذا السياق.
ثانيها: لو قبلنا التعليل السابق تنزلاً لصحّت مشروعية الحذف لفترة
معينة
لا أنّه يكون تشريعاً لكلّ الأزمان، ذلك أن سريان المنع إلى يومنا هذا
ربّما يشير إلى أمر آخر.

ثالثها: إنّ هذا التعليل من قبل الخليفة لا يتفق مع ما جاء عن رسول
الله صلى الله عليه وآله من قوله: «اعلموا أنّ خير أعمالكم الصلاة» وهو لا
يتفق أيضاً مع قوله صلى الله عليه وآله عن الصلاة: «إنّها عمود الدين إن
قبّلت قبل ما سواها و إن رُدّت رُدّ ما سواها»، فلو صحّ تعليل الخليفة وأنّه
أراد أن لا يتكلّ الناس على الصلاة و يدعّوا الجهاد، للزم من ذلك تخطئة
كلّ النصوص الدالة على أنّ الصلاة خيرٌ موضوع وخير الأعمال، وأنّها
وسيلة لقبول الأعمال وردّها.

رابعاً: من المعلوم أنّ المسلمين صاروا بعد رسول الله
صلى الله عليه وآله نهجين: أحدهما: نهج الخلفاء، والآخر نهج أهل البيت.
وكان هؤلاء على تخالف في كثير من القضايا السياسية والفقهية، فلمّا منع
عمر الحيلة الثالثة نسبَ نهجُ الخلفاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
المنع تأييداً للخليفة عمر بن الخطاب، حتّى إذا جاء الخلفاء اللاحقون
منعوا هذا الفصل من الأذان واستقبحوه من الناس، ولأجله ترى انحسار
الروايات الدالة على الحيلة في كتب الجمهور، لكنّ الطالبين أصروا
على الإتيان بها على الرغم من هذا المنع.

وبذلك تحزّب أبناء السنّة والجماعة لمذهب عمر بن الخطاب وحكموا
رأيهم
مقابل موقف الإمام عليّ وأولاده الذين خالفوا هذا المنع وأصروا على
الحيلة

الثالثة رغم كلّ الظروف والمشاكل، كما ستقف عليها لاحقاً.

الثالثة في الأذان وبنّبه المسلمين على ضرورة الجهاد، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل
ذلك. وهذا التشابه في أدوار الخلفيتين الثاني والثالث يوقفك على مسار تيار الحكّام المجتهدين.

خامسا: إنّ المطلع على مجريات الأحداث في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ من بعده يقف على حقيقة جلية، هي أنّ قریشا لم تكن ترضى باجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم، وكانت تطمع في الخلافة من بعده صلى الله عليه وآله، فكانوا يشترطون على رسول الله أن يبایعوه بشرط أن يجعل لهم نصيبا في الخلافة من بعده، لكنّه صلى الله عليه وآله كان يقول: «إن الأمر لله يجعله حيث يشاء»^(١) وليس الأمر بيدي.

وجاء عن ابن عباس: إن عمر بن الخطاب قال له في أوائل عهده بالخلافة: يا

عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها... هل بقي في نفسه [يعني عليّ بن أبي طالب

شيء من أمر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: أيزعم أن رسول الله نصّ عليه؟

قلت: نعم. وأزيدك: سألتُ أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدّق.

قال عمر: لقد كان من رسول الله في أمره دَرُؤٌ من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرا، وكان يربّع في أمره وقتأما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعتُ من ذلك إشفاقا وحيطةً على الإسلام... فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فأمسك^(٢).

وقال العيني في عمدة القاري: واختلف العلماء في الكتاب الذي هم بكتابه

فقال الخطابي: يحتمل وجهين، احدهما انه أراد أن ينص على الإمامة بع

تلك الفتن العظيمة كحرب الجمل وصفين^(٣).

ولو جمعنا ما جاء عن ابن عباس، مع ما قاله عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله عند مرضه - حينما قال صلى الله عليه وآله: انتوني بدواة

١ . انظر: حديث عامر بن صعصعة في سيرة ابن هشام ٢: ٢٨٩، وحديث قبيلة كندة في سيرة ابن كثير ٢: ١٥٩، وهما يدلان على ما نقوله.

٢ . شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٢١ وقال: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مستندا.

٣ . عمدة القارئ ٢: ١٧١.

وقلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا، فقال عمر: إنَّ الرجل لَيَهْجُرُ (١) - مع ما قاله رسول الله لعمرك لَمَّا أتاه بجوامع من التوراة: والذي نفسُ محمدٍ بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللُّتم (٢) ، مع قول رسول الله في حديث الثقلين «ما إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا»، لو جمعنا كل ذلك لوقفنا على حقائق مذهلة، ولعرفنا موقف النهج الحاكم بعد رسول الله من أهل بيت الرسالة وموت الزهراء وهي واجدة على أبي بكر وعمر (٣). ولعرفنا أيضا مدى المفارقة بين ترك برِّ فاطمة وترك الدعوة للولاية وبين تأكيدات الرسول على الاهتمام بالعترة تلو يحا وتصر يحا، مِنْ مِثْلِ وقوفه صلى الله عليه وآله كلَّ يوم - مدة ستة أشهر - على باب فاطمة بعد نزول آية التطهير يناديها للصلاة بقوله «الصلاة الصلاة، إنَّما ير يد الله ليذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهركم تطهيرا» (٤).

ومما يَحْسُنُ بنا أن نتفطَّنَ له هو أن هذا الموقف من رسول الله إنَّما يُذنبُ عـــــــى ن و جـــــــود
ترابط عميق بين بر فاطمة وولدها ومسألة الصلاة، وبمعنى آخر بين الولاية

والعبادة، إذ أنَّ وقوف الرسول المصطفى على باب فاطمة لمدة ستة أشهر لا يمك

تصوِّره لغوا بأيِّ حال من الأحوال؛ لأنَّه صلى الله عليه وآله كان يقف داعيا المطهِّرين من عترته إلى الصلاة، مُعلِّما بوجود لون من التواشج بين الصلاة والعترة. ورسولُ الله حلقةُ الوصل والربط بين ركيزة التوحيد «الصلاة، الصلاة» وبين الولاية «إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس...». ونلاحظ في هذا النص: قول الله «القران»، وفعل الرسول «الوقوف»،

١ . وفي نص البخاري «إنَّ الرجل قد غلب عليه الوجع»، وكلاهما إساءة للرسول المصطفى.
٢ . سنن الدارمي ١: ١١٥ باب ما يتقي من تفسير حديث النبي صلى الله عليه وآله، مسند أحمد ٤: ٢٦٦، المصنف لعبد الرزاق ٦: ١١٣ باب مسألة أهل الكتاب، أسد الغاية ٣: ١٢٧.
٣ . صحيح البخاري ٥ - ٦: ٢٥٣، كتاب المغازي باب غزوة خيبر ح ٧٠٤، صحيح مسلم ٣: ١٣٧٩، كتاب الجهاد باب قول النبي لا نورث إنما تركناه صدقة، تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١٩٧.

٤ . مسند أحمد ٣: ٢٥٩، ٢٨٥، سنن الترمذي ٥: ٣٥١ ح ٣٢٠٥، كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الاحزاب، المستدرک للحاكم ٣: ١٥٨، مصنف ابن أبي شيبة ٦: ٣٩١ ح ٣٢٢٦٢، كتاب الفضائل باب في فضل فاطمة عليها السلام.

ونتيجة لزوم الاعتقاد بمنزلة العترة والقربى وأن مودتهما وطاعتها عبادة منجية.

سادسا: إن الخلفاء المتأخرين أيضا أدركوا سرّ الحيلة الثالثة فحرصوا أشدَّ الحرص على حذفها، ولم يرضوا بها ممن خطب لهم وليس خلعهم وانضوى تحوتها لوائهم، بل أصرّوا على ضرورة حذفها؛ لأنها رمز يشير إلى بطلان حكومتهم. وسيأتيك ذلك في الفصل الرابع لدى الكلام عن تاريخ الحيلة في مكة وحلب سنة ٤٦٣ هـ. وحسبك منها ما كان من القائم بأمر الله العباسي، حين أخبره نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بأن محمود بن صالح خطب له بحلب ولبس الخلع القائم به، حيث قال له: أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون بـ «حي على خير العمل»!!

كلّ هذه النصوص تؤكد أنّ المراد الأساسي من «خير العمل» هو بر فاطمة وولدها، والولاية والإمامة التي بها قوام الصلاة والصوم والزكاة والحجّ وسواها... لا شيء آخر، فصار الخليفة - حسب كلام الإمام المعصوم، والاستقراء التاريخي - لا يرضى أن يقع (دعاء إليها وتحريض عليها)، لأن ذلك يعني التشكيك بشرعية خلافته وخلافة من قبله، وهو المعنى من كلامه عليه السلام (ما نودي بشيء كالولاية). وجاء في الغيبة للنعماني عن عبد الله بن سنان أنّه عليه السلام قال في معرض كلامه عن علامات ظهور القائم من آل محمّد عجل الله تعالى فرجه الشريف: وأنّه سيكون في السماء نداء «ألا إنّ الحقّ في عليّ وشيعته».

قال عليه السلام فـ «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت» على الحق وهما والنساء

الأول^(١)، و يرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرضُ والله
عداوتنا^(٢).

ولو قرأنا تفسير الأئمة لقوله تعالى «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه» لعرفنا المنزلة العظيمة للولاية وسبب معاقبة عمر للقائل
بها، لأن الكلم الطيب لو كان قد صعد إليه سبحانه وتعالى بنفسه، فما
معنى العمل الصالح يرفعه إذن؟!!

روى الكليني بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله
تعالى «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» قال: ولا يتنا أهل
البيت - وأهوى بيده إلى صدره - فمن لم يتولنا لم يرفع الله له عملاً^(٣).

وعن الرضا عليه السلام في قوله تعالى «إليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه» قال: الكلم الطيب هو قول المؤمن: «لا إله إلا الله، محمد رسول
الله، علي ولي الله وخليفة محمد رسول الله حقا حقا وخلفاؤه خلفاء الله»، والعمل
الصالح يرفعه، فهو دليله، وعمله اعتقاده الذي في قلبه بأن هذا الكلام صحيح كما
قلته بلساني^(٤).

وعن فاطمة الزهراء بنت محمد، قالت: قال رسول الله
صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء صرت إلى سدرة المنتهى
«فكان قاب قوسين أو أدنى» فأبصرته بقلبي ولم أره بعيني، فسمعت أذانا
مثنى مثنى، واقامة وترا وترا، فسمعت مناديا ينادي: يا ملائكتي وسكان
سماواتي وارضى وحملة عرشى اشهدوا أنني لا إله إلا أنا وحدي لا
شريك لي، قالوا: شهدنا وأقررنا، قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكان
سماواتي وارضى وحملة عرشى بأن محمدا عبدي ورسولي، قالوا:
شهدنا وأقررنا، قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وارضى وحملة

١ . دون النداء الثاني الذي ينادي به إبليس لعنه الله.

٢ . الغيبة للنعماني ١٧٣ - ١٧٤ باب ما جاء في العلامات التي تكون قبل قيام القائم.

٣ . الكافي ١: ٣٤٠.

٤ . تفسير الإمام العسكري ٣٢٨ ح ١٨٤ وعنه في تأويل الآيات: ٤٦٩ والنص عنه.

عرشي بأن عليًا وليي وولي المؤمنين بعد رسولي، قالوا: شهدنا وأقررنا...^(١)

وبهذا يفضي بنا البحث إلى أنّ التعليل الحقيقي لمنع عمر بن الخطاب للحيلة

الثالثة هو اطلاعه على المقصود من عبارة «حيّ على خير العمل» في الأذان، ودلالاتها على ولاية أهل البيت، لصرف الانتباه عنها، وذلك بكتمانها وحذفها، فَمَنَعَهَا تحت غطاء الحفاظ على كيان الدولة الإسلامية وتوسيع رقعتها بالجهاد، لكن الطالبين قد أدركوا هذا الأمر وأصروا على الإتيان بها رغم كلّ الظروف الحالكة، وهذا ما ستقرأه بعد قليل إن شاء الله تعالى.

ولذلك كان الإمام عليّ عليه السلام في أيام خلافته يلمح ويشير إلى أنّ حذف «حيّ على خير العمل» كان جوراً عليه وعلى الإسلام، فكان إذا سمع مؤذنه يقول «حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل» قال: مرحباً بالقائلين عدلاً^(٢)، معرّضاً بمن رفعها، لأنّ عليّ هو خير العمل وهو العدل الذي يدور مع القرآن حيثما دار ويدور معه القرآن أيضاً. والذين ظنوا أنّ الصلاة تقتصر على شكلها الظاهري دون المحتوى الذي هو الطاعة^(٣) سعوا إلى ترسيخ فكرة أن هل البيت ومودتهم ليست خير العمل، فكان لحذفها من الأذان مغزى عرفه أهل البيت فأنكروا حذفها، كما عرفه مخالفوهم فأصروا على حذفها.

ومن خلال هذه الدلائل العديدة استبان لنا أنّ «خير العمل» كناية عن إمامة عليّ عليه السلام التي هي امتداد لنبوّة النبيّ، وامتداد للتوحيد، وهذا ما رواه الباقر والصادق عليهما السلام من أئمّة أهل البيت في قوله تعالى «فطرة الله التي فطر الناس عليها» قالوا: هو «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين وليّ الله»، إلى هنا التوحيد^(٤).

١ . تفسير فرات الكوفي: ٣٤٢ في آخر تفسير سورة الأحزاب.

٢ . الفقيه ١: ٢٨٨ / ح ٨٩٠.

٣ . أي طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة وليّه، والأخيران منتزعان من الأولى، وقد مرّ عليك قوله صلى الله عليه وآله: من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني، وقوله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني... فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله جلّ وعلا.

٤ . تفسير القميّ ٢: ١٥٥ عن الباقر، ونحوه عن الصادق عليه السلام في التوحيد وبصائر الدرجات.

وقد سئل الشريف المرتضى: «هل يجب في الأذان بعد قول «حيّ على خير العمل» «محمد وعلي خير البشر»؟ فأجاب قائلاً: «إن قال: محمد وعلي خير البشر - على أنّ ذلك من قوله خارج من لفظ الأذان - جاز»^(١).

وهذا يعني أنّ هذا التفسير لحي على خير العمل كان سائداً في لسان المتشركة منذ زمن أهل البيت وحتى يومنا هذا. وقد أفتى القاضي ابن البرّاج باستحباب ذكر هذا التفسير، فقال: ويستحب لمن أدّن أو أقام أن يقول في نفسه عند «حيّ على خير العمل»: «أل محمد خير البرية»، مرتين^(٢).

وكون عليّ عليه السلام هو المراد من «حيّ على خير العمل»، والنبيّ من «حيّ على الفلاح»، وطاعة الرب وعبادته من «حيّ على الصلاة»، فيه من وجوه البلاغة ما لا يخفى، إذ فيه من أنواع البديع ما يسمّى بالتلميح، وهو أن يشار في الكلام إلى آية من القرآن أو حديث مشهور أو شعر مشهور أو مثل سائر أو قصة أو معنى معروف، من غير ذكر شيء من ذلك صريحاً. وأحسنه وأبلغه ما حصل به زيادة في المعنى المقصود.

ولا يخفى عليك أن للتوحيد مراتب، فهناك توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الطاعة، فأنه سبحانه وتعالى مع كونه «لم يكن له كفوا أحد» - و «هو الله الواحد القهار»، و «خالق كل شيء»، وهو الذي «يتوفى الأنفس حين موتها»، - فإنّ هذا المعنى غير معارضٍ بمثل قوله تعالى: «حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رُسُلنا». و إن قوله تعالى «وإذا مرضت فهو يشفين» لا يعارض ما جاء من الشفاء بالقرآن في قوله تعالى: «ونزل من القرآن ما هو شفاء» وبالعسل «فيه شفاء للناس». وكذا قوله: «قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله» فإنه لا يعارض قوله «وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رُسُله من يشاء» و إلى غيرها من عشرات الآيات. فلا تخالفت إذا بين نسبة الأفعال إلى الله جل جلاله ونسبتها في الوقت نفسه إلى غيره، فلا يخالف قوله: «أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين» مع قوله: «وارزقوهم فيها واكسوهم» وكلاهما من كلام الباري. ومن هنا تأتي مسألة التوحيد، فتوحيد الطاعة هو يعني لزوم إطاعة من أمر الله بطاعته، ومن لا يطع الرسول وأولي الأمر المفروض طاعتهم فإنه لم يطع الله لقوله تعالى: «وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله» وهذا لا يخالف قوله: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» فطاعة من أمر الله بطاعته هي طاعة لله، ومن لم يطع الله ورسوله ومن أمر الله بطاعته لم يوحد الله تعالى حق توحيد.

وعليه فطاعة أحدهما جاء على وجه الاستقلال، والآخر على أنه مظهر أمره سبحانه، وليس هذا بشرك أو مغالاة كما يدعون، بل هو عين الإيمان وكمال الدين.

- ١ . رسائل المرتضى ١: ٢٧٩، مسأله ١٧، وجواهر الفقه لابن البراج: ٢٥٧ مسألة ١٥.
- ٢ . المهذب لابن البراج ١: ٩٠ باب الأذان والإقامة وأحكامهما.

قال الطيبي في التبيان: ومنه قوله تعالى: (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) قال جار الله الزمخشري: قوله: «وآتينا داود زبوراً» فيه دلالة على تفضيل محمد صلى الله عليه وآله وهو خاتم الأنبياء، وأن أمته خير الأمم، لأن ذلك مكتوب في الزبور، قال تعالى (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)، قال: وهو محمد صلى الله عليه وآله وأمته^(١).

فهنا ألمح الله سبحانه وتعالى لعباده بأن الصلاة له لا لغيره، وأن الفلاح الذي قامت به الصلاة هو اتباع رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، لا الاجتهاد مقابل النص، وان خير العمل هو الإيمان بالإمامة والولاية لعلي عليه السلام التي هي امتداد للنبوّة والتوحيد، وبها قوام العبادات التي عمودها الصلاة.

وهناك عشرات إن لم تكن مئات الأدلة على أن خير العمل ولاية علي، وان ضربته يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين، وأن الاعمال لا تقبل إلا بولايته، ومعانٍ أخرى متصلة بهذا الموضوع. وقولنا في الأذان «حيّ على خير العمل» فيه تلميح لكل تلك المعاني التي صدع بها رسول الله صلى الله عليه وآله في حق علي بن أبي طالب سلام الله عليه.

والواقع أن كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو خير البشر بعد رسول

الله صلى الله عليه وآله إنما هو معنى قرآني نطقته به آية من سورة «البيّنة» المباركة، وصرّح به النبي صلى الله عليه وآله في تفسير الآية، وتداولته المصادر السنيّة، وكان هذا المعنى ممّا آمن به كبار من الصحابة المعروفين، حتّى صار في عهد النبي صلى الله عليه وآله جزءاً من الثقافة الإيمانيّة القرآنيّة السائدة.

فقد روى الطبري بإسناده عن محمد بن علي الباقر لما نزل قوله تعالى «أولئك هم خير البرية» قال النبي: أنت يا علي وشيعتك^(٢).

١ . انوار الربيع ٤: ٢٦٦. ومن هذا الباب تلميح أبي العلاء المعري للشريف المرتضى بقصيدة المتنبي: لك يا منازل في القلوب منازل. انظر: انوار الربيع ٤: ٢٩٢ - ٢٩٣. هذا وقد أخذ الطيبي والزمخشري هذا عن تفسير النسفي ٢: ٢٩٠ سورة الاسراء.

٢ . تفسير الطبري ٣٠: ٢٦٤، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٦: ٣٧٩، والحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٤٥٩ - ٤٧٣ ح ١١٢٥ - ١١٤٨ بأسانيد وطرق كثيرة.

والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب بإسناده عن جابر بن عبد الله مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله قال: عليّ خير البشر من شك فيه فقد كفر^(١).

وغيرها من عشرات الطرق والأسانيد عن الصحابة والتابعين. وبعد كلّ هذا تعلم أنّ قول «محمّد وآل محمّد خير البرية» أو «محمّد وعليّ خير البشر» عند الحيلة الثالثة أو بعدها إنّما هو توضيح لمعناها الذي حاول الحكام كتّمه، وأن هذا التوضيح والتفسير ما هو إلاّ استلهاً من نصوص القرآن والسنة، وسيراً على الخطوات الصحيحة التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وآله لأمته.

وستعلم بما لا مزيد عليه - في الباب الثالث من هذه الدراسة «اشهد أنّ عليّاً ولي الله بين الشرعية والابتداع» - أنّ إتيان الأئمة: وأتباعهم بهذه العبارات ما هو إلاّ تفسير لمعنى الحيلة الثالثة، وهو من قبيل الإتيان بتفسير بعض الآيات تفسيراً مرتبطاً بنصّ الآية ونسقتها، وهذا النوع من التفسير ممّا تحفل به كتب الفريقين بلا أدنى ريب^(٢)، وهو التفسير المقبول الذي اصطلح على تسميته البعض بـ «التفسير السياقي».

١ . الفردوس ٣: ٦٢ ح ٤١٧٥، وانظر ترجمة الإمام عليّ لابن عساكر ٢: ٤٥٧ ح ٩٨٩ بإسناده عن عائشة.

٢ . انظر: قراءه عائشة، وحفصة، وأم سلمة للآية «حافظوا على الصلوات والصلوات على الصلوات الوُسْطَى» هكذا (حافظوا على الصلوات والصلوات الوُسْطَى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين).

وحديث عائشة موجود في صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب الدليل لمن قال: الصلاة الوُسْطَى هي صلاة العصر، وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب وقت صلاة العصر، وسنن الترمذي، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، وسنن النسائي، كتاب الصلاة، باب المحافظة على صلاة العصر، وموطأ مالك، كتاب الصلاة، باب صلاة الوُسْطَى، وتفسير الآية في الدر المنثور ١: ٣٠٢ و ٣٠٣، وفي فتح الباري ٩: ٢٦٥، ومسند أحمد ٦: ٧٣ و ٨٧٨ منه.

أما حديث حفصة فانظر فيه: موطأ مالك كتاب الصلاة، باب الصلاة الوُسْطَى، ومصنف عبد الرزاق، كتاب الطهارة، باب صلاة الوُسْطَى ح ٢٢٠٢، وتفسير الطبري ٢: ٣٤٣، والدر المنثور ١: ٣٠٢، والمصاحف لابن أبي داود: ٨٥ - ٨٦.

أما حديث أم سلمة، فانظر فيه: الدر المنثور ١: ٣٠٣، والمصاحف لابن أبي داود: ٨٧.

وقد قرأ ابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وعلي بن أبي طالب قوله تعالى «فما استمتعتم به منهنّ فاتوهنّ أجورهنّ إلى أجل مسمى».

وانظر: قراءة ابن عباس في المعجم الكبير ١٠: ٣٢٠، والسنن الكبرى ٧: ٢٠٥، والمستدرك للحاكم ٢: ٣٠٥، والجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٥: ١٣٠، والكشاف ١: ٥١٩.

وفي قراءة ابن مسعود. انظر نيل الأوطار ٦: ٢٧٤، وشرح النووي على صحيح مسلم ٦: ١١٨.

وفي قراءة أبي بن كعب. انظر جامع البيان للطبري ٥: ١٩، والدر المنثور ٢: ١٣٩. وهي قراءة علي كذلك.

الفصل الرابع
حيّ على خير العمل
تاريخها العقائدي والسياسي

قد يقترح البعض ضرورة إكثارنا من ذكر مصادر أهل السنة والجماعة حين الكلام عن جزئية «حيّ على خير العمل» وعدم الاكتفاء بما نقلناه، بل عدم استساغة ما روته طرق الشيعة الإمامية الاثني عشرية، والزيدية، والإسماعيلية وبعض علماء أهل السنة عن أهل البيت والصحابة، بزعم أنّ ذلك ليس ملزماً للآخرين.

هذا الكلام قد يكون له مساعٍ لو ضربنا بمعطيات التاريخ عرض الجدار؛ إذ الموقف تجاه المتغيّرات في التاريخ والحديث، وما فعلته ريشة الحكام بالنصوص والموازن، وخنقهم لكلّ ما هو أصيل مما لا يعجبهم، وخصوصاً بعد أن اتّضح لنا دور الأمويين في التحريف والتعظيم، كلّ ذلك يدلّك على سرّ انحسار مثل نصوص الحيلة الثالثة في مدرسة الخلفاء.

بل إن تصريح الإمام الباقر والإمام زيد وغيرهما بأن عمر بن الخطاب كان وراء رفع «حيّ على خير العمل» إنّما ينم عن الظروف القاسية العصبية التي جعلت المعاجم الحديثية السننية تكاد تخلو من أمثال هذه الأحاديث رغم ثبوتها على عهد رسول الله؛ فرأينا أنّه لا محيص من الرجوع إلى التاريخ، للوقوف على مجريات الأحداث، ومنها الوقوف على صحّة وأصالة ما قالته الشيعة وما جاء في الروايات اليتيمة في كتب الفقه والحديث عند أهل السنة والجماعة، ومن خلال عرضنا للمسألة من وجهة نظر تاريخية سيقف القارئ على جواب القول السابق وأمثاله.

إنّ ثبوت «حيّ على خير العمل» لم يقتصر على العلويين - حسنيين كانوا أم حسنيين - بل تعدّاهم إلى بعض أهل السنة والجماعة، وقد مرّ عليك ما كان بأيديهم من بقايا هذا الأذان الأصيل.

ومن المعلوم أنّ المسلمين انقسموا بعد وفاة رسول الله إلى نهجين:
الأول: نهج الصحابة.

والثاني: نهج أهل البيت.

وعُرف النهجان بالتخالف فيما بينهما في كثير من المسائل، بحيث

تجاوز حدّ

النزاع حول الإمامة والخلافة ليشمل كافة مجالات الشريعة وأحكامها. وبمعنى آخر: إنّ الخلاف الحاصل بين النهجين قد تجاوز الصعيد السياسي ليشمل أصعدة أخرى فكريّة وعقائدية واجتماعية. وفي حال اعتبار

مصـدر تشـريـع
الأحكام في الفقه من الأمور المهمّة والحساسة جدًّا، فلا عجب أن ترى
بين قـادة
النهجين أحكاماً فقهية متضادة، قد تصل إلى حدّ التناقض في المسألة
الواحدة،
فتجد ما يقوله عمر بن الخطاب يخالف ما يقوله عليّ بن أبي طالب تماماً،
فعلـى الرغم
من التزام وتعبد عليّ عليه السلام بمنهج رسول الله في جواز المتعة مثلاً،
ترى اجتهاد عمر شاخصاً أمامك في قبال شريعة رسول الله، محرّماً
للمتعتين، قائلاً: «أنا أحرّمهما»
وأعاقب عليهما».

لقد أخذ أهل السنّة الكثير من فقههم من مجتهدي الصحابة الأوائل،
وخصوصاً الخلفاء، وانتهجوا سيرة الشيخين، ولهذا فإنّ الكثير من موارد
المنع في فقه أهل السنّة والجماعة يرجع أساساً إلى سنّة عمر بن الخطاب
وغيره من مجتهدي الصحابة. وقد تمخّل له علماء هذا النهج فحملوا كلّ
ما لا يرتضونه من الروايات والأحكام المغايرة لاجتهادات السلف على
النسخ والوضع. ولكي يضيفوا صبغة شرعية على تلك الأحكام تراهم
ينسبون روايات إلى رسول الله تؤيّد ما ذهبوا إليه.

وإيماننا منا بضرورة دراسة ملابسات مثل هذه الأمور في الشريعة
ورفـع السـتار
عنها، خصصنا هذا الفصل كي نوّكد على أن الصراع حول جزئية «حيّ
على خير العمل» بين الطالبين والنهج الحاكم له جذوره وأصوله
العقائدية والتاريخية، ولم يكن صراعاً سياسياً بحتاً، وهذا إن دلّ على
شيء فإنما يدلّ على عمق الخلاف بين الفرقتين.
إذ أنّ استمرار الصراع العقائدي السياسي لمدة طويلة من الزمن ينبئ
عن وجود أصل شرعي مُختلف فيه عندهم.

ولمّا كان النهج الحاكم - على مرّ العصور - يدعو إلى «الصلاة خير
من النوم» تبعاً للخليفة الثاني والأمويين من بعده، ولمّا كان الطالبيون لا
يؤمنون بشرعية هذا الجزء، فمن المؤكد أن يكون عدم إتيان الحفظ
والمحدّثين بما يدلّ على شرعية «حيّ على خير العمل» في الصحاح
والسنن قد كان خاضعاً لأمر سياسية.

إنَّ الطالبيين قد وقفوا أمام مثل هذه الهجمات بكلِّ قوَّة، وبذلوا كلَّ ما
يمكنهم في التعبير عن عدم الرضوخ أمام تغيير السنَّة، وقد كلفهم ذلك الكثير الكثير،
وتحمَّلوا المصاعب العظام من أجل الحفاظ على سنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله
ومنها الإتيان بـ «حيِّ على خير العمل» في أذانهم. وقد جرت بين
الطرفين مناوشات كلامية اتهم فيها كلُّ طرف منهما الآخر بالانحراف
والبدعة، محافظا على شعاريته، ورافضا شعارية الطرف الآخر بكلِّ
عنف.

ومن يتصفح التاريخ يجد بين طيَّاته صوراً حيَّة لمدى قوَّة تمسك
الطالبيين بهـ الشعار الجزئ من الأذان، حتَّى وصلت الحال في بعض الفترات إلى أن يكون هو
الشعار المحرِّك للتوار والثورة في مراحل مختلفة من التاريخ.

لقد تمسك الطالبيون بـ «حيِّ على خير العمل» وقدموا قرابين نفيسة
مبقيتها سنَّة حتَّى صارت شعاراً للشيعة في كلِّ الأصقاع، وصبغة عقائدية
يُميِّزون بهـ عن غيرهم، وقد استمدوا العزم من مواقف أمير المؤمنين عليِّ عليه
السلام الذي قال حين سمع أذان ابن النِّبَّاح بـ «حيِّ على خير العمل»: «مرحبا بالذي قال عدلاً، وبالصلاة مرحباً وسهلاً»^(١).
وقد تجلَّت مواقف الشيعة بوضوح في موقف الحسين بن عليِّ -
صاحب فخ -
وغيره من الطالبيين^(٢) الذين أصرُّوا على إعلانها جهاراً في الأذان.

١ . من لا يحضره الفقيه ١: ٢٨٨ ح ٨٩٠، وانظر: كتاب الأذان بحَيِّ على خير العمل: ٤٨، ٥٠
للحافظ العلوي.

٢ . و إليك مجمل الحركات الشيعية في العصر العباسي الأول «١٣٢ - ٢٣٢»: ١.
١. حركة محمَّد النفس الزكية في المدينة سنة ١٤٥ هـ، في عهد المنصور العباسي.
٢. حركة إبراهيم - أخي النفس الزكية - في البصرة سنة ١٤٥ هـ.
٣. حركة الحسين بن عليِّ (صاحب فخ) في المدينة سنة ١٦٩ هـ، في عهد الخليفة الهادي.
٤. حركة يحيى بن عبدالله - أخي النفس الزكية - في بلاد الديلم سنة ١٧٥ هـ، في عهد هارون
الرشيد.

وعليه فلا يصح ما قاله البعض من عدم صحّة تلك الأخبار أو نسخها أو...، بل الأمر يرجع إلى أمور أعمق مما يقولون، والحوادث التاريخية تؤكّد ما قلناه.

إنّ متابعة السير التاريخي للأذان وما آل إليه في «حيّ على خير العمل» يكشف لنا عن أمور عديدة متمادية الأطراف ترجع جذورها إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله. ويمكن تلمّس ذلك بوضوح من خلال دراسة التاريخ والسيرة والحديث، وهذه المسألة من الأهميّة بمكان، بحيث إنك كلّما بحثت في مسألة من مسائلها تفتّحت لك أبواب مسائل أخرى ذات ارتباط عميق بها، ولا يمكنك تركها أو التهاون بها، فالمسألة أكبر من كون «حيّ على خير العمل» شعار الشيعة و«الصلاة خير من النوم» شعار السنة.

صحيح أنّ الحركات التغييرية التي قادها الشيعة عبر فترات التاريخ المختلفة تُبيّن أنّهم قد أظهروا مسألة «حيّ على خير العمل» في الأذان كعنصر تحدّي وتعاملوا معها كشعار لهم - كما حصل في الدولة الفاطمية في مصر، والدولة الزيدية في طبرستان، والبويهية في بغداد، والحمدانية في حلب - إلا أنّ ذلك لا يتجاوز ظاهر المسألة.

ذلك أنّ مصادر الحديث والتاريخ والسيرة تُظهر لنا بأنّ «حيّ على خير العمل» لها جذور وأصالة شرعية، فهي أوسع من أن تتضيق في زاوية كونها شعار فرقة أو طائفة أو مذهب.

٥. حركة إدريس بن عبد الله - أخي النفس الزكية - في بلاد المغرب سنة ١٧٢هـ، في عهد الرشيد.

٦. حركة محمّد بن إبراهيم وأبي السرايا في الكوفة سنة ١٩٩هـ، في عهد المأمون.

٧. حركة محمّد بن جعفر الصادق في مكة سنة ٢٠٠هـ، في عهد المأمون.

٨. حركة أبي عبد الله (أخي أبي السرايا) في الكوفة سنة ٢٠٢هـ، في عهد المأمون.

٩. حركة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب في اليمن سنة ٢٠٠هـ، في عهد المأمون.

١٠. حركة عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب في اليمن سنة ٢٠٧هـ، في عهد المأمون.

١١. حركة محمّد بن القاسم بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب في خراسان سنة ٢١٩هـ، في عهد المعتصم.

من الطالبين فكانوا يذهبون إلى شرعية خلافة الإمام عليّ وأولاده المعصومين و يدعون الناس إلى اتباع نهج عليّ وولده. وقد بدأ الخلاف بين النهجين أولاً في موضوع الخلافة ومن هو الأحقّ بها، وهل هناك تنصيب من الله، أم أنّ الأمر شورى بين الأمة - أو أصحاب الحلّ والعقد منهم -؟ ثمّ انجرّ هذا الخلاف إلى الشريعة، فوجدنا أحكاماً تُغيّر وأخرى تُستحدث، إما دعماً لمواقف الخليفة، أو للتعرف على رجال الطالبين، أو لغيرهما من العلل والأسباب. وقد استفحل هذا الخلاف بعد مقتل عثمان بن عفان، فانقسم المسلمون إلى فئتين كبيرتين:

فجّل أهل البصرة وأهل الشام كانوا ذوي أهواء عثمانية في الانتماء الفكري والسياسي، وأهل الكوفة والأنصار من أهل المدينة وعدد كبير من أهل الحجاز كانوا علويّ الفكر والعقيدة. وبعد استشهاد الإمام عليّ وصلح الإمام الحسن تم استيلاء معاوية بن أبي سفيان على الحكم، فغلبت العثمانية على مجريات الأحداث وانحسر الطالبيون فبدؤوا يعيشون حالة التقية. وإمّا جننا بهذا الكلام كي نوضح بأن عملنا في هذا الفصل سيكون في محورين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، لأنهما وجهان لعملة واحدة، هما:

١ - المحور السياسي.

٢ - المحور التشريعي.

فقد نفرض أن يتغاضى الحاكم الأموي عن شعارية «حيّ عليّ خير العمل» في بعض الأحيان، لكن ذلك لا يعني رضاه وسكوته عن ذلك في كلّ الحالات، لأنّ الحيلة الثالثة كما علمت لها جانبان تشريعي صلاتيّ وعقائدي سياسي، فإذا كان الإتيان بها منحصرًا في حدّ المسألة التشريعية سكت الحكام عنها على مضض، وإن اتّخذت طابعها العقائدي السياسي قامت قيامتهم واستبدّ بهم الغيظ؛ لأنّ معناها العقائدي السياسي هو فرع لمعناها التشريعي الصلاتي الذي هو «محمّد وآل محمّد خير البرية» و «الولاية» و «برّ فاطمة وولدها»، وهذا البعد التشريعي يتلوه البعد السياسي الذي يعني أنّهم أحقّ بالخلافة والحكم من الآخرين. فلو دعا الإمام الباقر أو الصادق إلى جزئيتها في العهد الأموي، أو أتى بهيّا على

بن الحسين، فقد يسكت الحاكم عنه على مضض، لكن ليس معنى هذا
سكوتهم
كذلك عن الطالبين الثوار لو أذنوا بـ «حيّ على خير العمل»؛ لأنّ
الأمم وبيّن لـــــــ وأرادوا
معارضة الإمامين الصادق والباقر وقبلهما الإمام عليّ بن الحسين،
لفتحـــــــت أممهم
جبهة جديدة هم في غنى عنها في تلك المرحلة من تاريخ المعارضة،
ولـــــــدخل الأمم ر فـــــــي
إطاره السياسي قبل أوّانه.

ذلك أنّ الأمة الإسلامية بدأت تعي الأوضاع بعد شهادة الإمام الحسين
سنة ٦١هـ، وأخذت تتضح لها معالم الظلم والمكر الأموي وسعيه لهدم
الإسلام، لأنّ ما فعله يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بعترة رسول الله
واستحلاله المدينة المنورة لثلاثة أيّام وضربه مكّة وغير ذلك كان كلّ
واحد منها كافياً لإحداث هذا التحول الفكري لدى عامّة الناس.

نعم، هاجت عواطف الشيعة وغيرهم بمقتل الإمام الحسين، فتلاوموا
وتتـــــــادموا

لعدم إغاثتهم الإمام عليه السلام، وقد كانت حصيلة هذا الهياج الجماهيري
هو نشوء حركة شيعية باسم حركة التوابين (٦١ - ٦٤هـ) ^(١) ثمّ تلتها
حركة المختار ابن أبي عبيد الثقفي «٦٤ - ٦٧هـ» ثمّ قيام زيد بن عليّ
«١٢٢هـ» بالعراق، وابنه يحيى «١٢٥هـ» بخراسان، وعبد الله بن
معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي قاد حركته في سنة
«١٢٨هـ» في أصفهان.

فالامويون والعباسيون في حدود المسألة التشريعيّة لا يمكنهم الوقوف
أمـــــــام
تأذين عليّ بن الحسين ومحمّد الباقر وجعفر الصادق بـ «حيّ على خير
العمـــــــل»

١ . وصف الطبري في تاريخه ٥: ٥٥٨ هذه الحركة بقوله «فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب
والاستعداد للقتال، ودعاء الناس في السرّ من الشيعة وغيرها إلى الطلب بدم الحسين، فكان يجيبهم
القوم بعد القوم، والنفر بعد النفر، فلم يزالوا كذلك وفي ذلك حتّى مات يزيد بن معاوية» عام ٦٤ هـ،
فالثوار قدموا ثورتهم بموته في حين كان ضمن مخططهم الثورة على يزيد وعلى النظام الحاكم
عام ٦٥ هـ، فلم يفلحوا في ذلك.

لوجود أمثال عبد الله بن عمر وأبي أمامة بن سهل بن حنيف وغيرهما ممن أدنّ بها.

على أنه يمكن حمل سكوت الأمويين هذا على أنهم استهدفوا من عملهم _____ م _____ ه _____ ذا
هدفا سياسيا، وهو التعرّف على الطالبين وتجمّعاتهم، وقد وضحنا سابقا
في كتابنا _____ ا
(وضوء النبيّ) أنّ الطالبين هم المعارضون الحقيقيون للحكومتين
الأموية والعباسية.

واستقرارا على هدفهم هذا سعوا أن يجمعوا الأمة على فقه يخالف فقه
الإمام عليّ بن أبي طالب؛ الذي فيه الجهر بالبسملة، والجمع بين
الصلاتين، وعدم مسح الخفين، والمسح على الأرجل، والتكبير على
الميت خمسا، وغيرها من الأمور الشرعية ذات البُعد الشعاري التي
استخدمها النهج الحاكم للتعرف على جماعات الطالبين.
وفي هذه الظروف وهذا الخضمّ كان من الطبيعي أن تكون الحيلة
الثالثة من تلك المسائل الشرعية السياسية التي كان للحكام من وراء حذفها
ومحاربتها هدف بل أهداف.

وفي قبالة ذلك التيار الجارف نجد أن الإمامين الباقر والصادق كانا
يدعوان إلى الحيلة الثالثة، ويؤكّدان على شرعيتها بدون خوف
واكتراث من السلطة، لكن الأمر نفسه لم يكن عند الثوار في ظروف
التعبئة السريّة، بل كانوا يتّقون ويخافون من تعرف السلطة على مواقعهم
العسكرية وتجمّعاتهم الثورية، فلم يقولوا بـ «حيّ على خير العمل» إلا
في الصحراء وحين يأمنون مكر السلطة.

ومن المعلوم أنّ الدولة العباسية أسست على شعار الرضا من آل
محمّد^(١) وأنهم قد تذرّعوا بطلب ثار الشهداء من أبناء فاطمة: الحسين بن
عليّ، زيد بن عليّ بن الحسين، وولده يحيى وسواهم.
لكنّهم سرعان ما قلبوا للعلويين ظهر المجنّ فلم يُفوا بما عاهدوا عليه
الأمم _____ ة، و _____ م
يحافظوا على الدلالة الصادقة لمقولة «الرضا من آل محمّد»، بل

١ . انظر: تاريخ الطبري ٧: ٣٥٨ احداث سنة ١٢٩ و ٧: ٣٩٠ احداث سنة ١٣٠ هـ وغيرهما.

العباس قلت: ومتى الفرج؟ قال: النداء بحي على خير العمل على المنارة^(١).

وهذا يشير إلى أن الخلاف بين الحكّام والعلويين كان أصولياً، وليس كما يصوّره البعض بأنه خلاف حول الخلافة بما هي خلافة فقط، بل إنّ اختلافهم كـ

على الشريعة حكومياً وأحكاماً. إنّ وقوف الطالبيين أمام الحكام ما هو إلا انعكاس لنهج أصيل يقف في مواجهة الخلفاء، وما جزئية «حيّ على خير العمل» إلا نموذج مصغّر لهذا الصراع الفكري العقائدي في الشريعة، وإليك الآن بعض النصوص في ذلك:

زيد بن عليّ بن الحسين «١٢٢هـ»: روى الحافظ العلوي بسنده إلى يزيد بن معاوية بن إسحاق، قال: كنّا بجبّانة سالم^(٢)، وقد أمنيّ أهل الشام، فأمر زيد بن عليّ معاوية بن إسحاق فقال: أذن بـ «حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل»^(٣).

يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين «١٢٥هـ»: أخرج الحافظ العلوي بسنده عن زياد بن المنذر، قال: حدّثني حسّان، قال: أذنت ليحيى بن زيد بخراسان، فأمرني أن أقول: حيّ على خير العمل، [حي على خير العمل].

وبإسناده عن صباح المزني، قال: أذن رجل كان مع يحيى بن زيد بخراسان، قال: ما زال مؤذّنهم ينادي بحيّ على خير العمل حتّى قُتل^(٤). إبراهيم بن عبد الله بن الحسن «١٤٥هـ»:

١ . الإيضاح للقاضي النعمان المطبوع في «ميراث حديث شيعه» دفتر دهم ص ١٠٩ .
٢ . أهل الكوفة يسمّون مكان دفن الأموات جبّانة، كما يسمّيها أهل البصرة المقبرة، وجبانه سالم تنسب إلى سالم بن عمارة بن عبدالحارث (انظر: معجم البلدان ٢: ٩٩ - ١٠٠).
٣ . الأذان بحيّ على خير العمل: ٨٣ للحافظ العلوي.
٤ . الأذان بحيّ على خير العمل للحافظ العلوي: ٨٧ وانظر: إمالي أحمد بن عيسى ١: ٩٧ الحديث ٢٣٦.

أخرج الحافظ العلوي باسناده عن سالم الخزاز، قال: كان إبراهيم بن عبد الله ابن الحسن يأمر أصحابه إذا كانوا في البادية أن يزيدوا في الأذان «حيّ على خير العمل»^(١).

الحسين بن عليّ (صاحب فخّ) «١٦٩هـ»: روى أبو الفرج الإصفهانى أنّ إسحاق بن عيسى بن عليّ، وليّ المدينة فاستخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب، يُعرف بعبد العزّ بن عبد الله، فحمل على الطالبين، وأساء إليهم، وأفرط في التحامل عليهم، وطالبهم بالعرض [عليه] كلّ يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة، وأخذ كلّ واحد منهم بكفالة قرينه ونسيبه، فضمن الحسين بن عليّ، ويحيى ابن عبد الله بن الحسن: الحسن بن محمّد بن عبد الله بن الحسن، ووافى أوائل الحاجّ، وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلاً فنزلوا دار ابن أفلح بالبقيع وأقاموا بها، ولقوا حسيناً وغيره، فبلغ ذلك العمريّ فأنكره، وكان قد أخذ قبل ذلك الحسن بن محمّد بن عبد الله، وابن جندب الهذليّ الشاعر، ومولى لعمر ابن الخطاب وهم مجتمعون، فأشاع أنّه وجدهم على شراب، فضرب الحسن ثمانين سوطاً، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطاً، وضرب مولى عمر سبعة أسواط، وأمر بأن يدار بهم في المدينة مكشفيّ الظهر ليفضحهم، فبعثت إليه الهاشميّة - صاحبة الراية السوداء في أيام محمّد بن عبد الله - فقالت له: لا ولا كرامة، لا تشهر أحداً من بني هاشم، وتشنع عليهم وأنت ظالم، فكفّ عن ذلك وخلّى سبيلهم... إلى أن يقول: ثمّ عرضهم يوم الجمعة... فدعا باسم الحسن بن محمّد، فلم يحضر؛ فقال ليحيى والحسين بن عليّ: لتأتيا به أو لأحبسكما، فإنّ له ثلاثة أيّام لم يحضر العرض، ولقد خرج أو تغيب... أر يد أن تأتياني بالحسن بن محمّد.

فقال له الحسين: لا نقدر عليه، هو في بعض ما يكون فيه الناس، فابعث إليّ آل

١ . الأذان بحّي على خير العمل، للحافظ العلوي: ٨٩، ٨٨، ويتحقّق عزّان: ١٤٧ ح ١٨٦، ١٨٧.

عمر بن الخطاب، فاجمعهم كما جمعنا، ثمّ عرضهم رجلاً رجلاً، فإن لم تجد فيهم من قد غاب أكثر من غيبة الحسن عنك، فقد أنصفتنا.
فحلف [العمرى] على الحسين بطلاق امراته وحرية مماليكه، أنّه لا يخلّي عنه أو يجيئه به في باقي يومه وليلته، وأنّه إن لم يجئ به ليركبّن إلى سويقهِ فيخرّبها ويحرقها وليضربنّ الحسين ألف سوط...
فوثب يحيى مُغضباً، فقال له: أنا أعطي الله عهداً.. ثمّ وجّه [الحسين] فجاءه يحيى، وسليمان، و إدريس - بنو عبد الله بن الحسن - وعبد الله بن الحسن الأفطس، وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا، وعمر بن الحسن بن عليّ بن الحسن بن الحسين بن الحسن، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ، وعبد الله بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب.. ووجّهوا إلى فتیان من فتیانهم ومواليهم، فاجتمعوا.. سنّة وعشرین رجلاً من ولد عليّ، وعشرة من الحاجّ، ونفر من الموالي.

فلما أذن المؤذن للصبح دخلوا المسجد، ثمّ نادوا: (أحد، أحد)، وصعد عبد الله بن الحسن الأفطس المنارة التي عند رأس النبيّ صلى الله عليه وآله، عند موضع الجنائز؛ فقال للمؤذن: أذن ب «حيّ على خير العمل»، فلما نظر إلى السيف في يده أذن بها. وسمعه العمرى، فأحسّ بالشرّ، ودهش... وولّى هارباً... فصلّى الحسين بالناس الصبح؛ ودعا بالشهود العدول الذين كان العمرى أشهدهم عليه أن يأتي بالحسن إليه، ودعا بالحسن؛ وقال للشهود: «هذا الحسن قد جئت به، فهاتوا العمرى و إلاّ والله خرجت من يميني، وممّا عليّ». ولم يتخفّ عنه أحد من الطالبين^(١).
غير أنّهم حرّفوا الخلاف العقائدي السياسي إلى خلاف سياسي بحت،

فنداهم
يشككون في أهداف ثورة صاحب فخ و يتّهمونه وكلّ الثوار بأنهم ثاروا
للدفاع
عن شخص سكير - والعياذ بالله - وهو الحسن بن محمّد بن عبد الله بن الحسن (ابن النفس الزكية)^(٢)!

١ . مقاتل الطالبين: ٤٤٣ - ٤٤٧ وقد روينا مختصراً.
٢ . تاريخ الطبري ٨: ١٩٢، ١٩٣، الكامل في التاريخ ٥: ٧٤ - ٧٥.

ومثله قالوا عن ثورة زيد بن علي عليه السلام وشككوا في دواعي ثورته الخالصة، زاعمين أنها جاءت على أثر خلاف ماليّ بينه وبين بعض أعوان السلطة وهو خالد بن عبد الله^(١) أو أنه وابني الحسن تخاصما في وقف لعلي^(٢) أو ما شابه ذلك من التهم الفارغة التي تباين شخصية هؤلاء الأفضاذ، وما هذا إلا كصنيع الأمويين مع النصوص والأحداث. لقد سعت حكومة عمر بن الخطاب ومن بعده عثمان والحكومة الأموية، إلى تجريد الحيلة الثالثة من طابعها السياسي، بل حاولوا إدخالها في إطار اختلاف وجهات النظر والاجتهاد بين الصحابة كما يسمّونه، لكنّ الأمر أخذ يختلف في العهد العباسي الأول ثم من بعده في الحكومات اللاحقة، إذ راح يتبلور أكثر فأكثر كون الحيلة الثالثة شعارا دينياً سياسياً للثوار، وأخذت الحكومة تتحسس منه ولا تستطيع خنقه. فإبراهيم بن عبد الله بن الحسن - أخو النفس الزكية الذي خرج بالبصرة بعد شهادة أخيه - يأمر أصحابه أن يؤذّنوا بالحيلة سرا كي لا يقف النهج الحاكم وجواسيسه عليهم. وهكذا حال الحسين صاحب فخ، فإنّه لم يكن تأذينه وأتباعه بالحيلة الثالثة إلا معنى آخر للثورة وليعلنوا أنهم هم الأولى بالله ورسوله وخلافته.

طبرستان (سنة ٢٥٠هـ):

خرج بطبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وكان سبب ظهوره أنّ محمد بن عبد الله بن طاهر لمّا ظفر بيحيى بن عمير أقطعه

المستعين بالله العباسي من ضواحي السلطان بطبرستان قطائع، منها قطيعة قربة رب ثغر

الديلم وهما كلار وشالوس، وكان بحذائهما أرض يحتطب منها أهل تلك

١ . تاريخ الطبري ٧: ١٦٠ . وقد أجاب الإمام زيد عن هذه التهمة وقال ليوسف بن عمر: أتى يودعني مالاً وهو يشتم أبائي على منبره. فارسلي [يوسف] إلى خالد فاحضره في عباءة فقال له: هذا زيد، زعمت أنك قد أودعته مالاً، وقد أنكر.

فطر خالد في وجههما ثم قال: أتريد أن تجمع مع إثمك في إثما في هذا! كيف أودعه مالاً وأنا أشتمه وأشتم أباه على المنبر! قال: فشتمه يوسف، ثم رده، (تاريخ الطبري ٧: ١٦٧).

٢ . تاريخ الطبري ٧: ١٦٣ أحداث سنة ١٢١.

الناحية
وترعى فيها مواشيهم، ليس لأحد عليها ملك إنما هي موات، وهي ذات
غياض، وأشجار، وكلاً.

فوجه محمد بن عبد الله نائبه لحيازة ما أقطع، واسمه جابر بن هارون
النصراني، فلما قدم جابر عمده فحاز ما اتصل به من أرض موات يرتفق
بها الناس.

وكان في تلك الناحية يومئذ أخوان لهما بأس مذوران بإطعام الطعام
وبالإفضال، يقال لأحدهما: محمد، وللآخر: جعفر، وهما ابنا رستم،
فانكر أما فعل جابر من حيازة الموات وكانا مطاعين في تلك الناحية،
فاستنهضا من أطاعهما لمنع جابر من حيازة ذلك الموات؛ فخافهما جابر
فهرب منهما فلحق بسليمان بن عبد الله بن طاهر وكان عامل طبرستان
يومئذ، وخاف محمد وجعفر ومن معهما من عامل
طبرستان، فراسلوا جيرانهم من الديلم يذكرونهم العهد الذي بينهم، ثم
أرسل ابن

رستم ومن وافقهما إلى رجل من الطالبين - اسمه محمد بن إبراهيم كان
بطبرستان -

يدعونه إلى البيعة، فامتنع، وقال: لكني أدلكم على رجل منا هو أقوم بهذا
الأم

مئي، فدلهم على الحسن بن زيد وهو بالري، فوجهوا إليه عن رسالة
محمد بن إبراهيم يدعونه إلى طبرستان، فشخص إليها، فأتاهم وقد
صارت كل الديلم وأهل كلار وشالوس والرويان على بيعته، فبايعوه كلهم
وطردوا عمال ابن أوس عنهم - وكان هذا من عمال سليمان بن عبد الله
عامل طبرستان - فلحقوا بسليمان بن عبد الله، وانضم إلى الحسن بن زيد
أيضا جبال طبرستان.

ثم تقدم الحسن ومن معه نحو مدينة أمل ثم سارية، وقيل إن سليمان
انهم

اختياراً لأن الطاهريّة كلّها كانت تتشيع، فلما أقبل الحسن بن زيد إلى
طبرستان تأتم سليمان من قتاله لشدة في التشيع، وقال:

نَبَّئْتُ خَيْلَ ابْنِ زَيْدٍ أَقْبَلَتْ حَبِيبًا تُرِيدُنَا لِنُحَسِّنَ الْأَمْرَيْنَا

يا قومُ إن كانت الأنبياءُ صَادِقَةً
 فالويلُ لي ولجميعِ الطاهريِّينَا
 أمّا أنا فإذا اصطفتِ كتائبُنَا
 المولّينَا أكونُ من بينهم رأسُ
 فالعُذْرُ عند رسولِ الله منبسِطٌ
 إذا احتسبتِ دماءُ الفاطميِّينَا

فلما التقوا انهزم سليمان، فلما اجتمعت طبرستان للحسن وجه إلى «جندا» مع رجل من أهله يقال له الحسن بن زيد أيضا، فملكها وطرده عنها عامل الطاهرية، فاستخلف بها رجلاً من العلويين يقال له محمد بن جعفر وانصرف عنها»^(١).
 وقد جاء في تاريخ طبرستان لابن اسفنديار الكاتب المتوفى ٦١٣ هـ قوله:

«استقر الداعي الكبير ابن زيد في أمل، وأعلن في أطراف طبرستان وكيلان والديلم أنه: قد رأينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله وما صحّ عن أمير المؤمنين، وإلحاق حيّ على خير العمل، والجهر بالبسملة، والتكبير خمسا على الميت، ومن خالف فليس منا»^(٢).
 وقد حكى الشيخ أغا بزرك الطهراني في الذريعة عن تاريخ طبرستان: أن ٢٤٠ هـ
 الداعي إلى الحق الحسن بن زيد كتب في سنة ٢٥٢ منشورة عن أمل إلى سائر بلاده، بإعلاء شعائر التشيع من تقديم أمير المؤمنين عليه السلام، والأخذ بما صح عنه في جميع الأصول والفروع من قول «حيّ على خير العمل» والجهر ب «بسم الله الرحمن الرحيم» وغير ذلك^(٣).
 هكذا نجح الحسن بن زيد في تكوين هذه الدولة التي تُعرف بالدولة الزيدية بطبرستان، واقتطع من ملك بني العباس وآل طاهر طرفا عظيما تحميه جبال طبرستان والديلم، واستمرت هذه الحكومة نحو قرن كامل (٢٥٠ - ٣٥٥ هـ) تولى فيها:

- ١ . انظر: تفاصيل هذا الأمر في الكامل لابن الأثير ٥: ٣١٤ - ٣١٧ حوادث سنة ٢٥٠.
- ٢ . تاريخ طبرستان لابن اسفنديار الكاتب: ٢٣٩ وعنه في تاريخ طبرستان للمرعشي ٨٨١ هـ.
- ٣ . الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٧: ٢٧٠.

١. الحسن بن زيد الداعي ٢٥٠ - ٢٧٠.
٢. محمّد بن زيد القائم بالحق ٢٧٠ - ٢٧٩.
٣. احتلال الدولة السامية لطبرستان ٢٧٩ - ٣٠١.
٤. تولي الحسن الأطروش بن عليّ بن عمر بن زين العابدين ٣٠١ - ٣٠٤ على طبرستان مرّة أخرى.
٥. الحسن بن القاسم بن عليّ بن عبد الرحمن ومعه أولاد الأطروش ٣٠٤ - ٣٥٥.

و يبدو أنّ المنشور الذي أعلنه الداعي الكبير سنة ٢٥٢هـ ظلّ ساري المفعول حتّى نهاية هذه الدولة العلوية الزيدية، فكانت المآذن تؤذن بـ «حيّ على خير العمل» لأكثر من قرن، منبّهين على أنّ هذا المرسوم صدر في وقت مبكر جدا من أوائل حكومة هذا الداعي الكبير، لما له من هيبة دينية وبُعد سياسي، وما له من أثر في ترسيخ حكومة تقوم على أساس الدين من وجهة نظر علوية، ويؤكد صحّة هذا ما نراه اليوم وبعد أكثر من ألف عام في التراث الزيدي، فلو راجعت كتبهم الفقهية والحديثية القديمة عرفت ثبوتها عندهم، وهذا الموقف من الحسن بن زيد وغيره هو امتداد لشرعيتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

حمص / مصر / بغداد (سنة ٢٩٠هـ):

جاء في كتاب بغية الطلب في أخبار حلب لابن العديم المتوفى (٦٦٠هـ):

«... فصار [صاحب الخال] إلى حمص ودُعي له بكورها وأمرهم أن يصلوا الجمعة أربع ركعات، وأن يخطبوا بعد الظهر ويكون أذانهم: أشهد أن محمّدا رسول الله، أشهد أن عليّا ولي الله، حيّ على خير العمل»^(١). وجاء في كتاب «أخبار بني عبيد» لمحمد بن عليّ بن حماد في ترجمة عبيد

(٢٢٢هـ) - مؤسس الدولة العبيدية في مصر -:

... وكان مما أحدث عبيد الله أن قطع صلاة التراويح في شهر رمضان، وأمر بصيام يومين قبله، وقنت في صلاة الجمعة قبل الركوع، وجهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة، وأسقط من أذان صلاة الصبح: «الصلاة خير من النوم»، وزاد: «حيّ على خير العمل»، «محمد وعلي

خير البشر»، ونص الأذان طول مدة بني عبيد بعد التكبير والتشهدين: **حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح مرتين، حيّ على خير العمل محمد وعلي خير البشر مرتين مرتين، لا إله إلا الله مرة^(١).**

هذان نصان أحدهما عن الطالبين في حلب والآخر في مصر، وهما يؤكداً أن النزاع الفكري بين الطالبين والنهج الحاكم كان مستمرا عبر جميع القرون، ولـم يختص ببلدة دون أخرى.

و يدلّ على أصالة الحيلة الثالثة، وامتداد التأذين بها زماناً، وانتشارها مكاناً، ما رواه القاضي التنوخي المتوفى ٣٨٤ هـ عن أبي فرج الإصفهاني فيما حدث في بغداد في نفس تلك الفترة تقريبا، قال: أخبرني أبو الفرج الأصفهاني (المتوفى ٣٥٦ هـ) قال: سمعت رجلاً من القطيعة^(٢)، يؤذن: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن

١ . اخبار بني عبيد ١ : ٥٠ .

٢ . رجّح محقق كتاب نشوار المحاضرة أن يكون المقصود من القطيعة هي قطيعة أمّ جعفر، وهي محلّة ببغداد عند باب التين وهو الموضع الذي فيه مشهد الإمام موسى ابن جعفر، لكن ترجيحه ليس براجح بنظرنا، لأن أبا الفرج لو أراد تلك القطيعة لقال: رجلٌ من أهل القطيعة أو رجل من قطيعة أمّ جعفر؛ وذلك لتمييزها عن القطائع الكثيرة الأخرى - والتي ذكرها صاحب معجم البلدان ٤ : ٣٧٦ - كقطيعة إسحاق، وقطيعة الرقيق، وقطيعة الربيع، وقطيعة زهير، وقطيعة العجم، وقطيعة عيسى وغيرها.

وحيث لا يمكن الترجيح أو القول بأن القطيعة هي علم لقطيعة أم جعفر فلا بدّ من احتمال أن تكون القطيعة هي تصحيف للقطيعة وهي الفرقة التي قطعت بموت موسى ابن جعفر وإمامة عليّ بن موسى الرضا عليهم السلام، وهم في مقابل الواقفة التي وقفت على إمامة موسى بن جعفر الكاظم ولم تقل بإمامة من بعده، ويترجّح احتمالنا حينما نرى التنوخي يأتي ب «خير أذان رجل من القطيعة» بعد خبر «حجّام يحجم بالنسيّة إلى الرجعة» وكلاهما يرتبط بأمر تقوله الشيعة الإمامية الاثنا عشرية.

و يتقوى احتمالنا هذا حينما نرى الإصفهاني - الزيدي العقيدة - ينقل هذا الخبر، وهو تأكيد لأذان الإمامية القطيعة في الكاظمية، وأنهم كانوا يؤذنون بالشهادة الثالثة. ولو أحببت أن تتأكد بأن القطيعة هو اصطلاح للشيعة الاثني عشرية راجع كتب الشيخ الصدوق ومقالات الإسلاميين للأشعري ١ : ١٧، والملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٩، وخاتمة المستدرک ٤ : ٢٤٨ عن النوبختي في كتاب مذاهب فرق أهل الإمامة.

وعلى فرض أن يكون المراد قطيعة أم جعفر، فهي أيضا كانت من الأماكن التي يقطنها الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، قال الحموي في معجم البلدان ٤ : ٤٤٨، وأهل الكرخ كلهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سنيّ ألبتة. وانظر: حول تشيعها الاثني عشري البداية والنهاية ١١ : ٣٠٧ / احداث سنة ٣٧٩، وموسوعة العتبات المقدسة «الكاظمية» ٩ : ١١٥ .

محمد رسول الله، أشهد أن عليًا ولي الله، محمد وعلي خير البشر، فمن
أبى فقد كفر، ومن رضي فقد شكر، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح،
حيّ على خير العمل، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله^(١)...

ولتأكيد وجود الخلاف الفقهي العقائدي في تلك البرهة من التاريخ إليك

كلام

المقريزي في (المواعظ والاعتبار) عند ذكره مذاهب أهل مصر ونحلهم،
قال:

قال أبو عمر الكندي في كتاب (أمراء مصر): ولم يزل أهل مصر
على الجهر بالبسملة في الجامع العتيق إلى سنة ثلاث وخمسين ومائتين
(٢٥٣هـ)، قال: ومنع أرجون صاحب شرطة مزاحم بن خاقان أمير
مصر من الجهر بالبسملة في الصلوات بالمسجد الجامع، وأمر الحسين بن
الربيع إمام المسجد الجامع بتركها وذلك في رجب سنة ثلاث وستين
ومائتين (٢٦٣هـ)، ولم يزل أهل مصر على الجهر بها في المسجد
الجامع منذ الإسلام إلى أن منع منها أرجون.

إلى أن يقول: ... إلى أن قدم القائد جوهر من بلاد إفريقية في سنة ثمان
وخمسين وثلاثمائة (٣٥٨هـ) بجيوش مولاة المعز لدين الله أبي تميم معدّ
وبنى مدينة القاهرة، فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة، وعمل به
في القضاء وأنكر ما خالفه، ولم يبق مذهب سواه، وقد كان التشيع بأرض
مصر معروفًا قبل ذلك.

قال أبو عمر الكندي في كتاب الموالي، عن عبد الله بن لهيعة أنه قال:
قال يزيد بن أبي حبيب: نشأت بمصر وهي علوية فقلبها عثمانية^(٢).

ثم عمد المقريزي إلى شرح الأدوار التي مرت بها الشيعة في مصر
وكيف كانت علوية وصارت عثمانية حتى يصل إلى صفحة ٣٤٠، وفيها
يذكر حوادث سنة (٣٥٣ و ٣٥٦هـ) وأن «جوها» أعلن حيّ على خير
العمل وفضل الإمام عليًا وأولاده على غيره وجهر بالصلاة عليه وعلى
الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم، مما سيأتي في ما
ننقله عن حوادث مصر في تلك السنة.

هذا وقد أضاف المحقق جملة من بعض النسخ تشمئز منها النفوس ولا تتفق مع السير التاريخي
وارتباط هند وابن عمر بمسألة الأذان، فراجع.

١ . نشوار المحاضرة للتونخي ٢: ١٣٣.

٢ . الخطط المقريزية ٢: ٣٣٤.

هذا نموذج بسيط عن مسار الاتجاهين الفكري. وقد أكدنا أكثر من مرة على أنّ لكل واحد من النهجين قادة وجماهير.

ولما حكم نهج الاجتهاد والرأي - في الحكومات الأموية والعباسية أو السلجوقية والأيوبية - حكم آراء الخلفاء وفقهم في الشريعة.

أما النهج الشيعي فقد دعا إلى الأخذ بسنة رسول الله عن عليّ وأولاده، وهؤلاء قد عارضوا النهج الحاكم في زمن الشيخين وعثمان وطيلة الحكم الأموي والعباسي. ولا ننسى أن شعارية «حيّ على خير العمل» وغيرها قد تجسدت في العصر العباسي الأوّل والثاني، أي بنشوء الدول الشيعية كالدولة الإدريسية في المغرب والحمدانية في حلب، والبويهية في بغداد، والزيدية في طبرستان، والفاطمية في مصر و...

وقد اتخذ كلّ اتجاه أصولاً في عمله، فأحدهم يمنع من تدوين الحديث والآخري يصرّ عليه وإن وضعت الصمصامة على عنقه.

والأوّل يذهب إلى عدم تنصيب النبيّ على أحد بل ترك الأمة لتختار لإمامته

من تشاء، والآخري يعتقد بلزوم الوصاية والخلافة وقد عين النبيّ بالفعل عليّاً

وخليفة من بعده.

والسنيّ يقول باجتهاد النبيّ، والشيعي لا يرتضي ذلك.. وهلمّ جرّاً.

إذا يمكن تلمس النهج السني في تصرف الدولتين الأموية والعباسية، ثمّ بعدهم السلجوقيّة والنوريّة والصلاحية والعثمانية، وهذه الدول كانت تسعى لتطبيق ما شرّع على عهد الخلفاء وما دون لهم في عهد عمر بن عبدالعزيز - لقول الزهري: (كنّا نكره تدوين الحديث حتّى أكرهنا السلطان على ذلك، فكتبناه وخفنا أن لا نكتبها للناس) - وأخذوا بالمذاهب الأربعة فقط، اعتقاداً منهم بأنّ أقوال أربابها هي الدين الحق، غافلين عن دور الحكّام في تأصيل أصول تلك الأحكام الشرعية، كتدوين الحديث، وحصر المذاهب بالأربعة وسوى ذلك.

وفي المقابل نرى النهج العلوي بأمرائه وجماهيره وعلمائه وفقهائه يسعون - عند وصولهم إلى الحكم - لتطبيق ما عرفوه من سنة رسول الله ونهج الإمام عليّ، فيصرون على الإتيان بالحيعة الثالثة مثلاً ويأبون بدعيّتها، وهكذا الأمر في غيرها من المسائل المختلف فيها.

وهذا التخالف بين الجناحين يَوْمِي إلى أنّ الخلاف بين الحكومات العلوية الشيعية والحكومات السنية على مرّ التاريخ كان يدور في محاور عقائدية فكرية استراتيجية، مضافا لما بينهما من خلاف حول الخلافة، لأنّ كلّ واحد من الطرفين يستدل على صحّة عمله بأقوال وأفعال من يعتقد به من الصحابة أو أهل البيت.

وعليه فلا يجوز أن نتغافل عن جذور الحيلة الثالثة وأشباهاها في كتب الفقه والحديث والتاريخ، بل بذكرنا خلافيات الفريقين يمكن الوقوف على جواب سؤالنا السابق، وأن هذه الأمور هي تشريعات ذات أبعاد سياسية عقائدية.

ولا يمكننا أن ننكر أنّ الشيعة قد كانوا يَمَسُّون الصحابة في بعض الأحيان؛ لما وقفوا عليه في التاريخ من غصب حقّ الإمام عليّ، ومنع الزهراء من فدك والهجوم على بيتها، ولعن الإمام عليّ على المنابر في زمن معاوية ومن بعده، وضياع أحكام كثيرة من دين الله و...

وهذا يوضح أنّ لكلّ واحد من النهجين شعائره ومقدساته. ويجب أن يتّضح لنا أنّ هذا الموقف من الاعتقاد الشيعي أو ذاك الموقف من الاعتقاد السني إنّما يبتني على ما يحمله كلّ طرف من المتبنيات الفكرية الأيدلوجية والأصول التي اعتمد عليها، والتي تدلّ على شرعيّته عنده وأنه لم يكن وليد ساعتها!

إنّ كلامنا هذا يرمي إلى بيان البنى التحتية للفريقين، دون الخوض في أصل شرعية حكم الفاطميين أو عدم شرعية حكم العباسيين أو العكس و إلى البحث عن مدى صحّة ما روي عنه صلى الله عليه وآله: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، أو أن حكم البسمة هو الجهر أم الإخفات، وهل يجوز المسح على الخفين أم لا؟ إذ أن شرعية هذه الأحكام وعدمها سبقت هذه المرحلة، وإن ديمومية هذا الخلاف من قبل الفريقين ينبئ عن وجود أصل مختلف فيه بينهما، لا كما يصورونه من عدم وجود أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أو عن حكومات غير المتعبدين.

الأندلس «ما بعد سنة ٣٠٠ هـ»:

ذكر ابن حزم الأندلسي في (نقطة العروس في تواريخ الخلفاء) تحت عنوان: مَنْ خَطَبَ ابْنِي الْعَبَّاسِ أَوْ ابْنِي عَلِيٍّ بِالْأَنْدَلُسِ، فقال:

عمر بن حفصون خطب في أعماله بريئة^(١) لإبراهيم بن قاسم بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب صاحب البصرة، ثم خطب لعبيد الله صاحب افريقية، وأذن في جميع أعماله «حيي على خير العمل»^(٢).
حلب / مصر (سنة ٣٤٧ هـ):

قال المقرئ في (المواعظ والاعتبار): «... وأول من قال في الأذان باللي:

«محمد وعلي خير البشر»^(٣) الحسين المعروف «بأمير ابن شكنبة»، ويقال اشكنبة،

وهو اسم اعجمي معناه: الكرش، وهو: علي بن محمد بن علي بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان أول تأديته بذلك في أيام سـ...
الدولة بن حمدان بحلب في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، قاله الشريف محمد بن أسعد الجوباني النسابة.

ولم يزل الأذان بحلب يزداد فيه «حيي على خير العمل، ومحمد وعلي

خير البشر» إلى أيام نور الدين محمود، فلما فتح المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية استدعى أبا الحسن علي بن الحسن بن محمد البلخي الحنفي إليها، فجاء ومعه جماعة من الفقهاء، وألقى بها الدروس، فلما سمع الأذان أمر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الأذان وقال لهم: مـ...
المشروع^(٤)، ومن امتنع كُـ...
واستمر الأمر على ذلك.

وأما مصر فلم يزل الأذان بها على مذهب القوم [يعني الشيعة الفاطميين] إلى أن استبدد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر وأزال الدولة الفاطمية في سنة سبع وستين وخمسمائة، وكان

١ . بناحية اكشونيت.

٢ . رسائل ابن حزم الاندلسي ٢: ٨٤ الرسالة الثانية (نقط العروس في تواريخ الخلفاء) تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٨٧.

٣ . هذا اشتباه من الكاتب، ذلك ان الزيدية كانت تقول بهذا قبل هذا التاريخ حسبما وضحناه.

٤ . يعني به الذي ليس فيه «حيي على خير العمل، المفسر بمحمد وعلي خير البشر»!

ينتحل مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وعقيدة الشيخ أبي الحسن الأشعري، فأبطل الأذان ب «حيّ على خير العمل» وصار يؤذّن في سائر إقليم مصر والشام بأذان أهل مكّة، وفيه تربيعة التكبير وترجيع الشهادتين، فاستمر الأمر على ذلك إلى أن بنت الأتراك المدارس بديار مصر وانتشر مذهب أبي حنيفة في مصر، فصار يؤذّن في بعض المدارس التي للحنيفة بأذان أهل الكوفة، وتقام الصلاة أيضا على رأيهم^(١)...

ومما يجب الإشارة إليه أنّ دولة سيف الدولة الحمدانيّ المتوقّى سنة ٣٥٦هـ اتّسعت وشملت حلب وانطاكية وقتّسرين ومنبج وبالس ومعرة النعمان ومعرة مصرين، وسرمين، وكفر طاب، وافامية، وعزاز، وحماة، وحمص، وطرطوس، ثمّ تولى بعده أخوه ناصر الدولة. وكانت دولة شيعية اثني عشرية تعلن عن معتقداتها وآراءها بدون عسف وقسر. روى ابن ظافر في أحداث سنة أربع وخمسين وثلاثمائة أنّ سيف الدولة صاهر أخاه ناصر الدولة، فزوّج ابنيه أبا المكارم وأبا المعالي بابنتي ناصر الدولة، وزوج أبا تغلب بابنته «ستّ الناس» وضرب دنانير كبيرة، في كلّ دينار منها ثلاثون دينارا وعشرون وعشرة عليها مكتوب: «لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله. أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب. فاطمة الزهراء. الحسن. الحسين. جبريل:». وعلى الجانب الآخر «أمير المؤمنين المطيع لله. الأميران الفاضلان: ناصر الدولة، سيف الدولة. الأميران أبو تغلب وأبو المكارم»^(٢).

وواضح ممّا تقدم أنّ الشيعة كانوا يعلنون عن معتقداتهم بكل رصانة وهـ
وبالدليل والمنطق حين تستقر بهم الأمور، بخلاف من أمروا بإلقاء من يؤذّن

بالحيلة الثالثة وبفضل محمّد وآل محمّد من على رأس المنارة!!
وجاء في الكامل لابن الأثير وتاريخ الإسلام للذهبي في حوادث سنة ٣٥١هـ:

وفيهما كتبت الشيعة ببغداد على أبواب المساجد: لعنّ الله معاوية، ولعنّ من

١ . خطط المقرئزي ٢: ٢٧١ - ٢٧٢.

٢ . أعيان الشيعة ٨: ٢٦٩.

عَصَا
فاطمة حَقَّهَا مِنْ فَذَاكَ، وَمَنْ مَنَعَ الْحَسَنَ أَنْ يُدْفِنَ مَعَ جَدِّهِ، وَمَنْ نَفَى أَبَا ذَرٍّ.

ثُمَّ إِنَّ
ذَلِكَ مُحِي فِي اللَّيْلِ، فَأَرَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِعَادَتَهُ، فَأَنشَارَ عَلَيْهِ الْوَزِيرَ الْمَهْلَبِيَّ
أَنْ يُكَتَبَ

ب
مَكَانَ مَا مُحِيَ: «لَعَنَ اللَّهُ الظَّالِمِينَ لِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»،
وَصَرَّحُوا بِلَعْنَةِ مَعَاوِيَةَ فَقَطْ^(١).

وَفِي ثَامِنِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةَ (٣٥٢)
هـ) عُمُ

ل
عِيدِ غَدِيرِ خُمٍّ وَضُرِبَتِ الدَّبَادِبُ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ إِلَى مَقَابِرِ قَرَيْشٍ لِلصَّلَاةِ
هَذَا

وَأِلَى مَشْهَدِ الشَّيْعَةِ^(٢).

الْقَاهِرَةَ (سَنَةِ ٣٥٦ هـ):

جَاءَ فِي كِتَابِ (الْمَوَاعِظُ وَالْإِعْتِبَارُ فِي ذِكْرِ الْخَطَطِ وَالْآثَارِ)

لِلْمُقَرَّبِيِّ
زَيْ: «... وَفِي
شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةَ أُخِذَ رَجُلٌ يَعْرِفُ بِأَبِي
الْيَسْرِ

ب
إِلَى التَّشْيِيعِ فَضُرِبَ مَائَتِي سَوْطٍ وَدَرَّةٍ.

ثُمَّ ضُرِبَ فِي شَوَّالِ خَمْسِمِائَةَ سَوْطٍ وَدَرَّةٍ، وَجُعِلَ فِي عُنُقِهِ غِلٌّ
وَحُسٌّ
بِسْ، وَكُتِبَ
يُتَّفَقُ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِنَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُ، وَيُبِصَّقُ فِي وَجْهِهِ، فَمَاتَ فِي مَحْبَسِهِ،
فَحُمِّلَ لِيَلًا
وَدْفِنَ.

فَمَضَتْ جَمَاعَةٌ إِلَى قَبْرِهِ يَنْبِشُوهُ وَبَلَّغُوا إِلَى الْقَبْرِ، فَمَنَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ
الْإِخْشَاطِ

بِالْيَدِيَّةِ
وَالْكَافُورِيَّةِ فَأَبَوْا وَقَالُوا: هَذَا قَبْرُ رَافِضِيٍّ، فَثَارَتِ فِتْنَةٌ، وَضُرِبَ جَمَاعَةٌ
وَنَهَبَ

وَأَكْثَرًا حَتَّى تَفَرَّقَ النَّاسُ.

١ . تاريخ الإسلام: ٨ حوادث ٣٥١ - ٣٨٠ هـ، الكامل في التاريخ ٧: ٤، المنتظم ١٤: ١٤٠.

٢ . تاريخ الإسلام: ١٢ حوادث ٣٥١ - ٣٨٠ هـ.

وفي سنة ستّ وخمسين كتب في صفر على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل، فأمر كافور الإخشيدي بإزالته، فحدثه جماعة في إعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال: ما أحدث في أيامي ما لم يكن، وما كان في أيام غيري فلا أزيله، ثم أمر من طاف وأزاله من المساجد كلها. ولما دخل جوهر القائد بعساكر المعزّ لدين الله إلى مصر وبنى القاهرة أظهر مذهب الشيعة، وأذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها «حيّ على خير العمل» وأعلن بتفضيل عليّ بن أبي طالب على غيره، وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم...

وفي ربيع الأول سنة اثنين وستين عزّر سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة، فشغبوا وصاحوا: معاوية خال عليّ بن أبي طالب، فهمّ جوهر أن يحرق رحبة الصيارفة لكن خشي على الجامع، وأمر الإمام بجامع مصر أن يجهر بالبسملة في الصلاة، وكانوا لا يفعلون ذلك، وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية، وأمر في المواريث بالردّ على ذوي الأرحام، وأن لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جدّ، ولا ابن أخ ولا ابن عم، ولا يرث مع الولد الذكر أو الأنثى إلا الزوج أو الزوجة والأبوان والجدّة، ولا يرث مع الأمّ إلا من يرث مع الولد أو الأنثى إلا الزوج أو الزوجة والأبوان والجدّة، ولا يرث مع الأمّ إلا من يرث مع الولد.

وخاطب أبو الطاهر محمد بن أحمد - قاضي مصر - القائد جوهرًا في بنت وأخ، وأنه حكم قديماً للبنت بالنصف وللأخ بالباقي، فقال: لا أفعل، فلما ألحّ عليه قال: يا قاضي، هذا عداوة لفاطمة!!! فأمسك أبو الطاهر فلم يراجع بعد ذلك...^(١)
القاهرة (سنة ٣٥٨ هـ):

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: أقيمت الدعوة للمعزّ في الجامع العتيق، وسار جوهر إلى جامع ابن طولون، وأمر بأن يؤذّن فيه بـ «حيّ على خير العمل» وهو أول ما أذّن، ثم أذّن بعده بالجامع العتيق، وجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم^(٢).

١ . المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والأثار للمقريزي ٢: ٣٤٠.
٢ . وفيات الاعيان لابن خلكان ١: ٣٧٥ وانظر: أخبار بني عبيد ١: ٨٤.

وقال بعده: وفي يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة أمر جوهر بالزيادة عقيب الخطبة: اللهم صلّ على محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم صلّ على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين^(١).

وجاء في (المنتظم) في حوادث سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة:.. ودخل جوهر إلى مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشر ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وخمسين، وخطب لئبي عبيد في الجامعين بفسطاط مصر وسائر أعمالها يوم الجمعة لعشر ليال بقين من شعبان هذه السنة، وكان الخاطب في هذا اليوم عبد السميع بن عمر العباسي.

وقد أشار محقق الكتاب في الهامش إلى نصّ كتاب جوهر لأهل مصر نقتطف منه مقطع «... وردّ المواريث إلى كتاب الله وسنة رسوله، وأن يقدم من أمّ مساجدكم وتزيينها، وإعطاء مؤذنيها وقومتها ومن يؤمّ بالناس أرزاقهم، وأن يجري فرض الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقنوت لياليه والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله في كتابه وسنة نبيّه، وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه»^(٢).

وفي كتاب (العبر في خبر من غبر):... وجاءت المغاربة مع القائد جوهر المغربي، فأخذوا ديار مصر، وأقاموا الدعوة لئبي عبيد، مع أنّ دولة معزّ الدولة [البويهّي] هذه المدة رافضية، والشعار الجاهلي يقيم يوم عاشوراء ويوم الغدير^(٣).

وفي (مآثر الإنافة) للقلقشندي قال:.. دخل جوهر قائد المعزّ الفاطمي إلى مصر سنة ٣٥٨ واستولى عليها وأذن ب «حيّ على خير العمل» وقطع الخطبة للعباسيين^(٤).

وفي (تاريخ الخلفاء) للسيوطي قال:.. لمّامات كافور الاخشيدي صاحب مصر اختلّ النظام وقلّت الأموال على الجند، فكتب جماعة إلى المعزّ [الفاطمي] يطلبون منه عسكريا ليسلموا إليه مصر، فأرسل مولاه جوهر القائد في مائة ألف فارس فملكها... وقطع خطبة بني العباس ولبس

١ . وفيات الأعيان، لابن خلكان ١: ٣٧٩.

٢ . المنتظم ١٤: ١٩٧.

٣ . العبر في خبر من غبر ٢: ٣١٦.

٤ . مآثر الانافة للقلقشندي ١: ٣٠٧.

السواد وألبس الخطباء البياض، وأمر أن يقال في الخطبة: «اللهم صلّ على محمّد المصطفى، وعلى عليّ المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، وصلّ على الأئمة آباء أمير المؤمنين المعزّ بالله»^(١).

وفي (سير أعلام النبلاء)^(٢) و (نهاية الأرب)^(٣) والنصّ للأول: ... وضربت السكّة على الدينار بمصر وهي: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ خير الوصيين، والوجه الآخر اسم المعز والتاريخ، وأعلن ب «حيّ على خير العمل»، ونودي: «من مات عن بنت وأخ وأخت فإلّا كنه للبنت»، فهذا رأي هؤلاء.

قال الذهبي: ظهر في هذا الوقت الرفض وأبدى صفحته وشمخ بأنفه في مصر والحجاز والشام والمغرب بالدولة العبيديّة، وبالعراق والجزيرة والعجم ببني بويه، وكان الخليفة المطيع ضعيف الدست والرتبة مع بني بويه، وأعلن الأذان بالشام ومصر ب «حيّ على خير العمل».

وفي (البداية والنهاية) لابن كثير... دخل أبو الحسين جوهر القائد الرومي في جيش كثيف من جهة المعزّ الفاطمي إلى ديار مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشر بقية من شعبان، فلما كان يوم الجمعة خطبوا للمعزّ الفاطمي على منابر الديار المصريّة وسائر أعمالها، وأمر جوهر المؤذنين بالجوامع أن يؤذّنوا ب «حيّ على خير العمل» وان يجهر الأئمة بالتسليمة الأولى^(٤).

جامع ابن طولون / مصر (سنة ٣٥٩هـ):

قال النويري في (نهاية الأرب في فنون الأدب): ... وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر، صلّى القائد جوهر في جامع ابن طولون وأذن ب «حيّ على خير العمل»، وهو أول ما أذن به بمصر، ثمّ أذن بذلك بالجامع العتيق بمصر في الجمعة^(٥).

١ . تاريخ الخلفاء: ٤٠٢ .

٢ . سير أعلام النبلاء ١٥ : ١٦٠ وتاريخ الإسلام .

٣ . نهاية الأرب في فنون الأدب / الفن ٥ / القسم ٥ / الباب ١٢ اخبار الملوك العبيديون .

٤ . البداية والنهاية ١١ : ٢٨٤ .

٥ . نهاية الأرب في فنون الأدب / الفن ٥ / القسم ٥ / الباب ١٢ اخبار الملوك العبيديون .

وقال ابن خلدون في تاريخه: ... دخل جوهر جامع ابن طولون فصلى فيه وأمر بزيادة «حيّ على خير العمل» في الأذان، فكان أول أذان أُذّن به في مصر^(١).

وقال ابن الأثير في الكامل: ... وفي جمادى الأولى من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة سار جوهر إلى جامع ابن طولون وأمر المؤذن فأذن بـ «حيّ على خير العمل» وهو أول ما أذن بمصر، ثمّ أذن بعده في الجامع العتيق وجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم^(٢). وفي (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي: ... في ثامن عشر من ربيع الآخر سنة ٣٥٩ صلى القائد جوهر في جامع ابن طولون بعسكر كثير، وخطب عبد السميع بن عمر العباسي الخطيب وذكر أهل البيت وفضائلهم رضي الله عنهم، ودعا للقائد جوهر، وجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم، وقرأ سورة الجمعة والمنافقين في الصلاة، وأذن بـ «حيّ على خير العمل» وهو أول ما أذن به بمصر... وقنت الخطيب في صلاة الجمعة، وفي جمادى الأولى من السنة المذكورة أذّنوا في جامع مصر العتيق بـ «حيّ على خير العمل»^(٣).

وقال المقرئ في (المواعظ والاعتبار): ... وكان الأذان أولاً بمصر كأذان أهل المدينة وهو الله أكبر، الله أكبر وباقيه كما هو اليوم، فلم يزل الأمر بمصر على ذلك في جامع عمرو بالفسطاط، وفي جامع العسكر، وفي جامع أحمد ابن طولون وبقية المساجد إلى أن قدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله وبنى القاهرة، فلما كان في يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة صلى القائد جوهر الجمعة في جامع أحمد بن طولون، وخطب به عبد السميع بن عمر العباسي بقلنسوة وسبني، وطيلسان دبسي، وأذّن المؤذّنون «حيّ على خير العمل» وهو أول ما أذن به بمصر.

وصلى به عبد السميع الجمعة، فقرأ سورة الجمعة وإذا جاءك المنافقون، وقنت في الركعة الثانية، وانحط إلى السجود، ونسي الركوع، فصاح به عليّ بن الوليد قاضي عسكر جوهر: بطلت الصلاة، أعد ظهرا

١ . تاريخ ابن خلدون ٤ : ٤٨ .

٢ . الكامل في التاريخ ٧ : ٣١ .

٣ . شذرات الذهب ٣ : ١٠٠ .

أربع ركعات، ثم أذن بـ«حيّ على خير العمل» في سائر مساجد العسكر إلى حدود مسجد عبد الله^(١).

وأنكر جوهر على عبد السميع أنه لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في كلّ سورة، ولا قرأها في الخطبة، فأنكره جوهر ومنعه من ذلك. ولأربع بقين من جمادى الأولى المذكور أذن في الجامع العتيق بـ«حيّ على خير العمل»، وجهروا في الجامع بالبسملة في الصلاة، فلم يزل الأمر على ذلك طول مدة الخلفاء الفاطميين؛ إلا أن الحاكم بأمر الله في سنة أربعمائة أمر بجمع مؤذني القصر، وسائر الجوامع وحضر قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي، وقرأ أبو عليّ العباسي سجلاً فيه الأمر بترك «حيّ على خير العمل» في الأذان، وأن يقال في صلاة الصبح: الصلاة خير من النوم، وأن يكون ذلك من مؤذني القصر عند قولهم: «السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله»^(٢).

فامتثل ذلك، ثم عاد المؤذنون إلى قول «حيّ على خير العمل» في ربيع الآخر سنة أحد وأربعمائة، ومنع في سنة خمس وأربعمائة مؤذني جامع القاهرة ومؤذني القصر من قولهم بعد الأذان: «السلام على أمير المؤمنين» وأمرهم أن يقولوا بعد الأذان: الصلاة رحمك الله...»^(٣).

وفي كتاب (النجوم الزاهرة في أعلام مصر والقاهرة):... ثم في شهر ربيع الأخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة أذنوا بمصر بـ«حيّ على خير العمل» واسم تمرّ ذلك أك، ثم شرع جوهر في بناء جامعته بالقاهرة المعروف بجامع الأزهر، وهو أول جامع بنته الرافضة بمصر^(٤).

١ . انظر: قريبا منه في أخبار بني عبيد ١ : ٨٥ .
٢ . مرّ عليك أنّ معاوية بن أبي سفيان هو أول من ابتدع هذه المقولة ورسخ أركانها (كما عن كتب الأوائل السيوطي: ٢٦). وقد كان لهذا الأمر جذر متجذر في زمان عمر، ذلك أنه لما قدم عمر مكة أتاه أبو محذورة وقد أذن، فقال: الصلاة يا أمير المؤمنين، حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح، قال: ويحك أمجنون أنت؟! أما كان في دعائك الذي دعوتنا ما نأتيك حتّى نأتيها. (مصنف ابن أبي شيبة ١ : ٣٠٧).
٣ . المواعظ والاعتبار للمقريزي ٢ : ٢٧٠ - ٢٧١ .
٤ . النجوم الزاهرة ٤ : ٣٢ .

وفي تاريخ الخلفاء: في ربيع الآخر سنة ٣٥٩ أذنوا بمصر ب «حيّ على خير العمل»^(١).

دمشق (سنة ٣٦٠ هـ):

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: ... وفي صفر أعلن المؤذنون بدمشق
«حيّ على خير العمل» بأمر جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعزّ بالله، ولم يجسر أحد
مخالفته، وفي جمادى الآخرة أمرهم بذلك في الإقامة فتألم الناس لذلك
فهاك لعام^(٢).
والله أعلم^(٣).

وفي (سير أعلام النبلاء): ... وفي سنة ستين تملك بنو عبيد مصر
والشام وأذنوا بدمشق ب «حيّ على خير العمل» وغلت البلاد بالرفض
شرقا وغربا وخفيت السنة قليلاً^(٤).
ثمّ قال في (ج ١٦: ٤٦٧): ... وقطعت الخطبة العباسية وألبس
الخطباء البيهقاص وأذنوا ب «حيّ على خير العمل».

وقال ابن كثير في (البداية والنهاية): ... استقرت يد الفاطميين على
دمشق ق ف سنة ٣٦٠، وأذن فيها وفي نواحيها ب «حيّ على خير العمل» أكثر من
مائة، وكتب لعنة الشيخين على أبواب الجوامع بها وأبواب المساجد.
وفي مصر خطب جوهر لمولاه وقطع خطبة بني العباس، وذكر في
خطبته الأئمّة

الاثنى عشر وأمر فأذن ب «حيّ على خير العمل»^(٥).
وقال بعد ذلك: وفيها أذن بدمشق وسائر الشام ب «حيّ على خير
العمل»، قال ابن عساكر في ترجمة جعفر بن فلاح نائب دمشق: وهو
أول من تأمّر بها عن الفاطميين:

١ . تاريخ الخلفاء: ٤٠٢.

٢ . تاريخ الإسلام: ٤٨ حوادث ٣٥١ - ٣٨٠ هـ.

٣ . سير أعلام النبلاء ١٥: ١١٦، تاريخ الخلفاء: ٤٠٢.

٤ . البداية والنهاية ١١: ٢٨٤.

أخبرنا أبو محمّد الأكفاني، قال: قال أبو بكر أحمد بن محمّد بن شرام: وفي يوم الخميس لخمس خلون من صفر من سنة ٣٦٠ أعلن المؤذّنون في الجامع بدمشق وسائر مآذن البلد وسائر المساجد بحيّ على خير العمل بعد حيّ على الفلاح، أمرهم بذلك جعفر بن فلاح ولم يقدرُوا على مخالفته، ولا وجدوا من المسارعة إلى طاعته بُدًا.

وفي يوم الجمعة الثامن من جمادى الآخرة أمر المؤذّنون أن يُثنّوا الأذان والتكبير في الإقامة مثنى مثنى، وأن يقولوا في الإقامة «حيّ على خير العمل»، فاستعظم الناس ذلك وصبروا على حكم الله^(١).

وجاء في (النجوم الزاهرة):... وهي السنة الثانية لولاية جوهر... على مصر وهي سنة ٣٦٠، وفيها عمل الرافضة المآتم ببغداد في يوم عاشوراء على العادة في كلّ سنة من النوح واللطم والبكاء، وتعليق المُسوح، وغلق الأسواق، وعملوا العيد والفرح يوم الغدير وهو يوم ثامن عشر من ذي الحجّة.

وفي صفر أعلن المؤذّنون ب «حيّ على خير العمل» بأمر القائد جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعزّ الفاطمي، ولم يجسر أحد على مخالفته، ثمّ في جمادى الآخرة أمرهم ابن فلاح المذكور بذلك في الإقامة فتألم الناس^(٢).

وقال أيضا:... وفيها (أي سنة ٣٦٠) قتل جعفر بن فلاح وهو أوّل أمير ولدي دمشق لبني عبيد المغربي، والعجب أن القرمطي أبا محمّد الحسن بن أحمد لمّا قتلناه بكى عليه ورثاه لأنهما يجمع بينهما التشييع^(٣).

وقد كتب المقرئ عن المعزّ لدين الله: أنه لمّا دخل مصر أمر في رمضان سنة

١ . البداية والنهاية ١١ : ٢٨٧، وكلام ابن كثير يشير إلى عمل أهل السنة والجماعة بالتقية لو احسوا الضرورة لذلك، كما يفعله اليوم الخط السلفي واتباع الطالبان، فلا يرتضي أحد منهم أن يُنسب إلى ابن لادن خوفا من القتل والسجن!

٢ . النجوم الزاهرة ٤ : ٥٧.

٣ . النجوم الزاهرة ٤ : ٥٧.

اثنين وستين وثلاثمائة فكتب على سائر الأماكن بمدينة مصر: «خير الناس بعهد رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»^(١).
حلب (سنة ٣٦٧هـ):

جاء في زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن أبي جرادة الشهير بابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠: ... وانهزم (بكجور) إلى القلعة فاستعصى بها وذلك في رجب سنة خمس وستين وثلاثمائة، ثم أقام سعد الدولة يحاصر القلعة مدة حتى نفذ ما فيها من القوت، فسلمها (بكجور) في شهر ربيع الآخر من سنة سبع وستين وثلاثمائة.

وولى سعد الدولة بكجور حمص وجندها، وكان تقرير أمر بكجور بين سعد الدولة وبينه على يد أبي الحسن علي بن الحسين بن المغربي الكاتب والد الوزير أبي القاسم.

واستقر أمر سعد الدولة بحلب، وجدد الحلبيون عمارة المسجد الجامع بحلب، وزادوا في عمارة الأسوار في سنة سبع وستين. وغير سعد الأذان بحلب وزاد فيه: «حي على خير العمل محمد وعلي خير البشر»، وقيل: أنه فعل ذلك في سنة تسع وستين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثمان وخمسين. وسير سعد الدولة في سنة سبع وستين وثلاثمائة الشريف أبا الحسن إسماعيل بن الناصر الحسني يهتئ عضد الدولة بدخوله مدينة السلام^(٢).

وقال أبو الفداء في (اليواقيت والضرب في تاريخ حلب): ... وأقام سعد الدولة يحاصر القلعة مدة حتى نفذ ما فيها من القوت، فسلمها بكجور إليه في شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٧، وولى سعد الدولة بكجور حمص وجندها. وكان تقرير أمر بكجور بين سعد الدولة وبينه على يد أبي الحسن علي بن الحسين المغربي الكاتب والد الوزير أبي القاسم.

واستقر أمر سعد الدولة بحلب، وجدد الحلبيون عمارة المسجد الجامع بحلب، وزادوا في عمارة الأسوار في سنة ٣٦٧ وغير سعد الدولة الأذان بحلب وزاد فيه «حي على خير العمل»، محمد وعلي خير البشر، وقيل أنه فعل ذلك في سنة ٣٦٩ وقيل سنة ٥٨^(٣).

١ . المواعظ والاعتبار ٢: ٣٤٠ - ٣٤١.

٢ . زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم المتوفى ٥٦٦٠ هـ: ١ - ١٥٩ - ١٦٠، تحقيق سامي الدهان، ط المعهد الفرنسي.

٣ . اليواقيت والضرب لإسماعيل أبي الفداء: ١٣٤، تحقيق محمد جمال وفالح بكور.

ملتان - الهند (قبل سنة ٣٨٠هـ):
قال المقدسي المتوفى (٣٨٠هـ) في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة
الأقاليم) ضمن حديثه عن إقليم السند:

الملتان تكون مثل المنصورة غير أنها أعمرة ليست بكثيرة الثمار غير
أنها رخيصة الأسعار، الخبز ثلاثون منّا بدرهم، والفانيد ثلاثة أمان
بدرهم، حسنة تُشاكل دور سيراف من خشب الساج طبقات، ليس عندهم
زنا ولا شرب خمر، ومن ظفروا به يفعل ذلك قتلوه، أو حدّوه، ولا
يكذبون في بيع، ولا يبخسون في كيل، ولا يخسرون في وزن، يحبّون
الغرباء، وأكثرهم عرب، شربهم من نهر غزير، والخير بها كثير،
والتجارات حسنة، والنعم ظاهرة، والسلطين عادلة، لا ترى في الأسواق
متجملة، ولا أحد يحدّثها علانية... إلى ان يقول:

وأهل الملتان شيعة يحيعلون في الأذان ويثنون في الإقامة، ولا تخلو
القصر
من فقهاء على مذهب أبي حنيفة وليس به مالكية ولا معتزلة، ولا عمل
للحنابلة
إنهم على طريقة مستقيمة، ومذاهب محمودة، وصلاح وعفة، قد أراحهم
الله من

الغلوّ والعصبية والهرج والفتنة^(١).

مصر (سنة ٣٩٣ هـ):

شرح ابن خلدون حال الحاكم بأمر الله العبيدي الذي ولي الخلافة
(٣٨٦ - ٤١١) فقال:... وأما مذهبه في الرافضة فمعروف، ولقد كان
مضطربا فيه مع ذلك، فكان يأذن في صلاة التراويح ثم ينهي عنها، وكان
يرى بعلم النجوم و يُؤثره. و يُنقل عنه أنه منع النساء من التصرف في
الأسواق، ومنع من أكل الملوخيا، ورفع إليه أن جماعة من الروافض
تعرّضوا لأهل السنة في التراويح بالرجم، وفي الجنائز، فكتب في ذلك
سجلاً قرئ على المنبر بمصر كان فيه: أمّا بعد، فإن أمير المؤمنين يتلو
عليكم من كتاب الله المبين «لا إكراه في الدين»...

١ . احسن التقاسم ومعرفة الأقاليم: ٤٨٠ وفيه (يهوعلون) ويبدو أنه تصحيف: يحوعلون أو
يحيعلون، ومعناه قولهم (حيّ على خير العمل) في الأذان.

إلى أن يقول: يصوم الصائمون على حسابهم و يفطرون، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون، صلاة الخمس للدين بها جاءهم فيها يصلون، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لأمانع لهم منها، ولا هم عنها يُدفعون، يخمس في التكبير على الجنائز المخمسون، ولا يمنع من التكبير عليها المرّبعون، يؤذن بـ«حيّ على خير العمل» المؤذنون، ولا يؤذى من بها لا يؤذنون... ولا يؤذن من بها لا يؤذنون... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كتب في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة^(١).

وقال ابن الأثير في الكامل عن سبب قتله «... وقيل كان سبب قتله أن أهل مصر كانوا يكرهونه لما يظهر منه من سوء أفعاله، فكانوا يكتبون إليه الرّقاع فيها سبّه، - إلى أن يقول -: منها أنه أمر في صدر خلافته بسبّ الصحابة رضي الله عنهم، وأن تكتب على حيّطان الجوامع والأسواق، وكتب إلى سائر عماله بذلك، وكان ذلك في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. ثمّ أمر في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة بترك صلاة التراويح، فاجتمع الناس بالجامع العتيق، وصلّى بهم [إماما] جميع رمضان، فأخذه وقتله، ولم يصل أحد التراويح إلى سنة ثمان وأربعمائة، فرجع عن ذلك وأمر بإقامتها على العادة.

وبنى الجامع براشدة، وأخرج إلى الجوامع والمساجد من الآلات والمصاحف، والستور والحصر ما لم ير الناس مثله، وحمل أهل الذمة على الإسلام، أو المسير إلى مأمئهم، أو ليس الغيار، فأسلم الكثير منهم، ثمّ كان الرجل منهم بعد ذلك يلقاه فيقول له: إني أريد العود إلى ديني، فيأذن له، ومنع النساء من الخروج من بيوتهن...^(٢)

ومما يجب التنويه به هنا هو أن الحكام - بوصفهم حكّاما - قد يتخذون بعض المواقف لمصلحة، وقد تتدخل السياسة في بعض تصرفاتهم، ولا أستثني الفاطميين من العباسيين أو العكس، فهم بشر كغيرهم لهم ميولاتهم ونزعاتهم، ولا يمكن النجاة من ذلك إلا بالإمام المعصوم. بل الذي ذكرناه أو نذكره ما هو إلا بيان لامتداد النهجين، وإن استُغِلَّ من قبل الحكام في بعض الحالات.

١ . تاريخ ابن خلدون ٤: ٦٠ - ٦١ .

٢ . الكامل في التاريخ ٧: ٣٠٥ حوادث سنة ٤١١ .

اليمامة (سنة ٣٩٤هـ):

ذكر ناصر خسرو المروزي الملقب بحجة المتوفى سنة ٤٥٠هـ في رحلته وعند حديثه عن أحوال مدينة اليمامة: ... وأمرؤها علويون منذ القديم، ولم ينتزع أحد هذه الولاية منهم.... ومذهبهم الزيدية، ويقولون في الإقامة (محمد وعلي خير البشر وحي على خير العمل)^(١).

المدينة / مصر (سنة ٤٠٠هـ):

جاء في (النجوم الزاهرة): أن الحاكم بأمر الله العبيدي أرسل إلى مدينة الرسول إلى دار جعفر الصادق من فتحها وأخذ منها ما كان فيها من مصحف وسرير والآت. وكان الذي فتحها ختكين العضدي الداعي، وحمل معه رسوم الأشراف، وعاد إلى مصر بما وجد في الدار. وخرج معه من شيوخ العلوية جماعة، فلما وصلوا إلى الحاكم أطلق لهم نفقات قليلة ورد عليهم السرير وأخذ الباقي، وقال: أنا أحقّ به، فانصرفوا داعين عليه، وشاع فعله في الأمور التي خرق العادات فيها ودعي عليه في أعقاب الصلوات، وظوهر بذلك فأشفق فخاف، وأمر بعمارة دار العلم وفرشها، ونقل إليها الكتب العظيمة وأسكنها من شيوخ السنة شيوخين يُعرف أحدهما بأبي بكر الأنطاكي، وخلع عليهما وقربهما ورسم لهما بحضور مجلسه وملازمته، وجمع الفقهاء والمحدثين إليها وأمر أن يقرأ بها فضائل الصحابة، ورفع عنهم الاعتراض في ذلك، وأطلق صلاة التراويح والضحي، وغير الأذان وجعل مكان «حي على خير العمل» «الصلاة خير من النوم»، وركب بنفسه إلى جامع عمرو بن العاص وصلّى فيه الضحي، وأظهر الميل إلى مذهب مالك والقول به.. وأقام على ذلك ثلاث سنين، وفعل ما لم يفعله أحد.

ثم بدا له بعد ذلك فقتل الفقيه أبا بكر الانطاكي والشيخ الآخر وحلّقا كثيرا من أهل السنة، لا لأمر يقتضي ذلك، وفعل ذلك كله في يوم واحد، وأغلق دار العلم، ومنع من جميع ما كان فعله^(٢).

وقال المقرئ في (المواعظ والاعتبار):... وفي صفر سنة أربعمئة شُهر جماعة بعد أن ضربوا بسبب بيع الفقاع والملوخيا^(٣) والدلّينس

١ . سفر نامه ناصر خسرو: ١٢٢.

٢ . النجوم الزاهرة ٤: ٢٢٢ - ٢٢٣.

٣ . لأنه كان قد قرئ في سنة ٣٩٥ سجد في منع الناس من تناول الملوخيا أكلة معاوية ابن أبي سفيان المفضلة ومنعهم من أكل البقلة المسماة بالجرجير المنسوبة إلى عائشة ومن المتوكّلية

والترمس، وفي تاسع عشر شهر شوال أمر الحاكم بأمر الله برفع ما كان يؤخذ من الخمس والزكاة والفطرة والنجوى، وأبطل قراءة مجالس الحكمة في القصر، وأمر بردّ التثويب في الأذان، وأذن للناس في صلاة الضحى وصلاة التراويح، وأمر المؤذنين بأسرهم في الأذان بأن لا يقولوا «حيّ على خير العمل»، وأن يقولوا في الأذان للفجر: «الصلاة خير من النوم»، ثم أمر في ثاني عشر من ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة بإعادة قول «حيّ على خير العمل» في الأذان وقطع التثويب وترك قولهم «الصلاة خير من النوم»، ومنع من صلاة الضحى وصلاة التراويح، وفتح باب الدعوة، وأعيدت قراءة المجالس بالقصر على ما كانت، وكان بين المنع من ذلك والأذان فيه خمسة أشهر.

وضُرب في جمادى من هذه السنة جماعة وشُهِروا بسبب بيع الملوخيا والس_____مك

الذي لا قشر له وشرب المسكرات وتتبع السكرى فضيق عليهم^(١). وفي السادس والعشرين منه [من المحرم سنة ٤٠١ هـ] قرئ بجامع مصر سجلّ يتضمن النهي عن معارضة الحاكم فيما يفعله وترك الخوض فيما لا يعني، وإعادة «حيّ على خير العمل» إلى الأذان وإسقاط «الصلاة خير من النوم» والنهي عن صلاة التراويح والضحى...^(٢) بغداد (سنة ٤٤١ - ٤٤٢ هـ):

ذكر ابن الأثير حوادث عدة في هذه السنة:.... وفيها مُنع أهل الكرخ م_____ن النَّوْحِ، وفعل ما جرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء، فلم يقبلوا وفعلوا ذلك، فجرى بي_____نهم وبين السنية فتنة عظيمة قُتل فيها وجرح كثير من الناس، ولم ينفصل الش_____رَّ بي_____نهم حتى عبر الأتراك وضربوا خيامهم عندهم فكفّوا حينئذ.

المنسوبة إلى المتوكّل، والمنع من عجين الخبز بالرّجل، والمنع من أكل الدلّينس، وكان في هذا الكتاب أيضا: المنع من عمل الفقاع وبيعه في الأسواق، لما يؤثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من كراهية شرب الفقاع، وضرب في الطرقات والأسواق بالجرس ونودي أن لا يدخل أحد الحمام إلا بمنزر، ولا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج، ولا يباع شيء من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين. (المواعظ والاعتبار ٢: ٣٤١).

١ . المواعظ والاعتبار ٢: ٣٤٢.
٢ . نهاية الارب في فنون الادب / الفن ٥ / القسم ٥ / الباب ١٢ اخبار الملوك العبيديون.

ثم شرع أهل الكرخ في بناء سور على الكرخ، فلما رأهم السنيّة من
القلّاءين
ومن يجري مجراهم شرعوا في بناء سور على سوق القلائين، وأخرج
الطائفة
ان فـ
العمارة مالاً جليلاً، وجرت بينهما فتن كثيرة، وبطلت الأسواق وزاد الشر
حتّـ

انتقل كثير من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي فأقاموا به.
وتقدّم الخليفة إلى أبي محمّد بن النسوي بالعبور و إصلاح الحال وكفّ
الشر، فسمع أهل الجانب الغربي ذلك فاجتمع السنة والشيعة على المنع
منه، وأذّنوا في القلائين وغيرها بـ«حيّ على خير العمل» وأذّنوا في
الكرخ بـ«الصلاة خير من النوم» وأظهروا الترحّم على الصحابة، فبطل
عبوره^(١).

وفي (المنتظم) وضمن بيان حوادث سنة ٤٤٢ هـ: ... أنّه ندب أبو
محمّد النسوي للعبور وضبط البلد، ثمّ اجتمع العامّة من أهل الكرخ
والقلّائين وباب الشعير وباب البصرة على كلمة واحدة في أنه متى عبر
ابن النسوي أحرقوا أسواقهم وانصرفوا عن البلد، فصار أهل الكرخ إلى
باب نهر القلائين، فصلّوا فيه وأذّنوا في المشهد «حيّ على خير العمل»
وأهل القلائين بالعتيقة والمسجد باليزّازين بـ«الصلاة خير من النوم»
واختلطوا واصطلحوا وخرجوا إلى زيارة المشهدين مشهد عليّ
والحسين^(٢).

وفي (تاريخ أبي الفداء): ... وقعت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة،
وعظّم الأمر حتّى بطلت الأسواق، وشرع أهل الكرخ في بناء سور عليهم
محيطاً بالكرخ، وشرع السنة من القلائين ومن يجري مجراهم في بناء
سور على سوق القلائين، وكان الأذان بأماكن الشيعة بـ«حيّ على خير
العمل» وبأماكن السنة «الصلاة خير من النوم»^(٣).

وفي (النجوم الزاهرة): ... فيها كان من العجائب أنّه وقع الصلح بين
أهل السـ
والرافضة وصارت كلمتهم واحدة، وسبب ذلك: أن أبا محمّد النسوي ولي

١ . الكامل في التاريخ ٨: ٥٣ .

٢ . المنتظم ١٥: ٣٢٥ .

٣ . تاريخ أبي الفداء ١: ١٧٠ .

شُرطة
بغداد وكان فاتكاً، فاتَّفَقوا على أنَّه متى رحل إليهم قَتَلوه، واجتمعوا
وتَحالفوا
وأذنَّ بباب البصرة «حيَّ على خير العمل»، وقرئ في الكرخ فضائل
الصَّحابة،
ومضى أهل السنة والشيعة إلى مقابر قريش، فعَدَّ ذلك من العجائب، فإنَّ
الفتنة
كانت قائمة والدماء تُسكب والملوك والخلفاء يعجزون عن ردِّهم حتَّى
ولَّى هـ
الشرطة، فتصالحوا على هذا الأمر اليسير^(١).

بغداد (سنة ٤٤٣ هـ):

قال ابن الأثير في (الكامل):... في هذه السنة في صفر تجددت الفتنة
ببغداد بـ
السنة والشيعة وعظمت أضعاف ما كانت قديماً، فكان الاتفاق الذي ذكرناه
في
السنة الماضية غير مأمون الانتقاض لما في الصدور من الإحن، وكان
سبب هـ
الفتنة أن أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين، وأهل القلائين في
عمل مـ
من باب مسعود، ففرغ أهل الكرخ، وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب:
«محمَّد

وعليَّ خير البشر»؛ وأنكر السنيَّة ذلك وادَّعوا أنَّ المكتوب: «محمَّد وعليَّ
خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر»؛ وأنكر أهل الكرخ
الزيادة وقالوا: ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا،
فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العبَّاسيين، ونقيب العلويين
وهو عدنان بن الرضي، لكشف الحال وإنهائه، فكتب بتصديق قول
الكرخيِّين، فأمر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم بكفِّ القتال، فلم يقبلوا.
وانتدب ابن المذهب القاضي، والزهيريّ، وغيرهما من الحنابلة أصحاب
عبدالصمد بحمل العامة على الإغراق في الفتنة، فأمسك نوابُ الملك

١ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥ : ٤٩ .

الرحيم عن كفهم غيظا من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة، ومنع هؤلاء السنة من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ، وكان نهر عيسى قد انفتح بثقته، فعظم الأمر عليهم، وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف، وصبوا عليه ماء الورد، ونادوا: الماء للسبيل؛ فأغروا بهم السنة.

وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة، فمحو: «خير البشر»، وكتبوا: «عليهما السلام»، فقالت السنة: لا نرضى إلا أن يُقْلَع الأجر الذي عليه «محمد وعلي» وأن لا يؤذن: «حي على خير العمل»؛ وامتنع الشيعة من ذلك، ودام القتال إلى ثالث ربيع الأول، وقُتل فيه رجل هاشمي من السنة، فحمله أهله على نعش، وطافوا به في الحريية، وباب البصرة، وسائر محال السنة، واستنفروا الناس للأخذ بثأره، ثم دفنوه عند أحمد بن حنبل، وقد اجتمع معهم خلق كثير أضعاف ما تقدم.

فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن فأغلق بابه، فنقبوا في سوره وتهددوا البواب، فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك، ونهبوا ما في التراب والدور، وأدركهم الليل فعادوا.

فلما كان الغد كثر الجمع، فقصدوا المشهد، وأحرقوا جميع التراب والأراج،

واحترق ضريح موسى، وضريح ابن ابنه محمد بن علي الجواد، والقبتان الساج اللتان
عليهما، واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه، مُعز الدولة،
وجلال الدولة، ومن قبور الوزراء والرؤساء، وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور،
وقبر الأمين محمد بن الرشيد، وقبر أمه زبيدة، وجرى من الأمر الفظيع
مما يجري في الدنيا مثله.

فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل، فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر، فجاء الحفر إلى جانبه.

وسمع أبو تمام نقيب العبّاسيّين وغيره من الهاشميّين السنيّة الخبر،
فجاءوا ومنعوا وقتلوا
عن ذلك، وقصد أهل الكرخ إلى خان الفقهاء الحنفيّين فنهبوه، وقتلوا
مدرس الحنفيّة أبا سعد السرخسيّ، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء. وتعدّت الفتنة
إلى الجاني الشرقيّ، فاقتتل أهل باب الطاق وسوق بيج، والأساكفة، وغيرهم.
ولما انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دبيّس بن مزيد عظم
عليه وأشدّ تدبّر
ويبلغ منه كلّ مبلغ؛ لأنّه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية
كلّهم شامعة،
فقطعت في أعماله خطبة الإمام القائم بأمر الله، فروسل في ذلك وعوتب،
فاعتذر بأنّ أهل ولايته شيعة، وأنفقوا على ذلك، فلم يمكنه أن يشقّ عليهم
كما أنّ الخليفة لم يمكنه كفّ السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا، وأعاد
الخطبة إلى حالها^(١).

وقد ذكر ابن الجوزي هذه الحادثة في (المنتظم) إلى أن يقول: ... وفي
يوم الجمعة
عشر بقين من ربيع الآخر خطب بجامع براثا وأسقط «حيّ على خير
العمل» ودق
الخطيب المنبر وقد كانوا يمنعون منه، وذكر العبّاس في خطبته^(٢).

بغداد (سنة ٤٤٤ - ٤٤٥ هـ):

ذكر ابن الأثير حوادث عدّة في هذه السنة، وقال: «وفيها عمل محضراً
ببغداد يتضمّن القدح في نسب العلويّين أصحاب مصر، وأنّهم كاذبون في
ادّعائهم النسب إلى عليّ عليه السلام، وعزّوهم فيه إلى الديصانيّة من
المجوس، والقّداحيّة من اليهود، وكتب فيه العلويّون، والعبّاسيون،

١ . الكامل في التاريخ ٨: ٥٩ - ٦٠ حوادث سنة ٤٤٣.
٢ . المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١٥: ٣٣١ وتاريخ أبي الفداء ٢: ١٧٠ - ١٧١، وتاريخ
الإسلام ٣٠: ٩.

والفقهاء، والقضاة، والشهود، وعُمل به عدّة نسخ، وسُير في البلاد، وشيّع بين الحاضر والباد....

وفيها حدثت فتنة بين السنة والشيعية ببغداد، وامتنع الضبط، وانتشر العيارون وتسلبوا، وجبوا الأسواق، وأخذوا ما كان يأخذه أرباب الأعمال، وكان مقدّمهم الطّقطقيّ والزّبيقيّ، وأعاد الشيعة الأذان بـ «حيّ على خير العمل»، وكتبوا على مساجدهم: «محمّد وعليّ خير البشر»؛ وجرى القتال بينهم، وعظم الشرّ^(١).

ثمّ صدرّ حوادث سنة خمس وأربعين وأربعمائة بذكر الفتنة بين السنة والشيعية ببغداد، فقال:

في هذه السنة، في المحرمّ، زادت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم من السُّنّة، وكـ
ابتداؤها أواخر سنة أربع وأربعين [وأربعمائة].

فلما كان الآن عظم الشرّ، واطرحت المراقبة للسلطان، واختلط بالفريقيّين طوائف من الأتراك، فلما اشتدّ الأمر اجتمع القوادم واتفقوا على الركوب إلى المحالّ وإقامة السياسة بأهل الشرّ والفساد، وأخذوا من الكرخ إنسانا علويّا وقتلوه، فثار نساؤه، ونشرنّ شعورهنّ واستعثنّ، فتبعهنّ العامّة من أهل الكرخ، وجرى بينهم وبين القوادم - ومن معهم من العامّة - قتال شديد، وطرح الأتراك النار في أسواق الكرخ، فاحترق كثير منها، وألحقتها بالأرض، وانتقل كثير من الكرخ إلى غيرها من المحالّ. وندم القوادم على ما فعلوه، وأنكر الإمام القائم بأمر الله ذلك، وصلح الحال، وعاد الناس إلى الكرخ، بعد أن استقرّت القاعدة بالديوان بكفّ الأتراك أيديهم عنهم^(٢).

وفي (تاريخ أبي الفداء):... وفي هذه السنة (ت ٤٤٤ هـ) كانت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعية، واعادت الشيعة الأذان «بحيّ على خير العمل»، وكتبوا على مساجدهم: «محمّد وعليّ خير البشر»^(٣).

١ . الكامل في التاريخ ٨: ٦٤، وانظر كلام ابن العماد الحنبلي في حوادث سنة ٤٠٢ «الشذرات ٣: ١٦٢».

٢ . الكامل في التاريخ ٨: ٦٥.
٣ . تاريخ أبي الفداء ٢: ١٧٢، البداية والنهاية ١٢: ٦٨، العبر في خبر من غير ٣: ٢٠٥، تاريخ الإسلام للذهبي ٣٠: ٩.

بغداد (سنة ٤٤٨ هـ):

ذكر ابن الأثير في حوادث هذه السنة: ... وفيها أمر الخليفة بأن يؤذن بالكرخ والمشهد وغيرها: «الصلاة خير من النوم»، وأن يتركوا: «حيّ على خير العمل» ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطنة وقوتها^(١).

وقال ابن الجوزي في (المنتظم): ... وفي هذه السنة أقيم الأذان في المشهد بقرية كركرخ بـ «الصلاة خير من النوم»، وأزيل من الأذان من «حيّ على خير العمل» وقلع جميع ما كان على

أبواب الدور والدروب من «محمد وعليّ خير البشر».

ودخل إلى الكرخ منشدو أهل السنة من باب البصرة فأنشدوا الاشعار

في

مدح الصحابة، وتقدم رئيس الرؤساء إلى ابن النسوي بقتل أبي عبدالله بن الجلاب

شيخ البرازين بباب الطاق، لما كان يتظاهر به من الغلو في الرفض، فقتل

وصلى على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي ونُهبت داره، وتزايد الغلاء

فبيع الكرخ

الحنطة بمائة وثمانين ديناراً^(٢).

وفي (البداية والنهاية): ... وفيها ألزم الروافض بترك الأذان بـ «حيّ على

العمل» وأمروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح وبعد حيّ على الفلاح،

«الصلاة

خير من النوم» مرتين، وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم

من كتاب: «

محمد وعليّ خير البشر»، ودخل المنشدون.... ينشدون بالقصائد التي

فيها

١ . الكامل في التاريخ ٨: ٧٩، وفي النجوم الزاهرة ٥: ٥٩ مثله.

٢ . المنتظم ١٦: ٧ - ٨.

الصحابة، وذلك أنّ نوء الرافضة اضمحلّ، لأنّ بني بويه كانوا حكاما
وك

يقوونهم و ينصرونهم، فزالوا وبادوا وذهب دولتهم^(١).

وفي (السيرة الحلبية):... وذكر بعضهم أنّ في دولة بني بويه كانت

الرافضة تقية تول

بعد الحيعلتين «حيّ على خير العمل»، فلمّا كانت دولة السلجوقية منعوا

المؤذنين من ذلك وأمروا أن يقولوا في أذان الصبح بدل ذلك «الصلاة

خير من النوم»^(٢).

وفي (النجوم الزاهرة): وفيها أقيم الأذان في مشهد موسى بن جعفر

ومسجد

الكرخ ب «الصلاة خير من النوم» على رغم أنف الشيعة، وأزيل ما

كانوا يقولون فيه في

الأذان من «حيّ على خير العمل»^(٣).

ومما يجب التنبيه عليه أنّ جماعة من السنة ببغداد قد ثاروا في سنة

٤٤٧ هـ وقصدوا دار الخلافة وطلبوا أن يسمح لهم أن يأمرؤا بالمعروف

وينهؤا عن المنكر فأذن لهم وزاد شرهم، ثمّ استأذنوا في نهب دور

البساسيري [ذي الميول الشيعية الذي أجاز الأذان بالحيلة الثالثة]

وكان غائبا في واسط فأذن لهم الخليفة.

وهي تلك السنة التي وقعت فيها الفتنة بين الشافعية والحنابلة ببغداد

وأنكرت الحنابلة على الشافعية الجهر بالبسملة والقنوت في الصبح

والترجيع بالأذان^(٤).

وذكر ابن الأثير بعض حوادث هذه السنة، فقال:... فتبعهم من العامة

الج

الغفير وأنكروا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ومنعوا من الترجيع في

الأذان،

والقنوت في الفجر، ووصلوا إلى ديوان الخليفة، ولم ينفصل حال، وأتى

الحنابلية إلى

١ . البداية والنهاية ١٢ : ٧٣ .

٢ . السيرة الحلبية ٢ : ٣٠٥ .

٣ . النجوم الزاهرة ٥ : ٥٩ .

٤ . تاريخ أبي الفداء ٢ : ١٧٤ .

مسجدٍ بباب الشعير، فنهوا إمامه عن الجهر بالبسملة فأخرج مصحفاً
وقال: أزيلوها من المصحف حتى لا أتلوها^(١).

وهذا يشير إلى أن الخلاف الفقهي بين المسلمين لا ينحصر في الحيلة
الثالثة ولا ينحصر بالطالبيين، فقد يذهب بعض أهل السنة إلى خلاف
المشهور عندهم لثبوت شرعيتها عنده وهذا ما نريد قوله، وهو وجود
أصل متجذر للمختلف فيه بين المسلمين، وأن الطالبيين كانوا جادين في
الحفاظ على ما تلقوه ورووه من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ونهج
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.
أما عموم اتباع نهج الخلفاء فكانوا يتبعون عمر بن الخطاب وغيره
من الخلفاء فيما شرعوه من الأمور التي أشار الامام علي عليه السلام
اليها سابقاً.

بغداد (سنة ٤٥٠ هـ):

قال ابن الأثير في (الكامل في التاريخ):... ثم إن البساسيري^(٢) وصل
إلى بغداد يوم الأحد ثامن ذي القعدة ومعه أربعمئة غلام على غاية الضر
والفقر، وكان معه أبو الحسن بن عبدالرحيم الوزير، فنزل البساسيري
بمشرفة الروايا، ونزل قريش بن بدران وهو في مائتي فارس عند
مشرفة باب البصرة، وركب عميد العراق ومعه العسكر والعوام وأقاموا
بازاء عسكر البساسيري، وعادوا وخطب البساسيري بجامع المنصور
للمستنصر بالله العلوي صاحب مصر، وأمر فأذن بـ «حيّ على خير
العمل» وعقد الجسر وعبر عسكره إلى الزاهر^(٣).

وجاء في (النجوم الزاهرة):... ثم دخل الأمير أبو الحارث أرسلان
البساسيري بغداد في ثامن ذي القعدة بالرايات المستنصرية وعليها ألقاب
المستنصر هذا صاحب مصر، فمال إلى البساسيري أهل باب الكرخ
وفرخوا به لكونهم رافضة، والبساسيري وخلفاء مصر أيضاً رافضة،

١ . الكامل في التاريخ ٨: ٧٢ - ٧٣ حوادث سنة (٤٤٧).

٢ . كان البساسيري مملوكاً تركياً من ممالك بهاء الدولة بن عضد الدولة [البويهى]، تقلبت به
الأمر حتى بلغ هذا المقام المشهور، واسمه أرسلان وكنيته أبو الحارث. انظر: الكامل لابن الأثير
٨: ٨٧ أحداث سنة ٤٥١.

٣ . الكامل في التاريخ ٨: ٨٣، وانظر: البداية والنهاية ١٢: ٨٢، تاريخ ابن خلدون ٣: ٤٤٩.

فانضموا إلى البساسيري وتشقوا من أهل السنة وشمخت أنوف المنافقين
الرافضة وأعلنوا بالأذان ب «حيّ على خير العمل» ببغداد.
واجتمع خلق من أهل السنة على الخليفة القائم بأمر الله العباسي
وقتلوا معه

وقشت الحرب بين الفريقين في السفن أربعة أيام.
وخطب يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة ببغداد للمستنصر هذا
صاحب الترجمة بجامع المنصور وأذنوا بحيّ على خير العمل، وعقد
الجسر وعبرت عساكر البساسيري إلى الجانب الشرقي^(١).
وذكر ابن الجوزي في المنتظم: ... وعاود أهل الكرخ الأذان ب «حيّ
على خير العمل» وظهر فيهم السرور الكثير وحملوا راية بيضاء
ونصبوها في وسط الكرخ وكتبوا عليها اسم المستنصر بالله وأقام بمكانه
والقتال يجري في السفن بدجلة.

فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة دُعي لصاحب مصر
في جامع المنصور، وزيد في الأذان «حيّ على خير العمل» وشرع
البساسيري في إصلاح الجسر^(٢).

وفي (نهاية الأرب في فنون الأدب) عند ذكر استيلاء أبي الحارث
البساسيري على العراق، قال: ثم وصل البساسيري إلى بغداد في يوم
الأحد ثامن ذي القعدة ومعه أربعمئة غلام في غاية الضر والفقر، فنزل
بمشرفة دار الروايا وكان معه قریش بن بدران وهو في مائتي فارس،
فنزل مشرفة باب البصرة وركب عميد العراق ومعه العسكر والعوام
وأقاموا بإزاء عسكر البساسيري وعادوا وخطب البساسيري بجامع
المنصور للمستنصر العلوي صاحب مصر فأذن «حيّ على خير العمل»
وعقد الجسر وعبر عسكره إلى الزاهر واجتمعوا فيه وخطب في الجمعة
الثانية للمصري بجامع الرصافة...^(٣)

١ . النجوم الزاهرة ٥ : ٦ .
٢ . المنتظم ١٦ : ٣٢ حوادث ٤٥٠ .
٣ . نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٣ : ٢٢٧ .

وفي تاريخ بغداد: ... فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة دعي لصاحب مصر في الخطبة بجامع المنصور وزيد في الأذان «حيّ على خير العمل»، وشرع البساسيري في إصلاح الجسر^(١).
وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي: ... ثمّ قدم البساسيري بغداد في سنة خمسين ومعه الرايات المصرية، ووقع القتال بينه وبين الخليفة، ودعي لصاحب مصر المستنصر بجامع المنصور، وزيد في الأذان «حيّ على خير العمل»، ثمّ خطب له في كلّ الجوامع إلاّ جامع الخليفة، ودام القتال شهرا ثمّ قبض البساسيري على الخليفة في ذي الحجة وسيره إلى غابة وحبسه بها و...^(٢)

مكة / حلب (سنة ٤٦٢ هـ):

قال ابن خلدون^(٣) والذهبي^(٤) والسيوطي^(٥): إنّ محمّد بن أبي هاشم خطب بمكة للقائم بأمر الله وللسلطان ألب أرسلان^(٦)، وأسقط خطبة العلوي صاحب مصر وترك «حيّ على خير العمل» من الأذان.
وقال ابن الأثير: ... وفيها ورد رسول صاحب مكّة محمّد بن أبي هاشم ومعه ولده إلى السلطان ألب أرسلان يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان بمكة وإسقاط خطبة العلوي صاحب مصر، وترك الأذان ب «حيّ على خير العمل»، فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة وأجرى له كلّ سنة عشرة آلاف دينار^(٧).
ثمّ ذكر في حوادث سنة ٤٦٣ كيفية استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب، إلى أن قال: ... وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد

- ١ . تاريخ بغداد ٩ : ٤٠١ - ٤٠٢ ، ومثله في بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ٣ : ١٣٥٢ ، والبداية والنهاية ١٢ : ٨٤ .
- ٢ . تاريخ الخلفاء ١ : ٤١٨ .
- ٣ . تاريخ ابن خلدون ٣ : ٤٧٠ .
- ٤ . سير أعلام النبلاء ١٥ : ١٩٠ .
- ٥ . تاريخ الخلفاء ١ : ٤٢١ .
- ٦ . ولي هذا خراسان بعد وفاة والده طغري بك دواد سنة ٤٥٢ ، ودواد كان أخ السلطان ضمغريك السلجوقي المعروف .
- ٧ . الكامل في التاريخ ٨ : ١٠٧ .

بالرسالة القائمية، والخلع، فقال له محمود؛ صاحب حلب: أسالك الخروج إلى السلطان واستعفائه لي من الحضور عنده، فخرج نقيب النقباء، وأخبر السلطان بأنه قد لبس الخلع القائمية وخطب، فقال: أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون «حي على خير العمل»؟

ولا بد من الحضور ودوس بساطي، فامتنع محمود من ذلك. فاشتد الحصار على البلد، وغلّت الأسعار، وعظم القتال وزحف السلطان يوماً وقرب من البلد، فوقع حجر منجنيق في فرسه، فلما عظم الأمر على محمود خرج ليلاً، ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري، فدخلت على السلطان وقالت له: هذا ولدي فافعل به ما تحب، فتلقاهما بالجميل وخلع على محمود وأعادته إلى بلده فأنفذ إلى السلطان مالاً جزيلاً^(١).

وخطب محمود بن صالح بحلب للقائم بأمر الله وللسلطان ألب أرسلان... فأخذت العامة حُصْرَ الجامع، وقالوا: هذه حُصْرُ عليّ بن أبي طالب، فليأت أبو بكر بحُصْرٍ يصلي عليها الناس^(٢).

وفي (النجوم الزاهرة)^(٣) عن الشيخ شمس الدين بن قزوغلي في المرأة، قال: ... وضاق يد أبي هاشم محمد أمير مكة بانقطاع ما كان يأتيه من مصر، فأخذ قناديل الكعبة وسقورها وصفائح الباب والميزاب، وصادر أهل مكة فهربوا، وكذا فعل أمير المدينة مهناً وقطعاً الخطبة للمستنصر [الفاطمي] وخطبا لبني العباس - الخليفة القائم بأمر الله - وبعثنا إلى السلطان ألب أرسلان السلجوقي حاكم بغداد بذلك، وأنهما أدنا بمكة والمدينة الأذان المعتاد وتركنا الأذان ب «حي على خير العمل»، فأرسل ألب أرسلان إلى صاحب مكة أبي هاشم المذكور بثلاثين ألف دينار، و إلى صاحب المدينة بعشرين ألف دينار، وبلغ الخبر بذلك المستنصر فلم يلتفت إليه لشغله بنفسه ورعيته من عظم الغلاء^(٤).

وفي أحداث سنة ٤٦٤ قال: بعث الخليفة بأمر الله الشريف أبا طالب الحسن بن محمد أخا طراد الزينبي إلى أبي هاشم محمد أمير مكة بمال

١ . المصدر نفسه ٨ : ١٠٩ .

٢ . المصدر نفسه ٨ : ١٠٨ .

٣ . في أحداث سنة ٤٢٨ .

٤ . النجوم الزاهرة ٥ : ٢٣ .

وخلع، وقال له: غيّر الأذان وأبطل «حيّ على خير العمل»، فناظره أبو هاشم مناظرة طويلة وقال له:

هذا أذان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، فقال له أخو الشريف: ما صحّ عنه وإنما عبد الله بن عمر بن الخطاب روي عنه أنه أدّن به في بعض أسفاره، وما أنت وابن عمر! فأسقطه من الأذان^(١).
وجاء في تاريخ الخلفاء بأن الخطبة أعيدت للعبيدي بمكة في سنة ٤٦٧هـ^(٢).

الشام (سنة ٤٦٨ هـ):

جاء في (مآثر الإنافة) للقلقشندي: ... تغلب على دمشق اتسز بن ارتق الخوارزمي المعروف بالاقسيس، أحد أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي [ابن ألب ارسلان] في سنة ٤٦٨ وقطع الخطبة بها للمستنصر الفاطمي وخطب للمقتدي^(٣) العباسي، ومنع الأذان ب «حيّ على خير العمل» ولم يخطب بعدها بالشام لأحد من الفاطميين وبقي بها إلى ما بعد خلافة المقتدي^(٤).

وفي (الكامل) لابن الأثير: ... ودخلها هو [أي الاقسيس] وعسكره في ذي القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذي القعدة للمقتدي بأمر الله الخليفة العباسي، وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين، وتغلب على أكثر الشام، ومنع الأذان ب «حيّ على خير العمل»، وفرح أهلها فرحا عظيما، وظلم أهلها وأساء السيرة فيهم^(٥).

وفي (البداية والنهاية) لابن كثير، قال: ... الاقسيس هذا هو اتسز بن اوف الخوارزمي، ويلقب بالملك المعظم، وهو أوّل من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين وأزال الأذان منها ب «حيّ على خير العمل» بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام مائة وست سنين (١٠٦ سنة)، وكان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضي

١ . النجوم الزاهرة ٥ : ٨٩.

٢ . تاريخ الخلفاء ١ : ٤٢٣.

٣ . ولي المقتدي ٤٦٧ بعد وفاة والده القائم بالله، ومما يجب التنبيه عليه أنّ الخطبة للعلويين أعيدت بمكة بعد وفاة القائم بالله وقطع خطبة المقتدي وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة اشهر، ثم أعيدت في ذي الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة (انظر: الكامل في التاريخ ٨ : ١٢١).

٤ . مآثر الإنافة للقلقشندي ٢ : ٥.

٥ . الكامل في التاريخ ٨ : ١٢٢ احداث سنة ٤٦٨ هـ.

الله عنهم، فأمر هذا السلطان المؤدنين والخطباء أن يترضوا عن الصحابة أجمعين^(١).

وفي تاريخ الخلفاء: ... خطب للمقتدي العباسي بدمشق وأبطل الأذان بـ«حيّ على خير العمل» وفرح الناس بذلك^(٢).

وفي تاريخ ابن خلدون: ... وخطب فيها اتسز للمقتدي العباسي في ذي القعدة سنة ثمان وستين، وتغلب على أكثر الشام، ومنع من الأذان بـ«حيّ على خير العمل»، ثم سار سنة تسع وستين إلى مصر وحاصرها حتى أشرف على أخذها، ثم انهزم من غير قتال، ورجع إلى دمشق وقد انتقض عليه أكثر الشام، فشكر لأهل دمشق صونهم لمخلفه وأمواله ورفع عنهم خراج سنة، وبلغه أنّ أهل القدس وثبوا بأصحابه...^(٣)
مصر (سنة ٤٧٨ هـ):

ولي المستنصر بالله الفاطمي من سنة (٤٢٨ - ٤٨٧ هـ) وهو معد أبو تميم حفيد الحاكم بأمر الله، وقد قرب هذا بدر الجمالي لولاية أمور الحضرة.

قال صاحب (النجوم الزاهرة): ... كان بدر الجمالي أرمني الجنس فاتك

قتل خلقا كثيرا من العلماء وغيرهم، وأقام الأذان بـ«حيّ على خير العمل» وكتب

على الجنائز خمسا، وكتب سب الصحابة على الحيطان...^(٤)
وفي (المنتظم): وفي شهر ذي القعدة قبض بدر الجمالي - أمير مصر على

الأكبر وأربعة من الأمراء... ونفى مذكري أهل السنة، وحمل الناس أن يكبروا خمسا على الجنائز، وأن يسدلوا أيمنهم في الصلاة، وأن يتختموا في الأيمان، وأن يثوبوا^(٥) في صلاة الفجر «حيّ على خير العمل»، وحبس أقواما روى فضائل الصحابة^(٦).

١ . البداية والنهاية ١٢ : ١٢٠ ، ١٢٧ .

٢ . تاريخ الخلفاء ١ : ٤٢٤ .

٣ . تاريخ ابن خلدون ٣ : ٤٧٣ - ٤٧٤ .

٤ . النجوم الزاهرة ٥ : ١٢٠ .

٥ . وقد عبّر ابن الجوزي عن الحيلة الثالثة بالثوب بالثوب تساهلاً منه؛ لأنها حلت محل «الصلاة خير من النوم».

٦ . المنتظم في تاريخ الامم والملوك ١٦ : ٢٤٢ .

مصر (سنة ٥٢٤هـ):

ولي الحافظ لدين الله الفاطمي (عبدالمجيد حفيد المستنصر بالله) بعد قتل ابن عمه أبي علي منصور الأمر بأحكام الله في سنة أربع وعشرين وخمسائة.

قال العلامة أبو المظفر في مرآة الزمان: ... ولما استمر الحافظ في خلافة مصر ضعف أمره مع وزيره أبي علي أحمد بن الأفضل أمير الجيوش، وقويت شوكة الوزير المذكور وخطب للمنتظر المهدي، وأسقط من الأذان «حيّ على خير العمل»، ودعا الوزير المذكور لنفسه على المنابر «بناصر إمام الحق، هادي العصاة إلى اتباع الحق، مولى الأمم، ومالك فضيلتي السيف والقلم» فلم يزل حتى قتل الوزير^(١).

وقد تكلم المقرئ في (اتعاظ الحنفاء) عن أبي علي أحمد بن الأفضل، فقال: (وكان إمامياً متشددًا فالتفت عليه الإمامية ولعبوا به حتى أظهر المذهب الإمامي وتزايد الأمر فيه إلى التأذين فانفعل بهم، وحسنوا له الدعوة للقائم المنتظر فضرب الدراهم باسمه ونقش عليها «الله الصمد، الإمام محمّد»... إلى أن يقول: ... وكان قد أسقط منذ إقامة الجند ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق الذي تنسب إليه الطائفة الإسماعيلية، وأزال من الأذان قولهم فيه «حيّ على خير العمل محمّد وعليّ خير البشر»، وأسقط ذكر الحافظ من الخطبة، واخترع لنفسه دعاءً يُدعى به على المنابر...^(٢)

وقال أبو الفداء في تاريخه: ... ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسائة، فيها قُتل أبو علي بن الأفضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ لدين الله العلوي، وكان أبو علي المذكور قد حجر على الحافظ وقطع خطبة العلويين وخطب لنفسه خاصة وقطع من الأذان «حيّ على خير العمل» فنفرت منه قلوب شيعة العلويين وثار به جماعة من الممالك وهو يلعب الكرة فقتلوه ونهبت داره^(٣).

وفي (وفيات الاعيان): ... وقبض على الحافظ المذكور واستقل بالأمر وقام به أحسن قيام، وردّ على المصادرين أموالهم، وأظهر مذهب الإمامية وتمسك بالائمة الاثني عشر، ورفض الحافظ وأهل بيته، ودعا

١ . النجوم الزاهرة ٥ : ٢٣٨ .

٢ . اتعاظ الحنفاء في تاريخ الاثمة الخلفاء ٣ : ١٤٣ .

٣ . تاريخ أبي الفداء ٣ : ٦ .

على المنابر للقائم في آخر الزمان المعروف بالإمام المنتظر على زعمهم وكتب اسمه على السكة، ونهى أن يؤذن بـ «حيّ على خير العمل»، وأقام كذلك إلى أن وثب عليه رجل من الخاصّة بالبستان الكبير بظاهر القاهرة في النصف من المحرم سنة ست وعشرين وخمسائة فقتله، وكان بتدبير الحافظ، فبادر الأجناد بإخراج الحافظ وبايعوه ولقبوه بالحافظ ودعي له على المنابر^(١).

وفي (بدائع الزهور في وقائع الدهور) قوله: ... وكان قد أسقط منذ أقامه الجندُ ذَكَرَ اسماعيل بن جعفر الصادق الذي تنسب إليه الطائفة الإسماعيلية، وأزال من الأذان قولهم فيه «حيّ على خير العمل محمّد وعلى خير البشر» وأسقط ذكر الحافظ من الخطبة، واخترع لنفسه دعاءً يدعى به على المنابر^(٢).

وفي (نهاية الأرب في فنون الأدب): قال المؤرخ: لما بويع الحافظ لدين الله ثار الجند الأفضلية وأخرجوا ابن مولا هم أبا عليّ أحمد بن الأفضل الملقب بكتيفات، وولّوه أمر الجيوش وذلك في يوم الخميس السادس من ذي القعدة منها، فحكم، واعتقل الحافظ صبيحة يوم بيعته، ودعا للإمام المنتظر وقوي أمر ابن الأفضل.

وفي سنة خمس وعشرين رتب أحمد بن الأفضل في الأحكام أربعة قضاة: الشافعية، والمالكية، والإسماعيلية، والإمامية، يحكم كلّ قاضي بمقتضى مذهبه و يورث بمقتضاه، فكان قاضي الشافعية الفقيه سلطان، وقاضي المالكية اللبني، وقاضي الاسماعيلية أبو الفضل ابن الأزرق، وقاضي الإمامية ابن أبي كامل.

وسار أحمد بن الأفضل سيرة جميلة بالنسبة إلى أيام الأمر، وردّ على الناس بعض مصادراتهم، وأظهر مذهب الإمامية الاثني عشرية، وأسقط من الأذان قولهم «حيّ على خير العمل» وأمر بالدعاء لنفسه على المنابر بدعاء اخترعه^(٣).

وفي تاريخ ابن خلدون: فأشار عليه الإمامية بإقامة الدعوة للقائم المنتظر، وضرب الدراهم باسمه دون الدنانير، ونقش عليها: «الله

١ . وفيات الاعيان ٣ : ٢٣٦ . تاريخ ابن خلدون ٤ : ٧١ - ٧٢ .

٢ . بدائع الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ط الهيئة المصرية العامة ١٤٠٢هـ .

٣ . نهاية الارب في فنون الادب : ٧٤٦٧ .

الصمد، الإمام محمّد» وهو الإمام المنتظر. وأسقط ذكراً إسماعيل من الدعاء على المنابر وذكّر الحافظ، وأسقط من الأذان «حيّ على خير العمل»^(١)..

وفي (المواعظ والاعتبار):... ولما تغلب أبو عليّ بن كتيفات بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي على رتبة الوزارة في أيام الحافظ لدين الله أبي الميمون عبدالمجيد بن الأمير أبي القاسم محمّد بن المستنصر بالله في سادس عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة، سجّن الحافظ وقيدته، واستولى على سائر ما في القصر من الأموال والذخائر، وحملها إلى دار الوزارة، وكان إمامياً متشدّداً في ذلك، خالف ما عليه الدولة من مذهب الإسماعيلية، وأظهر الدعاء للإمام المنتظر، وأزال من الأذان «حيّ على خير العمل» وقولهم «محمّد وعليّ خير البشر»، وأسقط ذكر إسماعيل بن جعفر الذي تنتسب إليه الإسماعيلية، فلما قتل في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة عاد الأمر إلى الخليفة الحافظ وأعيد إلى الأذان ما كان أسقط منه^(٢).

وفي بعض كلام المؤرخين هذا خطأ؛ إذ المعروف عن الإمامية والثابت عندهم هو جزئية «حيّ على خير العمل» فلا يجوز رفعه إن كان كتيفات هذا إمامياً بالمصطلح.

وأما الدعاء للإمام المنتظر وإسقاط ذكر إسماعيل بن جعفر من الخطبة فكانت خطوة سياسية احتمى بها ابن كتيفات؛ لأنّه كان سنياً لكنّه أظهر التمسك بالإمام المنتظر.

وهذا ما صرح به الذهبي في (العبر في خبر من غبر) بأن أبويه كانا سنين، قال:... فحجر على الحافظ ومنعه من الظهور، وأخذ أكثر ما في القصر، وأهمل ناموس الخلافة العبيدية، لأنّه كان سنياً كأبيه، لكنه أظهر التمسك بالإمام المنتظر، وأبطل من الأذان «حيّ على خير العمل»، وغير قواعد القوم، فأبغضه الدعاة والقواد وعملوا عليه^(٣).

١ . تاريخ بن خلدون.

٢ . المواعظ والاعتبار للمقريزي ٢: ٢٧١، وانظر: قصة قتل أبي علي بن كتيفات في الكامل في التاريخ ٨: ٣٣٤ أحداث سنة ٥٢٦هـ.

٣ . العبر في خبر من غبر ٤: ٦٨، شذرات الذهب ٢: ٧٨، سير أعلام النبلاء ١٩: ٥٠٩ - ٥١٠.

وقال اليافعي في (مرآة الجنان وعبرة اليقظان):... وأهمل ناموس الخلافة العبيدية؛ لأنه كان سنيا كأبيه، لكنه أظهر التمسك بالإمام المنتظر وأبطل من الأذان «حيّ على خير العمل» وغير قواعد القوم، فأبغضه الدعاة والقواد وعملوا عليه، فركب للعب الكرة في المحرم فوثبوا عليه وطعنه مملوك الحافظ بحربة..^(١)

حلب (سنة ٥٤٣هـ):

جاء في (زبدة الحلب من تاريخ حلب):... وشرع نور الدين^(٢) في تجديد المدارس والرباطات بحلب، وجلب أهل العلم والفقهاء إليها، فجدد المدرسة المعروفة بالحلاويين في سنة ثلاث وأربعين وخمسائة، واستدعى برهان الدين علي بن الحسن البلخي الحنفي وولاه تدريسها، فغيّر الأذان بحلب، ومنع المؤذنين من قولهم «حيّ على خير العمل»، وجلس تحت المنارة ومعه الفقهاء وقال لهم: من لم يؤذن الأذان المشروع فألقوه من المنارة على رأسه، فأذّنوا الأذان المشروع واستمر الأمر من ذلك اليوم...^(٣)

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء^(٤) في ترجمة علي بن الحسن بن محمّد أبي الحسن الحنفي الفقيه: سمع بما وراء النهر وتنتسب إليه المدرسة البلخية ويلقب بالبرهان، وهو الذي أبطل من حلب الأذان بـ «حيّ على خير العمل»، مات سنة ٥٤٨هـ.

وكان المقدسي قد نوه عن إبطال الأذان بـ «حيّ على خير العمل»، بقوله: ورد الخبر من ناحية حلب بأنّ صاحبها نور الدين بن أتابك أمر بإبطال «حيّ على خير العمل» في أواخر تأذين الغداة والتظاهر بسب الصحابة وأنكر ذلك إنكارا شديدا، وساعده على ذلك جماعة من السنة بحلب، وعظم هذا الأمر على الإسماعيلية وأهل التّسبيح..^(٥)

١ . مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٣: ٢٥١.

٢ . هو نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن أفسنقر، المولود سنة ٥١١ هـ، وكان حنفي المذهب داعية إلى مذهبه، وهو مؤسس الدولة النورية في الشام.

٣ . زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم ٢: ٤٧٥ - ٤٧٦.

٤ . سير أعلام النبلاء ٢٠: ٢٧٦.

٥ . الروضتين في أخبار الدولتين ١: ٢٠٢.

وفي (العبر في خبر من غبر)، قال: أبو الحسن البلخي علي بن الحسن الحنفي... وكان يلقب برهان الدين... وهو الذي قام في إبطال «حيّ على خير العمل» من حلب^(١).

وجاء في (البداية والنهاية) لابن كثير: افتتح نور الدين أبو القاسم التركي السلجوقي وكان حنفي المذهب.. وأظهر السنّة وأمات البدعة، وأمر بالتأذين ب «حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح»، ولم يكن يؤذن بهما في دولتي أبيه وجدّه و إنّما كان يؤذن بـ«حيّ على خير العمل» لأن شعار الرفض كان ظاهراً بها^(٢).

وفي (النجوم الزاهرة)^(٣) وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين^(٤) وخطب الشام لمحمد كرد علي^(٥) وغيرها والنص للثاني: قال أبو يعلى التميمي: وفي رجب من هذه السنة [أي ٥٤٣ هـ] ورد الخبر من ناحية حلب بأن صاحبها نور الدين بن أتابك أمر بإبطال «حيّ على خير العمل» في أواخر تأذين الغداة، والتظاهر بسب الصحابة، وأنكر ذلك إنكاراً شديداً، وساعده على ذلك جماعة من السنة بحلب، وعظم هذا الأمر على الإسماعيلية وأهل التشيع، وضاعت له صدورهم وهاجوا له وماجوا، ثم سكنوا وأحجموا للخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذورة...

حلب (سنة ٥٥٢ هـ):

اشتد المرض في شهر رمضان بنور الدين وخاف على نفسه، فاستدعى أخاه نصره الدين أمير أميران، وأسد الدين شيركوه، وأعيان الأمراء والمقدمين، وأوصى إليهم وقرر أن يكون أخوه نصره الدين القائم في منصبه من بعده ويكون مقيماً في حلب، ويكون أسد الدين في دمشق في نيابة نصره الدين... واتفق وصول نصره الدين إلى حلب فأغلق والي القلعة مجد الدين في وجهه الأبواب وعصى عليه، فثارت أحداث حلب...، ودخل نصره الدين في أصحابه وحصل في البلد، وقامت الأحداث على والي القلعة باللوم والإنكار والوعيد، واقترحوا على نصره الدين

١ . العبر في خبر من غبر ٤ : ٦٣١، الدارس في تاريخ المدارس ١ : ٣٦٨.

٢ . البداية والنهاية ١٢ : ٢٩٨.

٣ . النجوم الزاهرة ٥ : ٢٨٢.

٤ . الروضتين في أخبار الدولتين ١ : ٢٠١ - ٢٠٢.

٥ . خطب الشام لمحمد كرد علي ٢ : ٢١.

اقتراحات من جملتها إعادة رسمهم في التأذين «حيّ على خير العمل، محمّد وعليّ خير البشر» فأجابهم إلى ما رغبوا فيه وأحسن القول لهم والوعد..^(١).

وفي (زبدة الحلب من تاريخ حلب):... ثم عاد نور الدين إلى حلب فمرض بها في سنة أربع وخمسين مرضاً شديداً بقلعتها، وأشفى على الموت، وكان بحلب أخوه الأصغر نصر الدين أمير أميران محمّد بن زنكي، وأرجف بموت نور الدين، فجمع أمير أميران الناس واستمال الحلبيّ وملك المدينة دون القلعة، وأذن للشيعة أن يزيدوا في الأذان «حيّ على خير العمل محمّد وعليّ خير البشر» على عادتهم من قبل، فمالوا إليه لذلك^(٢).

مصر (سنة ٥٦٥هـ):

جاء في (نهاية الأرب في فنون الأدب):... قال المورخ: ولعشر مضين من ذي الحجة سنة خمس وستين وخمسمائة أمر الملك الناصر [أي صلاح الدين الأيوبي] أن يسقط من الأذان قولهم «حيّ على خير العمل، محمّد وعليّ خير البشر» وكانت أول وصمة دخلت على الشيعة والدولة العبيدية، ويئسوا بعدها من خير يصل إليهم من الملك الناصر، ثم أمر أن يذكر في الخطبة بكلام مجمل، ليلبس على الشيعة والعامّة: اللهم أصلح العاضد لدينك...^(٣)

ونقل أبو شامة عن ابن أبي طي فيما جرى في مصر سنة ٥٦٦هـ قوله: في هذه السنة شرع السلطان - يعني صلاح الدين - في عمارة سور القاهرة لأنه كان قد تهدّم أكثره وصار طريقاً لا يردّ داخلًا ولا خارجاً، وولاه لقراقوش الخادم، وقبض على القصور وسلّمها إليه، وأمر بتغيير شعار الإسماعيلية وقطع من الأذان «حيّ على خير العمل» وشرع في تمهيد أسباب الخطبة لبني العباس^(٤).

وجاء مثله عند ابن كثير في البداية والنهاية^(٥).

١ . الروضتين في اخبار الدولتين ١: ٣٤٧، بغية الطلب في تاريخ حلب ٤: ٢٠٢٤.

٢ . زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ٢: ٤٨٦.

٣ . نهاية الأرب في فنون الادب الفن ٥/القسم ٥/الباب ١٢ أخبار الملوك العبيديون.

٤ . الروضتين في اخبار الدولتين ٢: ١٨٤.

٥ . البداية والنهاية ١٢: ٢٨٣.

وقال ابن الاثير: كان السبب في ذلك أن صلاح الدين يوسف بن أيوب
لم يثبت
قدمه بمصر وأزال المخالفين له وضعف أمر العاضد وهو الخليفة بها..
كتب إلي... المل... أك
العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة
العباسية...
فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم من الإجابة
إلى... ذلك... أك
لميلهم إلى العلويين، فلم يصغ نور الدين إلى قوله وأرسل إليه يلزمه
إلزام... لا فس... حة
له فيه^(١).

مصر (سنة ٥٦٧هـ):

جاء في (نهاية الأرب في فنون الأدب):... كان انقراض هذه الدولة
عند خلع العاضد لدين الله، وذلك في يوم الجمعة لسبع مضين من المحرم
سنة سبع وستين وخمسمائة، وكان سبب ذلك أن صلاح الدين يوسف لما
ثبتت قدمه في صلب الديار المصرية واستمال الناس بالأموال، قتل
مؤتمن الخلافة جوهر... ونصب مكانه قراقوس الأسدي الخصي خادم
عمه، ثم كانت وقعة السودان فأفناهم بالقتل... ثم أسقط من الأذان قولهم
«حيّ على خير العمل»، وأبطل مجلس الدعوة، وضعف أمر العاضد معه
إلى الغاية، فعند ذلك كتب الملك العادل نور الدين إلى الملك الناصر
صلاح الدين يأمره بالقبض على العاضد وأقاربه والخطبة للخليفة
المستضيء بنور الله، وكان المستضيء قد راسله في ذلك فامتنع صلاح
الدين...^(٢)

وذكر ابن العماد في الشذرات هذا الموضوع فيما جرى في سنة
٥٦٩هـ، فقال: وفيه...
مات نور الدين الملك العادل أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر،
تم... أك... ب
بعد أبيه ثم أخذ دمشق فملكها عشرين سنة وكان مولده في شوال سنة

١ . انظر الكامل ٩: ١١١ وعنه في الروضتين في اخبار الدولتين ٢: ١٩٠.
٢ . نهاية الارب في فنون الادب الفن ٥/القسم ٥/ الباب ١٢ أخبار الملوك العبيديون.

وأزال الأذان ب «حيّ على خير العمل» وبنى المدارس وسور دمشق^(١).
حلب (سنة ٥٧٠هـ):

وفي هذه السنة عزم صلاح الدين الأيوبي الدخول إلى الشام [وذلك بعد موت نور الدين]، فلما استقرت له دمشق نهض إلى حلب ونزل على أنف جبل جوشن، وكان على حلب آنذاك ابن نور الدين، والأخير جمع أهل حلب وقال لهم: يا أهل حلب، أنا ربيبكم ونزيلكم، واللأجئ إليكم، كبيركم عندي بمنزلة الأب، وشابكم عندي بمنزلة الأخ، وصغيركم عندي محلّ محلّ الولد، قال: وخنفته العبرة، وسبقته الدمعة، وعلا نسيجه، فافتتن الناس وصاحوا صيحةً واحدة، ورموا بعمائمهم، وضجوا بالبكاء والعيول، وقالوا: نحن عبيدك وعبيد أبيك، نقاتل بين يديك، ونبذل أموالنا وأنفسنا لك. وأقبلوا على الدعاء له، والترحم على أبيه.

وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح أن يُعيد إليهم شرقية الجامع يُصلون فيها على قاعدتهم القديمة، وأن يُجهر ب «حيّ على خير العمل» في الأذان، والتذكير في الأسواق وقُدّام الجنائز بأسماء الأئمة الاثني عشر، وأن يصلوا على أمواتهم خمس تكبيرات، وأن تكون عقود الأنكحة إلى الشريف الطاهر أبي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني، وأن تكون العصبية مرتفعة، والنّاموس وازع لمن أراد الفتنة، وأشياء كثيرة اقترحوها مما كان قد أبطله نور الدين رحمه الله تعالى، فأجيبوا إلى ذلك.

قال ابن أبي طيّ: فأذن المؤدّنون في منارة الجامع وغيره ب «حيّ على خير العمل»، وصلّى أبي في الشّرقيّة مُسبلاً، وصلّى وجوه الحلبيين خلفه، وذكروا في الأسواق وقُدّام الجنائز بأسماء الأئمة، وصلّوا على الأموات خمس تكبيرات، وأذن للشريف في أن تكون عقود الحلبيين من الإمامية إليه، وفعلوا جميع ما وقعت الأيمان عليه^(٢).
مكة (سنة ٥٧٩هـ):

قال ابن جبير: وللحرم المكي أربعة أئمة سنّية وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية، وأشرف أهل هذه البلدة على مذهبهم، وهم يزيدون في

١ . انظر: شذرات الذهب ٤: ٢٢٨.

٢ . الروضتين في اخبار الدولتين ٢: ٣٤٨ - ٣٤٩، البداية والنهاية ١٢: ٣٠٩ وفيه: شرط عليه الروافض. وانظر حاشية الشيخ آغا بزرك الطهراني على مستدرک وسائل الشيعة والمطبوع معه ٣: ٨.

الأذان «حيّ على خير العمل» إثر قول المؤذن «حيّ على الفلاح»، وهم روافض سبّابون والله من وراء حسابهم وجزائهم، ولا يجمعون مع الناس إنّما يصلون ظهرًا أربعاء، ويصلّون المغرب بعد فراغ الأئمة من صلاتها، فأول الأئمة السنية الشافعي، و إنّما قدمنا ذكره لأنّه المقدم من الإمام العباسي وهو أوّل من يصلي وصلاته خلف مقام إبراهيم إلّا صلاة المغرب فإن الأربعة الأئمة يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها، يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة ثمّ يقيم مؤذّنوا سائر الأئمة، وربما دخل في هذه الصلاة على المصلّين سهو وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كلّ جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سلم أحدهم بغير سلام إمامه، فتقرى كلّ أذن مصغية لصوت إمامها أو صوت مؤذّنه مخافة السهو، ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس.

ثمّ المالكي وهو يصلي قبالة الركن اليماني...^(١)
مكة (سنة ٥٨٢هـ):

وفيها دخل سيف الإسلام أخو صلاح الدين إلى مكة وضرب الدنانير فيها

باسم أخيه، ومنع من قولهم «حيّ على خير العمل»^(٢).
مكة (سنة ٦١٧هـ):

وفيها توفي الشريف أبو عزيز قتاده بن إدريس الزيدي الحسني المكي أمير مكة.

كان شيخا عارفا مصنفا، نعمةً على عبيد مكة المفسدين، وكان الحاج في أيامه في أمان على أموالهم ونفوسهم، وكان يؤدّن في الحرم ب «حيّ على خير العمل» على قاعدة الرافضة، وما كان يلتفت إلى أحد من خلق الله تعالى، ولا وطئ بساط الخليفة ولا غيره، وكان يحمل إليه من بغداد في كلّ سنة الذهب والخلع وهو بداره في مكة، وهو يقول: أنا أحق بالخلافة من الناصر لدين الله، ولم يرتكب كبيرة فيما قيل...^(٣)

١ . رحلة ابن جبير ١ : ٨٤ - ٨٥، وقد ذكر بعض ما يتعلق بأئمة المذاهب الأربعة، وأغفل ما يتعلق بإمام الزيدية!!

٢ . النجوم الزاهرة ٦ : ١٠٣، الروضتين في اخبار الدولتين ٣ : ٢٧١.

٣ . النجوم الزاهرة ٦ : ٢٤٩ - ٢٥٠.

مكة (سنة ٧٠٢هـ):

جاء في (الدرر الكامنة) قوله: أبطل [بزلغى التتري حينما كان على الحج] الأذان ب «حيّ على خير العمل» وجمع الزيدية ومنعهم من الإمامة بالمسجد الحرام^(١).

إيران (سنة ٧٠٧هـ تقرّيباً):

كان مذهب أهل السنة والجماعة هو الغالب على إيران إلا في مناطق معينة كطبرستان، والري، و قم، وأقسام من خراسان، وقد ذكر المؤرخون عللاً وأسباباً في تشيع إيران^(٢)، إلا أنّ الثابت هو حدوثه في عهد العلامة الحلّي «الحسن بن يوسف» المتوفى ٧٢٦ هـ الذي كان السبب في تشيع السلطان الجايغو محمد المغولي الملقّب بشاه خدابنده المتوفى ٧١٧ أو ٧١٩ هـ.

فلما تشيع السلطان أمر في تمام ممالكه بتغيير الخطبة و إسقاط أسامي الثلاثة عنها، وبذكر أسامي أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأئمة: على المنابر، وبذكر «حيّ على خير العمل» في الأذان، وبتغيير السكّة ونقش الأسامي المباركة عليها^(٣).

المدينة [القرن الثامن]:

نقل السمهودي في (وفاء الوفاء):... عن ابن فرحون المتوفى سنة ٧٩٩هـ قوله: وقد تساهل من كان قبلنا فزادوا على الحجرة الشريفة مقصورة كبيرة... وكانت بدعة وضلالة يصلي فيها الشيعة... ولقد كنت أسمع بعضهم يقف على بابها ويؤذّن بأعلى صوته «حيّ على خير العمل» وكانت مواطن تدرّسهم وخلوة علمائهم^(٤).

وذكر صاحب التحفة اللطيفة في ترجمة عزاز، أحد الاشراف: كان يقف على

باب المقصورة المحيطة بالحجرة النبوية ويؤذّن بأعلى صوته من غير

١ . الدرر الكامنة ٢: ٩.

٢ . طبع موخرا المؤرخ الحجة الشيخ رسول جعفریان رسالة الجايغو والتي ألفها باللغة الفارسية موضحاً فيها أسباب تشييعه فليراجع.

٣ . روضة المتقين للعلامة المجلسي ٩: ٣٠ احقاق الحق ١: ١١، أعيان الشيعة ٥: ٣٩٦، مجالس المؤمنين ٢: ٣٥٦. وانظر: خاتمة مستدرك الوسائل للنوري وغيرها.

٤ . وفاء الوفاء للسمهودي ١ - ٢: ٦١٢ الفصل ٢٧.

خوف ولا فزع
قائلاً «حيّ على خير العمل»؛ قاله ابن فرحون في تاريخه^(١).
القطيف (سنة ٧٢٩هـ):

ذكر ابن بطوطة في رحلته سفره إلى القطيف، فقال: ثمّ سافرنا إلى
مدينة
القطيف - وضبط اسمها بضم القاف كأنه تصغير قَطِيف - وهي مدينة
كبيرة حرة حسنة
ذات نخل كثير، يسكنها طوائف العرب، وهم رافضية غلاة، يظهرون
الرفض
جهاراً لا يتقون أحداً، ويقول مؤذنهم في أذانه بعد الشهادتين: «أشهد أنّ
عليّاً وليّاً
الله»، ويزيد بعد الحيعلتين «حيّ على خير العمل» ويزيد بعد التكبير
الأخي:
«محمّد وعليّ خير البشر من خالفها فقد كفر»^(٢).
مكة (سنة ٧٩٣هـ):

جاء في صبح الاعشى... وولي ابنه صلاح [بن عليّ بن محمّد]
وتابعه الزيدية، وكان بعضهم ينكر إمامته لعدم استكمال الشروط فيه،
فيقول: «أنا لكم ما شئتم إمام أو سلطان»، ثمّ مات سنة ثلاث وتسعين
وسبعمائة، وقام بعده ابنه نجاح فامتنع الزيدية من بيعته... إلى أن يقول:
قال في مسالك الأبصار: ولشيعة هذا الإمام فيه حُسن الاعتقاد، حتّى أنّهم
يستشفون بدعائه، ويُمروُن يده على مرضاهم، ويستسقون به المطر إذا
اجدبوا، وبيالغون في ذلك كلّ المبالغة، ثمّ قال: ولا يكبرُ لإمام هذه سيرته
- في التواضع لله، وحسن المعاملة لخلقه، وهو من ذلك الأصل الطاهر
والعنصر الطيب - أن يجاب دعاؤه ويتقبل منه، قال: وزيّ هذا الإمام
وأتباعه زيّ العرب في لباسهم والعمامة والحنك، وينادى عندهم بالأذان
«حيّ على خير العمل»^(٣).
صنعاء (سنة ٩٠٠هـ تقريباً):

١ . التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٢: ٢٦٠ الترجمة ٢٩٦٥.

٢ . رحلة ابن بطوطة: ١٨٦ / بعد ذكره لمدينة (البحر بن).

٣ . صبح الاعشى ٧: ٣٥٨ - ٣٥٩.

ذكر صاحب البدر الطالع في ترجمة محمّد بن الحسن بن مرغم الزيدي اليماني (المولود ٨٣٦ والمتوفى ٩٣١) ما نصّه: لما افتتح السلطان عامر بن عبدالوهاب صنعاء ومايلها من البلاد [كان] يجله ويقبل شفاعته لأجل اتصاله بالإمام الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن.

ولما صلّى السلطان عامرٌ بجامع صنعاء أوّل جمعة فأراد المؤذن أن يسقط من الأذان «حيّ على خير العمل» فمنعه محمّد بن الحسن الزيدي، فالتفت إليه جميع من في المسجد من جند السلطان وهم ألوف مؤلفة، وعدّ ذلك من تصلّبه في مذهبه^(١).

حضر موت (سنة ١٠٧٠هـ):

جاء في كتاب (سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي) للعاصمي: قوله:

وفي سنة ١٠٦٥ جهز الإمام إسماعيل^(٢) ابن أخيه الإمام أحمد بن الحسن على حضرموت ونواحيها لكونهم لم يخطبوا له [بعد أن سيطر على أغلب اليمن] فالتقى هو والأمير حسين الرصاص، لكون بلده أقرب البلدان إلى دولة الإمام إسماعيل، وحصل منهم قتال، فلما عجز الإمام أحمد بن الحسن أرسل إلى قبيلة يافع - وهم قبائل كثيرون - بالأموال خفية، وطلبوا منه أن يكونوا معه على الرصاص... فتجهزوا على الرصاص وأتوه على غرة... حتّى قتل... واستولى الزيدية على غالب حضرموت.

ثمّ في سنة ١٠٧٠ استولى على حضرموت كلها، وأمرهم أن يزيدوا في الأذان «حيّ على خير العمل» وترك الترضي عن الشيخين... ثمّ لم يزل الإمام إسماعيل قائماً بأعباء الإمامة الكبرى إلى أن توفاه الله تعالى إلى رحمته سنة ١٠٨٧ هـ^(٣).

١ . البدر الطالع ٢: ١٢٢.

٢ . ابن المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن الرشيد بن أحمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأشل بن القاسم بن محمد بن يوسف الأكبر بن المنصور بن يحيى بن الناصر بن أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ابن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثني بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

٣ . سمط النجوم العوالي ٤: ١٩٨ - ٢٠٠.

نجد (سنة ١٢٢٤ هـ):

قال عبدالحى بن فخر الدين الحسيني (المتوفى ١٣٤١ هـ) في (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر):... الزيدية بعد ما خالف الشريف حمود بن محمد على أهل نجد سنة أربع وعشرين ومائتين وألف أن يزيد أهلها قول «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» في ندائهم للصَّلوات وَيَدْعُوا مَا تَوَارَثُوهُ مِنَ السَّلَفِ فِي أَذَانِ الْفَجْرِ مِنْ قَوْلِهِمْ «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ» فَإِنَّهُ كَانَ يَرَاهَا بِدْعَةٍ إِنَّمَا أَحَدَّثَهَا عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي إِمْرَتِهِ^(١).

وأختم حديثي بما نقله الفلقشندي في صبح الأعشى عن الزيدية فقال:... وهم يقولون: إِنْ نَصَّ الْأَذَانَ بَدَلَ الْحَيْعَلَتَيْنِ^(٢): «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» يَقُولُونَهَا فِي أَذَانِهِمْ مَرَّتَيْنِ بَدَلَ الْحَيْعَلَتَيْنِ، وَرَبَّمَا قَالُوا قَبْلَ ذَلِكَ: «مُحَمَّدٌ وَعَلِيُّ خَيْرِ الْبَشَرِ، وَعَثْرْتُهُمَا خَيْرِ الْعِثْرِ» وَمَنْ رَأَى أَنَّ هَذَا بِدْعَةٌ فَقَدْ حَادَ عَنِ الْجَادَّةِ.

وهم يسوقون الإمامة في أولاد عليّ كرم الله وجهه من فاطمة عليها السلام، ولا يُجَوِّزُونَ ثُبُوتَ الْإِمَامَةِ فِي غَيْرِ بَنِيهِمَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ جَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ كُلُّ فَاطِمِيٍّ عَالِمٍ زَاهِدٍ شَجَاعٍ خَرَجَ لَطَلَبِ الْإِمَامَةِ إِمَامًا مَعْصُومًا وَاجِبَ الطَّاعَةِ، سِوَاهُ كَانَ مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ أَوْ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَمَنْ خَلَعَ طَاعَتَهُ فَقَدْ ضَلَّ. وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِمَامَ الْمَهْدِيَّ الْمُنْتَظَرَ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ دُونَ وَلَدِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَمَنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ أَخْطَأَ. وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ فَقَدْ أَخْطَأَ عِنْدَهُمْ وَخَالَفَ زَيْدًا فِي مُعْتَقَدِهِ. وَيَقُولُونَ: إِنْ تَسَلَّمَ الْحَسَنُ الْأَمْرَ لِمَعَاوِيَةَ كَانَ لِمَصْلَحَةِ اقْتِنَاضِهَا الْحَالِ، وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ لَهُ.

قال في «التعريف»: وَأَيْمَانُهُمْ أَيْمَانُ أَهْلِ السُّنَّةِ، يَعْنِي فَيَحْلِفُونَ كَمَا تَقَدَّمَ، وَيَزَادُ فِيهَا: وَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُعْتَقِدِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَرَأَيْتُ أَنَّ قَوْلِي فِي الْأَذَانِ: «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» بِدْعَةٌ، وَخَلَعْتُ طَاعَةَ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْوَاجِبِ الطَّاعَةَ، وَادَّعَيْتُ أَنَّ الْمَهْدِيَّ الْمُنْتَظَرَ لَيْسَ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَقُلْتُ بِتَفْضِيلِ الشَّيْخَيْنِ

١. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: ١٦٤٦.

٢. هذا غلط من الفلقشندي فالزيدية تقول بالحيعة الثالثة بعد الحيعلتين لا بدلها.

عالي أمير
المؤمنين عليّ وبنيه، وطعنتُ في رأيِ ابنه الحسن لما اقتضته المصلحة،
وطعنا علياً
فيه^(١).

النتيجة:

وعليه فشرعية «حيّ علي خير العمل» ثابتة عند الشيعة بفرقها
الثلاث: - الإمامية الاثني عشرية، والزيدية، والإسماعيلية - وعند بعض
الصحابة، وإن هذه الجملة هي أصل لما فسّر في كلام الأئمة: ب «محمد
وعليّ خير البشر» و «محمد وآل محمد خير البرية» و «أنّ علياً وليّ
الله»، فتارة كانت الشيعة تصرح بهذا التفسير، وأخرى لا تصرح به،
نتيجة للظروف القاسية التي كانت تمر بها.

و يؤكد التفسيرية التي قلناها ما أجاب به السيّد المرتضى رحمه الله
(ت ٤٣٦ هـ) فإنه سئل: هل يجب في الأذان بعد قول «حيّ علي خير
العمل»: «محمد وعليّ خير البشر»؟ فأجاب: إن قال «محمد وعليّ خير
البشر» على أنّ ذلك من قوله خارج من لفظ الأذان جاز، فإنّ الشهادة
بذلك صحيحة، وإن لم يكن فلا شيء عليه^(٢).

وقال ابن البراج (ت ٤٨١ هـ) في مهذبه: ويستحب لمن أذن أو أقام أن
يقول

فول نفسه عند «حيّ علي خير العمل»: «آل محمد خير البرية» مرتين^(٣).
وكذا يفهم من كلام الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) أن الذين كانوا يأتون
به

الصيغ الثلاث أو الأربع! كانوا يأتون بها على أنّها صادرة عن أئمة أهل
البيت؛ لقول

رحمه الله: «وفي بعض رواياتهم... ومنهم من روى بدل ذلك...»^(٤).

فاختلاف الصيغ عند المؤذنين، وإتيانها في بعض الأحيان بعد
الحيعة الثالثة

وأخرى بعد الشهادة الثانية تشير إلى عدم جزئيتها وكونها تفسيرية.

١ . صبح الاعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي ١٣ : ٢٣١ .

٢ . رسائل الشريف المرتضى ١ : ٢٧٩ . ومثله جواب القاضي ابن البراج في جواهر الفقه: ٢٥٧ .

٣ . المهذب ١ : ٩٠ .

٤ . من لا يحضره الفقيه ١ : ١٨٨ باب الأذان والإقامة وثواب المؤذنين ح ٣٥ .

إذا عمل الشيعة وتفسيرهم هذا لم يكن عن هوى ورأي، بل لما عرفوه
ووقفوا عليه في مرويات أئمتهم الموجودة عندهم، وهذا لو جمع إلى سيرة
المتشـرعة من الشيعة في كل الأزمان والأصقاع في «حي على خير العمل» وأن المعني
بـه عندهم الولاية لوقفت على حقيقة أخرى لم تتكشف لك من ذي قبل^(١). ومما
يسـتأنس به ذلك أذان الشيعة بحلب سنة ٣٦٧ هـ حيث إنهم كانوا يقولون في أذانهم
«حي على خير العمل محمّد وعليّ خير البشر»، وكذلك في أذانهم
باليمامة سنة ٣٩٤ هـ، ففيه «يقولون في الإقامة: محمّد وعليّ خير البشر
وحي على خير العمل».

ومن هذا الباب ما ذكر من أنّ الحسين بن عليّ بن محمّد... بن علي
بن أبي طالب - المعروف بابن شكنبة - كان أوّل من جهر في الأذان بـ «محمّد وعليّ
خير البشر» في زمن سيف الدولة الحمداني سنة ٣٤٧ هـ، ولا يخفى عليك بأنّ هذا المؤدّن
والحمـدانيين شيعة اثنا عشرية، وقد عرفت بأنّ الأذان بذلك في حلب كان قبل هذا
التاريخ.

ويضاف إليه ما قلناه قبل قليل من أنّ الشيعة الاثني عشرية (القطعية)
أذنبوا في بغداد (٢٩٠ - ٣٥٦ هـ) بـ «أشهد أن عليّاً ولي الله»، وأعلوا هذا الإعلان
على الملأ في القرن الثامن في القطيف كذلك، وغير ذلك من النصوص، فكلها تؤكد
التقسـيرية التي كان يبوح بها الشيعة أيام قوتهم، وأنّ كلّ ما كانوا يقولونه مأخوذ
من كلامات

١ . سنفصل هذا الأمر بإذن الله تعالى في الباب الثالث من هذه الدراسة «أشهد أن عليّاً ولي الله بين
الشرعية والابتداع».

رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت: وأن ذلك كله تفسير وتوضيح للحيلة الثالثة^(١) التي حذفها عمر وسار على نهجه الحذفي أتباعه. ولذلك عظم على الرافضة!! وأهل التشيع حذف الحيلة الثالثة من الأذان في سنة ٣٦٩ هـ من قبل نور الدين عم صلاح الدين الأيوبي.

وبهذا فقد تبين لنا من كل ما سبق أن ل «حي على خير العمل» أصلاً شرعياً

ثابتاً، لكن الظروف السياسية العصبية ونهي عمر بن الخطاب، لعبا دورا كبيرا في

طرح شرعيتها جانبا - وقد مرّت عليك بعض الروايات التي صرّح فيها بحذف

الحيلة الثالثة للتقية من الرواة الذين كانوا يخافون على أرواحهم عند اشتداد

الظالمين - ومع كل ذلك العسف ترى الصمود الشيعي في جانب آخر، لذلك راح

أتباع الحذف بعد أن لمسوا شدة المتمسكين بها يدعون بأنها منسوخة، وعلوي

من شراسة الحملة الموجهة ضد هذا الأصل الشرعي وعنف وقسوة رموزه، إلا بأن

المنصفين لم يتمكنوا من التجرؤ والقول بأن «حي على خير العمل» بدعة، وأكثر ما توصلوا إليه أن يقولوا عنها: إن ذلك الأمر لم يثبت، و: ما لم

يثبت فمن الأولى تركه وعدم الإتيان به!

ولكن، هل مال جميع المسلمين إلى ذلك؟

أبداً، فكثير من الصحابة وكل أهل البيت وعدة من التابعين أصرّوا بإصراراً شديداً على التمسك بالإتيان ب «حي على خير العمل» في أذانهم

والتأكيد الحازم الجازم على شرعية الإتيان بها، وأن ليس من عامل شرعي قطعي دعا إلى طرحها وإسقاطها.. وقد مرّت في مطاوي

البحوث شواهد كثيرة تؤيد صحة ذلك بموضوعية، وقد كان هذا الفصل هو الموضح لكيفية «تحول هذا الأصل الشرعي» إلى شعار يميّز الشيعة

١ . وقد تكون الشهادة الثالثة هي تفسير للشهادة الثانية كذلك وهذا ما سنوضحه لاحقاً في الباب الثالث «أشهد أن علياً ولي الله بين الشرعية والابتداع».

عن غيرهم، وقد اتّضحت بين ثناياه الدوافع التي دعت أهل السنّة لأن يتّخذوا من (الصلاة خير من النوم) شعاراً لهم، حيث كانت لهذه الجملة أبعاداً متصلة باجتهاد الخليفة عمر! لا سنة رسول الله.

لقد تجسدت شعارية هذا الموضوع بوضوح في العصور المتأخّرة، ويمكن القول بأنّها تجلّت واضحة في العصر العبّاسيّ الأوّل^(١)، وعلى الخصوص في زمن أبي جعفر المنصور الدوانيقيّ، كما وتجسّدت معالم شعارية «حيّ على خير العمل» بوضوح أيضاً بعد وفاة المنصور بعد أن صار جلياً وجود تيارين متباينين، أحدهما يصرّ بإلحاح جادّ على الإتيان بـ «حيّ على خير العمل»، بينما يحاول الآخر منع ذلك بشتى الطرق ولا يرضى بالإتيان بها.

وانطلاقاً من هذا الأساس المتشجّج كانت جميع الحركات الشيعية ودولها فـ حال استلامها لزام أمور السياسة لا تتردّد في إعلاء «حيّ على خير العمل» على المآذن في الأذان إعلاناً عن هويّتهم الحقيقية، بل كان المدّ الجماهيري الشيعي فـ أحياناً قوته يراهن على شرعيّتها، ولا يتنازل عن الهوية المحمدية العلوية.

نعم، يمكن القول بذلك على أساس اتّخاذ الشيعة «حيّ على خير العمل» شعاراً لهم، وإن كانت هذه الحيلة الثالثة جزءاً من الأذان النبوي، فشرعيّتها أقدم من تاريخ شعاريتها بكثير، حيث هي مسألة شرعية ثابتة منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد بيّنا ذلك بما فيه الكفاية.

وأما فيما يخصّ ذكر أذان الإمام زين العابدين عليه السلام الثابت للجميع وليس ثمّة منكر له، فله ميزة خاصّة، وذلك لمكانته بين المسلمين عمومًا، فالإماميّة والزيدية،

١ . هي الفترة السياسية لخلافة بني العبّاس؛ من خلافة أبي العبّاس السفّاح إلى خلافة الواثق بالله، أي خلافة: أبي العبّاس السفّاح، والمنصور الدوانيقيّ، والمهدي العبّاسيّ، والهادي العبّاسيّ، وهارون الرشيد، والأمين، والمأمون، والمعتصم، وآخرهم الواثق بالله، ومن بعد وفاته إلى الغزو المغولي لبغداد، اصطُح عليه بين المؤرّخين بالعصر العبّاسيّ الثاني.

بل مختلف فرق الشيعة - باستثناء الكيسانية المنقرضة - تدعن له وتستسلم
لأوامره ونواهيه الشرعية، ويقرون له عليه السلام بأنه إمام للمسلمين وحنة لله
على خلقه، وبالنسبة لباقي الفرق فهم يتعاملون معه كأحد علماء المدينة على أقل ما
يقال..

فإتيان الإمام زين العابدين عليه السلام بـ «حي على خير العمل» يمثل -
بلا ريب - شرعيتها وامتداد جذورها إلى عصر الرسالة الأول،
وخصوصا بعد وقوفنا على قوله عليه السلام «إنه الأذان الأول» والذي
يوضح بأن الأذان شرع في الإسراء والمعراج، وأن «حي على خير
العمل»، إشارة إلى ولاية الإمام علي وولده، والذي كتب على ساق
العرش.

وكذا الحال بالنسبة إلى فعل ابن عمر، فإن إتيانه بها في أذانه - وهو
فقيه أهل السنة والجماعة - ليؤكد شرعيتها، ونحن لو أضفنا هذين
الموردين إلى ما أورده الدسوقي في حاشيته عن الإمام علي بن أبي طالب
عليه السلام وأنه كان يأتي بها، و إلى ما ذكر عن الإمامين الباقر
والصادق:، لأتضح لنا ولغيرنا بأن هذه المسألة لها أصل أصيل في الدين،
بل هناك أصل لما نقول به في كتب أهل السنة والجماعة مستقى عن
رسول الله صلى الله عليه وآله بيقين.

فـ «حي على خير العمل» أصل من الأصول الثابتة، ذو جذور
عريقة ورأسخة
تعود إلى عهد رسول الله، وقد أتى بها الصحابة أيضا، إلا أنه قد دب
الخلال فيهما

منذ عهد عمر بن الخطاب، وهذا هو ما تثبته الأدلة والشواهد التار يخية
والروائية، إلا أن التعصب الأعمى دفع بالبعض دفاعا عن اجتهاد عمر
قبال السنة النبوية المباركة لأن يدعي أن الشيعة هم الذين أدخلوا هذه
الروايات في كتبهم، بل ودفع ذلك التعصب المقيت بالبعض الآخر لأن
يدعي و يزعم أن كتبهم المعتبرة خالية من مثل هذه الروايات، ولا ندري
ما نقول لمن يريد إخفاء عين الشمس بغربال!

ونحن لو دققنا النظر في مسألة نهى عمر بن الخطاب عن متعة الحج
ومتعة النساء وحي على خير العمل - على ما أورده القوشجي في «شرح

التجريد» - لانكشف لنا الترابط فيما بين هذه المسائل الثلاث، وأن مسألة «حيّ على خير العمل» تعني ارتباطها بمسألة هامة ترتبط بصميم الخلافة والإمامة، وهذا ما أثبتناه بالأرقام في الصفحات السابقة⁽¹⁾، وقد عرفت كيف تحوّلت الحيلة الثالثة إلى شعار للطالبيين ولشيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومحبيّ الزهراء البتول عليها السلام عبر القرون، وأنّ ثبات الشيعة عليها وتمسّكهم بها يمثل بحثاً استراتيجياً بين الفريقين وحدّاً فاصلاً بينهما، ولعلّ ما روي عن الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام عن تبيان علّتي النهي الظاهرة والخفية - التي مرّ ذكرها - جاء للكشف عن النوايا والتوجّهات الحكومية التي أرادت أن تطمس أنّ خير العمل هو: «بر فاطمة وولدها».

وبعد أن بينا تعاريف «خير العمل» في روايات أهل البيت: سابقاً، وانها تعني: «الولاية» و «بر فاطمة وولدها»، نصل إلى أنّ نهى الخليفة يمثل إعلاناً عن عدم الاعتناء ببر فاطمة، وهو ما يعود بالنتيجة إلى الولاية والخلافة وأن عمر بن الخطاب لا يريد الإشارة إلى خلافة غيره، بل إنه لا يريد الإشارة إلى كلّ ما يتعلق بها.

ومما يدعم هذا المعنى ما تنطوي عليه العقوبة التي فرضها عمر بن الخطاب على القائل بها، فقوله (أنهى عنها) أو (أعاقب عليها) بمثابة اعتراف مبدئيّ منه بشرعيّة «حيّ على خير العمل»، واعتراف ضمّني على ما يجول في دواخله، ولذلك فقد ربط نهيه عن «حيّ على خير العمل» بنهييه عن متعّتي النساء والحجّ، اللّذين أكد الإمام عليّ وابن عبّاس ورعيّل من الصحابة على شرعيّتها، بخلاف عمر والنهج الحاكم اللذين دعيا إلى تركها، فترك هذه الثلاث عمريّ، وأمّا لزوم الإتيان بها أو جوازه فهو علويّ، إذا الأمر لم يكن اعتباراً، بل جاء لوجود رابطة وعلاقة متينة بين كلّ الأمور المنهيّ عنها.

لقد، بلغ النزاع حول المسألة المبحوثة أوجه في القرنين الرابع والخامس الهجريّين، حيث إنّ الصراع الفكريّ والاعتقاديّ في تلك الفترة الزمنية قد اشتدّ كثيراً، فسيطر على الشارع العامّ جوّ من الخلاف الحادّ بين الشيعة والسنة، كلّ يدعي أنّ الحقّ في جانبه، ولم يصلأ لقاسم مشترك

١ . انظر: الفصل الثالث (حيّ على خير العمل، دعوة للولاية وبيان لاسباب حذفها).

يرضي الطرفين في محاولة للعودة إلى حالة الألفة وعدم التنازع، فكلُّ منهما متمسكٌ بصلافة بما توصل إليه؛ هؤلاء بأئمتهم، وأولئك بحكوماتهم. ولو ألقينا نظرة فاحصة على النصوص التي مرت في حوادث سنة ٣٥٠ - ٤٤٣ هـ، ودرسنا وضع شدّة النعرة الطائفية واستفحالها، لشاهدنا بوضوح دور مسألة «حيّ على خير العمل» الذي تزامن طرحها مع مسائل اعتقادية أخرى بشكل لا يمكنك التفكيك بينها، مثل مسألة الغدير، ولبس السواد وما إلى ذلك. فلماذا يمنع أهل الكرخ وباب الطاق من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح؟ ولماذا تقع الفتنة يوم الغدير؟ قال الذهبي في أحداث سنة ٣٨٩ هـ: (كانت قد جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب وإظهار الزينة يوم الغدير، والوقيد^(١) في ليلته، فأرادت السنة أن تعمل في مقابلة هذا أشياء، فادّعت أنّ اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حصل فيه النبي وأبو بكر في الغار، فعملت فيه ما تعمل الشيعة في يوم الغدير، وجعلت بإزاء يوم عاشوراء يوماً بعده بثمانية أيام إلى مقتل مصعب...)^(٢). فانظر إلى الأصالة والتحرّف معاً، وكيف تُغيّر الوقائع والأحداث عن مجرياتها وتحرف عن أصلاتها وتوضع باسم الآخرين!

ومن الحوادث التاريخية التي برزت فيها شعارية «حيّ على خير العمل» كرمز للشيعة والتشيع ما أورده ابن الجوزي في «المنتظم» في أحداث سنة ٤١٧ هـ، وما جاء في «مرآة الجنان» في أحداث سنة ٤٢٠ هـ، حيث ذكرا بأنّ الصراع والصدامات بين الشيعة والسنة في بغداد كانت على أشدها، وقد حاول السنة بثني الأساليب التجرؤ على مكانة الإمام عليّ عليه السلام الرفيعة السامية، وبذلوا كلّ ما باستطاعتهم من النيل منه ومحاولة إسقاط مقامه الشامخ أمام أنظار العوام، وعلى هذا الغرار فقد بعث القادر العباسي ظاهراً - أحد وعأظه - إلى مسجد براثا^(٣) - مسجد

١ . أي إيقاد الشموع والقناديل والإضاءة.

٢ . تاريخ الإسلام: ٢٥ حوادث سنة ٣٨١ - ٤٠٠ هـ.

٣ . ومسجد براثا من المساجد العريقة والقديمة جداً، وكان يومذاك بمثابة معقل الشيعة وحصنهم الحصين، وتخرّج منه الكثير من الرجال الذين دخلوا تاريخ عالم التشيع، حتّى قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية ١١: ٢٧١ حوادث سنة ٣٥٤ هـ، إنّه: (عشّ الرافضة)، وكان ابن عقدة يعطي دروسه فيه، ونقل عنه أنّه كان حافظاً لستمائة ألف حديث، ثلاثمائة ألف حديث منها كانت في فضائل أهل البيت عليهم السلام، هذا مضافاً إلى إيواء المسجد لعدد كبير من علماء الشيعة، وكانوا

الشيعة - في أحد أيام الجُمع، وراح ينال من شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام بكلّ ما لا يليق به لا من قريب ولا من بعيد، الأمر الذي أثار الشيعة من الذين كانوا حاضرين في ذلك المسجد، فلم يسكتوا على قباحة ذلك الخطيب، وحدث لغط وثارَت الحميّة الدينيّة، فلم يكتفوا بالاعتراض اللفظي، بل رموا ذلك الخطيب بكلّ ما كان قريبا من أيديهم فأصابوه وكسروا له أنفه^(١)، فكانت هذه الحادثة بمثابة الشرارة الأولى التي ألهمت حالة الصدامات فيما بين السنّة والشيعة في بغداد في تلك السنة، وعلى أثر ذلك فقد كتب الشيعة على أبواب دورهم هذه العبارة: (محمّد وعليّ خير البشر، فَمَنْ رضى فقد شكر، ومَنْ أبى فقد كفر). ومن خلال هذه الحادثة ومثيلاتها التي حدثت في بغداد على مرّ الأيام يظهر لنا أنّ «حيّ على خير العمل» أصبحت تُمثّل شعارا للشيعة، لأنّ ديدن الجميع هو التأكيد والتركيّز عليها، وعدم التنازل عنها وذلك للاعتقاد الجازم بجزئيّتها، بخلاف الحكومات التي خافت منها ومن معناها ومغزاها فدأبت على حذفها، ولهذا يقول صاحب السيرة الحلبية: (إنّ الرافضة لم يتركوا «حيّ على خير العمل» أيّام البويهيين إلى أن تمكّ السلجوقيين سنة ٤٤٨ هـ، فألزموهم بالترك و إبدالها بالصلاة خير من النوم)^(٢).

وقد مرّ عليك تحت عنوان (مكّة / حلب ٤٦٢ هـ) كيف أن نقيب النقباء أبو الفوارس لما أبلغ القائم بأمر الله بأن محمود بن صالح [والي حلب] لبس الخلع القائمية وخطب للقائم. قال له القائم: أيّ شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون «حيّ على خير العمل»؟!^(٣) كما وقفت على المناظرة الطويلة التي ناظرها أبي هاشم أمير مكّة وقوله لهم:

هذا أذان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٤).

على درجة عالية من الوعي والصلابة في الدين، جعلت من أحد النواصب لأن يسمّيه بغضا وتعنتا ب (مسجد ضرار) انظر البداية والنهاية ١١: ١٧٣.
١ . البداية والنهاية ١٢: ٢٨ - ٢٩ حوادث سنة ٤٢٠ هـ.
٢ . انظر السيرة الحلبية ٢: ٣٠٥.
٣ . الكامل ١٠: ٦٤.
٤ . النجوم الزاهرة ٥: ٩٢.

وجاء في الايضاح للقاضي النعمان بن محمد بن حيون المتوفى ٣٦٣هـ عن ابي سليم قال اخبرنا عبدالرحمن بن القاسم القطان قال اخبرنا إسماعيل بن إسحاق عن حسن بن حسين عن علي بن القاسم عن بن الربيع عن منصور عن هلال بن سنان عن علقمة بن قيس قال: امر علي بن الصباح أن يلحق في اذانه: حي علي خير العمل^(١).

إذن، فقد قيّد التاريخ بين صفحائه بأن «حيّ علي خير العمل» كانت شعاراً للشيعّة على مرّ العصور، ومؤشراً على تشييع حكومات وحركات ثورية عديدة،

مضافاً إلى الإجماع القاطع عليها من قبل أهل البيت، وقد مرّ عليك أنّ حجة شرعيّتها هو إجماع أهل البيت على الإتيان بها، وقد نوه الشوكانيّ والأمير الصنعانيّ وغيرهما إلى حجّية إجماع أهل البيت. ومن المؤثّرات الأخرى التي يمكن لنا أن نجعلها دليلاً شاخصاً على شعاريّة «حيّ علي خير العمل» للشيعّة هو ما كُتب على المساجد والحسينيّات والتكايا القديمة، التي هي اليوم من المعالم الأثريّة والحضاريّة للمسلمين في مختلف بقاع العالم، وحتىّ حديثاً فقد ذكر مؤلف كتاب تاريخ مسجد الكوفة، بأنّ أمجد عليّ شاه أمر بكتابة «محمّد وعليّ خير البشر، فمن رضى فقد شكر، ومن أبى فقد كفر» على مأذنه مسجد الكوفة، وكذا الحال في روضة مسلم بن عقيل^(٢)، كما يمكننا ملاحظة شعاريّة «حيّ علي خير العمل» في آثار شمال أفريقيا التاريخيّة في المغرب والجزائر وتونس، إذ انتشر التشييع هناك بعد شهادة محمّد بن عبدالله بن الحسن ذي النفس الزكيّة، وذلك بعد أن تفرّق الشيعة في مختلف أرجاء المعمورة، وراحوا يتنفسون الصعداء بعيداً عن سطوة الحكومات الجائرة.

١ . الايضاح: ١٠٩ المطبوع في (ميراث حديث شيعه) دفتر دهم.
٢ . قال الشيخ محمد رضا المظفر في ترجمته لصاحب جواهر الكلام الشيخ محمد حسن النجفي: ومن آثار الشيخ بناء مأذنة مسجد الكوفة وروضة مسلم بن عقيل... وكان ذلك ببذل ملك الهند أمجد علي شاه وقد أرخ الشيخ ابراهيم صادق ذلك من قصيدة مدح بها الشيخ والملك هذا، فقال مؤرخاً للمأذنة في آخرها:..

واستتار الافق من مأذنه أذن الله بأن ترقى زحــــل
لهج الذاكر في تأريخها علنا حيّ علي خير العمل

وبهذا فقد ثبت لك مما سبق وجود اتجاهين عند المسلمين:
أحدهما: يتبع الخلفاء و يتخذ الاجتهاد والرأي حتى على حساب القرآن
والسنة في استنباطه.

والآخر: يأخذ بكلام أهل البيت والنص القرآني والنبوي ولا
يرتضي الرأي.

وكان الاتجاهان على تضاد فيما بينهما، فالذي لا يرتضي خلافة
الإمام عليّ ابن أبي طالب وولده لا يحبز شعاعية (حيّ على خير العمل).
أمّا الذي يعتقد بشرعية خلافة الأوصياء، ويفهم من الحيلة الثالثة أنّها
دعوة إلى بر فاطمة وولدها الذين هم خير البرية بصريح الكتاب العزيز -
أي محمّد وعليّ والزهراء والحسن والحسين - فيصر على شعاريتها و
إن كلفه ذلك الغالي النفيس.

وليس من الاعتباط أن نجد ارتباطا تاريخيا بين القول بإمامة أمير
المؤمنين عليّ بن أبي طالب والقول بشرعية الحيلة الثالثة، وبين رفض إمامة
أمير المؤمنين ر الممثلة لهم المسائل الفارقة بين نهج
التعب

المحض، وبين نهج الاجتهاد والرأي.

إنّ ما تنطوي عليه الحيلة الثالثة من حقيقة الإمامة حينما دخلت
الصراع يكشف بلا ريب عن أنّ حلبة هذا الصراع أكبر من كونها نزاعا
حول فصل من فصول الأذان، وما (حيّ على خير العمل) إلّا نافذة من
تلك النوافذ الكثيرة المعبرة عن أصالة نهج التبع المحض، شأنها في ذلك
شأن التكبير على الجنائز خمسا أو أربعا، وحكم الأرجل في الوضوء هل
هو المسح أو الغسل، والقول بمشروعية المتعة وعدمه، والإرسال أو
القبض في الصلاة، والتختم في اليمين أو الشمال، والجهر بالبسملة أو
إخفاتها، وعدم شرعية صلاة التراويح والضحي أو شرعيتها، وحرمة
شرب الفقاع وأكل السمك الذي لا قشر له أو حليتهما، وجواز لبس السواد
في محرم والاحتفال بيوم الغدير أو بدعيتها وإجراء أحكام المواريث
والمنكح طب هـ
المذهب أو ذاك و...

فكل هذه المفردات تشير إلى وجود نهج يخالف الحكام وما سنوه من سنن تخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فندرة وجود ما يؤيد هذا النهج في مدرسة الخلفاء لا يخدم في شرعيتها، بل يؤكد أصالتها، وأن ثبوتها وبعد أربعة عشر قرناً - رغم كل الظروف التي مرت بها - ليؤكد ارتباطها واستقاءها من أهل البيت، وهو الآخر قد وضح لك سر الاختلاف في الوضوء والأذان وغيرها من عشرات المسائل التي اختلف فيها المسلمون والتي لم يذكرها ابن حزم وغيره بل قبلوها على أنها ثابتة لا لبس ولا تنازع فيها.

ومما يجب التأكيد عليه هنا هو: أننا حينما نتخذ بعض الحكام فاطميين كانوا أم عباسيين كنماذج للنهجين لا نريد أن نعتبرهم القدوة والأسوة، مادحين هذا أو ماسين بذاك، فلا يحق لنا أن نسقط تصوّر اتنا على هذا المذهب أو ذلك طبق ما عرفناه من أعمال هذا الحاكم أو ذاك، فهؤلاء أناس لهم سلوكياتهم وتصرفاتهم، وكل ما في الأمر أنهم يلتزمون نهجاً خاصاً، فقد يكونون متعبددين بما عرفوه من ذلك النهج، وقد يكونون متجاوزين على أصوله غير عاملين بأوامره، فلا يمكن القول بأن كل حكام هذا الفريق كذا، وحكام ذلك الفريق كذا، لأن بعض هؤلاء تخطوا الموازين، كما تخطى الطرف الآخر كذلك، لكن ما نريد بيانه في هذا الفصل هو وجود اتجاهين عند المسلمين دون النظر إلى سلوكيات الأفراد والحكومات.

الخلاصة

تلخص ممّا سبق أمور عدة:

أحدها: شرعية «حيّ على خير العمل»؛ وذلك لاتفاق الفريقين على أصل مشروعيتها، وانفراد أهل السنة والجماعة بدعوى النسخ، وقد أثبتنا عدم وقوع النسخ، ناقلين كلام السيد المرتضى: وقد روت العامة أنّ ذلك ممّا كان يقال في بعض أيام النبيّ صلى الله عليه وآله، وإنّما ادّعي أنّ ذلك نسخ ورفع، وعلى من ادّعى النسخ الدلالة له، وما يجدها^(١).

وتأديّن أكثر من ثلاثين رجل من أهل البيت والصحابة بها، بل وضّحنا إجماع العترة على ذلك، حاكين في البين ما نقل عن الشافعي وبعض أئمّة المذهب الأربعة من القول بجزئيتها.

ثمّ عرّجنا في الفصل الثاني لبيان سقوطها على عهد عمر بن الخطاب، متسائلين عن موقف بلال الحبشي في الحيلة الثالثة والصلاة خير من النوم، وهل أنّه أذن للشيخين أم لا؟ بل ما هو موقفه اتجاه أهل البيت، وما موقف أهل البيت اتجاهه؟ وقد توصلنا إلى كونه لم يؤذن إلاّ للزهراء والحسينين، وأنّ خروجه إلى الشام كان اعتراضا على السياسة الحاكمة.

هذا وقد تكلمنا في الفصل الثالث عن معنى «حيّ على خير العمل» وأنّها دعوة إلى الولاية، مبينين الأسباب التي دعت عمر بن الخطاب لحذفها، مشيرين إلى بعض العلل الخفية في هذا الأمر، موضحين ذلك من خلال القرآن المجيد والسنة المطهرة وكلام الإمام الكاظم عليه السلام. أمّا الكلام في الفصل الرابع فكان عن تاريخها العقائدي والسياسي وما حدث في بغداد وغيرها من الفتن، مشيرين إلى التأذين بها في حلب، وبغداد، ومصر، وحمص، والاندلس، والهند، وإيران، ومكّة، والمدينة، واليمامة، والقطيف، و... على مر العصور والأيام.

كلّ ذلك ضمن بياننا للسير التاريخي للأحداث، والدول التي حكمت البلدان، فاطمية كانت أم عباسية، بويهية كانت أم سلجوقية و.. مؤكدين بأن الحيلة الثالثة ما هي إلا نافذة من النوافذ الكثيرة في التاريخ والشريعة كالجهر بالبسملة والجمع بين الصلاتين وعدم جواز المسح على الخفين و... والمشيرة إلى وجود اتجاهين بعد رسول الله: أحدهما أتباع أهل البيت، والآخر أتباع الخلفاء، وأن «حيّ على خير العمل» كانت شعار الشيعة والطالبيين على مر الدهور، وكان حذفها و إبدالها بـ «الصلاة خير من النوم» شعار أهل السنة والجماعة.

وبهذا فقد انتهينا من بيان الباب الأول من هذه الدراسة على أمل أن نلتقي بالقارئ الكريم عند البابين الآخرين منها:

الباب الثاني: «الصلاة خير من النوم، شرعة أم بدعة».

والباب الثالث: «أشهد أن عليًا ولي الله، بين الشرعية والابتداع».

نسأل الله أن يوفقنا لإكمالهما وإتمامهما بفضله ومنّه، آمين رب العالمين.

وفي الختام

لا بد لي أن أشكر كلَّ من سايروني في هذه الرحلة الفكرية العقائدية
المضنية،
سواء قرأ لي، أو أشار عليّ بنكتة علمية، أو لفتة أدبية، أو ملاحظة فنية،
أو تخريج
ما، وأخص بالذكر الباحثين الجليلين: الاستاذ الشاعر الشيخ قيس العطار،
والاخ

الفاضل إبراهيم رفاعة لإبدائهما بعض الملاحظات القيمة.
وكذلك اشكر الأخ الفاضل سمير الكرمانى الذي ضبط لي النصوص
وودَّ
المصادر وطبعاتها، ثمَّ اعداده الفهرس النهائي للكتاب. فللَّه درهم وعليه
أجرهم.

وأخيرا أمل من إخواني العلماء ومن يعنيه أمر الفكر والعقيدة أن
يتحفظ
بآرائهم حول الكتاب سلبيًا أو إيجابًا وصحَّة أو سقمًا، ولهم منَّا الشكر في
كاتب
الحالتين، فإن وافقونا فسنستمد العزم لمواصلة الطريق، و إن خالفونا
فسنسـ
تفيد مـ

آرائهم ونجعلها نصب أعيننا في بحوثنا المقبلة إن شاء الله تعالى.
اللهم أرنا الحقَّ حقًّا فننَّبِعه، والباطل باطلاً فنجتنبه، واجعل هوانا في
طاعتك وطاعة نبيك وأوليائك المخلصين، واهدنا لما اختلف فيه من الحقِّ
بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.
اللهم عرفنا ما نجهل من كتابك، وعلمنا ما لا نعلم من سنَّة نبيِّك،
وبصّرنا بما لا نبصر من أسرار حكمتك، واجعلنا أبرارا أتقياء برحمتك يا
أرحم الراحمين، آمين ربَّ العالمين.

ثبت المصادر

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ٣/١ (رحلي) للمقريزي، أحمد بن عليّ، تقي الدين أبي العباس (ت ٨٤٥ هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد حلمي محمّد أحمد، والدكتور جمال الدين الشيال، نشر: لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للثقون الامية / مصر.
- ٣ - الآثار ٢/١: للشيباني، محمّد بن الحسن، أبي عبدالله (ت ١٨٩ هـ)، صحّحه وعلق عليه: أبو الوفاء الافغاني، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٤ - الأحاد والمثاني: لابن أبي عاصم (ت ٢٨٧ هـ)، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة
نشر: دار الدراية الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ٥ - الاحاديث المختارة: للمقدسي الحنبلي، محمّد بن عبدالواحد بن أحمد، أبي عبدالله (ت ٦٤٣ هـ)، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش نشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- ٦ - الاحتجاج ٢/١ (في مجلد): طبرسي، أحمد بن عليّ بن أبي طالب، أبي منصور (من اعلام القرن السادس لهجري) عليق وملاحظات: السيّد محمّد باقر الموسوي الخراسان، شورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت لطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٧ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: للمقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، شمس الدين، أبي عبد الله (ت ٤١٤ هـ) طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٠٤ م أوفسيت دار صادر - بيروت.
- ٨ - احقاق الحق وازهاق الباطل ٣٢/١: للتستري، القاضي نور الله الحسيني المرعشي (ت ١٠١٩ هـ)، مع ملحقات السيّد المرعشي النجفي، نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران
- ٩ - الإحكام في أصول الأحكام ٨/١ (في مجلدين)، لابن حزم الاندلسي الظاهري، عليّ بن أحمد بن سعيد، أبي محمّد (ت ٤٥٦ هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، نشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٠ - الاحكام في الحلال والحرام: للإمام الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين الحسيني الحسني (ت ٥٦٦ هـ)، نشر: دار التراث اليمني، الطبعة الأولى.

- ١١ - الأخبار الموفقيات: للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور سامي مكي العاني، نشر: منشورات الشريف الرضي، طبع: مطبعة أمير - قم - إيران الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- ١٢ - أخبار بني عبيد = أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم: لابن حماد، محمّد بن عليّ بن حماد، أبي عبدالله (ت ٦٢٨هـ)، تحقيق: التهامي نقرة - عبدالحليم عويس، نشر: دار الصحوة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- ١٣ - الاختصاص: للمفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي، أبي عبدالله (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: الأستاذ عليّ أكبر غفاري، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم - إيران.
- ١٤ - الأذان بحي على خير العمل: للعلوي، محمّد بن عليّ بن الحسن، أبي عبدالله (ت ٤٤٥هـ)، تحقيق: محمّد يحيى سالم عزان، نشر: مركز النور للدراسات والبحوث والتحقيق - صعدة - اليمن، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- وطبعة ثانية: بتحقيق: يحيى عبدالكريم الفضيل، نشر: المكتبة الوطنية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٥ - الاربعون حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين: للبحراني، سليمان بن عبدالله الماحوزي (ت ١١٢١هـ)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، نشر: المحقق - قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ١٦ - ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري: للقسطلاني، أحمد بن محمّد، شهاب الدين، أبي العباس (ت ٩٢٣هـ)، اوفسيت دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٧ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٢/١: للمفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي، أبي عبدالله (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - قم - إيران.
- ١٨ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: للألباني، محمّد ناصر (معاصر)، تحقيق: زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٩ - الاستبصار ٤/١: للطوسي: محمّد بن الحسن، أبي جعفر (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيّد حسن الموسوي، نشر: دار الكتب الإسلامية - طهران الطبعة الرابعة.
- ٢٠ - الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٤/١: لابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبر، أبي عمر (ت ٣٦٨ - ٤٦٣هـ)، تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، نشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - مصر.

- ٢١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥/١: لابن الأثير الجزري، عليّ بن محمّد، أبي الحسن (ت ٦٣٠هـ)، دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٢ - الأشعثيات المعروف بالجعفر يات: للأشعث الكوفي، محمّد بن محمّد الأشعث، أبي عليّ (من اعلام القرن الرابع الهجري)، المطبوع مع قرب الإسناد للحميري القمي، نشر: مكتبة نينوى الحديثة، طهران - إيران.
- ٢٣ - الإصابة في تمييز الصحابة ٤/١: للعسقلاني، أحمد بن عليّ بن حجر، شهاب الدين، أبي الفضل (ت ٨٥٢ هـ)، طبع الكتبخانه الخديوية المصرية، أوفسيت دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ.
- ٢٤ - الاعتصام بحبل الله المتين ٥/١: للقاسم بن محمّد، الإمام الزيدي (ت ١٠٢٩هـ)، نشر: مطابع الجمعية، عمان - الأردن، طبع سنة ١٤٠٣هـ.
- ٢٥ - أعيان الشيعة ١١/١: للامين، السيّد محسن العاملي (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، نشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت.
- ٢٦ - اغاثة الطالبين على حل الفاظ فتح المعين ٤/١ في مجلدين: للسيّد البكري، أبو بكر بن السيد محمد شطا الدميّاطي (ت هـ)، نشر: دار احياء التراث العربي / بيروت، وطبعة اخرى: دار الفكر - بيروت في اربعة اجزاء.
- ٢٧ - الاغاني ٢٤/١: للأصفهاني، أبي الفرج (ت ٣٥٦ هـ)، شرحه، كتب هوامشه: عبدعليّ مهنا، الطبعة الأولى ١٤٠٧ - ١٩٨٦، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ٢٨ - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٣/٢: أسد حيدر (ت)، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ، واعادت طباعته مكتبة الصدر - طهران - إيران.
- ٢٩ - الإمامة والسياسة: للدينوري، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، أبي محمّد (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: عليّ شيري، نشر: منشورات الشريف الرضي.
- ٣٠ - الأمالي الخميسية: للمرشد بالله، يحيى بن الحسين (ت ٤٧٩هـ)، طبع مصر - أعادته مكتبة المثني، بغداد.
- ٣١ - أمالي الإمام أحمد بن عيسى: أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ (ت ٢٤٧هـ): تحقيق: عليّ بن إسماعيل بن عبدالله المؤيد، نشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٣٢ - أمالي الشيخ الطوسي: للطوسي، محمّد بن الحسن، أبي جعفر (ت ٤٦٠هـ)، وابنه أبو عليّ (ت بعد سنة ٥١٥ هـ)، مؤسسة الوفاء - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١ - ١٩٨١.

- ٣٣ - أمالي الصدوق: لابن بابويه القمي، محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه، أبي جعفر (ت ٣٨١ هـ)، قدم له: الشيخ حسين الاعلمي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٣٤ - انساب الاشراف ١٣/١: للبلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي، باشراف مكتب البحوث والدراسات، نشر: دار الفكر / بيروت لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٣٥ - أنساب الاشراف: للبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (من أعلام القرن الثالث الهجري)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، نشر: مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ.
- ٣٦ - الإيضاح: لابن شاذان النيسابوري، الفضل بن شاذان الأزدي، أبي محمد (ت ٢٦٦ هـ)، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٣٧ - الإيضاح: للقاضي نعمان بن محمد بن حيون (ت ٣٦٣ هـ) والمطبوع في المجلد العاشر من (ميراث حديث شيعية)، تحقيق: محمد كاظم رحمتي، نشر: مركز تحقيقات دار الحديث / قم إيران سنة ١٣٨٢ هجري شمسي.
- ٣٨ - البحر الزخار: للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت ٨٤٠ هـ)، طبع سنة ١٣١٦ هـ.
- ٣٩ - بحار الانوار ١١٠/١: للمجلسي، الشيخ محمد باقر (ت ١١١١ هـ)، نشر: مؤسسة الوفاء - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٤٠ - النجاري بشرح الكرمانى ٢٥/١ في تسعة مجلدات: للكرمانى، (ت هـ)، نشر: دار احياء التراث العربى / بيروت.
- ٤١ - بدائع الزهور في وقائع الدهور: لابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ)، نشر: الهيئة المصرية العامة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.
- ٤٢ - البداية والنهاية ٨/١: لابن كثير، أبي الفداء (ت ٧٧٤ هـ)، دقق أصوله وحققه: مجموعة من الأساتذة، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٤٣ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للشوكاني، محمد بن عليّ (ت ١٢٥٠ هـ)، نشر: دار المعرفة - بيروت.
- ٤٤ - بذل المجهود في حل أبي داود ٢٠/١ (في عشر مجلدات): للسهار نفوري، خليل أحمد (ت ١٣٤٦ هـ)، نشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة.
- ٤٥ - بصائر الدرجات في فضائل آل محمد: للصفار القمي، محمد بن الحسن بن فروخ، أبي جعفر (ت ٢٩٠ هـ)، صححه وعلق عليه: الحاج ميرزا

محسن كوجه باغي التبريزي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران ١٤٠٤ هـ.

٤٦ - بغية الطالب في تاريخ حلب ١٢/١ مع الفهارس: لابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة، كمال الدين (ت ٦٦٠ هـ)، حققه وقدم له: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر - بيروت.

٤٧ - بلاغات النساء: لابن طيفور، أبي الفضل بن أبي طاهر (ت ٣٨٠ هـ)، نشر: مكتبة بصيرتي - قم - إيران.

٤٨ - تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: شرف الدين الاسترآبادي، علي بن الحسين الغروي، السيد شرف الدين (من علماء النصف الثاني من القرن العاشر)، تحقيق: حسين الأستاذ ولي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي - إيران، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ.

٤٩ - تاج العروس من جواهر القاموس ٣٠/١: للزبيدي، محمد بن مرتضى الحسين الواسطي (١٢٠٥ هـ)، نشر: دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان، طبع بالأوفسيت عن الطبعة الأولى للمطبعة الخيرية - مصر سنة ١٣٠٦ هـ.

٥٠ - تاريخ ابن خلدون ٧/١: لابن خلدون الحضرمي المغربي، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

٥١ - تاريخ ابن معين ٢/١: لابن معين، يحيى معين بن عون المرّي الغطفاني البغدادي (ت ٢٢٣ هـ)، برواية عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد نور سيف
نشر: دار المأمون للتراث - دمشق - سوريا.

٥٢ - تاريخ يحيى بن معين برواية الدوري: لابن معين، يحيى بن معين بن عون المرّي الغطفاني البغدادي (ت ٢٣٣ هـ)، رواية: العباس بن محمد بن حاتم الدوري البغدادي (ت ٢٧١ هـ)، تحقيق: عبدالله أحمد حسن، نشر: دار القلم - بيروت.

٥٣ - تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر ٤/١ (في مجلدين)
لأبي الفداء، إسماعيل بن نور الدين، عماد الدين (ت ٧٣٢ هـ): مكتبة المتنبّي - القاهرة.

٥٤ - تاريخ بغداد ١٤/١، للخطيب البغدادي، أحمد بن علي، أبي بكر (ت ٤٦٣ هـ)

نشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

- ٥٥ - تاريخ الثقات: للعجلي، أحمد بن عبدالله بن صالح، أبي الحسن (ت ٢٦١هـ)
- تحقيق: عبدالمعطي قلجبي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- ٥٦ - تاريخ الخلفاء: للسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، نشر: مطبعة السعادة - مصر، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ٥٧ - التاريخ الصغير: للبخاري، محمد بن إسماعيل، أبي عبدالله (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ٥٨ - تاريخ طبرستان (باللغة الفارسية): لابن اسفنديار الكاتب، محمد بن حسن بن اسفنديار، بهاء الدين (ت ٦١٣هـ)، تصحيح: عباس إقبال الاشتياني، الناشر: پديده (خاور)، النشر: ١٣٦٦ هـ.ش.
- ٥٩ - تاريخ الطبري = (تاريخ الأمم والملوك) ١١/١: للطبري، محمد بن جرير، أبي جعفر (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار التراث، بيروت - لبنان
- ٦٠ - التاريخ الكبير ٨/١، للبخاري الجعفي، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ)
- نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٦١ - تاريخ المدينة المنورة = اخبار المدينة النبوية ٤/١: لابن شبة، عمر بن شبة النميري البصري، أبي زيد (ت ٢٦٢هـ): تحقيق: فهمي محمد شلتوت، نشر: دار التراث - بيروت
- الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠.
- ٦٢ - تاريخ مدينة دمشق المعروف بتاريخ ابن عساكر: لابن عساكر الدمشقي، علي بن محمد الحسن بن هبة الله الشافعي، أبي القاسم (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، نشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٦٣ - تاريخ اليعقوبي ٢/١: لليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، الكاتب العباسي، دار صادر - بيروت، أوفسيت مؤسسة نشر ثقافة أهل البيت: إيران.
- ٦٤ - تثبيت الإمامة: يحيى بن الحسين بن القاسم، الإمام الزيدي اليميني (ت ٢٩٨هـ)، نشر: دار الإمام السجاد - بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ.

- ٦٥ - تحرير تقريب التهذيب ٤/١: التقريب: للعسقلاني، أحمد بن عليّ بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، والتحرير: ليشار عواد معروف، شعيب الارنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٦٦ - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٢/١: للسخاوي، شمس الدين (ت ٩٠٢هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٦٧ - تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي ١٠/١ (ومجلد للمقدمة): للمباركفوري، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم، أبي العلا (ت ١٣٥٣هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٦٨ - تحفة المحتاج بشرح المنهاج ١٠/١.
- ٦٩ - تذكرة الحفاظ ٤/١ (في مجلدين): للذهبي، شمس الدين، أبي عبدالله (ت ٧٤٨هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي؛ بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ.
- ٧٠ - التعديل والتجريح: للباجي المالكي، سليمان بن خلف بن سعد، أبي الوليد (ت ٤٧٤هـ)، تحقيق: أحمد البزار.
- ٧١ - تفسير ابن أبي حاتم ١٢/١: لابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - السعودية، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٧٢ - تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ٤/١: للبغوي الشافعي، الحسين بن مسعود الفراء، أبي محمد (ت ٥١٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٧٣ - تفسير الإمام العسكري المنسوب إلى الإمام العسكري: للحسن بن عليّ العسكري ٧ أبي محمد (ت ٢٦٠هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي ٧ - قم - إيران، الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ.
- ٧٤ - تفسير عبدالرزاق ٣/١: للصنعاني، عبدالرزاق بن همام (ت ٢١١هـ)، دراسه وتحقيق: دكتور محمود محمد عبده، منشورات محمد عليّ بيضون / دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ - ١٩٩٩م.
- ٧٥ - تفسير فرات
- ٧٦ - تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير ٤/١: لابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن كثير، عماد الدين، أبي الفداء (ت ٧٧٤هـ)، أعادت طبعه بالافسيت دار المعرفة - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- ٧٧ - تفسير العياشي ٢/١: للعايشي، محمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، أبي النضر (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، نشر: المكتبة العلمية الإسلاميّة - طهران.
- ٧٨ - تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١: للقرطبي، محمّد بن أحمد الانصاري، أبي عبدالله (ت ٦٧١هـ)، تصحيح: أحمد عبدالعليم البردوني، أعادت طبعه دار احياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٧٩ - تفسير القمي: للقمي، عليّ بن إبراهيم، أبي الحسن (من اعلام القرنين ٣ - ٤هـ)، صححه وعلق عليه: السيّد طيب الموسوي الجزائري، طبع: مطبعة النجف سنة ١٣٨٧هـ.
- ٨٠ - التفسير الكبير ٣٢/١ (في ستة عشر مجلدا): للفخر الرازي، محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)، طبع: دار احياء التراث العربي بيروت - الطبعة الثالثة.
- ٨١ - تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ٤/١: للزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أبي القاسم (ت ٥٣٨هـ)، نشر: دار المعرفة بيروت.
- ٨٢ - تفسير الميزان ٢١/١: للطباطبائي، السيّد محمّد حسين (ت هـ)، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ٨٣ - تفسير نور الثقلين ١/٥: للحويزي، عبدعليّ بن جمعة العروسي (ت ١١١٢هـ)، تعليق: هاشم الرسولي المحلاتي، أوفسيت الحوزه العلمية - قم - إيران.
- ٨٤ - التلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير: للعسقلاني، أحمد بن عليّ حجر، أبي الفضل (ت ٨٥٢هـ)، نشر: دار الفكر - بيروت
- ٨٥ - تلخيص المستدرك = المطبوع بذيل المستدرك للحاكم النيسابوري: للذهبي، محمّد بن أحمد، أبي عبدالله (ت ٨٤٨هـ)، نشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٨٦ - التمهيد: لابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، أبي عمر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي - محمّد عبدالكبير البكري، نشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلاميّة - المغرب، الطبعة الاولى ١٣٨٧هـ.
- ٨٧ - تنوير الحوالك على موطأ مالك ٢/١ (في مجلد)، للسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن الشافعي (ت ٩١١هـ)، نشر: دار الندوة الجديدة - بيروت.
- ٨٨ - تهذيب الاحكام = التهذيب ١٠/١: للطوسي، محمّد بن الحسن، أبي جعفر (ت ٤٦٠هـ)، حققه وعلق عليه: السيّد حسن الموسوي الخرساني، نشر: دار الكتب الإسلاميّة - إيران.

- ٨٩ - تهذيب التهذيب ١/١٢: للعسقلاني، أحمد بن عليّ بن حجر، أبي الفضل (ت ٨٥٢هـ)، نشر: مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد - الهند، الطبعة الاولى ١٣٢٥هـ.
- ٩٠ - تهذيب الكمال ١/٣٥: للمزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٩١ - التوحيد: لابن بابويه القمي، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه، أبي جعفر (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.
- ٩٢ - ثقات ابن حبان = (كتاب الثقات) ١/٩: لابي حاتم البستي، محمّد بن حبان بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ)، نشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، الطبعة الاولى.
- ٩٣ - جامع أحاديث الشيعة ١/٣٠: للبروجردي، السيّد حسين الطباطبائي (ت ١٢٧٦هـ)، تأليف ونشر: الشيخ إسماعيل المعزي الملايري، طبع في مطبعة مهر / قم - إيران سنة ١٤١٣هـ.
- ٩٤ - جامع البيان في تفسير القرآن ١/٣٠ (في ١٢ مجلد): للطبرسي، محمّد بن جرير، أبي جعفر (ت ٣١٠هـ)، طبع: المطبعة الكبرى الاميرية - مصر، أوفسيت دار المعرفة - بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٩٥ - جامع الأخبار = معارج اليقين في أصول الدين: للسبزواري، محمّد بن محمّد، (من أعلام القرن السابع الهجري)، تحقيق: علاء آل جعفر، نشر: مؤسسة آل البيت - قم - إيران الطبعة الاولى ١٤١٤هـ.
- ٩٦ - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: للسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٩٧ - الجامع للشرائع: يحيى بن سعيد (ت ٦٩٠هـ)، نشر: مؤسسة سيّد الشهداء - قم - إيران، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ.
- ٩٨ - الجرح والتعديل للرازي ١/٩: لابن أبي حاتم الرازي، عبدالرحمن بن أبي حاتم محمّد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي (ت ٣٢٧هـ)، نشر: دار احياء التراث العربي، بيروت، أوفسيت عن الطبعة الاولى لمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٧٣هـ - ١٩٥٢م.

- ٩٩ - جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار: للصعدي، محمّد بن يحيى بن محمّد بن أحمد (ت ٩٥٧هـ)، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، طبع سنة ١٣٧٩هـ.
- ١٠٠ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن = تفسير الثعالبي: للثعالبي، عبدالرحمن (ت ٨٧٥هـ)، حققه وخرج أحاديثه: أبو محمّد الغماري الادريسي الحسني، طبعه دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٦ - ١٩٩٦م.
- ١٠١ - جواهر الفقه: لابن برّاج الطرابلسي، عبدالعزيز بن برّاج (ت ٤٨١هـ)، تحقيق: إبراهيم بهادري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الاولى ١٤١١هـ.
- ١٠٢ - جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ٤٣/١: للنجفي، الشيخ محمّد حسن (ت ١٢٦٦هـ)، تحقيق: الشيخ عليّ الآخوندي والشيخ عبّاس القوجاني وغيرهما، نشر: دار الكتب الإسلاميّة - طهران - إيران، الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ.
- ١٠٣ - جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: للباعوني الشافعي، محمّد بن أحمد الدمشقي (ت ٨٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، نشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة - قم - إيران، الطبعة الاولى ١٤١٥هـ.
- ١٠٤ - الجواهر النقي (بهامش السنن الكبرى): لابن التركماني، علاء الدين بن عليّ بن عثمان المارديني (ت ٧٤٥هـ)، نشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٠٥ - الحاوي الكبير - وهو شرح مختصر المزني - ١٨/١: للماوردي البصري، علي بن محمد بن حبيب (ت هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل احمد بالموجود، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٠٦ - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: للدسوقي، محمّد بن عرفة (ت ١٢٣٠هـ)، نشر: دار احياء الكتب العربي، بيروت لبنان.
- ١٠٧ - حاشية السندي (المطبوع بهامش سنن النسائي): للسندي، نور الدين بن عبدالهادي، أبي الحسن (ت ١١٣٨هـ)، نشر: دار احياء التراث العربي.
- ١٠٨ - الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: للبحراني، الشيخ يوسف (ت ١١٨٦هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد تقي الايرواني، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي - قم - إيران.

- ١٠٩ - حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الاطهار عليهم السلام: للبحراني، السيّد هاشم (ت ١١٠٧هـ) تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البحراني، نشر: مؤسسة المعارف الإسلاميّة - إيران، الطبعة الاولى ١٤١١هـ.
- ١١٠ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٠/١: للاصبهاني، أحمد بن عبدالله، أبي نعيم (ت ٤٣٠هـ)، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١١١ - حيّ على خير العمل بين الشرعية والابتداع: لمحمد سالم عزّان (معاصر)، نشر: النور للدراسات والبحوث والتحقيق - صعدة - اليمن، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١١٢ - الخصال: لابن بابويه القمي، محمّد بن عليّ بن الحسين، أبي جعفر (ت ٣٨١هـ)، صححه وعلق عليه: الأستاذ عليّ أكبر الغفاري، نشر: جماعة المدرسين - قم - إيران/ الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ.
- ١١٣ - خطط الشام ٦/١ في ثلاثة مجلدات: لمحمد كرد عليّ (ت ١٩٥٣هـ): نشر: مكتبة النوري - دمشق - سوريا، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١١٤ - الدارس في تاريخ المدارس ٢/١: للنعماني دمشقي، عبدالقادر بن محمّد (ت ٩٧٨هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١١٥ - الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: للشيرازي، السيّد عليّ خان المدني (ت ١١٢٠هـ)، نشر: مكتبة بصيرتي - قم - إيران، الطبعة الاولى ١٣٩٧هـ.
- ١١٦ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابي الفضل، أحمد بن عليّ بن محمّد (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمّد عبدالمعيد خان، نشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد - الهند، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
- ١١٧ - الدر المنثور ٦/١: للسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ)، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران، ١٤٠٤هـ.
- ١١٨ - دعائم الإسلام ٢/١: للتميمي المغربي، النعمان بن محمّد بن منصور بن حيون، أبي حنيفة (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن عليّ أصغر فيضي، نشر: دار المعارف - القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ١١٩ - الدعوات: للقطب الراوندي، سعد بن هبة الله، أبي الحسين (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي - قم - إيران، الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ.

- ١٢٠ - دفع الشبه عن الرسول والرسالة: للحصني، أبي بكر بن محمد بن عبدالمؤمن تقي الدين (ت ٨٢٩ هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، نشر: دار إحياء الكتاب العربي - القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٨.
- ١٢١ - الديباج: للسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، أبي الفضل (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الجويني الأثري، نشر: دار ابن عفان - الخبر - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١٢٢ - ديوان الشافعي: للشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١٢٣ - ديوان الحماني: للحماني العلوي الكوفي، علي بن محمد بن جعفر بن علي (ت ٢٤٥ هـ)، تحقيق: الدكتور محمد حسين الاعرجي، طبع: دار صادر في بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨ هـ.
- ١٢٤ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٦/١: للطهراني، آقا بزرك (ت ١٣٨٩ هـ)، نشر: دار الاضواء - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.
- ١٢٥ - ذكرى الشيعة ٤/١: للجزيني العاملي، محمد بن جمال الدين مكي، المعروف ب الشهيد الاول، (ت ٧٨٦ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، طبع: مطبعة ستارة - قم، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- ١٢٦ - رأب الصدع = العلوم: للمراذي المقرئ، محمد بن منصور (ت ٢٩٠ هـ)، جمع فيه أمالي احمد بن عيسى مع إضافات حديثة، تحقيق: علي بن إسماعيل بن عبدالله المؤيد نشر: دار النفائس - بيروت - الطبعة الأولى.
- ١٢٧ - رحلة ابن بطوطة = تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: للواتي الطنجي، محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم (ت ٧٧٧ هـ)، نشر: دار الكتاب اللبناني.
- ١٢٨ - رحلة ابن جبیر: لابن جبیر، محمد بن أحمد بن جبیر الكناني الأندلسي البلبني، أبي الحسين (٦١٤ هـ)، نشر: دار الكتاب اللبناني.
- ١٢٩ - الرسالة: للشافعي، محمد بن إدريس، أبي عبدالله (ت ٢٠٤ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة - مصر ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م.
- ١٣٠ - رسائل الشريف المرتضى ٣/١: للشريف المرتضى، علي بن الحسين بن موسى، أبي القاسم (ت ٤٣٦ هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر: دار القرآن - إيران، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- ١٣١ - روح المعاني ٣٠/١ في ١٥ مجلدا: للآلوسي البغدادي، شهاب الدين السيد محمود، أبي الفضل (ت ١٢٧٠ هـ)، عني بنشره وتصحيحه

- والتعليق عليه: محمود شكري الالوسي، طبع: ادارة الطباعة المنيرية - اوفسيت دار احياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ١٣٢ - الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: للسهيلي الخثعمي، عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٥٨١ هـ)، تحقيق: مجدي منصور الشورى، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٣٣ - الروض النضير: للسياعي، شرف الدين، الحسين بن أحمد (ت ١٢٢١ هـ)، نشر: مكتبة المؤيد - الطائف الطبعة الثانية.
- ١٣٤ - الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ٤/١: لابي شامه المقدسي، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٦٦٥ هـ)، تحقيق: إبراهيم الزبيق، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٧ م.
- ١٣٥ - زاد المسير في علم التفسير: للجوزي القرشي، جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله، نشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ.
- ١٣٦ - زبدة الطلب من تاريخ حلب ٢/١: لابن العديم، كمال الدين، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠ هـ)، تحقيق: سهيل زكار، نشر: دار الكتاب العربي - دمشق والقاهرة الطبعة الاولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٣٧ - سبل السلام ٤/١ في مجلدين: للصنعاني، محمد بن إسماعيل الكحلاني المعروف بالأمير - (ت ١١٨٢ هـ)، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخولي، نشر: دار احياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.
- ١٣٨ - سبل الهدى والرشاد: للصالح الشامي، محمد يوسف (ت ٩٤٢ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٤ هـ.
- ١٣٩ - سعد السعود: لابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، رضي الدين، أبي القاسم (ت ٦٦٤ هـ)، نشر: المطبعة الحيدرية - النجف، الطبعة الاولى ١٣٦٩ هـ.

- ١٤٠ - سفر نامه حكيم ناصر خسرو قبادياني (ت ٤٥٣٠هـ) (باللغة الفارسية): تصحيح: غني زاده، نشر: انتشارات منوچهري، المطبعة: كلشن السنة: ١٣٧٢ هـ ش.
- ١٤١ - سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٤/١: للعصامي المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ عليّ محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٤٢ - سنن أبي داود ٤/١: للسجستاني الأزدي، سليمان بن الأشعث أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، نشر: المكتبة العصرية - بيروت.
- ١٤٣ - سنن ابن ماجة ٢/١: للقزويني، محمد بن يزيد أبي عبدالله (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٤٤ - سنن الترمذي ٥/١: للترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، أبي عيسى (ت ٢٩٧هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، نشر: دار احياء التراث العربي - بيروت ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- ١٤٥ - السنن الكبرى ١٠/١ (رحلي): للبيهقي، أحمد بن الحسين بن عليّ أبي بكر (ت ٤٥٨ هـ)، نشر: دار المعرفة - بيروت.
- ١٤٦ - سنن النسائي ٨/١ في أربعة مجلدات: للنسائي، أحمد بن شعيب بن عليّ بن بحر، أبي عبدالرحمن (ت ٣٠٣ هـ)، نشر: دار احياء التراث العربي - بيروت، ١٤٧ - سير أعلام النبلاء ٢٥/١ (مع الفهارس)، للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٤٨ - السيرة الحلبيّة في سيرة الأمين المأمون ٣/١ (رحلي): للحلبي، عليّ بن برهان الدين (ت ١٠٤٤هـ)، نشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ.
- ١٤٩ - السيرة النبوية = سيرة ابن هشام ٤/١: لابن هشام الحميري، عبدالملك بن هشام بن أيوب (ت ٢١٣هـ أو ٢١٨هـ، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبدالحفيظ شلبي، نشر: دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ١٥٠ - السيرة النبوية = سيرة ابن كثير: لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)

تحقيق: مصطفى عبدالواحد، نشر: دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

١٥١ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨/١ في أربعة مجلدات: للحنبلي، عبدالحى ابن العماد، أبي الفلاح (ت ١٠٨٩هـ)، نشر: دار الافاق الجديدة - بيروت - لبنان.

١٥٢ - شرح التجريد: للقوشجي، علاء الدين (ت ٨٧٩هـ)، نشر: منشورات الرضي - ايران - قم.

١٥٣ - شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ٣/١: للتميمي المغربي، النعمان بن محمد أبي حنيفة (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: السيد محمد حسين الجلالي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي - قم - إيران، الطبعة الاولى ١٤٠٩ هـ.

١٥٤ - شرح صحيح مسلم للإمام النووي ١٦/١ في ٨ مجلدات: للنووي الشافعي، يحيى بن شرف، محيي الدين، أبي زكريا (ت ٦٧٦هـ)، راجعه: الشيخ خليل الميس، نشر: دار القلم - بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

١٥٥ - الشرح الكبير (المطبوع بهامش المغني) ١٢/١: لابن قدامة المقدسي، عبدالرحمن بن أبي عمر، شمس الدين، أبي الفرج (ت ٦٨٢هـ)، طبعة جديدة بالأوفسيت، طبع دار الكتاب العربي - بيروت.

١٥٦ - شرح الزرقاني علي موطا الإمام مالك ٤/١: للزرقاني، محمد (ت هـ)، نشر: دار الجيل - بيروت.

١٥٧ - شرح المقاصد: للفتازاني، مسعود بن عمر بن عبدالله، الشهير بسعد الدين (ت ٧٩٣هـ)، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، نشر: منشورات الشريف الرضي - قم - إيران، الطبعة الاولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

١٥٨ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠/١ في عشرة مجلدات: لابن أبي الحديد المدائني، عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبي حامد (ت ٦٥٥هـ أو ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، نشر: دار احياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م.

١٥٩ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للحصبي، عياض، أبي الفضل (ت ٥٤٤ هـ)، نشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

١٦٠ - شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ٣/١: للحسكاني، عبدالله بن عبدالله بن أحمد المعروف بالحاكم، (من اعلام القرن الخامس)، تحقيق: الشيخ محمد

- باقر المحمودي، نشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران - إيران، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ١٦١ - صبح الاعشى في صناعة الإنشا ١/٤: القلقشندي، أحمد بن عليّ (ت ٨٢١ هـ)، تحقيق: نبيل خالد الخطيب، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٦٢ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: لابن بلبان الفارسي، علاء الدين عليّ بن بلبان (ت ٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٦٣ - صحيح ابن خزيمة ٤/١: لابن خزيمة السلمي النيسابوري، محمّد بن إسحاق بن خزيمة، أبي بكر (ت ٣١١ هـ)، حققه وعلق عليه: الدكتور محمّد مصطفى الأعظمي، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ١٦٤ - صحيح البخاري ٩/١ في اربعة مجلدات: للبخاري، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبي عبدالله (ت ٢٥٦ هـ)، شرح وتحقيق: الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، نشر: دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٦٥ - صحيح مسلم ٤/١: للقسيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، أبي الحسين (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبدالباقي، نشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٨ م.
- ١٦٦ - صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: تحقيق: الشيخ محمّد مهدي نجف، نشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، طبع الاستانة الرضوية - مشهد ١٤٠٦ هـ.
- ١٦٧ - الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ٣/١: للبياضي، عليّ بن يونس العاملي النباطي، أبي محمّد (ت ٨٧٧ هـ)، تحقيق: محمّد باقر البهبودي، نشر: المكتبة المرتضوية لآحياء الآثار الجعفرية - إيران.
- ١٦٨ - الصواعق المحرقة: لليهثمي المكي، أحمد بن حجر (ت ٨٩٩ هـ)، نشر: مكتبة القاهرة - مصر.
- ١٦٩ - الضعفاء الكبير ٤/١: للعقيلي المكي، محمّد بن عمرو بن موسى بن حماد أبي جعفر (ت ٣٢٢ هـ)، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.
- ١٧٠ - الضعفاء والمتروكين: للذهبي الدمشقي، شمس الدين بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨ هـ)، نشر: دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- ١٧١ - طب الأئمة: للنيسابوريين، عبدالله بن سابور الزيات، والحسين بن بسطام (ت ٢٦٢هـ) النيسابوريين، نشر: منشورات الرضي - قم - إيران، الطبعة - الثانية ١٣٦٣ بالافسيت عن المطبعة الحيدرية - النجف الاشرف - العراق سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ١٧٢ - طبقات أعلام الشيعة: للطهراني، آغا بزرك (ت هـ)، تحقيق ولده: عليّ نقي منزوي، نشر: مؤسسة اسماعيليان، قم - إيران، الطبعة الثانية.
- ١٧٣ - الطبقات الكبرى = طبقات ابن سعد ٩/١: لابن سعد، محمّد بن سعد كاتب الواقدي (ت ٢٣٠ هـ)، قدم له: الدكتور إحسان عباس، نشر: دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٧٤ - العبر في خبر من غير: للذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، نشر: مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية (مصورة)، ١٩٤٨م.
- ١٧٥ - علل الشرايع: للصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبي جعفر (ت ٣٨١ هـ)، قدم له: السيّد محمّد صادق بحر العلوم، نشر: منشورات المكتبة الحيدرية - النجف، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، أعادت طباعته مكتبة الداوري - قم - إيران.
- ١٧٦ - العلل ومعرفة الرجال ٤/١: لاحمد بن محمّد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، تحقيق: وصي الله بن محمّد عباس، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٧٧ - عمدة القارئ ٢٥/١ في ١٢ مجلد: للعيني بدر الدين محمود بن احمد (ت ٨٥٥ هـ)، نشر: دار الفكر - بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٧٨ - عون المعبود ١٤/١: شرح سنن ابي داود: للعظيم ابادي، محمد شمس الحق (ت هـ).
- ١٧٩ - عيون أخبار الرضا ٢/١: للصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبي جعفر (ت ٣٨١ هـ)، من منشورات المطبعة الحيدرية - النجف أوفسيت منشورات الاعلمي - طهران ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- ١٨٠ - الغريبين في القرآن والحديث: للهروي، أحمد بن محمّد صاحب الأزهرى - أبي عبيد (ت ٤٠١ هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، نشر: المكتبة العصرية - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٨١ - الغدير في الكتاب والسنة والادب ١١/١: للأميني النجفي، عبدالحسين أحمد (ت ١٣٩٢ هـ)، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

- ١٨٢ - الغيبة: للنعمانى، محمد بن إبراهيم بن جعفر المعروف بابن أبي زينب (ت ٣٨هـ)، نشر: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٨٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١/١٣: للعسقلاني، أحمد بن عليّ بن محمّد شافع شهاب الدين، أبي الفضل (ت ٨٥٢هـ)، طبع: المطبعة البهية بمصر، طبعة ١٣٤٨هـ، أوفسيت: دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٨٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧/١: لابن رجب الحنبلي زين الدين عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، نشر: دار ابن الجوزي / المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٨٥ - فتح المعين بشرح قرّة العين ٤/١ في مجلدين: للمليباري الشافعي، زين الدين بن عبدالعزيز (ت هـ)، مطبوع بهامش اغاثة الطالبين، نشر: دار احياء التراث العربي / بيروت.
- ١٨٦ - فتح المالك على موطأ الإمام مالك ١/١٠: لابن عبدالبر النمري القرطبي المالكي، جمال الدين يوسف بن عمر بن عبدالبر، أبي عمر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الاستاذ الدكتور مصطفى صميده، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ١٨٧ - الفتوح ٣/١: لابن اعثم الكوفي، أحمد بن أعثم، أبي محمّد (ت نحو ٣١٤هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٨٨ - الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ٢/١: للصدقي الشافعي، محمّد بن علان (ت ١٠٥٧هـ)، نشر: المكتبة الإسلامية، مصر، أوفسيت دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ١٨٩ - الفتوحات المكية: لابن عربي الحاتمي الطائي، محمّد بن عليّ (ت ٦٣٨هـ)، نشر: دار صادر - بيروت - لبنان.
- ١٩٠ - الفردوس بمأثور الخطاب ١/: للدلمي الهمداني، شيرويه بن شهردار بن شيرويه، أبي شجاع الملقب «الكيا» (ت ٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٩١ - فضائل الصحابة ٢/١: لاحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله محمّد عباس، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ١٩٢ - فضل الصلاة على النبي: للجزمي القاضي المالكي، إسماعيل بن إسحاق (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، المركز الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.
- ١٩٣ - فيض القدير شرح جامع الصغير ٦/١: للمناوي، محمد المدعو بعبدالروؤف (ت ١٣٣١هـ)، نشر: دار الفكر - بيروت - لبنان ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م، الطبعة الثانية.
- ١٩٤ - الكافي ٨/١: للكليبي، محمد بن يعقوب بن إسحاق (أبي جعفر) (ت ٣٢٩هـ)، صححه وقابله: الأستاذ علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الثانية.
- ١٩٥ - الكامل في التاريخ ٩/١: لابن الأثير الجزري، محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١٩٦ - الكامل في ضعفاء الرجال ٨/١: لابن عدي الجرجاني، عبدالله بن عدي، أبي أحمد (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: سهيل زكار، نشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ١٩٧ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس: للعجلوني، إسماعيل بن محمد (ت ١١٦٢هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٩٨ - كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: لكاشف الغطاء، الشيخ جعفر النجفي (ت ١٢٢٨هـ)، نشر: انتشارات مهدي - اصفهان - إيران، طبعة حجرية.
- ١٩٩ - كشف الغمة عن جميع الأمة ٢/١: للشعراني، عبدالوهاب (ت ٩٧٣هـ - ١٥٦٥م)، نشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- ٢٠٠ - كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢/١: للاربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ)، تعليق: هاشم الرسولي، اهتم بطبعة الحاج السيّد عليّ بني هاشمي.
- ٢٠١ - كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين: للحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: حسن الدراكاهي، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - إيران.
- ٢٠٢ - كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: للخزاز القمي، عليّ بن محمد بن عليّ الخزاز، أبي القاسم (من أعلام القرن الرابع)، تحقيق: عبداللطيف الحسيني الكوه كمرى النحوي، نشر: انتشارات بيدار - قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

- ٢٠٣ - كمال الدين وتمام النعمة: لابن بابويه القمي، محمد بن علي بن الحسين بن بابوية، أبي جعفر (ت ٣٨١ هـ)، تعليق: علي أكبر الغفاري، نشر: مكتبة الصدوق - طهران - إيران، ٢٠٤ - كنز العرفان في فقه القرآن، للسيوري، جمال الدين المقداد بن عبدالله (ت ٨٢٦ هـ)، نشر: المكتبة المرتضوية لآحياء الآثار الجعفرية - قم - إيران، الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ
- ٢٠٥ - كنز العمال ١٦/١: للمتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ)، ضبطه وفسر غريبه: الشيخ بكري حياني، تصحيح: الشيخ صفوة السقا، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٢٠٦ - الكنز المدفون والفلك المشحون: للسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١ هـ)، نشر: المطبعة اليمينية - مصر، الطبعة الأولى ١٣٢١ هـ.
- ٢٠٧ - لسان الميزان ٧/١: للعسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل (ت ٨٥٢ هـ)، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٢٠٨ - مآثر الانفاة في معالم الخلافة ٣/١: للقلقشندي، أحمد بن عبدالله، صاحب كتاب صبح الاعشى (ت ٨٢١ هـ)، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، نشر: عالم الكتب - بيروت، قدم له: صلاح الدين المنجد.
- ٢٠٩ - المبسوط ٣٠/١ في ١٥ مجلد: للسرخسي، شمس الدين (ت ٤٩٠ هـ)، قام بتصحيح الكتاب: جماعة من العلماء، نشر: دار المعرفة - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٢١٠ - المبسوط في فقه الإمامية ١٠/١: للطوسي، محمد بن الحسن بن علي، أبي جعفر (ت ٤٦٠ هـ)، صححه وعلق عليه: السيد محمد تقي الكشفي، نشر: المكتبة الرضوية - طهران - أوفسيت عن طبعة المطبعة الحيدرية، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ.
- ٢١١ - مجالس المؤمنين ٢/١ (باللغة الفارسية): للشوشتري، القاضي نور الله المعروف بالشهيد الثالث (استشهد سنة ١٠١٠ هـ)، نشر: كتابفروشي اسلامية، طهران ١٣٥٤ هـ ش.
- ٢١٢ - المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: للتميمي البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم (ت ٣٥٤ هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر: دار المعرفة، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

- ٢١٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٠/١: للهيتمي، عليّ بن أبي بكر، نور الدين (ت ٨٠٧ هـ)، وهو بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت
الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٢١٤ - المجموع شرح المذهب ٢٠/١: للنووي، محيي الدين بن شرف، أبي زكريا (ت ٦٧٦ هـ)، طبع: دار الفكر - بيروت.
- ٢١٥ - المحاسن ٢/١: للبرقي، أحمد بن محمد بن خالد، أبي جعفر (ت ٢٧٤ هـ أو ٢٨٠ هـ)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، نشر: المعاونة الثقافية للمجمع العلمي لأهل البيت: - قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
- ٢١٦ - المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز ٤/١: لابن عطية الاندلسي، عبدالحق بن غالب بن عطية، أبي محمد (ت ٥٤٦ هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٤١٣ - ١٩٩٣ م.
- ٢١٧ - المحصول في علم أصول الفقه ٢/١: لفخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦ هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢١٨ - المحلى ١١/١: لابن حزم الاندلسي، عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبي محمد (ت ٤٥٦ هـ)، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، نشر: دار الافاق الجديدة - بيروت.
- ٢١٩ - مختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ١١/١: للبوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني الشافعي، شهاب الدين، أبي العباس (ت ٨٤٠ هـ)، تحقيق: سيد كروي حسن، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٢٢٠ - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩/١: لابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)، تحقيق: أحمد راتب ومحمد ناجي العمر، نشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢٢١ - مدارك الاحكام ٨/١: للعالمي، السيّد محمد بن عليّ الموسوي (ت ١٠٠٩ هـ)
- تحقيق: مؤسسة آل البيت: لحياء التراث - مشهد المقدسة، طبع في مطبعة مهر - قم
الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- ٢٢٢ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٤/١: لليافعي، عبدالله بن أسعد بن عليّ بن سليمان اليمني المكي (ت ٧٦٨ هـ)، نشر: منشورات الأعلمي للمطبوعات -

- بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، أوفسيت عن مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدرآباد - الدكن سنة ١٣٣٨هـ.
- ٢٢٣ - المراسيل: لابن أبي حاتم الرازي، عبدالرحمن بن محمّد بن إدريس (٣٢٧هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٢٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤/١: للمسعودي، عليّ بن الحسين بن عليّ، أبي الحسن (ت ٣٤٦هـ)، وضع فهارسها: يوسف أسعد داغر، الطبعة الثانية - دار الهجرة - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، أوفسيت عن الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ٢٢٥ - مستدرك سفينة البحار ١٠/١: للنمازي الشاهرودي، الشيخ عليّ (معاصر)، نشر: قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٢٢٦ - المستدرك على الصحيحين ٤/١: للحاكم النيسابوري، محمّد بن عبدالله، أبي عبدالله (ت ٤٠٥هـ)، نشر: دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٢٢٧ - مستدرك الوسائل ١٨/١: للطبرسي النوري، الحاج ميرزا حسين (ت ١٣٢٠هـ)، نشر وتحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - إيران، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ٢٢٨ - المسترشد في امامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: للطبري، محمّد بن جرير بن رستم (ت أوائل القرن الرابع الهجري)، تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي، نشر: المؤسسة الثقافية الإسلاميّة طبع في قم - إيران، الطبعة الأولى.
- ٢٢٩ - مسند أبي داود الطيالسي: للطيالسي، أبي داود (ت ٢٠٤هـ)، نشر: دار الحديث - بيروت.
- ٢٣٠ - مسند أبي عوانة: لابي عوانة الاسفراييني، يعقوب بن إسحاق (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، نشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ٢٣١ - مسند أحمد ٦/١ (رحلي): لاحمد بن حنبل، (ت ٢٤١هـ)، نشر: دار صادر - بيروت.
- ٢٣٢ - مسند زيد بن علي: لزيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (ت ١٢١هـ)، جمعه: عبدالعزيز بن إسحاق البغدادي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

- ٢٣٣ - مسند الشافعي: للشافعي، محمّد بن إدريس، أبي عبد الله (ت ٢٠٤هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، أوفسيت عن مطبعة بولاق الاميرية.
- ٢٣٤ - مشارق انوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليهم السلام: للبرسي، رجب (ت ٨١٣هـ)، نشر: منشورات الشريف الرضي - قم - إيران، الطبعة الاولى ١٤١٤هـ.
- ٢٣٥ - المصنف ١١/١: للصنعاني، عبدالرزاق بن همام، أبي بكر (ت ٢١١هـ)، عني بتحقيقه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي - بيروت.
- ٢٣٦ - مصنفات الشيخ المفيد ١٤/١: للمفيد، محمّد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، أبي عبد الله (ت ٤١٣هـ)، نشر: المؤتمر العالمي لألفية المفيد، الطبعة الاولى ١٤١٣ هـ - قم - إيران.
- ٢٣٧ - المصنف في الأحاديث والآثار ٩/١: (مصنف بن أبي شيبة)، لابن أبي شيبة الكوفي العبسي، عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة، أبي بكر (ت ٢٣٥هـ)، ضبطه وصححه: محمّد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٢٣٨ - المعارف: لابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٣٩ - معاني الاخبار: للصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابوية القميّ (ت ٣٨١هـ)، عني بتصحيحه: عليّ أكبر الغفاري، انتشارات اسلامي - قم، الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ.
- ٢٤٠ - معجم الأدباء ٢٠/١ (في عشر مجلدات): للحموي، ياقوت بن عبدالرومي (ت ٦٢٦هـ)، نشر: دار الفكر الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٢٤١ - المعجم الاوسط ١١/١: للطبراني، سليمان بن أحمد، أبي القاسم (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، نشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الاولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٢٤٢ - معجم البلدان ٥/١: للحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، شهاب الدين، أبي عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، نشر: دار صادر - بيروت.
- ٢٤٣ - معجم رجال الحديث ٢٤/١: للخوئي، السيّد أبي القاسم الموسوي (ت ١٤١٣هـ)، الطبعة الخامسة ٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٤٤ - المعجم الكبير ٢٥/١: للطبراني، سليمان بن أحمد، أبي القاسم (ت ٣٦٠هـ)، حققه: حمدي عبدالمجيد السلفي، نشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

- ٢٤٥ - معرفة علوم الحديث: للحاكم النيسابوري، محمّد بن عبدالله (ت ٤٠٥ هـ)، شرح ومراجعته: سعيد محمّد اللحام، نشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٢٤٦ - المغني ١/١٢: لابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن محمود بن قدامة، موفق الدين، أبي محمّد (ت ٦٣٠ هـ)، طبعه جديد بالأوفسيت، نشر دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢٤٧ - المغني في الضعفاء ١/٢: للذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايمار (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: نور الدين عتر.
- ٢٤٨ - مقاتل الطالبين: للأصفهاني، أبي الفرج (ت ٣٥٦ هـ)، شرح وتحقيق: السيّد أحمد صقر، نشر: دار المعرفة - بيروت.
- ٢٤٩ - المناقب = مناقب الخوارزمي: للخوارزمي، موفق بن أحمد بن محمّد المكي (ت ٥٦٨ هـ)، تحقيق: مالك المحمودي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم - إيران، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ.
- ٢٥٠ - المنتخب من مسند عبد بن حميد: لأبي محمّد عبد بن حميد (ت ٢٤٩ هـ)، تحقيق: صبحي البدري السامرائي - محمود محمّد خليل الصعيدي، نشر: مكتبة النهضة العربية، الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢٥١ - من لا يحضره الفقيه ١/٤: للصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ، أبي جعفر (ت ٣٨١ هـ)، علق عليه: عليّ أكبر الغفاري، نشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم - إيران الطبعة الثانية.
- ٢٥٢ - المنتظم في تاريخ الامم والملوك ١/١٦: لابن الجوزي، عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: محمّد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا - نعيم زرزور، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٢٥٣ - منهاج السنة النبوية: لابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية، أبي العباس (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق: محمّد رشاد سالم، نشر: مؤسسة قرطبة - مصر، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ.
- ٢٥٤ - المهذب: لابن براج الطبرابلسي، عبدالعزيز بن البراج (ت ٤٨١ هـ)، تحقيق: الشيخ جعفر السبحاني، نشر: جامعة المدرسين - قم - إيران، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ.
- ٢٥٥ - المواعظ والاعتبار = الخطط المقرزية ١/٢ (رحلي): للمقرزي، أحمد بن عليّ، تقي الدين، أبي العباس (ت ٧٤٥ هـ)، أوفست دار صادر - بيروت.

- ٢٥٦ - الموطأ: مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٥٧ - مواهب الجليل شرح مختصر خليل : للحطاب الرعيني، محمد بن محمد بن عبدالرحمن المغربي، أبي عبدالله (ت ٩٥٤هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٢٥٨ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٧/١: للذهبي، محمد بن أحمد، شمس الدين (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: عليّ محمد معوض، عادل أحمد عبدالجود، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٢٥٩ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: للتابكي، يوسف بن تغري بردي، أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ)، نشر: المؤسسة المصرية العامة - مصر.
- ٢٦٠ - نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ٨/١: عبد الحي بن فخر الدين الحسيني (ت ١٣٤١هـ)، قام بمراجعته واكماله: أبو الحسن عليّ الحسيني الندوي - ابن المؤلف، نشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند ١٤٠٢هـ.
- ٢٦١ - نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٨/١: للتوحي، المحسن بن عليّ، أبي علي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجي، الطبعة الاولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ٢٦٢ - النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: لمحمد بن عقيل بن عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي (ت ١٣٥هـ)، الطبعة الاولى ١٤١٢هـ - مطبعة دار الثقافة، نشر: دار الثقافة - قم - إيران.
- ٢٦٣ - نصب الراية لأحاديث الهداية ٤/١: للزيلعي الحنفي، عبدالله بن يوسف، جمال الدين، أبي محمد (ت ٧٦٢هـ)، نشر: دار احياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٦٤ - نظم درر السمطين: للزرندي الحنفي، محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد، جمال الدين (ت ٧٥٠هـ)، نشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين، الطبعة الاولى ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- ٢٦٥ - نهاية الإرب في فنون الأدب: للنويري، أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ)، نشر: مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الاولى ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م.

- ٢٦٦ - نيل الاوطار ٨/١: للشوكانى، محمّد بن عليّ بن محمّد (ت ١٢٥٥هـ)، نشر: دار احياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الاخيرية.
- ٢٦٧ - الهداية شرح البداية: للمرغيناني، عليّ بن أبي بكر بن عبدالجليل، أبي الحسين (ت ٥٩٣هـ)، نشر: المكتبة الإسلامية - بيروت - لبنان.
- ٢٦٨ - الوسائل إلى معرفة الاوائل: للسيوطي، عبدالرحمن، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبدالرحمن الجوزو، نشر: دار مكتبة الحياة - بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٦٩ - وسائل الشيعة ٣٠/١: للحر العاملي، الشيخ محمّد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم - إيران، الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ.
- ٢٧٠ - وضوء النبي (المدخل): لمؤلف هذا الكتاب، نشر: مؤسسة جواد الأئمة - مشهد - إيران، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.
- ٢٧١ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: للسهمودي، عليّ بن أحمد المصري (ت ٩١١هـ) تحقيق: محمّد محيي الدين عبدالحميد، نشر: دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٧٢ - وقعة صفين: للمنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمّد هارون، نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - إيران، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ.
- ٢٧٣ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨/١: لابن خلّكان، أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان، شمس الدين، أبي العباس (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: احسان عباس، نشر: دار الثقافة - بيروت.
- ٢٧٤ - ينابيع المودة لذوي القربى: للقندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم (ت ١٢٩٤هـ)، تحقيق: عليّ جمال أشرف الحسيني، نشر: دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الاولى ١٤١٦هـ.
- ٢٧٥ - اليواقيت والضرب في تاريخ حلب: المنسوب إلى إسماعيل أبي الفداء (ت ٧٣٢هـ)، المحققان: محمّد كمال وفالح البكور، نشر: دار القلم - حلب - سوريا، الطبعة الاولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

فهرس

٥ الإهداء	●
٧ مقدمة القسم	●
٩ مقدمة المؤلف	●
١٥ بحوث تمهيدية	●
٢٥ الأذان لغة واصطلاحاً	●
٢٦ تاريخ الأذان	●
٢٧ بدأ الأذان عند أهل السنة والجماعة	●
٣٩ أهل البيت وبدء الأذان	●
٥٦ وقفة مع أحاديث الرويا	●
٦٨ تحقيق في ما وراء نظرية الرويا	●
٧٨ مع الرسول وروياه	●
٨١ المجتهدون الأوائل ودورهم في التشريع	●
٨٧ المجتهدون الأوائل والأذان	●
٩١ الأمويون والأذان	●
٩٥ الأمويون ورسول الله	●
١٠ أهل البيت ورفع ذكر رسول الله	●
٧		
١١ القدرة الإلهية وفشل المخططات	●
٦		
١٢ من هم الثلاثة أو الاربعة	●
٢		
١٤ الأذان إعلام للصلاة أم بيان لاصول العقيدة	●
٣		
١٥ الأذان وأثاره في الحياة الإجتماعية	●
٥		
١٥ توقيفية الأذان	●
٩		
١٦ الخلاصة	●
٣		

- الباب الأول: حي على خير العمل الشرعية والشعرية ١٦
- الفصل الأول: جزئية حي على خير العمل ٧
- القسم الأول: إتفاق الفريقين على اصل شرعيتها ١٦
- القسم الثاني: تأذين الصحابة وأهل البيت ٩
- ١ - بلال بن رباح الحبشي ١٧
- ٢ - علي بن أبي طالب ١
- ٣ - أبو رافع ١٩
- ٤ - عقيل بن أبي طالب ٦
- ٥ - الحسن بن علي بن أبي طالب ١٩
- ٦ - أبو محذورة ٧
- ٧ - الحسين بن علي بن أبي طالب ٢٠
- ٨ - زيد بن أرقم ٤
- ٩ - عبدالله بن عباس ٢٠
- ١٠ - عبدالله بن عمر ٥
- ١١ - جابر بن عبدالله الانصاري ٢٠
- ١٢ - عبدالله بن جعفر ٧
- ١٣ - محمّد بن علي بن أبي طالب ٢٠
- ١٤ - أنس بن مالك ٩

٠	
٢٢	١٥ - علي بن الحسين بن علي
١	
٢٣	١٦ - أبو أمامة بن سهل بن حنيف
٢	
٢٣	١٧ - محمد بن علي الباقر
٣	
٢٣	١٨ - زيد بن علي
٤	
٢٣	١٩ - يحيى بن زيد بن علي
٥	
٢٣	٢٠ - محمّد بن زيد بن علي
٦	
٢٣	٢١ - محمّد بن عمر بن علي بن أبي طالب
٦	
٢٣	٢٢ - إبراهيم بن عبدالله بن الحسن
٧	
٢٣	٢٣ - جعفر بن محمّد الصادق
٨	
٢٣	٢٤ - الحسين بن علي صاحب فخ
٩	
٢٤	٢٥ - موسى بن جعفر الكاظم
٠	
٢٤	٢٦ - علي بن موسى الرضا
١	
٢٤	٢٧ - علي بن جعفر بن محمّد بن علي
١	
٢٤	٢٨ - أحمد بن عيسى
١	
٢٤	٢٩ - الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي
٢	
٢٤	القسم الثالث: اجماع العترة
٤	
٢٥	الفصل الثاني: حذف الحيلة، وامتناع بلال عن التأذين
٥	

- الفصل الثالث: حي على خير العمل، دعوة إلى الولاية ٢٧
٥
- بعض أدلة الولاية ٢٨
١
- عود على بدء ٣٠
- ما وراء حذف الحيلة الثالثة ٣٠
٣
- الفصل الرابع: حيّ على خير العمل، تاريخها العقائدي والسياسي ... ٣١
٥
- طبرستان (سنة ٢٥٠ هـ) ٣٣
١
- حمص/ مصر/ بغداد (سنة ٢٩٠ هـ) ٣٣
٤
- الاندلس (ما بعد سنة ٣٠٠ هـ) ٣٣
٩
- حلب/ مصر (سنة ٣٤٧ هـ) ٣٣
٩
- القاهرة (سنة ٣٥٦ هـ) ٣٤
١
- القاهرة (سنة ٣٥٨ هـ) ٣٤
٣
- جامع بن طولون/ مصر (٣٥٩ هـ) ٣٤
٥
- دمشق (سنة ٣٦٠ هـ) ٣٤
٨
- حلب (سنة ٣٦٧ هـ) ٣٥
٠
- ملتان/ الهند (قبل سنة ٣٨٠ هـ) ٣٥
١
- مصر (سنة ٣٩٣ هـ) ٣٥
٢
- اليمامة (سنة ٣٩٤ هـ) ٣٥
٤
- المدينة/ مصر (سنة ٤٠٠ هـ) ٣٥

- ٤
- ٣٥ بغداد (سنة ٤٤١ - ٤٤٢ هـ) ●
- ٦
- ٣٥ بغداد (سنة ٤٤٣ هـ) ●
- ٧
- ٣٦ بغداد (سنة ٤٤٤ - ٤٤٥ هـ) ●
- ٠
- ٣٦ بغداد (سنة ٤٤٨ هـ) ●
- ١
- ٣٦ بغداد (سنة ٤٥٠ هـ) ●
- ٣
- ٣٦ مكة/ حلب (سنة ٤٦٢ هـ) ●
- ٦
- ٣٦ الشام (سنة ٤٦٨ هـ) ●
- ٨
- ٣٦ مصر (سنة ٤٧٨ هـ) ●
- ٩
- ٣٧ مصر (سنة ٥٢٤ هـ) ●
- ٠
- ٣٧ حلب (سنة ٥٤٣ هـ) ●
- ٤
- ٣٧ حلب (سنة ٥٥٢ هـ) ●
- ٥
- ٣٧ مصر (سنة ٥٦٥ هـ) ●
- ٦
- ٣٧ مصر (سنة ٥٦٧ هـ) ●
- ٧
- ٣٧ حلب (سنة ٥٧٠ هـ) ●
- ٨
- ٣٧ مكة (سنة ٥٧٩ هـ) ●
- ٩
- ٣٨ مكة (سنة ٥٨٢ و ٦١٧ و ٧٠٢ هـ) ●
- ٠
- ٣٨ ايران (سنة ٧٠٧ هـ) ●
- ٠

٣٨	المدينة (القرن الثامن) ..	●
١			
٣٨	القطيف (سنة ٧٢٩ هـ) ..	●
١			
٣٨	مكة (سنة ٧٩٣ هـ) ..	●
٢			
٣٨	صنعاء (سنة ٩٠٠ هـ) ..	●
٢			
٣٨	حضر موت (سنة ١٠٧٠ هـ) ..	●
٣			
٣٨	نجد (سنة ١٢٢٤ هـ) ..	●
٣			
٣٨	النتيجة ..	●
٥			
٣٩	الخلاصة ..	●
٧			
٣٩	وفي الختام ..	●
٩			

